

تراثنا

صنعة الإنشاء

في

صناعة الإنشاء

تأليف

أبي العباس أحمد بن علي الفلبي شندي

١٨٤١ هـ - ١٤١٨ م

الجزء التاسع

نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية
ومذيبة

بتصويبات واستدراكات وفهارس تفصيلية
مع دراسة وافية

وزارة الثقافة والارشاد القومي
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

Collection of Prof. Muhammad Iqbal Mujaddidi
Preserved in Punjab University Library.

پروفیسر محمد اقبال مجددی کا مجموعہ
پنجاب یونیورسٹی لائبریری میں محفوظ شدہ





تراثنا

صنعة الإنشاء
٢٠١٢
١٤١٤

في
صناعة الإنشاء

تأليف

أبي العباس أحمد بن علي الفلّيشدي

١٨٤١ هـ - ١٤١٨ م

الجزء التاسع



نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية
ومذيّلة

تصويبات واستدراكات وفهارس تفصيلية
مع دراسة واقية

وزارة الثقافة والاداء القومي
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر



صفحة

- القسم الثانى - من مقاصد المكاتبات الإخوانيات ... ،
- وهى على سبعة عشر نوعا ٥
- النوع الأول - التهانى، وهى على أحد عشر ضربا ٥
- الضرب الأول - التهئة بالولايات ٦
- » الثانى - « بكرامة السلطان، وأجوبته ٢٥
- » الثالث - « بالعود من الحج ٣١
- » الرابع - « بالقدوم من السفر ٣٣
- » الخامس - « بالشهور والمواسم والأعياد ٣٩
- » السادس - « بالزواج والتسرى ٥٤
- » السابع - « بالأولاد ٥٦
- » الثامن - « بالإبلال من المرض والعافية من السقم ... ٦٣
- » التاسع - « بقرب المزار ٧٠
- » العاشر - « نزول المنازل المستجدة ٧١
- » الحادى عشر - نواذر التهانى ٧٣
- النوع الثانى - من مقاصد المكاتبات التعازى، وهى على أضرى ٨٠
- الضرب الأول - التعزية بالأبن ٨٠
- » الثانى - « بالبنت ٨٥
- » الثالث - « بالأب ٨٦
- » الرابع - « بالأم ٨٧
- » الخامس - « بالأخ ٨٨
- » السادس - « بالزوجة ٩٠
- » السابع - التعازى المطلقة ٩٢

صفحة	
١٠٠ ...	النوع الثالث - من مقاصد المكاتبات التهادى والملاطفة
١٢٤ ...	» الرابع - الشفاعات والعنايات
١٤٢ ...	» الخامس - التشوق
١٥٠ ...	» السادس - فى الأستزارة
١٥٥ ...	» السابع - فى آخطاب المودة وأفتتاح المكاتبه
١٥٩ ...	» الثامن - فى خطبة النساء
١٦٥ ...	» التاسع - فى الأسترضاء والأستعطاف والأعتذار
١٧٣ ...	» العاشر - فى الشكوى
١٧٦ ...	» الحادى عشر - فى أستماحة الحوائج
١٨٣ ...	» الثانى عشر - فى الشكر
١٨٩ ...	» الثالث عشر - فى العتاب
٢٠٣ ...	» الرابع عشر - فى العيادة والسؤال عن حال المريض
٢١٧ ...	» الخامس عشر - فى الدم
٢١٩ ...	» السادس عشر - فى الأخبار
٢٢٥ ...	» السابع عشر - فى المداعبه
٢٢٩	الفصل الثامن - فى إخفاء ما فى الكتب من السر، وهو على نوعين
٢٢٩ ...	النوع الأول - ما يتعلق بالكتابة، وهو على ضربين
٢٢٩ ...	الضرب الأول - ما يتعلق بالمكتوب به
٢٣٠ ...	» الثانى - ما يتعلق بالخط المكتوب
٢٤٩	النوع الثانى - الرموز والإشارات التى لاتعلق لها بالخط والكتابة
٢٥٢ ...	المقالة الخامسة - فى الولايات، وفيها أربعة أبواب
	الباب الأول - فى بيان طبقاتها وما يقع به التفاوت، وفيه
٢٥٢ ...	ثلاثة فصول

صفحة	
٢٥٢	الفصل الأول - في بيان طبقات الولايات
٢٥٢	الطبقة الأولى - الخلافة
٢٥٢	» الثانية - السلطنة
	» الثالثة - الولايات عن الخلفاء والملوك وما يكتب عن
	السلطان بالديار المصرية في أقطار المملكة بمصر
٢٥٢	والشام والحجاز، وهي على خمسة أنواع
٢٥٣	النوع الأول - ولايات أرباب السيوف
٢٥٥	» الثاني - ولاية أرباب الأقاليم
٢٥٩	» الثالث - ولاية أرباب الوظائف الصناعية
٢٥٩	» الرابع - ولايات زعماء أهل الذمة
٢٦٠	» الخامس - ما لا يختص بطائفة ولا يندرج تحت نوع
	الفصل الثاني - من الباب الأول من المقالة الخامسة في بيان
	ما يجب على الكاتب مراعاته في كتابة الولايات
٢٦١	على سبيل الإجمال
	الفصل الثالث - من الباب الأول من المقالة الخامسة في بيان
	ما يقع به التفاوت في رتب الولايات ، وذلك
٢٦٣	من سبعة أوجه
٢٦٣	الوجه الأول - الألقاب ، وهي على ثلاثة أنواع
٢٦٣	النوع الأول - ألقاب الخلفاء
٢٦٣	» الثاني - « الملوك
٢٦٤	» الثالث - ألقاب ذوى الولايات الصادرات عن السلطان
٢٦٦	الوجه الثاني - ألفاظ إسناد الولايات إلى صاحب الوظيفة
٢٦٨	» الثالث - الأفتاحات
	» الرابع - تعدد التعميد في الخطبة أو في أثناء الكلام
٢٦٩	وآتجاهه

صفحة	
٢٦٩	الوجه الخامس - الدعاء
٢٧٠	» السادس - طول الكلام وقصره
٢٧١	» السابع - قطع الورق
٢٧٣	الباب الثاني - من المقالة الخامسة في البيعات، وفيه فصلان
٢٧٣	الفصل الأول - في معناها...
٢٧٤	» الثاني - في ذكر تنوع البيعات، وهي نوعان
٢٧٤	النوع الأول - بيعات الخلفاء، وفيها سبعة مقاصد...
٢٧٤	المقصد الأول - في أصل مشروعيتها
٢٧٥	» الثاني - في بيان أسباب البيعة الموجبة لأخذها على الرعية
	» الثالث - في بيان ما يجب على الكاتب مراعاته في كتابة البيعة...
٢٧٦	» الرابع - في بيان مواضع الخلافة التي تستدعى الحال
٢٧٩	كتابة المبايعات فيها
	» الخامس - في بيان صورة ما يكتب في بيعات الخلفاء، وفيه أربعة مذاهب
٢٨٠	المذهب الأول - أن تفتح المبايع بلفظ «تبايع فلانا أمير المؤمنين»
٢٨٠	خطابا لمن تؤخذ عليه البيعة
	» الثاني - مما يكتب في بيعات الخلفاء أن تفتح المبايع بلفظ «من عبد الله ووليه فلان أبي فلان الامام الفلاني» إلى أهل دولته
٢٨٦	» الثالث - أن تفتح البيعة بعد البسملة بخطبة مفتحة
٢٩٨	بالحمد لله الخ
	» الرابع - مما يكتب في بيعات الخلفاء أن تفتح البيعة بلفظ «هذه بيعة الخ
٣٢٠	

- المقصد السادس - فيما يكتب في آخر البيعة ٣٣١
- » السابع - في قِطْع الورق الذي تكتب فيه البيعة ، والقلم
الذي تكتب به ، وكيفية كتابتها وصورة وضعها ٣٣٢
- النوع الثاني - من البيعات بيعات الملوك ٣٣٧
- الباب الثالث - من المقالة الخامسة في العهود ، وفيه فصلان ... ٣٤٨
- الفصل الأول - في معنى العهد ٣٤٨
- » الثاني - في بيان أنواع العهود ، وهي ثلاثة انواع ... ٣٤٩
- النوع الأول - عهود الخلفاء عن الخلفاء ، ويتعلق النظر به من
ثمانية أوجه ٣٤٩
- الوجه الأول - في أصل مشروعيتها ٣٤٩
- » الثاني - في معنى الاستخلاف ٣٥٠
- » الثالث - فيما يجب على الكاتب مراعاته ٣٥١
- » الرابع - فيما يكتب في الطرة وهو تلخيص ما يتضمنه
العهد ٣٥٧
- » الخامس - فيما يكتب لاولياء العهد من الألقاب ٣٥٨
- » السادس - فيما يكتب في متن العهد ، وفيه ثلاثة مذاهب ٣٥٨
- المنهـب الأول - أن يفتح العهد بعد البسمة بلفظ «هذا» مثل
هذا ما عهد به فلان لفلان ، وللكتاب فيه
طريقتان ٣٥٨
- الطريقة الأولى - طريقة المتقدمين ٣٥٩
- » الثانية - « المتأخرين ٣٦٨

صفحة	
	المذهب الثانى - أن يفتح العهد بعد البسمة بلفظ « من فلان
٣٧٧	إلى فلان »
	» الثالث - أن يفتح العهد بعد البسمة بخطبة مفتحة
٣٨٦	بالحمد لله
	الوجه السابع - فيما يكتب فى مستند عهد ولى الخلافة عن
٣٩١	الخليفة الخ
	» الثامن - فى قطع الورق الذى تكتب فيه عهود الخلفاء
	والقلم الذى يكتب به ، وكيفية كتابتها وصورة
٣٩٤	وضعها
	النوع الثانى - عهود الخلفاء للملوك ، ويتعلق النظر به من سبعة
٣٩٨	أوجه
	الوجه الأول - فى أصل مشروعيتها
٣٩٨
	» الثانى - فى بيان معنى الملك والسلطنة اللتين يقع العهد بهما
٣٩٨
	» الثالث - فيما يجب على الكاتب مراعاته فيه
٤٠٥
	» الرابع - فيما يكتب فى الطرة ، وهو نمطان
٤٠٦
	النمط الأول - ما كان يكتب فى وزارة التفويض فى دولة
	الفاطميين
٤٠٦
	» الثانى - ما يكتب فى طرة عهود الملوك الآن
٤٠٧

(تم فهرس الجزء التاسع من كتاب صبح الاعشى)

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

وَصَلَّى اللّٰهُ وَسَلَّمْ عَلٰی سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ

القسم الثاني

من مقاصد المكاتبات، الإخوانيات

(مما يكتتب به الرئيس إلى المرءوس والمرءوس إلى الرئيس والنظير إلى النظير)
قال في "مواد البيان": ولها موقع خطير من حيث تشترك الكافة في الحاجة إليها. قال: والكاتب إذا كان ماهراً، أغرب معانيها، ولطف مبانيها، وتسهل له فيها ما لا يكاد أن يتسهل في الكتب التي لها أمثلة ورسوم لا تتغير ولا تتجاوز، وهي على سبعة عشر نوعاً:

النوع الأول

(التّهاني)

قال في "مواد البيان": كتبت التّهاني من الكتب التي تظهر فيها مقادير أفهام الكتاب، ومنازلهم من الصناعة، ومواقفهم من البلاغة. وهي من ضروب الكتابة الجليّة النفيسة، لما في التهنئة البليغة من الإفصاح بقدر النعمة، والإبانة عن موقع الموهبة، وتضاعف السرور بالعطية. وأغراضها ومعانيها متشعبة لا تقف عند حد، وإنما نذكر منها الأصول التي تفرعت منها فروع رجعت إليها، وحملت عليها.

قول : ويجب على الكاتب أن يرعى فيها مرتبة المكتوب إليه والمكتوب عنه
في رسالة بالاسم بعد ما لا يتسامح بمثله .
ثم انتهى على أحد عشر ضرباً :

الضرب الأول

(التهنئة بالولايات ، وهي على تسعة أصناف)

الصنف الأول — التهنئة بولاية الوزارة :

قد تقدم في المقالة الثانية في الكلام على ترتيب المملكة أن الوزارة كانت في الزمن
مُنقذاً من أرفع وظائف المملكة أعلاها رتبةً ، وأنها الرتبة الثانية بعد الخلافة .
وكانت في زمن الخلفاء تكاد أن تكون كالسلطنة الآن ، فهي من الأتباع ومن
في معاليهم على نحو ما كانت في زمن المتقدمين بين الرؤساء والأكابر . ومن الرؤساء
ولأكابر حسب ما تقتضيه رتبة المهلة .

وهذا النوع تهانٍ من ذلك على ما كان عليه الحال في الزمن القديم .

تهنئة بوزارة : من يمشى إلى الحسين بن سعيد كتب بها إلى الوزير محمد بن
عيسى بن عبيد بن محمد بن أحمد وهي :

من كانت النعمة — أيد الله أوزار — نافرة عنه وبقنائه غريبة ، فهي أقوى من
الوزير إلى منوى معهود ، وكيف حمود به وتجاوز منه من يوفىها حقها ، ويقال لها
حسن التسمية لها ، ويجوز في الشكر ما يولد . والرعاية لما يسترعاها ، على شاكية
منها عليها السلف من أهله ، ونسأ في مثلها الخلف . مقتدياً بالأول الآخر ، وبماضي

(١) أو التهنئة من الأتباع الخ .

الغائب ، تشابهاً في كرم الأفعال ، ورعايةً لحقوق الآمال ، واعتناءً للرافعة والرحمة .
وعُمومًا بالإنصاف والمعدلة ، إنا ما خصَّ الله به أهل البيت رضي الله عن الماضين
منهم وأقدم عزَّ لباقيين وحراسهم : من العلم بالسياسة والدرابة بتدبير المملكة ورعاية
الأمة ، وانديابة فيهم لطرق الحيلة ونهج المصاحبة .

والحمد لله على ما خصَّ به الوزير من فضله الذي رفع قدره فيه عن مساماة
ومشاكاة المقادر والشبه ، وجعله فيما حباه به تسبيح وحده ، وقرب كهمه ، وجمع
له من مواهب الخير ، وخصائص الفضل ما أفاض به من نعمه في الدين ، وأعطاه
معه الولاية من جميع المسلمين .

والحمد لله حمداً جديداً على ما جنده له من رأي أمير المؤمنين وأجتهائه ، ومجته
من اختياره وأصطفائه .

والحمد لله على ما منحه من كرامته ، وجنده له من نعمته ، فيما أهداه إلى تدبيره من
وزارته ، وأسرته فيه من أمانته ، وأصفاطه منه للملكة ، ونظراً للأمانة والعمارة ، فإن
عائدة رأيه سوت بين الضعيف والقوي ، ووصلت إلى الغائب والقريب ، وأعدت
إلى الملك بهاءه ، وهدت إلى الإسلام نوره وضيائه ، فأكتمت الدنيا من إيادته بعد
الإخلاق ، والنصارة بعد الإنهاج ، ^(١٢) والم لم يكن يوجد مثلاً إلا بالوزير يرفق من نصيبه ،
وكرم من كبه ، فهنا الله الوزير ما آناه وتابع له قسمة ، ويوصل له ما جنده له بالخطبة ،
وأمنه فيه بالزيادة ، وأعطاه من كل ما مول أعظم عظم وأرفع أصوب ، وقدمه ، وأرجأ

- (١) في الأصل : الورثة لتدبير وهو تصعيف تخفيف .
(٢) في القاموس "قادرته قايسته وفعلت مثل فعله" .
(٣) الإنهاج البلى ، أنظر القاموس في مادة (ن هـ ج) .

في مُدَّة العُمُر ، وتناهيًا في درجَةِ العِزِّ ، وأحتياطًا بالمَوْهَبَةِ في العاجِلِه ، وفوزًا بالكِرامَةِ في الآجِلِه ، إِنَّه فَعَّالٌ لِمَا يَشَاءُ .

تهنئة أخرى في مثل ذلك : أوردتها في ترسائه ، وهي :

التهنئة بالوزير للزمان وأهله بما جئناهم به ، وجدد خم من ميسم العز ، وسر بلنهم
بأه من حلة الأئمن برأيتسه ، والدمنة على أوليائه ورعاياه على حسب مراتبهم من
شركته وحفظوهم من معدائسه ضاهرة ، والله على ذلك الحمد الفاضل ، والشكر
الكامل ، والوزير من هذه النعمة الجليلة والدولة السعيدة ، أهنأها موقعا ، وأسراها
قبسا . وأدومها مدة ، وأجملها نعمة ، وأثرها مبرعا ، وأسلمها عني ، بقولاه الله
بشجرة والحراسه رأيد الله ، سر وانكفايه ، وأنهمه بما قلده وأسرعا ، وبأغه
عديه ومثاه ، بأرجو أن يكون موقفي من نعمة الوزير بلحمني عنده بمن مكنته الأيام
من أفضله حتى في شوق والإبعاد ، ويؤمني بتفضيله مما حردت عنها محل ذري
الإسلام ورأيتاد .

تهنئة أخرى في مثل ذلك : أوردتها في ترسائه أيضا ، وهي :

وهذا أن يتوه بأسده بلا تنه ولا تنص بإذيت الله ومشيئته ، بل يكون
مرضولا لا يتبع منه غايه إلا شفعتها درجة ترقى ، تكف ذلك كفايه من الله شاملة
كاملة ، وعينه في البند والعاقبة بلا انقطاع ، ولا أرتجاع ، حتى يكون المنتلب
الله بعد بوش العسر منتهاه ، إلى فوز برحمة الله ورضاه . فهيننا للوزير بما لا يقدر أحد
أن يدعي فيه مساعده لبقدره ، ولا يناله بغير استحفاق ، إذ لا مثل ولا نظير للوزير :
فبلا ظاهره ، وعلم على العلوه موفيا ، وسابقة في تغليب الخلافة خيرا لبطن .
وحنب لنهر شطر بعد شطر ، وجمعا من مال السلطان لا كمال متبرقا ، وحنفا

لما كان ضائعا، وحمايةً لبيضة الملك، وضبطاً للثغور، وتلقياً للخطوب بما يفلح حدها،
ويطفيئ ناراها ولهبها ويقيم أودها، وما وهب الله في رأيه من فتح البلاد المرتجة،
وقمع الأعداء المتغلبة، وسكون الدهماء، وشمول الأمن، وعموم العدل، والله يصل
ذلك بأحسنه .

تهنئة أخرى في مثل ذلك : من إنشاء علي بن خلف في "مواد البيان" وهي :

أطال الله بقاء حضرة الوزارة السامية، فارعة من المعالي اسمقها بجودا، كارعة من
المن أعدبها ورودا، ساحبة من الميامن أرقها برودا، ممتعة بالنعم التي يرامى الشكر
عن حوزتها، ويحمى البشر عن حومتها، مبلغة في أوليائها وأعدائها، قاضية ما ترمى
إليه رحابها، فلا ترى لها ولياً إلا لأحب المدّهب، ثاقب الكوكب، سامي الطرف،
حامي الأنف، ولا عدواً إلا ضيق المطرح، وعمر المسرح، صالد الزند، مفال الحد،
راغم العرين، متلولا للجبين . ولا زالت أزمة الدنيا بيدها حتى تبلغ بآمالها منتهاها،
وتجري بآمالها إلى أقصى مداها، [فهى] من أعظم النعم خطرا، وأحسنها على الكافة
أثرا، وأولاهها بأن يفاض في شكرها، وتتعطر الآفاق بذكرها . ولسيدنا الوزير الأجل
يراع يستيقظ في صلاحهم وهم هاجعون، وينصب في الذب عنهم وهم وادعون، وكل
تديروهم فيه، إلى مدبر يخاف الله ويتقيه، ويعمل فيمن أسرعه بما يرتضيه، ولا يند
يد الإقذار عليهم متسلطا، ولا يتبع دواعي الهوى فيهم متسقطا، واضعا الأشياء
في حقائقها، سالكا بها أمثل طرائقها، ملانيا من غير ضعف، محاشنا من غير عنف،
قريبا من غير صغرة، بعيدا من غير كبر، مرغبا بلا إسراف، مرهبا بإنصاف، ناظرا
إلى محقرات الأمور وأطرافها، كما ينظر في معاضبها وأشرفها، أخذا بوثائق الحزم،
متمسكا بعلائق العزم، راميا بفكرته من وراء العواقب، خاطما بأرائه أنوف المصاعب،

ناظماً بإياديه عقود المصالح ، موطناً برياضته ظهور الجوامح ، إن تقف ذا النبوة
 الفريدة ، والنفوة الوحيد ، اقتصر على ما يوافقه الوالد الخديب ، من مقوم الأدب
 [وإن قضى ^(١) على المرتكس في غوايته . المفلس في عنايته ، ضيق عليه مجال العفو ،
 وأحاق به أليم العذاب والسطوب ، فقد سكنت الرعية في عدله ، وأوت حرماً منيعاً من
 ظاهه ، ووئقت أن الحق بنظره شامخ شاهق ، والباطل سائح زاهق . والإنصاف مبسوط
 منشور ، والإجحاف مخطوط مبثور ، والشمل منظوم ، والشر مضموم . فنطقت ألسنتها
 بإحماده ، واشتملت أفئدتها على وداده ، وانفقت أهوائها على رياسته ، وتطابقت
 آرائها المسابقة على دوام سيادته ، وعرف أمير المؤمنين عذق النظر في دولته ، وسلم
 أمور مملكته إلى النصح المأمون ، والنصح الميمون ، الذي وفقه الله تعالى لإختياره ،
 ويسره لإصطناعه ، ويثريه ، وأنه قد نزل أمره بمن لم يستخف ثقل حملها ، وينوء
 ببطئ ثقلها ، تمتع بديد الكرم ، وتودع بعد السير والسرى ، وألم من المسام لم
 معضل ، وسدوت حديث مشكل ، وهذه نعمة نعم الخاصة والعامّة عموم الغيب
 إذ سمع وتدبر ، وتوسلهم شمول النهار إذ أجمع وتدبر ، وهم أوفى بالتهنئة فيها
 وشكر لله تعالى عليها .

وسيدنا الوزير حفيق أن يهدي إليه دعاء المرفوع ، والتضرع المستوع ، بأن
 يهبه الله تعالى ما أحله ، ويعينه على ما كفاه ، ويتولاه بتوفيق يثيب أنواره ،
 وييسر يطبق بمراده ، وتسد يد يفتن آثاره ، ويعبر ما يتولاه على أوضح سبيل
 وأقصد ، وأرجح دليل وأرشيد ، إذ لا يجوز أن يهأ بماله عياؤه وكفه ، ولدعيه
 صلاحه كله . والعبد يسأل الله ضارعاً لديه ، باسطة يده إليه ، في أن يقبل صالح
 ادعيته حضرة الوزارة السامية ، وأن يجعل ما أحله في محله من رياستها . وأوقعه

(١) الزبدة ينضجها المقام كما لا يخفى .

في موقعه من سياستها ، دائماً لا يُتَرَخ ، وخالدا لا يرتجع ، وأن يؤيدها فيه بما يقضى له بالإحراز والتحويل ، ويحميه من الأبتزاز والتحويل ، إنه سميع الدعاء ، فعَّال لما يشاء ، إن شاء الله تعالى .

الصف الثاني - التهنئة بكفالة السلطنة :

وهذه نسخة من ذلك ، كتبت بها عن نائب الشام ، من إنشاء الشيخ جمال الدين ابن نباتة ، وهي بعد الألقاب :

لا زال دائراً بهنائه الفلك ، منيراً بضياء عدله وبشرد الحلك ، قريراً بحسن كفاله الملك شاهداً بفضل أسمائه وسماهته الملك ، مقسوماً بأمر الله نداءً وبأسه ليحياً من حق ويهلك من هلك ، تقيلاً يشافه به التراب ، ويشاهد شرف مطلعه على السحاب ، وينهى قيامه على قدم ولاءٍ ودعاء : هذا ينزل القلب وهذا يصعد إلى الأفق ، ومقامه على بشري وحمدٍ منهما الأيمن يحلى بوصفه النطق كما تحلى الأعطاف بالنطق ، وأزه ورد مثال شريف على يد فلان يتضمن البشارة العامة ، والمسرة التامة ، والنعمة التي يعود سناً جبينها من كل عين لأمه ، وخبر الخير الذي حيت أزهاره المتضوية ند مضر فأقول ما بلغه منافس الشام شامه ، بأن المواقف الشريفة - أعز الله تعالى سلطانها - قد فوضت إلى مولانا كفالة الإسلام وبنيه ، وكفاية الملك بمصالح مؤمنيه ، ونيابة السلطنة الشريفة وما نسقت ، وتدير الممالك وما وسقت ، فيالها بشري ابتسمت لها ثغور البشر ، ومسرة استجلى سناها من آمن وبرت الحمد كقوة ، وخبراً تلقت الأسماع بريده منشدة : قل وأعد بأطيب الخبر ، شاك أخذ المملوك حظه من خير بشري ، ونصيبه من مسرة حمد بصباح طربها العسرى ، وحمد الله تعالى على أن أقام لسلطان البسيطة من يسط العدل والإحسان لمنايه ، ويقاد رعيته

عقوداً لنعم إذا تقلد ما وراء سريره وبأيه ، ومن إذا كفل سيفه ممالك الإسلام وثقت
 بالمغنم والسلامه ، وإذا كتب قلمه قالت ولا سيما أخبار جند المسلمين : هكذا
 تكون العلامه ، وجهز المملوك هذه الخدمة نائبة عنه في تقبيل الأرض ، وعرض
 الهناء بين يدي من يسر المملوك بولائه اليوم ويرجو أن يسره يوم العرض ، ولو وصف
 المملوك ما عنده من السرور والشوق لضاق الورق عن تسطير الواجب منه وضاق
 الوقت عن أداء الفرض ، والله تعالى يجدد لمولانا ثمرات الفضل الواضح ، والرأى
 الراجح ، والقدر الذي هو على ميزان الكواكب راجح ، ويمتعا كافة الممالك بدولة
 سلطانه الذي علم البيت الشريف أنه على الحقيقة الخلف الصالح .

وهذه نسخة تهنية لأمير جاندار بولاية إمرة جاندار ، من إنشاء الشيخ جمال الدين
 ابن نباتة ، وهي بعد الأتقاب :

أعلى الله منارها ومناها ، وخلد قبورها وإقبالها ، وأجزل من الغض الذي تناولته
 ثمرها وأسبغ به ظلالها ، ولا زال في سيفها وعصاها مآرب للملك ، وفي أسما ونداءها
 مواقع للنجاة والهلك ، ولا برحت القضب من سيوف وغصون : هذه حاكمة
 بسعدها حكم الملك ، وهذه مسخرة في تجريدها تسخير الفلك ، تقبيل مخايس في ولائه
 ودعائه ، مهيا القلب مسرور بما يتجدد من مسرات مولانا وهنائه ، وينهى أنه بلغه
 ما أفاضته الصدقات الشريفة على مولانا من المبرات ، وما جددت له من المسرات ،
 وأنها ضاعفت مزيد الإحسان إليه ، ودعته أمير جاندار ودت العصى النجومية
 لو قدمت نفسها بين يديه ، وأن المواقف الشريفة قررت به عينا وأقرت ، وأن الدولة
 القاهرة ألقنت عصاها إليه واستقرت ، وكما سلمت إليه العصا في السلم سلمت إليه
 السيف في الحرب ، وكما قربت به في مواقف العدل والإحسان قربت به في مواقف
 الظعن والضرب ، فأخذ المملوك حظاً من البشرية ، وأوجب على نفسه الفرح

وسجد لله شكراً ، وودّ لو حضر يُشافه بهذا الهناء الشامل ، ومثل قائماً لديه بحق
 التهئة القيام الحقيقي الكامل ، وحيث بُعدت داره ، ونأت عن العيان أخباره ،
 فقد علم الله تعالى مواصلته بالأدعية الصالحة ليلاً ونهاراً ، والموالات المحبّة التي يشهد
 بها الخاطر الكريم سراً وجهاراً ، والله تعالى المسؤل أن يزيد مولانا من فضله ،
 ويسره بمتجددات الخير الذي هو من أهله ، ويمتّعنا كافة الممالك بدوام سلطان هذه
 الدولة الذي شمل بظله ، وغنى بنصره عن نصره ، إن شاء الله تعالى .

الصف الثالث - التهئة بالإمارة .

من كلام الأقدمين :

تهئة من ذلك ، أوردها أبو الحسين بن سعد في ترثله ، وهي :

وهنا الله الأمير مواهبه الهنيئ ، وعطاياه السويّ ، وأدام تمكينه وقدرته ، وثبت
 وطاقته ، وحرس ماخوله ، وجعل ماهاً له من مؤتلف الكرامة أيمن الأمور فاتحةً
 وأسعدّها عاقبه ، ووصل أيامه بأجل الولاية ، وأجل الكفاية ، حتى ينتهي [من]
 استيفاء سعادات الحظوظ وحوز القسّم والآمال ، [إلى] الدرجة التي تليق بنا أفرده
 الله به من الكمال ، وخصّه به من الفضل في جميع الخصال . ومن أفضل ما اعتدّ به
 من نعم الله على الأمير وبجميل رأيه ، ومحلّ من طاعته وخدمته ، أن لا أخلوقي كل
 وقت وحال من بهجة تتجدد لي ، ومسرّة تصل إلى ، وتوفّر على ، بما يسهله الأمير
 على يده من مستصعب الأمور ، ومستغلق الخطوب ، التي تبعد عمن يزاولها ،
 ويجعل الله بطوله وحوله للأمر القدرة عليها ، ويتوحد بالكفاية فيها ، فينمو بجميل
 تدبيره ولطيف نظره ، ويطرّد بصاعد نجمه ويمن نقيبته وعزّ دولته . وذلك من
 فضل الله ونعمته ، يُؤتي فضله من يشاء وهو ذو الفضل العظيم .

الصف الرابع - التهنية بولاية الحجابة .

وقد كان لها في الزمن القديم المحل الوافر في الدولة وعلو الرتبة فيها .

من كلام الأقدمين :

تهنئة من إنشاء أبي الحسين بن سعد، كتبت بها إلى أبي بكر بن ياقوت حين ولي الحجابة بعد نكبة أصابته، وهي بعد الصدر :

وقد كانت أنفسنا معشر عبيد سيدنا وحملة إنعامه، ومؤملي أيامه، في هذه الأحوال التي نقد سيدنا منها فيما ابتلاه صبره، وأبان فيه قدره، وزاد العارف بفضله نفوذا في البصيرة، وأعاد ذوى الأرتياب فيه إلى الثقة، فاستوى المنازع والمسلم، وأستوى العالم والمعاند - نعمة منه تعالى ذكره خصه بها وصاله عن مشاكلة النظير، ومزاحمة الأكفاء - على سبيل من القلق والأرتماض، والسقوط والأخفاض، بجزء من تلك الحال الغليظة، وإشفاقا على تلك النفس النفيسة، وخوفا على معالم البر والتقوى، وبقية العلم والحجاء، وتاريخ الكرم والندى، أن يدرس منارها، وتطمس آثارها، ولولا ما من الله به من الخلاص منها وما منح بكرمه في عاقبتها . لأوشكت أن تأتي عليها ونعيجاتها عن مواقف آجالها، لكنه عظمت الأوه، وتقدست أسماؤه . أتى بالأمن والفرج . بعد استيلاء الكرب والوجل، وأنبأت أسباب الرجاء والأمل . فعرف سيدنا موقع الخيرة فيما قضاه، وميز له الخبيث من الطيب ممن عاداه وتولاه . وجعل النعمة التي جددتها له فيما رده أمير المؤمنين إلى تديره من أمر داره ومملكته، وحراسة بيضة رعيته . مشتركة النفع والفائدة، مقسومة الخير والعائده . بين كافة الأمة فيما عم من المعادله، وشمل من المصلحه . ولاح من تباشير الخير . وأمارات بركة . في استدامة أمور البلاد . وصلاح أحوال العباد . وأفرد الله سيدنا بحظ من

الموهبة وفأني فيه على حظوظ الأولياء، وزادني على سهام الشركاء . وأنا أرغب إلى الله في إسعاد سيدنا بما جدد له ، وتعريفه بركة مُنتَحِهٍ ويمين خاتمته . والحمد لله في مُبتداه . والسلامة في عُقباه ، وتبليغه من حظّ مأمول ، وخير مطلوب ، وحالٍ عليه ، ورُتبة سنيّه ، أفضل ما بلغ أحداً اختصه بفضله . وأصطفاه من خلقه ، إنه جواد ماجد . فإن رأى سيدنا أن يتطول بإجراء عبده على كريم عادته في تشريفه بمكاتبته ، وتصريفه في أمره ونهيه ، محققاً بذلك أمّله . وزائداً في نعمة عنده . فعل إن شاء الله تعالى .

تهنئة أخرى من ذلك ، من إنشاء علي بن خلف أوردتها في "مواد البيان" وهي :

إنما يهنأ بالولاية - أطال الله بقاء الحاجب الجليل سيدي ومولاي - من أنبسط إليها بعد انقباض ، وأرتفع لها قدره من تخفاض ، وأوجدته الطريق إلى احراز جزيل الأجر والجزاء ، وأكتناز جميل البركة والثناء ، وأفضت به إلى آساع السلطان ، وانتفاع الأعوان . فأما من جعل الله يده الطوي . وقدره لأعلى . ورياسته حاصلة في نفسه وجوهره ، وسيادته مجتناة من سخطه وعنصره . ولأولى - إذا استكفي رغبة في إنصافه وعدله ، وحاجة إلى سداده وفضله ، وانتقارا إلى فضل سيرته ، واضطرارا إلى فاضل سياسته - أن تهأ الرعية بولايته . وأنسر الخاصة والعامة بما عُدق من أمورها بكفايته ، وغير يدع ربط أمير المؤمنين ^(١) بالحق الجليل أمر حجابته ، ونصبه للزحمة عن حضرته ، وجعله الوسيط والسفير بينه وبين خواص دولته . وقد وثق بيمين نقيته ، وأطلع على خلوص نيته ، وسكن إلى صدق طاعته ، وعرف طهارة جيبه ، وسلامة غيبه ، وصدق لهجته ، وحصافة أمانته .

(١) في الأصول ارتباط ولم تقف على فعله فيما بأيدينا من كتب اللغة .

(٢) أي الدفع والذب يقال زحمته عنه أي دفعته انظر المصباح .

واعتماده للحق فيما يُورد ويُصدر ، ويُنبئ ويُجيب ، وأبتلاه فعرف طيب طعمته ،
وخفة وطأته ، ورأفته بالضعيف المهضوم ، وغاظته على العسوف الظلوم ، [فراى]
أن يحلّه محلّ من لا يغيب عما شهده ، ولا يرتاب بما سمعه ، على أنني المهنا بكل
نعمة يحددها الله لديه ، وسعادة يُسبغها عليه ، [ولو أنصفت] لسلكت من الصواب
سننا ، واعتقدت جميلاً حسناً : لأستشعاري بالأنفَس من لبوس سيادته ، وتَحَلَّى
بالأنصع من عُقود رياسته ، وإذا كانت رعيته أجدر أن تُهنا بولايته ، وتعرف قدر
مالها من الحظ في نظره ، فأنا أعدل من هنائه إلى الدعاء له بأن يبارك الله تعالى
له فيما قلده ، ويرفقه فيما ولاه ، ويسدده ، ويلهمه أدخار الثواب والأجر . وأكتناز الحمد
والشكر ، والهداية إلى سنن الاستقامة ، وما عاد بحجة الخاصة والعامه ، وإنهاضه
في خدمة أمير المؤمنين . والعمل من طاعته بما يُزلف في الدنيا والدين ، والله يستجيب
في الحاجب الخليل هذا الدعاء ويسمعه ، ويتقبله ويرفعه ، إن شاء الله تعالى .

الصفحة الخامسة - التهنئة بولاية القضاء .

التهنئة بذلك من كلام الأقدمين :

تهنئة من ذلك : من إنشاء علي بن خلف ، أوردتها في "مواد البيان" وهي :
أولى المنح أن يتفاوض شكرها والتحدث بها ، ويتقارض حمدُها والقيام بواجبها ،
نعمة شمل عطاؤها ، وعمت أطاؤها ، وأشترك الناس فيها أشراك العموم ، وحلت
منهم في النفع محل الغيث السجوم . وهذه صورة النعمة في ولاية قاضي القضاة
- أطل الله بقاءه - لما لتضمنه من إثبات العدل والإنصاف ، وأنحسار الجور
والإجحاف ، واعتلاء الحق وظهوره ، واختلاء الباطل وثبوره ، وعز المظلوم وإدالته ،
وذلل الظلوم وإدالته . وتمكين المضعوف واقتداره ، وأنخزال العسوف واقتساره .

وإن هَنَاتُهُ حرس الله عُلَاهُ بِمُوهَبَةِ أُنَى بَارِقُهَا بِجَمِيلِ الثَّنَاءِ ، وَجَزِيلِ الْجَزَاءِ ؛ قَدْ نَاءَ
 مِنْ تَحْمَلِهَا بِبَاهِظِ الشَّيْءِ ، وَمَتَعِبِهِ ، وَقَامَ مِنْ سئَلِهَا بِكُلِّ الْأَدَبِ وَمَنْصِبِهِ ، عَدَلَتْ عَنْ
 الْأَمْثَلِ وَضَلَّتْ عَنْ الطَّرِيقَةِ الْمُثَلَّى ؛ لَكِنِّي أَهْنَتْهُ خُصُوصًا بِالْمَوَاهِبِ الْمُخْتَصِّصَةِ بِهِ
 أَحْتِصَاصَ أَطْوَاقِ الْحَمَائِمِ بِأَعْنَاقِهَا - وَالْمَنَاقِبِ الْمُطِيفَةِ بِهِ إِطَافَةَ كَوَاكِبِ السَّمَاءِ
 بِنِطَاقِهَا ، فِي أَنْ أَلْفَ اللَّهُ الْقُلُوبَ الْمُتَبَايِنَةَ عَلَى الْإِقْرَارِ بِفَضْلِهِ ، وَجَمَعَ الْأَفئِدَةَ الْمُتَنَافِيَةَ
 عَلَى الْإِعْتِرَافِ بِقُصُورِ كُلِّ مَحَلٍّ عَنْ مَحَلِّهِ ، وَجَعَلَ كُلَّ نِعْمَةٍ تُسَبِّحُ عَلَيْهِ ، وَمِنَّةٍ تُسَدِّدُ
 إِلَيْهِ ؛ مُوَافِقَةَ الْأَمَالِ وَالْأَمَانِيِّ ، مُفَضِّصَةً لِلْبَشَائِرِ وَالتَّهَانِيِّ ؛ لِأَنَّ مَنْ أَحَبَّ الْحَقَّ وَآرَاهُ .
 وَلَيْسَ الصَّدْقُ وَاسْتَشْعَرَهُ ؛ يَنْطِقُ بِلِسَانِ الْإِرَادَةِ وَالْإِخْتِيَارِ ، وَمَنْ تَرَكَهُمَا وَقَلَّاهُمَا ،
 وَخَلَعَهُمَا وَأَقْلَاهُمَا ، يَنْطِقُ بِلِسَانِ الْإِفْتِقَارِ وَالْإِضْطِرَّارِ - وَالْحَصَائِصِ الَّتِي هُوَ فِيهَا
 نَسِيجٌ وَحِدَهُ ، وَعِطْرٌ يَوْمِهِ وَغَدَهُ - وَالْحَاسِنِ الَّتِي هِيَ أَنْاسِيُّ عَيُونِ الزَّمَانِ ، وَمَصَابِيحُ
 أَعْيَانِ الْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ . ثُمَّ أَعُودُ فَأَهْنَيْتُهُ عَمُومًا بِالنِّعَمِ الْمُشْتَرَكَةِ الشُّمُولِ ، الْفَضْفَاضَةِ
 الذُّيُولِ ؛ الَّتِي أَقْرَبَتِ الْقَضَاءَ فِي نِصَابِهِ ، وَأَعَادَتِ الْحُكْمَ إِلَى وَطَنِهِ بَعْدَ تَجْعَتِهِ وَأَغْتِرَابِهِ .
 وَأَعْلَتَهُمَا فِي الرَّتْبَةِ الْفَاضِلَةِ ، وَقَدَّعَتْ بِهِمَا أَنْفَ الدَّرُورَةِ الْعَالِيَةِ . وَأَرْفَعُ يَدِي إِلَى اللَّهِ تَعَالَى
 دَاعِيًا فِي إِمْدَادِ قَاضِيِ الْقَضَاةِ بِتَوْفِيقٍ يُسَدِّدُ مَرَامِيَهُ ، وَيُرْشِدُ مَسَاعِيَهُ ؛ وَيَهْدِي آرَاءَهُ
 وَيَصْحَحُهَا ، وَيُبَلِّغُ أَحْكَامَهُ وَيُوضِّحُهَا ؛ وَيَخْلُدُ عَلَيْهِ النِّعْمَةَ خُلُودَهَا عَلَى الشَّاكِرِينَ .
 وَيَبْصِرُهُ بِحُسْنِ الْعُقْبَى فِي الدُّنْيَا وَالدِّينِ ؛ وَهُوَ سَبْحَانَهُ يَتَقَبَّلُ ذَلِكَ وَيَرْفَعُهُ .
 إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

التهنئة بذلك ، من كلام أهل العصر :

تهنئة من ذلك : أوردتها الشيخ شهاب الدين محمد بن أبي في كتابه "زهرة الربيع
 في الترسل البديع" وهي :

(١) في الأصل ويفخمها وهي تصحيف لا يناسب المقام .

أنفذ الله تعالى أحكامه ، وشكر إحسانه وإنعامه ، وخلده ناصراً للشريعة المطهرة
وأدامه ، وجتد سعده وأسعد أيامه ، وجعله المسترشد والمقتفى بأمر الله والراشد
والمستنجد والمستنصر والناصر والعاقد ، والحاكم القائم بأمر الله (١)
من القضاة الثلاثة الواحد .

المملوك يقبل اليد العالية تبركا بتقييلها ، وأداءً لواجب تعظيمها وتبجيلها ، ويهني
المولى بما خصه الله تعالى من مضاعفة نفاذ كلمته ورفع منزلته ، وإمضاء أحكامه
الشريفة وأقضيته ، وتقليده أمور الإسلام ، وتنفيذ أوامره في الخاص والعام ، ويهني
بالمولى من ردت أموره إليه ، وعول في ملاحظة مصالحه عليه ، فإن مولانا مازال
بالعلم والعمل مشهورا ، وسعيه في الدنيا والآخرة سعيًا مشكورًا ، ويقظة مولانا
جديرة بزيادة الإهتمام ، والأحتياط التام ، بملاحظة طلبه العلم والمشتغلين ، والفقهاء
والمدرسين ، وسبر أحوال الثواب ، وأن لا يكفيه الاعتماد على حسن البرة وطهارة
الأثواب ، بل يُعِينُ في الأطلاع على ما يعتمدونه النظر ، ويلاحظ كلاً منهم إن غاب
عن مجلسه أو حضر ، فمن رآه يهدي إلى الحق وإلى الطريق المستقيم ، ولا يقرب
إلا بالتي هي أحسن مال اليتيم ، فيحقق له من العناية أملاً ، ولا يضيع أجر من
أحسن عملاً ، حرس الله المولى وتمتع بحياته ، وأعاد على الكافة بركة صيامه المقبول
وصلاته ، ونفع الإسلام بمستجاب دعواته ، إن شاء الله تعالى .

الصنف السادس - التهينة بولاية الدعوة على مذهب الشيعة .

وقد تقدم في الكلام على ترتيب المملكة في الدولة الفاطمية ، بالديار المصرية ،
ذكر موضوعها وتلويحها عنهم ، وإنما ذكرناها حفظاً للأصل ولأحتمال وقوعها .

(١) بيض الأصل بقدر كلمة ولعله حتى يكون من القضاة الخ .

تهنئة من ذلك : من إنشاء علي بن خلف ، أوردها في "مواد البيان" وهي :

أطال الله بقاء داعي الدعوة لصبح من الرحمة يُبلّجه ، وطريق من الحكمة يُظهر
بيانه ، وليل من السنة ينزع طيلسانه ، وحرسه على الإيمان يُجدد ما خلق من بروده ،
وينظم ما وهى من عقوده ؛ وعلى المؤمنين يفتح لهم أبواب الرّشاد ، ويهيم إليهم سماء
الإفادة والإمداد . ولا زالت الحقائق مقصودة منه بالميرة التي رشّخته لحفظ مبانيها ،
وأهله للعبارة عن معانيها ؛ حتى يرقمها في الأخلاق ، ويمحو بها رسوم العناد ، وينشر
بشرها في الآفاق والبلاد . أنا أعيدُ عن ههنا داعي الدعوة - أطال الله بقاءه -
بمأدق به من أمر الدعوة الهاديّة العلويّة ، ونُصب له من فرّ مضاحك المشكلات
عن أسرار الحقائق الإلهيّة ، والترجمة عن غوامض الحكم الشرعيّة ، والتوقيف على
موارد الهدى ومشارعه ، والإرشاد إلى مشارق الحق ومطالعه ؛ إلى ههنا الدعوة
وأهلها بما قبضه الله تعالى لهم من محله الرفيع الذي ألحقه العقل نحو هذا الكمال .
ووطأ له مدارج الترقى والاتصال ؛ فشفت نفسه وشرفت ، وتطلعت على عالم الملكوت
وأشرفت ؛ وجنى بيد التبصرة ثمار الحكمة ، وأستزل بمنزل المواد غيوت النعمه ؛
بحرد الضياء من الظلام ، وتجريد الأرواح من الأجسام إلى دار السلام ؛ وأستمد
بلطفه موائد علوم عالم اللطافه ؛ وأمد بمركب ألفاظها تحاكم الكافه ، وحلّ في الغبراء
محلّ الغراء في الخضراء ، إن أوضحت سبيل سائر يجنب طريق جائر نحو حبل برودها
غاشية إظلام ، حُسر عن الحق قناع إبهام ، أوفعت في اجواهر ربه وشمرة (١)
أخذت تعاديا (٢) فأدلته اللهم العاملة شرة وسموا ؛ لما أعلى بذات من قدرها وقدرهم .
وطيب من ذكرها وذكّرهم ؛ وأعطيت إلى الدعاء لداعي الدعوة بأن يجعل الله تعالى

(١) كذا في الاصلين ولم يهندس هذه الأمل .

ماخوِّله من هذه الرياسة راهناً لا يُرجع ، وما نُؤله من هذه السيادة مستقراً لا يُنتزع ، وأن يؤيده بالتوفيق ، ويُعبِّد له مَنَاجِحَ التحقيق ، ويُطَلِّق لسانه بالبيان ، ويُمدِّد بروح منه في نُصرة الإيمان ، وقد حَمَّ اللهُ تعالى بإجابة داعيه ، ولا سيما داعي الدُّعاة [فإنه] جدير بأن يُجَابَ الدعاء فيه ، إن شاء اللهُ تعالى .

قال في " مواد البيان " : وإنما أوردت هذا المثال بهذه الألفاظ ، لأن الألفاظ هذا الداعي يجب أن تكون مشتقة من ألفاظ الدعوة ، مناسبة لمذهبها ، ولولا ذلك لأغنى عنه مثال تهنئة قاضي القضاة ، ومن تأملهما عرف ما بينهما من الفرقان .

الصنف السابع - التهنئة بالتقدمة على الرجال .

رُقعةٌ من ذلك :

[من حل] محلَّ سيدي - أطال اللهُ بقاءه - من السُّؤددِ الناطقِ الشَّواهدِ .
 المتَّظَّمِ المعاقِدِ المتضارِعِ الطَّارِفِ والتَّالِدِ . المتَّقِلِ في الولدِ عن الوالدِ - والمجِدِّ الذي قَصَرَ عن مُطَاوَلَتِهِ الطَّرَازُ الأَوَّلِ ، وتَطَاطَأَ له الإِنْعَامُ المَخُولُ ، وحازَ ما حازَه من شَرَفِ الرِّيَاسَةِ ، وفضَّلِ السِّيَاسَةِ ، والأَسْتِقْلَالِ بِحَقُوقِ مَا تَوَلَّاهُ ، وتَسُدِّدِ مَا نُؤَلِّهِ ، وَأَسْتَكْفَاهُ ، فَتَشَوَّفَتْ إِلَيْهِ أَعَالِي الرُّتَبِ ، وَتَشَوَّقَتْ إِلَيْهِ المَنَازِلُ السِّنِّيَّةُ مِنْ كَثَبِ - خُطْبَتِهِ العُلَا سَائِقَةٍ عَنْهُ مَنَهْرَهَا ، وَتَطَامَنَتْ لَهُ مَوْطِئَةً ظَهَرَهَا ، فلم يَكْثُرْ لَهُ أَنْ يَتَقَدَّمَ عَلَى [أَهْلِ] عَصْرِهِ فَضِيلاً عَنْ قَبِيلَتِهِ ، وَيَتَأَمَّرَ عَلَى جَمِيعِ نَوْعِهِ فَضِيلاً عَنْ طَائِفَتِهِ : لِأَنَّهُ المَتَقَدِّمُ عَلَيْهِم بِالرُّتْبَةِ وَالطَّنْبِ ، لا بِالأَصْطِلَاحِ وَالوَضْعِ ، فَشَكَرَ المَمْلُوكُ اللهُ تَعَالَى عَلَى بُرُوعِ هِدَايَتِهِ ، وَإِبْرَاقِهِ . وَطُلُوعِهِ لِمَقَاتِ العِزِّ وَتَتَفَاقِهِ ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَجْعَلَ مَا أَقْرَأَ العِيونَ مِنْ سِيادَتِهِ . وَحَقَّقَ الطَّنُونَ فِي سَعَادَتِهِ ، خَالِداً رَاهِناً ، وَمُقِيماً قَاطِناً ، وَأَنْ يَزِيدَهُ مِنَ السَّعَادَةِ ، وَيُرْقِيَهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي دَرَجِ السِّيَادَةِ : لِتَكُونَ هَذِهِ الرُّتْبَةُ عَلَى أَمْتِنَاعِ مَرَقِبَتِهَا ، وَأَرْتِفَاعِ

مركبها ، أول درجة تحطّأها ، ومنزلة فرعها وعلاها ، ثم لا يزال راقيا فيما يتلوها حتى يحتذى بكواكب الجوزاء ، ويطحودارة على الحلفاء ، مهنا غير منغص ، ومزيذا غير منقص ، والله تعالى يجب هذه الأدعية الواقعة مواقعها ، والمستحقات الموضوعة مواضعها .

الصف الثامن - التهئة بولاية الديوان .

رُقعة من ذلك :

ويُنهي أن من حل محل مولانا - أطال الله بقاءه رافلا في لبوس السعادة ، متحفلا بسوس السيادة ، متنقلا في ربب المجد ، متوقلا إلى غدن الجد ، مستوليا على شعاب العلاء ، متمكنا من رقاب الأعداء - في الاستقلال والأضطلاع . والمعرفة بحقوق الأصفاء والأصطناع ، ورفعته مذهبه على الكفاية والغناء ، والنهوض بثقل الأعباء ، خطبته التصرفات حاملة عنه صداقها ، وتشوفته الولايات مادة إليه أعناقها ، وقد اتصل بالملوك ماجدده الله تعالى من سعادته ، وأنجزه من مواعيد سيادته . التي كانت واضحة في مخايل فضله . لأحة في دلائل نبه ، مكتوبة في صفحات الأقدار ، مرقومة بسواد الليل على بياض النهار ، بخذل الملوك بذلك ، جذل الحميم المشار . وسر به سرور الخليل المشايك ، وليس ذلك لأن الذي تولاه مولانا وجد فيه [خللا فرقه ، وحمولا فرقه ، بل لأن الحق غالب الحظ فغلبه . والواجب سالب الممكن فسلبه ، وأناخ ركاب الرياسة في المحل الحصب الذي يحمده ويرتضيه . والله تعالى يتفضل على رعيته ، المتوطنين بفاضل سياسته ، من حبايه واطفه ، ورأفته وعظفه . بما يسبغ عليهم ظلال العدل ، ويقلص عنهم سدول الجور والحيف . إن شاء الله تعالى .

(١) في "اللسان" الغدن سعة العيش والنعمة .

قلت : وكتبتُ لِلْفَرِّدِيِّ مُحَمَّدِ الْكَلْبَانِيِّ الشَّهِيرِ بِالسَّرَايِ مَهْنَثًا لَهُ بِاسْتِقْرَارِهِ
فِي كِتَابَةِ السَّرِّ الشَّرِيفِ بِالْمَدِينَةِ الْمَصْرِيَّةِ فِي الدَّرَجَةِ الظَّاهِرِيَّةِ « بَرَقُوقِ » فِي سُلْطَنَتِهِ الْأُولَى :

رَفَعْتَ لِلْمَجْدِ مُدَّ رُؤْيَتِ بُنْيَانَا * وَشَدَّتْ لِلْفَضْلِ بَعْدَ الْوَهْنِ أَرْكَانَا !
وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ فِي زَهْوٍ، وَمَالِكُهُ * يَمِيسُ عُجْبًا، وَهَنَا التَّخْتُ إِيوَانَا !
قَدِمْتَ مِضْرًا فَأَمَسْتَ مِنْكَ فِي فَرِّهِ * تَهَزُّ بِالْبِشْرِ مِنْ لُصْيَاكَ أُرْدَانَا !
وَعُودِرَ النَّيْلِ مُدَّ وَاقَيْتَ مُبْتَهَجًا * وَقَدْ رَمَى الصَّدَّ وَالْإِبْعَادُ جَيْحَانَا !
أَلْفَاظُكَ الْغُرُّ صَارَتْ لِلْوَرَى مَثَلًا * وَكُتِبُكَ الزُّهْرُ بَعْدَ اللَّثْمِ تَيْجَانَا !
تَفُوقُ قُوسًا إِذَا تَبَدُّو فِصَاحَتَهَا * وَتَفْضُحُ الْمِصْقَعَ الْمَلَّاقَ سَحْبَانَا !
قَدْ أَفْحَمْتَ فِي مَجَازَاتِ بِلَاغَتِهَا * تُرْكًا وَرُومًا وَبَعْدَ الْفُرْسِ عُربَانَا !
كُلُّ الْمَوَالِ إِذَا وَلَّوْا فَلَا أَسْفُ * إِذْ أَنْتَ بَاقِي، وَيُتَّقِي اللهُ مَوْلَانَا !
مَوْلَى بِهِ قَدْ تَشَرَّفْنَا وَجَمَلْنَا * بِوَجْهِهِ، وَلِذِكْرِ الْقَوْمِ أَنْسَانَا !

الصفحة التاسع - التهنئة بولاية عمل .

أبو الفرج البغدادى :

عَرَّفَ اللهُ سَيِّدِي بِرُكَّةِ هَذَا الْعَمَلِ الْجَلِيلِ ، بِبَدِيلِ نَظَرِهِ الْجَمِيلِ ، وَحَمِيدِ أَثَرِهِ
الْمَحْرُوسِ ، وَتَنَاصُرِ سِيَاسَتِهِ الشَّرِيفَةِ بِسِمَةِ رِيَاسَتِهِ ، وَوَفْقِ رِعِيَّتِهِ لَشُكْرِ مَاوَلِيَّهَا مِنْ
فَائِضِ عَدْلِهِ وَرَحْمَتِهِ فَتَلَهُ ، عَالِيَّ عَمَالٍ مِنْهُ - أَيُّدُهُ اللهُ تَعَالَى - بِالتَّهْنِئَةِ الْأُولَى ، وَبِالتَّطَاوُلِ ،
بِمَا شَمَلِيَّهَا مِنْ رِكَاتِ تَدْبِيرِهِ الْحَرِيِّ ، وَاللَّهُ بِكَرَمِهِ يَسْمَعُ فِيهِ صَوَاحِجَ الدُّعَاءِ ، وَيَبْلَغُهُ أَلْبَغَ
مُدَدِ الْبَقَاءِ ، فِي أَسْمِعِ نِعْمَتِهِ ، وَأَرْفِعَ مَنَزِلَتَهُ ، وَأَصْدَقِ أَمْنِيَّتِهِ - وَأُنْجِحِ طَلِبَتَهُ ، بِعَمَّةِ .

132316

وله في مثله :

لولا ما يَشْرِكُ التَّهَانِيَّ من بركات الدعاء الذي أرجو أن يسمعَ اللهُ فيك صالحه ،
ويُجِيبَ أحسنه ؛ لأجلناك عن التهنئة بمستجد الأعمال ، ومستحدث الولايات ،
لقصورها عن استحقاقك ، وأنحطاطها وإن جلت عن أيسر واجباتك ؛ وتعجلها
بمأثور كفايتك ، وبركات نظرك ، ومواقع إنصافك . فهناك اللهُ نعمة الفضل التي
الولاية أصفر آلاتها ، والرياسة بعض صفاتها ؛ ولا أخلاك من موهبة مجدده ،
ومنحة مؤبده .

وله في مثله :

سیدی - أيدہ اللہ - ارفع قدرًا ، وأنبه ذكرا ؛ وأعظم نبلا ، وأشهر فضلا ؛ من
أن نهنئه بولاية وإن جل خطرها ، وعظم قدرها ؛ لأن الواجب تهنئة الأعمال بفائض
عذله ، والرعية بمحمود فعله ، والأقاليم بآثار رياسته ، والولايات بسيمات سياسته ؛
فعرفة الله بمن ماتولاه ، ورعاه في سائر ما أسترعاه ؛ ولا أخلاه من التوفيق فيما يعانیه ،
والتسديد فيما يبرمه ويمضيه .

الأجوبة عن التهاني بالولايات

قال في "مواد البيان" : هذه الكتب إذا وردت ، وجب على المحيَّب أن يستجيب
من كل كتاب منها المعنى الذي يُجيب به . قال : والطريقة تتعملة فيها أن كتاب
المحيب يجب أن يبنى على أن المهني قسم في النعمة المتجدده ، وشريك في المنزلة
المستحدثة ، وأن الحظ الأوفر فيما ناله المهني للمهني وبركة دعائه ، وتوقعه لما يرد

من حاجاته وتبعاته لينفدتها ، نازلا على أخلص مخالصته ، وعاملا بشروط مودته ؛
ونحو هذا مما يضارعه . فإن كان المحيَّب رئيسا أو مرءوسا ، وجب أن يرتب
الخطاب على ما تقتضيه رتبة كل واحد منهما .

وهذا مثال من ذلك :

زهر الربيع :

وردت المشرفة الكريمة ، أتم الله على مرسلها نعمته ، وأعلى قدره ومزاته ؛
وجعل جناح العدا محفوظا ، وعيشه في دعة وخفض ، وقدره للتمييز مرفوعا ،
وعده للتقصير في الخطا وخفض ؛ فتقاه بايمين ، وظنها الريح الجنوب لما تحملته
من رقة حنين ؛ وعلم ما أبداه فيها من تفصلاته ، وأعترف بالتقصير عن مجاراته
ومجاراته ؛ فشغف سعيه بالفايد كأنهن الأوثان والمرجان ، وبينت البون الذي بينه
وبين غيره تلك الفصاحة والبيان ؛ وقابل أيديته بشكر لسانه ، وجازاه بحسن الدعاء
عن إحسانه ؛ ولا يقوم بشكر فضله اللسان ولا الجحان ، وهل جزاء الإحسان
إلا الإحسان ؟

وأما ما أشرك به من هناء المكان الذي تولاه . وأبداه من المحبة التي أوجبت
فيه أن يتولاه ؛ والله تعالى بعينه على ما هو بصددده . ويجعل الحق والخير حريين
عن لسانه ويده ؛ ويرزقه أتبع محكم كتابه وسنة رسوله ؛ ويخصه به من رشد غاية
سوية ومهابة ؛ وإن هذه تولاية صعبة المراس ، وجودها كثير الشاس ؛ لكن
بركات المؤمنين يحصل من الله لأرب ؛ ويسهل لأوليائه القصد والإسعاد والطلب ؛
والله طيب المؤمنين وأسعددهم . وأوضح لده طريق السعادة ومهدده ؛ ومنحه من
اللطيف تحفة أفضل ما عوده ؛ منه وكرمه .

الضرب الثاني

(التهنئة بكرامة السلطان وأجوبتها)

وفيه ثلاثة أصناف :

الصنف الاول - التهنئة بالإنعام والمزيد وليس الخلع وغير ذلك .

من كلام الأقدمين :

ويُنهي أنه اتصل بالملوك ما أهل مولانا السلطان مولانا له : من المحل السني ،
والمكان العلي ، الذي لم يزل موقوفاً عليه ، متشوقاً إليه ، نافرًا عن كل خاطب سواه ،
جامحاً على كل راكب إلا إياه ، فأقر الله عين الملوك بذلك لصدق ظنه ، وعلم أن
مأصاره الله تعالى إليه من هذه المنزلة المنيفة ، والرتبة الشريفة ، ومدرجة تفضي
إلى مدارج ، ومدرجة تنهي إلى معارج ، والله تعالى يزيه ، تعالىه علواً ، ويصاعف
محله سمواً ، بمنه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

ومنه - ويُنهي أنه اتصل بالملوك نبأ الموهبة المتجددة لديه ، والنعمة المستبغة
عليه ، وما آخضه به مولانا السلطان من الإسطفاء والإيثارة ، والأجتناء والأختيار ،
وتقديمه للرتبة الأميرية ، والإنافة إلى المنزلة الخطيرة ، فسر الملوك للرياسة إن شاء الله
الله تعالى في محاميا ، وأنزلها على أهلها ، ووصلها بكفئها وكافئها ، وسلم قومها إلى راميا ،
والله تعالى يجعل هذه الرتبة أول مرقاة من مراقي الآمال ، ومكين الرتب التي يفرعها
من رتب الجلال ، إن شاء الله تعالى .

من كلام المتأخرين :

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

أدام الله أنصاره ، وجعل الثمور شِعَارَهُ ، وألبسه من المحامد أكرم حُلَّةً ، ونقاه
من المكارم أحمدَ خَلَّةً ، ولا زالت الخلع تشرف إذا أفيضت عليه ، والمدائح تُستطاب
بذكره لاسيَّما إذا أنشدت بين يديه .

الحادم يُنهي إلى عهد المولى أنه اتصل به خبر أهدى إليه مرورا ، ومنحه بهجة
وتحورا ، وهو ما أنعم به المولى السلطان خالد الله سلطانَه ، وضاعف إحسانَه : من
تسريفه بخلعته ، وما أسبغه عليه من وأرف ظلّه ووافر نعمته ، وأبداه من عنايته
بالمولى وعجبته ، وقد حصل له من المسرة ما أجذله . وبسط في مضاعفة سعد المولى
أمله ، فإنه بلغه أن هذه الخلع كالرياض في نظارتها ، وحسن بهجتها ، وأنها كَمَا
برقت برق ضا البصر ، وظنما لحسنها حديقه وقد حذق إليها النظر ، وقد جمعت
ألوان الأزهار ، وأرنبى ناصحيات اللطف على نسيمة الأحجار ، وأسكنت حبا حبات
القلوب التي في الصدور ، وتمت عن المسح برأي النظر وفائق المشور ، وإن
أين سليمان أو آباء ، لا اعترف بأبي أسد ، حتى فني شرقا لا ريب فيه ، ونسب البيت
المنسوب إليه إلى أعانديه ، وأستخر نظر نضرة نضرا لما جعل لها في الحسن نظيرا ،
ولو شاء على وجهه الأكل وعفته بصيرته ، وأستخر هذه الخلع موهبة ، ومعرفة
عالمها من التوجه بصيرته ، ووجدت له الأصل في كل ما لا يخفى عليه
عنه الله ، حتى به تسرة ، وأستخر في كل ما لا يخفى عليه الله ، وأستخر في كل ما لا يخفى
عليه من أكله ، وأستخر في كل ما لا يخفى عليه الله ، وأستخر في كل ما لا يخفى عليه
الله ، وأستخر في كل ما لا يخفى عليه الله ، وأستخر في كل ما لا يخفى عليه الله ،
إذا شاء الله تعالى .

رواه مراده أبو الغلاء شمس الدين

الصف الثاني - التهئة برضا السلطان بعد غضبه .

من ذلك :

وتنهي أنه اتصل بي ماجده الله تعالى لمولاي - أطال الله بقاءه - من حسن
عاطفة مولانا أمير المؤمنين - خلد الله ملكه - وأنعطافه عليه بعد أنصرافه ؛
وإعادته إلى رتبته التي نشرته عنه دلالة لا ملالا ، وهجرته هجر المستصليح المستعيب ،
لا هجر القالي المتجنب ؛ وكيف تقلاء ، وهي لا تجد لها كفوًا سواه ؛ ولتوقع
المملوك بما وقع من هذه الحال ، وعلمه أن عودها إليه كعودة المودع [إلى مودعه] ،
لا عودة المتجع إلى مربعه ؛ وأن الذي وقع من الانحراف إصلاح باديته تهذيب
وتقويم ، وخافيه توقيرو تعظيم : لما في عتاب أمير المؤمنين من شرف الرتبة ،
والدلالة على استقرار الأثرة والقربة ؛ وحلولة محل الصقال ، من أبيض النصال ،
ورشة من العسال ؛ ولا سيمًا ورياسته محفوظه ، وسيادته ملحوظه ؛ وهيبته
في النفوس ماثية ، وجلالته في القلوب حاصلة ؛ ولم ير المملوك ^(١) أجل موهبة من الله
سبحانه من شكر استرهن هذه النعمة ويخلدها ، وحمد يرتبطها ويقيدها ؛ ورغبت
لله سبحانه أن يجعل هذا العز الحادث لا يثا لا يتحول ، والسعد الطاريف ما يكنا
لذي نقل ؛ إن شاء الله تعالى .

ومن ذلك :

ويُنهي أن من عادة الرمان أن يكف سبحانه ثم يكف من ريف تساه
ثم يرب ؛ ويبدر حلبه ثم يقطع ، ويقيم غيره ثم يجمع ؛ إلا أنه إذا سلب
النعمة من يستوجب إمرارها سبه ، وأترع الموهبة من يستحق شكرها لديه ؛

(١) نعل الواورادة ويكون متقى اللام في قوله «ولتوقع» الخ تأمل .

كَانَ كَالغَالِطِ الَّذِي يُرَاجِعُ نَفْسَهُ فَيَنْدِمُ عَلَى مَا فَرَطَ ، وَلَا يَلْبَثُ أَنْ يَسْتَدْرِكَ الْغَلَطَ ،
 مُعَقِّبًا نُبُوته بِإِنَابَتِهِ ، مُتَعَقِّبًا هَفْوَتَهُ بِاسْتِقَالَتِهِ ، مَاحِيًا إِسَاءَتَهُ بِرَأْبِ مَا نَلَّمَ ، وَأَسْوَأَ مَا كَلَّمَ ،
 وَإِصْلَاحَ مَا أَفْسَدَ ، وَتَأْلِيفَ مَا شَرَّدَ . فَلَا جَرَمَ أَنَّ النُّفُوسَ بِإِقْبَالِهِ عَلَى مَنْ هَذِهِ
 صِفَتُهُ وَإِثْمُهُ ، وَالْأَمَالَ لِإِنْصِرَافِهِ إِلَى مَنْ هَذِهِ صُورَتُهُ مُتَحَقِّقَةً ، وَإِذَا سَلَبَهَا هَرُوْلٌ
 فِي إِبْدَاعِهَا لَدَيْهِ ، وَأُخِذَ [فِي] إِفَاضَتِهَا عَلَيْهِ ، وَمَا زَالَ الْمَمْلُوكُ - مُذْ عَامِلَ الزَّمَانِ مَوْلَانَا
 بِسُوءِ أَدَبِهِ ، وَزَوَى عِنْدَ بَحَائِبِهِ ، وَقَبَضَ بِنَانَتِهِ ، وَغَيَّرَ عَلَيْهِ سُلْطَانَهُ - عَارِفًا أَنَّ هَذِهِ الْفَعْلَةَ
 نَاتِيَةٌ مِنْ قَدَاتِهِ الَّتِي يَسُوقُ سَرَّهَا ، وَلَا يَرْجِعُ إِلَى مِثْلِهَا ، وَأَنَّ الْإِسْتِبْصَارَ يَقُودُهُ
 إِلَى لَأَعْنَادِهِ وَالْإِسْطِطْرَ . يَخُودُهُ عَلَى رَدِّ مَا آتَتْهُ بِالْإِجْبَارِ : لِأَنَّهُ لَا يَجِدُ مِنْ يَحُلُّ
 شَيْئًا مَوْلَانَا فِي رِنْبَاطِهِ بِإِيْسَاسِهِ ، وَتَعَاهُدِهِ بِسُقَى أَغْرَاسِهِ ، وَوَقِيَامِهِ بِشُكْرِهِ . وَتَرْكِيئَتِهِ بِرَدِّ-
 مَتَوْعًا لِأَنَّ تَيَقُّظَ عَيْنِهِ ، وَيُنْكَشِفُ رَيْنَهُ ، فَيَرَى مَا صَنَعَتْ يَدَاؤُهُ ، وَيَبَادِرُ لَاسْتِقَالَةَ
 مَا بَجَدَ ، حَتَّى طَرَفَ الْبَشِيرُ بِمَا سَمِيَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أَنْحِسَارِ الْكُرْبَةِ ، وَعَوْدِ مَوْلَانَا إِلَى
 شَرَفِ الرَّئِيَّةِ ، وَصَلَاحِ مَا فَسَدَ ، وَعَوْدِ السُّلْطَانِ أَعَزَّ اللَّهُ نَعْمَهُ إِلَى مَا عَهَدَ ، وَرُكُوبِهِ
 إِلَى حَصْنَتِهِ ، وَأَنْقِلَابِهِ عِنْدَ رَافِلٍ فِي تَشْرِيفِهِ وَمَكْرَمَتِهِ ، فَكَانَ مَعْتَقِدُ الْمَمْلُوكِ فِيهِ هَيْلَالًا
 فِي السَّرَّارِ قَادِلًا ، وَبَيْنِينَا فِي حَشَا فَاسْتَهَلَّ ، فَاسْتَوَى عَلَى الْمَمْلُوكِ مِنَ الشَّرُورِ مَا عَمَّ
 بِجَوَارِحِهِ ، وَعَمَّرَ حَوَائِجِهِ ، وَأَطَارَ بَحْنَاحَ بَرَحٍ ، وَأَلْبَسَ حُلَّةَ الْفَرَحِ ، إِذْ مَا جَدَّدَهُ
 اللَّهُ تَعَالَى مِنْ السَّعَادَةِ يُحَلُّ بِهِ فِي الْعَمُودِ . مَحَلَّ الْغَيْثِ السَّجُودِ ، لِأَنَّهُ حَرَسَ لِنَهْ
 عِزَّهُ لَا يَسْتَمُرُّ بِعَرِيفِ اللَّهِ عِنْدَهُ ، وَلَا يَكْرَهُ عَلَى عَطَايَاهُ يَدَّ ، بَلْ يَمْنَعُ مِمَّنْ مُنْعَ ،
 رِيوَى مِمَّا تَوَلَّى ، وَلَا يَضُنُّ بِمَالٍ وَلَا جَاهٍ ، وَلَا يَقْعُدُ عَمَّنْ أَمَلَهُ وَرَجَاهُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى
 يُحَلُّ ذَلِكَ مِمَّنْ أَقْرَبَهُ الْبُيُوتِ ، وَصَدَّقَ فِيهِ الظُّنُونُ ، لِأَنَّهُ خَلَقَهُ الْأَيَّامَ وَلَا تَمِيَّهُ ،
 وَلَا تَرْوِيهِ الْحَوَادِثُ وَلَا تَمُتُّ رُفِيَهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الصف الثالث - التهئة بالخلاص من الاعتقال .

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

جَدَّ اللهُ سَعْدَهُ ، وَضَاعَفَ جَدَّهُ ، وَأَنْجَحَ قَصْدَهُ ، وَأَعَدَّ مَنَّهُ وَوَرَدَهُ ، وَلَا
 أَنْفَكْتَ أَيَّامُ زَاهِيَةَ بَقَائِهِ ، وَالْأَنْفُسَ مَسْرُورَةً بِأَرْتِقَائِهِ إِلَى رَبِّ عِلْيَائِهِ . أَصْدَرَهَا
 تُفْصِحُ عَنْ شَوْقٍ يَعْجِزُ عَنْ سَوْقِهِ الْجَنَانَ ، وَيَقْصُرُ عَنْ طُولِهِ اللِّسَانَ ، وَسُرُورٍ تَزِيدُ
 حَتَّى أَبْكَاهُ ، وَلَا عَجَّ بِمَشَاهِدَةِ طَلْعَتِهِ السَّعِيدَةِ أَغْرَاهُ ، وَتُهْنِيهِ بِمَا جَدَّ اللهُ لَهُ بَعْدَ
 الْأَعْتِقَالِ مِنَ الْفَرَجِ وَالْفَرَحِ ، وَمَنْ بِهِ بَعْدَ ضَيْقِ الْخَوَاطِرِ مِنَ الْإِبْتِهَاجِ وَالْمَرْحِ ،
 فَهَذِهِ الْمَسْرَةُ مَاءٌ زُلَّالٌ بَرَدَ بِهَا الْأَوَامُ ، وَإِنْعَامٌ عَامٌ ، حَمِدَ اللهُ عَلَيْهَا الْخَاصُّ وَالْعَامُّ ،
 فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَوَّضَهُ عَنْ مَاتَمَّ الْحُزْنَ بِمَاتَمَّ مِنَ السُّرُورِ ، وَ[عَنْ] الْهَمِّ الْمَانِعِ عَنِ الْوُرُودِ
 وَالصُّدُورِ بِالنِّسْرَاحِ الصُّدُورِ ، فَإِنَّ الْقُلُوبَ شَعَفَهَا حُبُّهُ وَشَغَفَهَا ، وَضَاعَفَ لِعَوِيْقِهِ
 أَسَاهَا وَأَسْفَهَا ، بِحَيْثُ أَعْتَرَى الْمَنَاطِقَ قَلْقٌ وَعَلَاهَا أَصْفِرَارٌ ، وَعُطِّلَتْ يَدُ كُلِّ غَانِيَةٍ
 مِنَ الْحَلِيِّ فَمَا ضَمَّهَا قَلْبٌ وَلَا سِوَارٌ ، وَلَيْسَ الْخُطْبَاءُ حَزَنًا وَأَلْبِسَتْهُ الْحَايِرُ ، وَكَادَتْ
 لَغَيْبَتِهِ وَفَقْدَ أَسْمِهِ تَدْبُهُ الْجَوَامِعُ وَتَبْكِيهِ الْمَنَابِرُ ، خَلَّدَ اللهُ سَعَادَتَهُ ، وَسَهَّلَ لَهُ مِنْ خَيْرِي
 الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ قَصْدَهُ وَإِرَادَتَهُ ، بِمَنَّةٍ وَكْرَمِهِ .

الأجوبة عن التهئة بكرامة السلطان ورضاه بعد غضبه

قال في " مواد البيان " : يجب أن تكون أجوبة هذه الرقاع مودعة من الله
 على المهني - لمحافظة على رسوم المودة وقيامه بشروط الخلة - ما تشتميه رتبته ورتبة
 المحبب ، وأنه مشارك له في متجدد النعمة ، مُفَاوِضٌ فِي حَدِيثِ الْمَسْرَةِ ، وَالنِّعْمَنُ
 بِالِدَعَاءِ ، وَنَحْوِ هَذَا مَا يَحْسُنُ مَوْقِعُهُ عِنْدَ الْمَبْتَدِئِ بِالْمَنَاءِ ، وَيَضَعُهُ بِحَيْثُ وَضَعَ
 نَفْسَهُ مِنَ الْأَخْتِصَاصِ بِمَنْ كَاتَبَهُ .

وهذا مثال من ذلك :

زهر الربيع : [جواب] هناء بخلعة :

أدام الله علاءه ، وشكر آلاءه ، وضاعف سناءه ، وحمد منه التي أثقلت لكل
مُعْتَفٍ ظَهْرًا وخَفَّفَتْ هَمًّا ، وَأَنَالَتْ لِكُلِّ وَلِيٍّ نَصِيْبًا مِنْ عَوَارِفِهَا رِقْسًا ، الْمَمْلُوكُ
يُنْبِي إِلَى الْعِلْمِ الْكَرِيمِ وَرُودِ الْمَكْتَابَةِ الَّتِي كَسَتْهَا يَدُهُ حُلَّةَ جَمَالٍ ، وَالْبَسْتَهَا ثُوبَ
إِفْضَالٍ ، وَأَعَدَّتْهَا بِكَرَمِهَا ، وَحَسَّنَتْ وَجْهَهَا بِلِسَانِ قَلَمِهَا ، فَاْمَطَّرَتْهُ سَحَابَ جُودٍ
أَرْبَى عَلَى السَّحَابِ الْهَتُونِ ، وَأَرْفَقَتْهُ مِنْهَا عَلَى الْفَاطِظِ كَأَسْئَالِ اللُّثْمِ الْمَشْكُونِ ، فَاجْتَنَى
مِيسَارَ الْفَضَائِلِ مِنْ أَغْصَانِهَا ، وَاجْتَلَى عُرْوَسَ مَحَاسِنِهَا وَإِحْسَانِهَا ، وَفِيهِمْ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ
مِنَ التَّهْنِيشَةِ بِالْخَلْعَةِ الَّتِي أَنْعَمَ الْمَوْلَى بِهَا عَلَى خَادِمِهِ وَتَصَدَّقَ ، وَحَقَّقَ الْأَمَلَ فِي مَكَارِمِهِ
وَصَدَّقَ ، وَإِنْعَامَهُ خَلَّدَ اللَّهُ دَوْلَتَهُ ، وَأَعَزَّ نَصْرَتَهُ ، قَدْ كَثُرَ حَتَّى أَنْجَلَهُ ، وَمِيْزَهُ عَلَى
كَثِيرٍ مِنْ مَمَالِكِ بَيْتِ الْعَالِيِّ وَفَضَّلَهُ ، وَأَنَالَهُ مِنَ الْمَنْزِلَةِ مَا سَمَّيَاهَا عَلَى أَمْثَالِهِ ، وَرَقِيَ بِهَا
بَعْدَ رِقَّةِ حَالِهِ ، فَاللَّهُ يَخْلُدُ سُلْطَانَهُ ، وَيَثْبِتُ بِالسَّعَادَةِ أَرْكَانَهُ ، وَهَذَا بِسَعَادَةِ مَوْلَانَا
وَسَاعِدَتِهِ ، وَمَعَاوَنَتِهِ وَمَعَاوَضَتِهِ ؛ فَإِنَّهُ كَانَ السَّبَبَ فِي الْإِتِّصَالِ بِيَابِهِ أَوَّلًا وَأَخْرًا ،
وَمِنْ أَغْنَاهُ بِذَلِكَ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ بَاطِنًا وَظَاهِرًا .

وَكُلُّ خَيْرٍ تَوَخَّاهِ الْإِيمَانُ ، وَكُلُّ شَرٍّ بَاعَثَهُ لِي أَوْ نَسِيْبُهُ

(۱) في نسخة أخرى: «ولا حتى لا تأمل» .

الضرب الثالث

(من التهانى التهنية بالعود من الحج)

وهذه نسخ من ذلك ينسخ على منوالها .

من ذلك :

ويُنهى أنه طرق المملوك البشيرُ بعود مولانا - أطال الله بقاءه - من مقام
الطائفين ، إلى مقام المعتفين ، وأوبته من كعبة الإحرام ، إلى كعبة الإكرام ،
وتنقله من موقف الحجاج ، إلى موقف المحتاج ، وحلونه بمنزله الذى هو قبلة ذوى
الآمال ، ومحط الرّحال ، بالسعى المشكور ، والحجّ المبرور ، والنسك المقبول ،
والأجر المكتوب ، فحمدتُ الله تعالى على موهبته ، وسألته زيادته من مكرّمته ،
وأستنجحت هذه المكتبة أمام ما أرومه من مشاهدته ، وأرجوه من الاستسعاد
بملاحظته ، وبرد أوار الشوق بمحاضرته ، ومجدداً شهود التيمن بميامنته ، إن اقتضى
رأيه العالى أن يعرف المملوك جملةً من خبره فى بدئه وعوده ، ومسئله ومتوحيه ،
وما تفضل الله تعالى به من أمان سبيله ، وهداية دليبه ، وتخفيف آثام سفره ،
وتسهيل وطره : لِأَسْكُنَ إِلَى ذَلِكَ إِلَى عَيْنِ التَّمَثُلِ بِنَظَرِهِ ، فَله القَضَاءُ فى ذلك ،
والله تعالى يبلغه سؤله ، ويوصله مراده ، وأموله ، ونسكه ، وكرمه .

ومن ذلك :

ويُنهى أن مولانا لا يزال حاجاً إلى كعبة الحرم ، أو شامياً إلى بيت المقدس ،
الوفود ، أو بسعائر الجود ، وواقفاً بموقف الأستسراح ، أو موقف السباح ، وتأجير
البدن بمنى ، أو نائراً للبدر للبنى ، فلا يرتفع فى حالٍ من الأحوال برده ، ولا يتقطع عن الله

تعالى ذكُّره ، ومن كان بهذه المثابة ، في إحراز الأجر والإنايه ، فهو حقيق أن تعمَّر
 بالتهنئة أوقاته وأزمانه ، كما عمَّرها سعيه وإحسانه ، وقد عرف المملوك أنكفائه
 - أدام الله علوه - عن مقام الطائفين والعاكفين ، إلى مقام الفاصدين والمعتفين .
 وعوده إلى منزله المعمور ، بعد قضائه فريضة السعي المشكور ، فعدلت في مخاطبته
 عن الهناء إلى الدعاء بأن يتقبل الله تعالى نسكك ، ويثقل ميزانه ، ويطلق في حلبة
 الخيرات عنانه ، ويحييه لأجرٍ يحرزُه ، وثواب يكثُرُه ، والله تعالى يجيب ذلك فيه ،
 ويريه في نفسه وأحبته ما يرتضيه .

ومن ذلك :

وتنهي أنه قد طرقتني البشير بأنكفاء مولانا إلى مقرِّ علائه ، وأنفصاله عن ملاذ
 النساء والعباد ، إلى معاذ الزوار والقصاص ، فعرفت أن ذلك النسيم العليل من تلقائه ،
 وذلك النور الصادع من آلائه ، وذلك الأفتار من أسرته ومحايبه ، وتلك العدوبة
 من شيمه وشمائله ، فكاد المملوك يطير - لو طار قبلي غير ذي مطار - فرحاً ، وأحرق
 الأرض وأبلغ الجبال لو أمكن ذلك مرحاً ، وأنفتح قني حتى كادت مهجته تنبض
 سروراً ، وطاش حلبي حتى تفرق مجموعته بهجةً وحبوراً ، والله تعالى يجعل نعمه
 موصولة الخيل ، مجموعة الشمل ، بمنه وكرمه .

أبو الفرج البغاء :

جعل الله سعيك مشكوراً ، وحجك مبروراً ، ونسكك مقبولاً ، وأجرك مكتوباً ،
 وأجرل من المثوبة جزاءك ، ومن عاجل الأجر وآجابه عطاءك ، وقرن بالطاعات عزماتك ،
 وبالسعي إلى الخير نهضاتك ، ووفقتك من صالح الأعمال ، وزكى الأفعال ، لما يجمع
 كل خير الدارين . ولما طرقتني البشارة بتدومك ، بدأت بإهداء الدعاء ، وتجديد

الشكر لله تعالى والثناء؛ وأستنبتُ في ذلك المكاتبه، أمام ما أنا [عازم] عليه : من المشافهة والمخاطبه؛ ولن أتأخر عن حظي من المسير إليك للتيمن بالنظر إلى غمرك، ومداواة ما عانيتُه من ألم الشوق بمشاهدتك .

الضرب الرابع

(من التهاني ، التهئة بالقُدوم من السفر)

من كلام المتقدمين :

علي بن خلف :

وَيُنْبِي أَنَّهُ أَتَّصَلَ بِالْمَمْلُوكِ خَبْرُ تَوَجُّهِهِ^(١) إِلَى النَّاحِيَةِ الْفَلَانِيَةِ ، فَعَرَفَ الْمَمْلُوكُ أَنَّهُ قَصَدَهَا لِيُخَصَّ قَاطِنِيهَا ، بِنَصِيْبٍ مِنْ مَوَاهِبِهِ ؛ وَيُفِيضُ عَلَيَّ سَاكِنِيهَا ، سِجَالًا مِنْ رَغَائِبِهِ ؛ وَيَسْوَى بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ رَاشَهُ بِجَبَائِهِ ، وَجَبَرَهُ بِنَوَافِلِهِ وَآلَائِهِ ؛ فَسَأَلْتُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُطِيلَ عُمرَ الْمَكَارِمِ بِإِطَالَةِ بَقَائِهِ ، وَيَجْمَعَ شَمْلَ السُّؤْدَدِ بِدَوَامِ عِلَائِهِ ؛ ثُمَّ أَتَّصَلَ بِي عَوْدُهُ إِلَى مَقَرِّهِ ، خَفِيفَ الْحَقَائِبِ مِنْ وَفَرِهِ ، ثَقِيلَهَا مِنْ ثَنَائِهِ وَشُكْرِهِ ؛ فَحَمِدَ الْمَمْلُوكُ اللَّهَ تَعَالَى عَلَيَّ إِسْفَارِ سَفَرِهِ عَنْ بُلُوغِ الْأَوْطَارِ ، وَأَنْحَسَارِ أَمْنِيَّتِهِ عَنْ أَذْيَالِ الْمَسَارِ ؛ وَمَا خَصَّ بِهِ مِنَ السَّيْرِ الشَّجِيحِ ، وَالسَّعْيِ النَّجِيحِ ؛ وَالسَّلَامَةِ الْمَفْرُوقَةِ عَلَيَّ الْوِجْهَةِ وَالْمُنْقَلَبِ ، وَالْمَفْتَحِ وَالْمَعْتَقِبِ ؛ وَلَمَّا عَرَضَ لِلْمَمْلُوكِ مَاقَطَعَهُ عَنْ مُشَافَهَتِهِ بِالِدَعَاءِ ، رَفَعَ يَدَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ضَارِعًا لَدَيْهِ فِي أَنْ يَتَوْلَاهُ فِي هَذَا الْمَقْدَمِ الْمِيْمُونَ ، بِالسُّعْدِ الْمَضْمُونِ ؛ وَإِنَالَةِ الْأَمَانِي الْمُقَرَّةِ لِلْعِيُونِ ؛ وَأَنْ يَمْنَحَهُ فِي الْحِلِّ وَالتَّرْحَالِ ، وَالْقَطْنِ وَالْإِتْقَالِ^(٢) ، تَوْفِيقًا يَقَارِنُ وَيُصَاحِبُ ، وَيُسَارِ وَيُؤَاكِبُ ؛ وَأَنْ يَجْعَلَ مَا خَوَّلَهُ مِنْ نِعْمِهِ رَاهِنًا خَالِدًا ، وَمَا أَوْلَاهُ مِنْ مَوَاهِبِهِ بَادِيًا عَائِدًا ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) في الأصل وجهته وهو تصحيف إذ الوجهة الناحية والجهة وهو غير مراد كما لا يخفى .

(٢) مصدر قطن في كتب اللغة التي بأيدينا على فعول لا على فعل .

وله ايضا :

وَيُنْبِي أَنَّهُ طَلَعَ عَلَيْهِ الْبَشِيرُ، طُلُوعَ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ؛ مُؤْذِنًا بِمَقْدَمِ حَضْرَتِهِ، وَمُعَلِّمًا
بِظُهُورِ طَلْعَتِهِ؛ وَحُلُولِهِ فِي مَعَانِهِ ^(۱) الَّذِي هُوَ مَعَانُ الْإِقْبَالِ، وَعَوْنُ الرِّجَالِ؛ وَقَرَارَةُ
الْإِقْبَالِ، وَمَحَطُّ الرِّحَالِ؛ وَقِبْلَةُ الْجُودِ، وَمُعْرَسُ الْوُفُودِ؛ فَسَأَلْتُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُبْقِيَهِ
جَمَالًا لِلْأَيَّامِ، وَثَمَالًا لِلْأَنَامِ؛ وَعِمَادًا لِلتُّصَادِ، وَمَرَادًا لِلرُّوَادِ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُخْلِيهِ
فِي تَصَرُّفَاتِهِ، وَجَمِيعِ حَرَكَاتِهِ وَسَكِّنَاتِهِ؛ مِنْ سَعْيِ سَعِيدٍ، وَعَيْشِ رَغِيدٍ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ .

أبو الفرج البغاء :

مَنْ كَانَتْ غَيْبَةُ الْمَكْرَمِ مَقْرُونَةً بِغَيْبَتِهِ، وَأَوْبَةُ النِّعَمِ مَوْصُولَةً بِأَوْبَتِهِ؛ سَافَرَتْ
الْأَنْفُسُ حَيْثُ كَانَ إِلَيْهِ، وَقَدِمَتِ الْآمَالُ عِنْدَ قُدُومِهِ عَلَيْهِ؛ وَمَا زَالَتِ الْأَنْفُسُ
إِلَى الْأُمْنِيَّةِ بِقُرْبِهِ مَتَطَلِّمَةً، وَلَوُورُودِ السُّرُورِ بِوُرُودِهِ مَتَوَقِّعَةً؛ إِلَى أَنْ أَنْسَتْ بَعْدَ
الْوَحْشَةِ بِإِقْمَائِهِ، وَتَنَسَّمَتْ أَرْجَ مَنَّةٍ وَنِعْمَانِهِ؛ فَوَصَلَ اللَّهُ قُدُومَهُ مِنَ الْكِرَامَةِ، بِأَضْعَافِ
مَا قَرْنَ بِهِ تَسِيرَةَ مِنَ السَّلَامَةِ؛ بِحَرُورٍ مِنْ طَوَارِقِ الْغَيْرِ، مَبْلِنًا أَبَدَ الْعُمْرِ .

وله في مثله :

مَنْ كَانَتْ مَادَّةُ سُرُورِهِ بِغَيْبِهِ وَحَضْرَتِهِ؛ لَمْ يَجِدْ مَعَ بَعْدِكَ مَوْئِسًا يَسْكُنُ إِلَيْهِ،
وَلَا عَوْضًا يَحْتَمِلُ فِي السَّلَاةِ عَلَيْهِ؛ وَمَا زَلَّتْ أَيَّامَ غَيْبَتِكَ - لَا أَوْحَشَ اللَّهُ مِنْكَ -
بِالْوَعْدَةِ مَسْتَأْنِسًا، وَبِالسُّوقِ إِلَيْكَ مَجَالِسًا؛ الْأَقِيكَ بِالْفِكْرِ، وَأَشَاهِدُكَ بِاتِّصَالِ الذِّكْرِ؛
إِلَى أَنْ مِنْ اللَّهِ مِنْ أَوْبَتِكَ بِمَا عَظُمَتْ بِهِ النِّعْمَةُ، وَجَلَّتْ لَدَيْ مَعَهُ الْمَوْهَبَةُ؛
فَوَصَلَ اللَّهُ بِالسَّلَامَةِ نَهْضَاتِكَ، وَبِالسَّعَادَةِ حَرَكَاتِكَ، وَبِالتَّوْفِيقِ آرَاءَكَ وَعَزَمَاتِكَ؛
رَبَّنِي بِبِقَائِكَ وَبِقَاءِ النِّعْمَةِ عِنْدَكَ، وَهَنَانِي النِّعْمَةَ الْجَلِيلَةَ بِقُرْبِكَ .

(۱) في القاموس واللسان « المعان المباءة والمنزل » وأورداه في مادة م ع ن .

وله في مثله :

مَنْ كُنْتَ نِهَايَةَ أَمْنِيَّتِهِ ، وَقُطِبَ مَسْرَّتُهُ ؛ كَانَ مِنْ نَفْسِهِ مَسْتَوْحِشًا مَعَ بُعْدِكَ ،
وَبَدَهْرِهِ مَسْتَأْسَا مَعَ قُرْبِكَ ؛ وَمَا زِلْتُ مَعَكَ بِالنِّيَّةِ مُسَافِرًا ، وَبِالشُّوقِ سَائِرًا ؛
وَبِالفِكْرِ مَلَاقِيًا ، وَبِالأَمَانِيِّ مُنَاجِيًا ؛ إِلَى أَنْ جَمَعَ اللهُ شَمْلَ سُورِي بِأَوْبَتِكَ ،
وَسَكَنَ نَافِرَ قَلْقَى بِعَوْدَتِكَ ؛ عَلَى الحَالِ السَّازَةِ مِنْ كَمَالِ السَّلَامَةِ ، وَوُفُورِ الكُلْفَةِ ؛
فَأَسْعَدَكَ اللهُ بِمَقْدَمِكَ سَعَادَةً تَكُونُ بِهَا مِنَ الزَّمَانِ مُحْرُوسًا ، وَبِالإِقْبَالِ مُقَابِلًا ،
وَبِالأَمَانِيِّ ظَافِرًا ؛ وَلَا أَوْحِشُ اللهُ مِنْكَ أَوْطَانَ الفَضْلِ ، وَعَضَّدُ إِخْوَانَكَ بِبِقَائِكَ
وَبِقَاءِ النِّعْمَةِ عِنْدَكَ .

وله في مثله :

لَوْ كَانَ القَلْبُ يَحْدُ عِنْدَكَ مُنْصَرَفًا ، أَوْ يَرَى مِنْكَ فِي آكْتِسَابِ المَسْرَةِ خَلْفًا ؛
لَأَسْتَرَّاحَ إِلَيْهِ مِنْ أَلَمِ بُعْدِكَ ، وَأَسْتَنْجِدَهُ عَلَى مَرَارَةِ فِرَاقِكَ ؛ لِكِنَّكَ أَيْدِكَ اللهُ جَمَلَةً
مَسْرَّتَهُ ، وَنِهَايَةَ أَمْنِيَّتَهُ ، فَلَيْسَ تُتَوَجَّهُ أَمَانِيَّتُهُ إِلَّا إِلَيْكَ ، وَلَا تَقِفُ آمَالُهُ إِلَّا عَلَيْكَ ؛
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَقْرَبَ بَفَيْتِكَ أَعْيُنَ إِخْوَانِكَ وَأَوْدَانِكَ ؛ وَفَالِك اللهُ مِنَ السَّعَادَةِ فِي أَوْبَتِكَ
أَضْعَافَ مَا آكْتَفَيْتَكَ مِنَ الكِفَايَةِ فِي ظَعْنِكَ .

ابن أبي الخصال :

سَرَّ اللهُ مَوْلَايَ وَرَبِّي سَيِّ ، وَرَبِّ تَشْرِيفِي وَأَنْبِيِّي ؛ بِالنِّسَاءِ الأَحْبَابِ ، وَأَتَّصَلَ
بِالأَسْبَابِ ، وَأَوْبَةَ الغَيْبِ ؛ وَلَا زَالَتِ الأَيَّامُ تُتَصَنَّعُ لِإِقْبَالِهِ ، وَتُقَبَّلُهُ أَوْجُهُ العَمْرِ
فِي أَقْبَالِهِ ؛ وَتُوفِيهِ عَلَى رِغْمِ الحَاسِدِ حَقَّ جَلَالِهِ .

البُشْرَى - أَدَامَ اللهُ أَعْتِرَازَهُ - بِمَقْدَمِ الوَازِيرِ فَالَانَ قَدْ أَوْضَعْتَ رِكَابُهَا ، وَأَتَّصَلَ
بِالنَّفُوسِ أَعْلَاقُهَا وَأَسْبَابُهَا ؛ فَهِنَيْنًا مَعَشَرَ الأَوْلِيَاءِ بِسُبُوحِ هَذِهِ النِّعْمَةِ الجَلِيلَةِ ، وَالمُنْحَةِ

الجزيلة ، ولا أستوفى شكر ما به أتى مُعَظَمَ قَدْرِهِ ، وملتزمٌ بِهِ ، من ثناء كَعْرِيفِ الطيب
يُهْدِي ، ومذهب في الإنهاض لا يُقْضَى واجبه ولا يُؤدَى ، ولا زالت حياة مولاي
تَفْدِي ، وأفعالُ بِهِ تَعْدِي ، وقد لَمَّتْ مواقعُ أنامله وُدًّا ، ووردتُ من محاسن بيانه
منهلاً عذبا [ووردنا] فامتعني الله بحياته العزيزة الأيام ، الطيبة الإمام ، الموصولة
العهد والدمام ، وأقرأ على سيدي من سلامي ما يلئم يده ، ويقضى حق اليراع [الذي]
أنشأ به البر وولده ، والسلامُ المعادُ عليه وعلى جنته ورحمة الله وبركاته .

الشيخ جمال الدين بن نباتة عن نائب الشام إلى القاضي علاء الدين بن فضل الله
كاتب السر الشريف ، بالأبواب الشريفة بالديار المصرية ، عند عودته من الكرك
إلى الديار المصرية ، في سنة ثلاث وأربعين وسبعائة ، مهنتاً له بعودته إلى منزله
بالديار المصرية ، وأستقراره وعودته إلى كتابة السر الشريف بالأبواب الشريفة
السلطانية ، وهي :

تُقبَلُ الباسطة الشريفة - إلى آخر الألقاب - لازالتُ خناصِرُ الحمد على فضل بنائها
مُعقوده ، وماثرُ البأس والكرم لها ومنها شاهدة ومشهودة ، وبواتر السيوف مسيرة
القصد إلى مناظرة أقلامها المقصودة ، تقبيلاً يودُّ لو شافه بشفاهه مؤرد الجود من
الأنامل ، وكأثر بثغره عند المثول للتقبيل تُغور الأمانيل ، فكان يُشافه بشوقه مؤردا
كثير الرحام ، وكان يُكائرُ بعقد قلبه على يد الفضل عقوداً جزيلة الانتظام ، وكان
يحاكم جور الضيم إلى من أبى الله لجار مشاهدته أن يضام . وينهى ما وصل إليه
وإلى الأولياء من السرور ، وما رُفِعَ بينهم وبين الآبِهاج من الشرور ، وما أطولع
في أخبار المسرة من الشطور ، بوصول مولانا ومن معه إلى مساكن الغز ساكنين ،
ودخولهم كدخول يوسف عليه السلام ومن معه إلى مصر آمين ، وأستقراره

في أشرف مكان ومكانه ، واستنصار مصر بأقلامه على العادة فإن هذه سهام وهذه
 مكانه ، وإسفار غمام السفر عن كوكب علا طالم حرس يمينه أفق الملك وهداه
 وزانه ، وما كانت إلا غيبة أحمد الله عقبها ، وغيابة بعد من الله عز وجل وجلها ،
 وفترة نى الله فترتها فتنفس خناق المنصب المشتاق لوجهه الكريم ، وهجرة صرف الله
 هجيرها فسقى طرس الإنشاء الذي أبيضت عيناه من الحزن فهو كظيم ، وما محاسن
 مولانا إلا زينة من زين الدنيا فعليها يتشاكس المتشاكسون ، وما مزاج كلماته إلا
 من تسنيم ﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ .

فالحمد لله على أن أقر العيون بمعاودة ظله الوريث ، وعلى أن شفى الصدور
 بقربه وأولها وأولها صدر السر الشريف ، وعلى أن أجزل الهناء وقد شمل ظله ،
 وقد كمل بابن الفضل فضله ، وقد بهر سناؤه وسناه ، وقد تسعب القريب والبعيد
 فإن أجدى على مصر مؤرده فقد جادت على الشام سماه . وقد أخذ المملوك حظه من
 هذه البشرية ، ووالى السجود لله شكرا ، وجهاز خدمته هذه نائبة عنه في تقبيل بنان
 إن سماه مولى الكرم بحرا ، فقد سماه مربى الملك برآ ، لازالت الممالك متحفة بيمين
 مولانا طاعنا ومقيا ، متصفة بحمده وحمد سلفه الكريم حديثا وقديما ، تالية على مهمات
 الملك بصحبة بيته الشريف ﴿ وكان فضل الله عليك عظيما ﴾ .

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي في تهنئة بقدم من سفر :

أدام الله ظله ، ورفع محله ، وشكر إنعامه وفضله ، وأز أنصاره ، وضاعف
 اقتداره ، ولا زال مؤيدا في حركته ، مسددا في سائر فعالاته ، مصحوبا بالسلامة
 في المهامه والقفار ، مخصوصا من الله تعالى بالأعوان والأنصار .

المملوك يُنهي بعد تقبيل الأرض ، والقيام بما يجب من سُنة والقرض ؛ علمه
 بحلول ركابه العالی بمغناه ، واستقرارِ خاطرِه الشريف في محله ومثواه ؛ وجمع الشمل
 بالأهل بعد طول الغيبة ، وبعد القُفول والأوبه ؛ فتضاعف لذلك فرحه وسروره ،
 وزان عن قلبه قليلُ الهم وكثيره ؛ فإله يمنح المولى أطيّب المنازل ، وأسرّ الرّواحل ؛
 ويجعلُ تجارة مجده راجحه ، وأوامرِ دوامِ عزه لائحه ، حتى تُنشد نفسه الكريمةُ
 قولَ أبي الطيّب :

أنا من جميع الناس أطيّب منزلاً * وأسرّ راحلةً وأزبج متجراً!
 لازلتِ الأعينُ قريرةً برؤيته ، وقلوبُ الإخوان قارةً بمشاهدته ؛ والأوجهُ وسيمةً ،
 والنعمُ الظاعنةُ مقيمةً ؛ إن شاء الله تعالى .

أجوبة التهئة بالقدوم من السفر

قال في "مواد البيان" : أجوبة هذه الرّقاع ينبغي أن تُبنى على الاعتراف للمهني
 بحقّ تعهده ، وكرمِ تفقده ، وإطلاعه على الحال في السفر ، وما أفضت إليه من
 السلامة ، والتأسف على ما تقضى من الأيام في مُباعدته ، والتخلف عن مُباشمته ؛
 وأنه لم يزل يدرع الإدلاج ، ويقطع الفجاج ؛ رغبةً في القدوم إليه ، والوفادة عليه ؛
 وبلّ الغلة برؤيته ، وترويح النفس بمحاضرتة ؛ وما يليق بهذا النمط من الكلام .

الضرب الخامس

(من التهنئة بالشهور والمواسم والأعياد)

وهي على ثمانية أصناف :

الصنف الأول - التهنئة بأول العام وذروة السنة .

من كلام المتقدمين :

تهنئة من ذلك : من إنشاء أبي مسلم محمد بن بحر :

أسعد الله سيدي بعامه ، والفضل منه وما حوى من الأعياد والأيام الخطيرة
وسائر شهوره وأيامه ، ومتصرف أحواله ، وبما يأتي ويكر عليه من زمانه ؛ سعادة
تسوق إليه حظوظ الدين والدنيا كامله ، وتجمع له فوائد الأمدنين تامة وإفيسه ؛
وترتبن إليه النعم فلا تزال لديه زائدة ناميه ؛ وبلغه بها الأمل ، ومد له في البقاء
إلى أنفس المهل .

ولأبي الحسين بن سعد :

عظم الله على مولاي بركة الشهر والسنة المتجددين ، وهب له فيهما وفيما يتلوها
من أيام عمره ، وأزمان دهره ، سعادة تجمع له أشتات الحظوظ ، وتصل لديه مواد
المزيد ؛ وتيسر له بلوغ الأمل في كل ما يطالع وينازع ، والأمن من كل ما يراقب
ويحاذر .

وله في مثله :

عظم الله على سيدي بركة الشهر والسنة ، وأعاشه لأمثالها مدة اختلاف الجديدين ،
وتجاوز الفرقدين ؛ ممتعا بالنعم السابقه ، والمواهب المترادفه ؛ والسعادة والغبطة ،
والعز والمسر .

وله في معناه :

جدد الله لسيدى في الأيام الحاضرة والمستقبلة^(١) ، والأحوال الراهنة والمتنقلة ؛
حظوظًا من السعادات ، وأقسامًا من الخيرات ؛ لا يحصى عددها ، ولا ينقضى
مددها .

وله في مثله :

عَظُمَ اللهُ [على مولاي] بركة الشهر والسنة المتجددين عليه ، وعرفه فيهما
وفي الأيام بعدهما من حادث صنعه ، ولطيف كفايته ؛ ما تدوم فيه السعادة ،
وتعظم به المنه ، وتحسن فيه العاقبة .

وله في مثله :

عَظُمَ اللهُ على مولاي بركة هذا الشهر : الماضي [من] أيامه وبقاياها ، وهذه
السنة ، وجعلها أيمن سنة حالت عليه وأسعدتها .
ومنه : وينهى أن المملوك يهني غرة الأيام ، بغرة الأنام ؛ وصدّر العام ، بصدّر
الكرام ؛ بل يهني الزمن كله نعم وأهله بالحضرة التي واسيت المعالي .

الصنف الثاني - التهئة بشهر رمضان .

من كلام المتقدمين :

لأبي الحسين بن سعد :

جمع الله لمولاي في هذا الشهر الشريف شروط آماله وأحكام أماليه ، في حاضر
أمره وعاقبته ، وعاجل دنياه وآخرته ؛ وأبقاه لأمثاله بقاء لا يتناهى أمدّه ، في ظل
عيش يرضاه ويمجده .

(١) في الاصول الماضية تأمل .

وله في مثله :

عرّف الله سيدى بركة هذا الشهر الشريف وأعاشه لأمثاله ، ما كراً الجديدان ،
وأختلف العصران ، ممتعاً بسوايغ النعم ، محروساً من حوادث الغير ، وموفقاً في شهره ،
وأزمان دهره ؛ لأزكى الأعمال ، وأرضى الأحوال ، ومقبولاً منه ما يؤديه من فرضه ،
ويتنفل به قربة إلى ربه .

وله في مثله :

عرّفه الله بركة إهلاله ، وأبقاه طويلاً لأمثاله ؛ موفقاً فيه من عمل الخير ،
ومراعاة الحق ، وتأدية الفرض ؛ والتنفل بالبر ، لما يرضيه ، ويستحق جزيل المثوبة
عليه ؛ ممتعاً بعده بسني المواهب ، وجسيم الفوائد ؛ مع اتصال مدة العمر ، واجتماع
أمنيات الأمل .

وله في مثله :

عرّف الله مولانا بركة هذا الشهر الشريف وأيامه ، وأعانك على صيامه وقيامه ؛
ووصل لك ما يزيد من فضله وإنعامه ؛ وتابع لك المزيد من منائحه وأنعامه ؛ وختم
لك بالسعادة العظمى بعد الانتقال [في الجاه والرياسة إلى] أبعد المدى ؛ وفي العز
والثروة إلى أقصى المنى .

أبو الفرج البيهقي :

جعل الله ما أظله من هذا الصيام مقرونًا بأفضل قبول ، مؤذنا بإدراك البغية ونجح
المأمول ؛ ووقفه فيه وفي سائر أيامه ، ومستأنف شهوره وأعوامه ؛ لأشرف الأعمال
وفضلها ، وأزكى الأفعال وأكملها ؛ ولا أخلاه من بر رفوع ، ودعاء مسموع ؛
وسعى مشكور ، وأمر مبرور ؛ إلى أن يقطع في أجل غبطة وأتم مسرة أمثاله .

وله في مشيئه :

عَرَّفَكَ اللهُ بِرُكَّةِ سَازِدَا الشَّهْرِ المَعْتَمِّ قَدْرَهُ ، المَشْرِفِ ذِكْرَهُ ؛ وَوَفَّقَكَ فِيهِ لِصَالِحِ
الأَعْمَالِ ، وَزَيَّنَكَ الأَفْعَالَ ؛ وَقَابَلَ بِالقَبُولِ صِيَامَكَ ، وَبَتَعْظِيمِ المَثُوبَةِ تَهَيُّدَكَ وَقِيَامَكَ ؛
وَلَا أَسْأَلُكَ فِي سَائِرِ مَا يَتَّبَعُهُ مِنَ الشُّهُورِ ، وَيَلِيهِ مِنَ الأَزْمِنَةِ وَالدُّهُورِ ؛ مِنْ أُجْرٍ
تَذَنُّرِهِ ، وَأَثَرِ سَمَكِهِ .

قلت : ومما كتبت به تهنئة بالصوم للفتى الأشرف الناصري محمد بن البارزي
كاتب السر الشريف المؤيدى بالممالك الإسلامية ، في سنة ست عشرة وثمانمائة نظماً :

أَيَا كَاتِبِ السَّرِّ الشَّرِيفِ وَمَنْ بِهِ * تَمَيَّسُ نَوَاحِي مِصْرَتَيْهَا مَعَ الشَّامِ !
وَمَنْ جَلَّتِ الجُلُوبُ كَتَابُ كُتُبِهِ ، * وَمَنْ نَابَ عَنِ وَقْعِ السُّيُوفِ بِأَقْلَامِ !
تَمَنَّ بِهَذَا الصَّوْمِ وَالْعِيدِ بَعْدَهُ ، * وَمِنْ بَعْدِهِ بِالْعِيدِ وَالْعَامِ فَالْعَامِ !
وَتَرَقَّى رُقَى الشَّمْسِ فِي أَوْجِ سَعِيدِهَا * وَتَبَقَّى بَقَاءَ الدَّهْرِ فِي فَيْضِ أُنْعَامِ !

الصفحة الثالث - ما يصلح تهنئة لكل شهر من سائر الشهور .

لأبي الحسين بن سعد :

عَظَّمَ اللهُ بِرُكَّةِ إِهْلَالِهِ ، وَأَعَاشَهُ لِأَمْثَالِهِ ، أَطْوَلَ المُدَّةِ ، مَمْتَعًا بِأَدْوَمِ النِّعْمَةِ ، وَمَشْفَعًا (؟)
بِأَفْضَلِ الأَمَلِ وَالأُمْنِيَةِ .

وله : أسعد الله سيدي بانصرامه وإهلال ما بعده ، وأبقاه ما بقي الزمان ممتعا
بالعز والنعمه ، محروسا من الآفات المخوفة ، والحوادث المخدوره .

وله : عَظَّمَ اللهُ عَلَى سَيِّدِي بِرُكَّةِ المَاضِي وَالمُسْتَقْبَلِ مِنَ الأَيَّامِ وَالشُّهُورِ [والأعوام]
وَالدُّهُورِ ، وَوَصَلَ لَهُ السَّعَادَةَ بِأَتْصَالِهَا ، وَجَدَّدَ لَهُ النِّعْمَةَ بِتَجَدُّدِهَا .

وله : عَظَّمَ اللهُ بَرَكَهَ أَنْسِلَاحِهِ ، وَإِهْلَالَ مَائِسَارِهِ ، مُجَدِّدًا لَكَ بِتَجَدُّدِهِ فَوَائِدَ الْخَيْرَاتِ ، وَأَقْسَامَ الْبَرَكَاتِ ، تَدُومُ فِيهَا الْمُدَّةُ ، وَتَطُولُ بِهَا النِّعْمَةُ .

وله : أَسْعَدَكَ اللهُ بِإِهْلَالِهِ ، وَأَعَاشَكَ أَبَدًا لِأَمْثَالِهِ ، مِمَّا بَدَوَامِ الْعِزِّ وَالنِّعْمَةِ ، وَاجْتِمَاعِ أَسْبَابِ الرِّخَاءِ وَشُرُوطِ الْمَحَبَّةِ ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ .

[وله : عَظَّمَ اللهُ عَلَى مَوْلَايَ بَرَكَاتِ هَذَا الشَّهْرِ وَمَا يَتَّبِعُهُ ، وَبَاقِهِ مَا يُجَاوِلُهُ وَيَتَّبِعُوهُ ، فِي مَسْتَأْنِفِ الشُّهُورِ ، وَمُؤْتَفِّ الدُّهُورِ ، مُضَاعَفًا لَهُ الْعِزُّ وَالتَّأْيِيدُ ، وَمَوْصُولًا لَهُ أَصْدُ النِّعْمَةِ بِحُسْنِ الْمَزِيدِ] (١) .

وله : عَظَّمَ اللهُ عَلَى مَوْلَايَ بَرَكَهَ الشُّهُورِ ، وَأَدَامَ لَهُ سَلَامَةَ الدُّهُورِ ، مَوْفُورًا مِنَ الْعِزِّ وَالسُّلْطَانِ ، غَيْرَ مَذْعُورٍ بِنَوَائِبِ الزَّمَانِ .

وله : عَظَّمَ اللهُ عَلَى سَيِّدِي بَرَكَهَ الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ ، وَالسِّنِينَ وَالْأَحْقَابِ ، وَجَمَعَ لَهُ الْمَوَاهِبَ كَامِلَةً ، وَالْفَوَائِدَ فَاضِلَةً ، دِينًا وَدُنْيَا ، وَحَاضِرَةً وَعُقْبَى .

وله : عَظَّمَ اللهُ عَلَيْكَ بَرَكَتَهُ ، وَعَرَّفَكَ يُمْنَهُ وَسَعَادَتَهُ ، وَجَدَّدَكَ الْخَيْرَاتِ ، تَجْدِيدِ الْأَوْقَاتِ وَالسَّاعَاتِ ، حَتَّى تَحُوزَ مِنْهَا أَسْنَى الْحُظُوظِ وَتَبْلُغَ بِمَا تَمَنَّاهُ أَفْصَى الْغَايَاتِ .

الصنف الرابع - التهئة بعيد الفطر .

من كلام المتقدمين :

لأبي الحسين بن سعد :

عَظَّمَ اللهُ عَلَى سَيِّدِي بَرَكَهَ هَذَا الْعِيدِ ، وَأَعَاشَهُ لِأَمْثَالِهِ ، مِنَ الْأَعْيَادِ الْمَشْهُودَةِ ، وَالْأَيَّامِ الْجَدِيدَةِ ، [فِي] أَهْنًا عَيْشٍ وَأَرْغَدِهِ ، وَأَطْوَلَ مَدَى وَأَبْعَدَهُ .

(١) الزيادة في بعض النسخ .

أبو الفرج البغاء :

أسعدك الله بهذا النَظيرِ الحَديدِ ، والعَيدِ السَّعيدِ ، ووَصَلَ أَيَّامَكَ بَعْدَهُ بِأَكْمَلِ
السَّعَادَاتِ ، وَأَجْمَلَ الْبَرَكَاتِ ، وَجَعَلَ مَا أَسَافَتَهُ مِنَ الدُّعَاءِ مَقْبُولًا مَسْمُوعًا ،
وَمِنَ التَّهَجُّدِ زَاكِيًا مَرْفُوعًا ، وَلَا أَخْلَاقَكَ مِنْ نِعْمَةٍ يَحْرُسُ الشُّكْرُ مُدَّتَهَا ، وَلَا يُخْلِقُ
الدَّهْرُ جَدَّتَهَا .

من كلام المتأخرين :

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

المولى أدام الله نعمه ، وحرس شيمه ، هو سيد الأفاضل ، ورئيس الأمائل ،
وحسنه الزمان ، وليث الأقران ، وهو في الأنام ، كالأعياد في الأيام ، فإن الأنام ليل
والمولى المصباح بل الصباح ، وسائر الأيام أجساد وسائر الأعياد هي الأرواح ، فإذا
كان المولى قد زهي على أبناء جنسه ، ويوم العيد على غده وأمه به فقد صار كل
منكا إلى صاحبه يتقرب ، ويلزم ويلزب ، وهو أحق الناس بأن يهجه مقدمه ، وأن
يهي بيومه الذي هو مجمع السرور وموسمه .

وانخادم يهني المولى بهذا العيد ، واليوم السعيد فإنه وافى في أوان الربيع وزمانه ،
ليباهي بغضن قده أغصان بانه ، ويستنشق في صدره وورده ، رائحة ريحانه وورده .
ويختال في رياضه وحدائقه ، ويلاحظ بهجة أزهاره وشقائقه ، والعيد والربيع ضيفان
ومكارم المولى جديرة بكرام الضيف ، والتمتع بالملاذ فيهما قبل رحيلهما وقدم جر
الصيف ، وأن يحسن وجه عيده ، بخلوه في مغناه ووجوده . بما يوليه لغفاته من
إنعامه وجوده ، لازالت الأعياد يهني بهنائه ، والسنة الأيام تشكر سوايغ نعمائه .
وتحمد جزيل عطائه ، وتنطق بولائه وثنائه . أبدأ ، إن شاء الله تعالى .

قلت : ومما كتبتُ به مهنتاً للفقير الأشرف الناصري محمد بن البارزي صاحب
دواوين الإنشاء الشريف بالممالك الإسلامية في الدولة المؤيدية «شيخ» بعيد الفطر
نظماً، بعد أن سألتُه حاجةً فقضاها، وأسنى لي الجائزة على نثرٍ كتبتُه له .

سَأَلْتُ نِظَامَ الْمَلِكِ كَاتِبَ سِرِّهِ * إِزَالَةَ ضَنْكِ أَرْهَفِ الدَّهْرِ حَدَّهُ!
فَمَنْ بِيحَاهِ زَعَزَعَ الْأَرْضَ وَقَعَهُ، * وَجَادَ بِمَالٍ لَا يُرَى الْفَقْرُ بَعْدَهُ.
وَبِالْبَارِزِيِّ أَرْدَانَ وَصَفُ مَكَارِمِ * فَاشْبَهَ فِي فَضْلِ أَبَاهِ وَجَدَّهُ!
فِيهِنَّاهُ صَوْمٌ ثُمَّ عِيدٌ مَسْرَةٌ * وَطَالِعُ إِقْبَالٍ يُقَارِنُ سَعْدَهُ!
وَرَفَعَ دُعَاءَ لَا يُغْبُ تَتَابِعًا، * وَطِيبُ ثَنَاءٍ خَامَرَ الْمِسْكَ نَدَّهُ!

الصفحة الخامس – التهئة بعيد الأضحى .

من كلام المتقدمين :

أبو الحسين بن سعد :

كتابي والنحر – نحر الله أعداء مولاى وحساد نعمته ، وأمتعه بمواهبه عنده ،
و بارك له في أعياده ومتجدد أيامه ، بركة تنظم السعادات ، وتضمن الخيرات ،
متصلة غير منقطعه ، وراهنة غير فانية .

من كلام المتأخرين :

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

تَهَنَّ فَيَا يَوْمَ السُّرُورِ أَوْاهِلُ * وَكُلُّ مَخُوفٍ عَنِ جَنَابِكَ رَاحِلُ!
وَتَجْمُكَ مِنْ فَوْقِ الْكَوَاكِبِ طَالِعُ، * وَنَجْمُ أَمْرِي يُشْنَا سُمُوكَ آفِلُ!

أَلَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الَّذِي عَمَّ جُودُهُ : * فَدَتَكَ الْعَوَالِي وَالْجِيَادُ الصَّوَاهِلُ !
 تَمَّتْ بِعِيدِ النَّحْرِ ، وَافَاكَ خَاضِعًا * يُحَقِّقُ مِنْ دُنْيَاكَ مَا أَنْتَ آمِلُ !
 وَدُمَّ كَابِتِ الْأَعْدَاءِ وَأَبْقَ مُعَلِّدًا * عَلَى الْمَالِ عَالِيًا بِالرَّعِيَّةِ عَادِلُ !
 لَقَدْ رَاقَ مَدْحِي فِي مَعَالِيكَ مِثْلَ مَا * صَفَّتْ مِنْكَ أَوْصَافٌ وَرَقَّتْ شَمَائِلُ !

جعلهُ اللهُ أركانَ الأعيادِ وأُسعدَها ، وأيمنَ الأيامِ وأمجدها ، وأجملَ الأوقاتِ وألذها
 وأزغدها ، ولا يرحمُ سروراً مستبشراً ، منصوراً على الأعداءِ مقتدراً ، مسعوداً محموداً ،
 مصلحاً بالإنصافِ السَّامِ ، معضوداً مهيناً بالسُّعُودِ الجديدهِ ، والجُدودِ السَّعيدِ ، والقُوَّةِ
 والنَّاصِرِ ، والعُمرِ الطَّويلِ الوافرِ .

وَلَا زَالَتْ الْأَعْيَادُ لِبَسْطِكَ بَسْمَةً * [فَتَخْلَعُ] مَخْرُوقًا وَتُعْطَى مَجْدًا
 نَدَا الْيَوْمِ فِي الْأَيَّامِ مِثْلُكَ فِي الْوَرَى * كَمَا كُنْتَ فِيهِمْ أَوْحَدًا كَانَ أَوْحَدًا !

وأعادهُ على المولى في صحبةٍ دائمةٍ . وسلاميةٍ ملازمةٍ ، وأصنافٍ جديدةٍ مُطَّيِّبَةٍ الأرواحِ
 كسائرِ العبيدِ ، وعبيدِهِ في كلِّ يومٍ من المَسْرَةِ ببقائه لهم كالعيدِ ، والأيامِ بخصالِكِ
 المباسمِ ، والأعوامِ بنيلَةِ المَواصِمِ ، ومُتَعَبًا بِدَوَامِ حَيَاتِهِ . أَسْبَدَ مِنْ حَيْلِ حَيَاتِهِ
 وَأَسْتَحْلَا مَدَائِحِهِ بِأَنْشَادِ عَفَاتِهِ ، وَأَرَادَ نَحْرَ أَعَادِيهِ ، بَيْنَ يَدَيْهِ كَأَضَاحِيهِ ، وَأَرَادَ
 إِلْوًا بِأَبِيهِ غَافِرًا مَبْنِيَّاتِ الْإِفْلَاحِ ، وَالْإِعْدَامِ ، وَسَيِّئَاتِ الْخَيْرِ ، لَمْ يَنْزِلْ مِنْ عَمَلَاتِهِ
 أَلَيْسَ اللهُ مِنَ السَّادَةِ أَجْمَلُ سَلَامًا ، وَمَنْعَدٌ مِنَ الْمُحَارِمِ أَعْدَدٌ عَدَلًا .

الشمسُ السَّادِسُ . — التهنئة ب عيد الغدير من أعياد الشيعة .

وكان لهم به اهتمامٌ في الدولة الفاطمية بالديار المصرية . والطريقُ في التهنئة به

على نحو غيره من الأعياد .

(١) يابض بالأصل والتصحيح من المقام .

ما يصلح تهنئة لكل عيد .

أبو الفرج البغاء :

لولا العادة المشهورة ، والسنة الماثورة ، بالإفاضة في الدعاء ، والمشاغبة بالتهنئة
والثناء ، في مثل هذا اليوم الشريف قدره ، الرفيع ذكره ؛ لكان أيده الله دون رؤساء
الدهر ، وملوك العصر يجل عن التهنئة : إذ كانت سائر أيامه بما يودعها من أفعال
الخير معظمة ، وبما يبتئها من المحاسن مكرمة ، فبلغه الله أمثاله محروسا في نفسه
ونعمته ، محفوظا في سلطانه ودولته ؛ مؤفيا على أبعده أمانيه ، مدركا غايتها فيما يؤمله
ويرتجيه .

وله في مثله :

عرفك الله يوم هذا العيد وبركته ، وضاعف لك إقباله وسعادته ؛ وأحياتك لامثاله
في أسبغ النعم وأكملها ، وأفسح المند وأطولها ؛ وأشرف الرتب وأرفعها ، وأعز
المنازل وأيقعها ؛ وحرس سخطك من المحدث ، ووقى نيتك من عثرات الدهر .

الصنف السابع - التهنئة بالنسب .

وهو من أجل أعياد الفرس ، على ما تقدم ذكره في الكلام على أعياد الأئمة ،
في المقالة الأولى . وكان للكاتب به اهتمام في أوائل الدولة العباسية بالعرفان ، خصوصا
على ما كان عليه الفرس من قديم الزمان .

وفيه لأبي الحسين بن سعد :

هذا يوم شرفته العجم ، ورعى ذمامه الكرم ؛ وهو من أسلاف سيدي ذوى
النباهة ، وأخلافه ذوى الطهارة ؛ بين منشى رشمه ، ومؤدى حقه ؛ وكاس له بقبول

آنتسابه إليه جمالاً يبقى على الأيام، وحالاً ينفق بها لدى الأنام، فليس أحد أحق بالتهنئة [به] ممن سنه أبأوه، وشيئته الأود، فصارت إلى أوليته نسبه، وبكرم سجيته عصمته.

وفيه له : هذا - أيد الله سيدي - يوم عظمه السآف من العجم، وسيدي وارث سنة الكرم، وللسادة على العبيد في هذا اليوم رسم في الإلطف، وعليها لهم حق في القبول والإسعاف، وقد بعثت بما حضر جارياً على سنة الخدمة، وعادلاً عن طريق الحشمه، ومقتصرًا على ما اتسعت له الحال، وما يوجبه قدر سيدي من المبالغة في الاحتفال، فإن رأى أن يشرف عبده بالإحتمال إليه، وإجرائه مجرى الأئس عنده، فعل، إن شاء الله تعالى.

وفيه للكرجى :

هذا يوم تسمو له العجم، ويستعجم في العرب، تشريفا له وأعترافاً بفضله، وأقتداءً بأهله، وأخذاً بسنتهم فيه، فليهن لإحراز الدولة في العز [متزلاً] بحيث لا يرام، ولا يضام، ولا ترقى إليه الأمانى، ولا يطمع في مساواته المساوى، وإنهم بعد تصرم الدولة على حميد آثارها، وجميل الذكر فيها، أعلام تضرب بهم الأمثال، وتزهو بأيامهم الأيام، وآثارهم تفتنى، وأعيادهم تنتظر، يتأهب لها قبل الأوان، ويعرف فيها أثر الزمان، وإنك منهم في الذروة السامية، والرتبة العاليه، وبمحل لا عار معه على حرة في الخشوع لك، والتعلق بجميلك. وقد وجدت الأتباع عند ساداتها في مثل هذا اليوم على عادة في الإلطف جسمتها، وسيرت بها على أقوام منحتم ظهور الدعوى فيها، فأقبل قائلهم يقول : « لو كان باب الإهداء مفتوحاً غير مسدود،

(١) مراده أن العرب آتبع العجم في تعظيمه تأمل . (٢) قد بلغ التحريف من هذا مبلغه

حتى لا يكاد يفهم والمراد أن دولة الفرس أحرزت من العز متزلاً بحيث الخ تأمل .

وَمُبَاحًا غَيْرَ مَمْنُوعٍ ؛ لِأَتَحَفَّتْ بِالْفُرَابِ الْأَعْصَمِ ، وَالْكِبْرِيَّتِ الْأَحْمَرَ ، وَالْأَبْلَقِ الْعُقُوقَ ،
وَبَيْضِ الْأُنُوقِ . وَقَدْ بَعَثْتُ بِهَدِيَّةٍ لَا تُرَدُّ (يَعْنِي الدَّعَاءَ) .

وفيه : من كان محلّك من العزّ ، ونباهة الذّكر ، وأرتفاع الدرّجه ، وعلوّ المنزله ،
وسعة البلد ، وبعّد الأمد ؛ لم يتقرّب متحلّ بالسلم والأدب إليه في يوم جديد
إلا بصالح الدعاء ، وحسن الثناء .

وفيه : لو أخرنا هذا أنتظاراً لوجود ما استحقّه ، لأنقضت أيامنا ، بل أعمارنا ،
فبل أن نقضى لك حقاً ، أو نُؤدّي عن أنفسنا فرضاً : لأرتفاع قدرك عما تحويه
أيدينا ، وعلوّ حالِك عما تبلّغه آمالنا ؛ وقد أقديتُ بسنة الخدم والأولياء في الأعياد ،
وأوضحتُ العذر في ترك الاجتهاد ؛ وبعثتُ في هذا اليوم ، الذي أسأل الله أن يعيده
عليك ألف عام ، في تمام من العزّ ، وعلوّ من القدر ، وتمام من السرور ، ومزيد
من النعمة

الصفحة الثامن - التهئة بالمهرجات .

وهو أحد أعياد الفرس ، على ما تقدّم ذكره في المقالة الأولى ، في الكلام على أعياد
الأمم . وكان للكّتاب من الاحتفال بالتهئة به في أوائل الدولة العباسية ما لهم بالنيروز .

فيه - لأبي الحسين بن سعد :

لسيّدِي عليّ في الأعياد المشهورة ، والأيام الجديدة ؛ عادةً آخترتني عن بعضها
في هذا الفصل ، كلال الطبع عن البعض ؛ ووقوع الخطر (؟) بعرضه من الثناء نظماً
وثراً ، ومن الإهداء عرضاً وبراً ؛ دعاءً تزيد قيمته على الأعلق الثمينه ، وموقعه على
الذخائر النفيسه ، ولطفه على التحف البديعه ؛ فأسعد الله سيدي بهذا اليوم سعادةً
تقيم ، ولا تريم ؛ وتزيد ، ولا تبيد ؛ وتتوطن ، ولا تظعن ؛ وتجمع حظوظاً من

الخيرات ، وفوائد من البركات ، يتصلُّ سندها ، ولا ينتهي أمدها ، وأبقاه في أسبغ عِزِّ
وأرفع رُتبة وأرغد عيشة ، مكنوفاً بحراسة تقيه [وآله] عوادي الزمان ، وتصرف
عنهما طوارق الحدَثان ، ما طرد الليل النهار ، وطلع نجم وغار ، وعلى ذلك - أيد الله
سیدی - فإن الحِرْص على إقامة الرسم والتطير من إضاعة الحق بعثاني على مراجعة
القريحه ، وأستكداد الروية ، فأسعفا بما قبلته الضرورة ، ولم أطمع في إهدائه سلطان
الحِشمه ، وفضل سیدی يتبع لقبول الميسور ، وتحسين القبيح ، والله المعين على
تأدية حقه ، والقيام بواجب فرضه .

وله فيه أيضاً ، إن من منع أن تُهدى إليه فيه هدية .

لو كنت فتحت باب الإلطف ، ونهجت إليه سبيلا ، لتنازع أولياؤك قصب
السبق وتنافسوا في السرف ، فبان للجهت فضله ، وأتمس العذر في التقصير ملتئمسه ،
وعمت المنحة كآقتهم ، ما يظهر من موآقتهم ، وينكشف من أحوالهم ، لكنك
حظرت ذلك حظراً استوى فيه الفريقان في الحكم ، وأمتد فيه على ذوى الخلل
السرف ، ولم تحظر الدعاء ، إذ حظرت الإهداء ، فأنا أهديه ضرورة واختياراً ،
وإعلاناً وإسراراً ، فأسعدك الله بهذا العيد الحديد ، الذي زاد بك في قدره ، وشرفه
أن جعلك من أربابه وولاة أمره .

أبو الفرج البغاء :

هذا اليوم من عرر الدهور المشهوره ، وفضائل الأزمنة المذكوره ، معظم
في أنحاء الكسرى ، مستظرف في العصر العربي ، باعث على عمارة المودات ،
محسوس في الأساطير ، ثلاثيات ، راست أمتریده - أيد الله - من برؤيه .
لا أنصبي إلى يسديه ، في حمة من بسطته الأتسه ، ونفقه الخبه .

وَهَرَبْتُ مِنْهُ بِوَكِيدِ الْخِدْمَةِ ، فِي قَبُولِ مَا إِنْ شَرَفَ بِقَبُولِهِ ، كَانَ كَثِيرًا مَعَ تَلْتِهِ ، جَلِيلًا
مَعَ تَزَارَتِهِ ، فَإِنْ رَأَى أَنْ يَقْوَى مِنْهُ تَقِي ، وَيُقَابِلَ بِقَبُولِ مَا أَنْفَذَتْهُ رَغْبَتِي ، فَعَلْ ،
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وله في مثله :

فَدِ اطْعْتُ فِي الْإِنْبِسَاطِ إِلَيْكَ دَوَاعِيَ الثَّقَةِ ، وَسَلَكْتُ فِي التَّحَرُّمِ بِكَ سُبُلَ
الْأَنَسَةِ ، وَتَوَصَّلْتُ بِمَلَاطِفِكَ إِلَى حَسْمِ مَوَادِّ الْحِشْمَةِ ، فَاسْتَشْهَدْتُ عَلَى تَقِي بِكَ
فِي مَا أَنْفَذْتَهُ بِمُفَارَقَةِ الْحَفْلَةِ ، وَكَلَّفَ الْمُكَارَهَ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَكَلِّبَنِي فِي تَقْبَلِهِ إِلَى سَعَةِ
أَخْلَاقِكَ ، وَتَسَلِّكَ فِي ذَلِكَ أَخْصَرَ طَرِيقِي إِلَى مَا أَخْطَبُهُ مِنْ مَوَدَّتِكَ ، وَأَزَاحِمُ عَلَيْهِ
فِي إِخَائِكَ ، فَعَلْتُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وله في مثله :

هَذَا الْيَوْمُ - أَيُّدُ اللَّهِ سِيدِي - مِنْ أَعْيَادِ الْمُرُوءَةِ ، وَمَوَاسِمِ الْفِتْوَةِ ، وَأَوْطَانِ السَّرُورِ ،
وَمَحَاسِنِ الْأَزْمِنَةِ وَالذُّهُورِ ، بَلَّغَهُ [اللَّهُ] أَمْثَالَهُ فِي أَنْضُرِ عَيْشٍ وَأَسْبَغِ سَلَامِهِ ، وَأَبْسَطِ
قُدْرِهِ ، وَأَكَلَ مَسْرَهُ ، وَقَدْ تَوَثَّبْتُ إِلَى الْأَقْتِدَاءِ فِيهِ بِأَدْبِهِ ، وَالْأَخْذِ بِمَعْرِفَةِ فُرُوضِهِ
بِمَدْهِبِهِ ، وَأَطَعْتُ فِي الْإِنْبِسَاطِ إِلَيْهِ دَوَاعِيَ الثَّقَةِ ، وَأَنْفَذْتُ مَا اعْتَمَدْتُ فِي قَبُولِهِ
عَلَى مَكَانِي مِنْهُ ، عَائِدًا بِالتَّقْلِيلِ مِنْ كَلْفِ الْمُكَارَهَةِ ، وَمُسْتَثْقَلِ الْكُلْفَةِ ، فَإِنْ رَأَى أَنْ
يَأْتِي فِيهَا آتَمَسْتَهُ مَا يَنْبَسِبُ شَرَفَ طَبْعِهِ ، وَسَعَةَ أَخْلَاقِهِ ، فَعَلْ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وله في مثله :

لَمَّا كَانَتْ الْمَلَاطِفَاتُ بِحَسْبِ الرَّبِّ وَقَدَّرَ الْمَنَازِلَ ، لَمَّا آتَمَسْتُمْ قُدْرَةَ وَلَا أَلَمَسْتُمْ
إِسْكَانًا لَمَّا يَسْتَبِحُّهُ نَبْلُ سَمَاءِهِ ، وَوَجِبَاتُ رِيَاسَتِهِ ، وَرَبُّكُمْ مِنْ بَيْنِ مَلَكَمَتِهِ طَعِيفَتِ
الْمُنَّةِ عَنِ خِدْمَتِهِ فِي هَذَا الْيَوْمِ السَّعِيدِ ، بَلَّغَهُ اللَّهُ أَمْثَالَهُ فِي تَسْبِيحِ أَحْسَلِ ، وَأُجْوِجِ أَمَلِ ،

بما يخدمه به ذوو الخدمات الوكيدة عنده، المكيئة لديه، غير أنني أثق منه - أيده الله -
بجمل قليلي على علمه بإخلاص في ولاته، وانتسابي إلى جملته، واختلاطي بأنسابه،
فإن رأى أن يُجربني في قبول ذلك على سنة أمثاله من ذوى الجلالة، عند أمثالي
من الأولياء والحاشية، فعل .

وله في مثله :

لو كانت الهدايا لا تُقبل ما لم تُناسب في نقاسة القدر، وجلالة الذكر، محل من
يتقرب بها إليه، ومنزلة من أهداها إليه عليه، لما سمت همة، ولا اتسعت قدرة،
لما يستحقه - أيده الله - بأيسر واجباته، وأصغر مفترضاته، غير أن الأنسة
بتفضله، والاعتداد بسالف تطوله، والتحقق بخدمته، والانتساب إلى جملته،
بسطنى إلى إنفاذ ما إن شرفنى بقبوله كان مع قلته كثيرا، ومع نزارته جليلا، فإن
رأى أن يقوى بذلك منه ثقتي، ويحسم مادة احتشامى، فعل .

أجوبة التهئة بالمواسم والأعياد

قال في "مواد البيان" : هذه الكتب والرّاق مضمونها الهناء بالمواسم الجديد،
والدعاء للهناء فيه بجمليه . قال : وهذا المعنى مفاوض بين المهني والمهني، وينبغي أن
تكون أجوبتها مشتقة منها . ثم قال : وقد يتصرف الكُتاب فيها إذا كاتبوا الرؤساء
تصرفا يخرج عن هذا الحكم .

وهذه أمثلة من ذلك :

أبو الفرج البيهق :

سمع الله دعائك، وبدأ في تقبل المسألة بك، وأجزل من أقسامه حظك، وبلغك
أمثاله في أفصح مدد البقاء، وزاد فيما خولك من المواهب والنعماء، ولا أخلايني
من برك، وأنهنني بواجباتك .

وله في مثله :

كُلُّ يَوْمٍ أَسْعَدُ فِيهِ بِمُشَاهَدَتِكَ ، وَأَقْطَعُهُ فِي ظِلِّ مُوَدَّتِكَ ، حَقِيقٌ بِالْإِحْمَادِ ، مُؤَفِّعٌ عَلَى مَحَاسِنِ الْأَعْيَادِ ؛ فَسَمِعَ اللَّهُ دُعَاءَكَ ، وَأَطَالَ مَا شِئْتَ الْبَقَاءَ بَقَاءَكَ ؛ وَجَعَلَ سَائِرَ أَيَّامِكَ مَقْرُونَةً بِالسَّعَادَاتِ ، مُوصُولَةً بِتَنَاصُرِ الْبَرَكَاتِ .

من زهر الربيع :

يَخْدُمُ الْمَجْلِسَ الْعَالِيَّ جَعَلَ اللَّهُ قَدْرَهُ عَلَى الْأَقْدَارِ سَامِيًا ، وَجَزِيلَ نَوَالِهِ عَلَى مَنْ هَامَ بِهِ مِنَ الْعُقَاةِ هَامِيًا ؛ وَنَصَرَهُ نَصْرًا عَزِيزًا ، وَأَسْكَنَهُ مِنْ حِرَاسَتِهِ حِصْنًا حَصِينًا وَحِرْزًا حَرِيزًا ؛ وَلَا زَالَتِ الْأَيَّامُ حَالِيَةً الْجِيدَ بِوُجُودِهِ ، وَالْأَيْدِي تَهَشُّ إِلَى تَنَاوُلِ أَيَادِيهِ وَوُجُودِهِ ؛ وَأَخْبَارُ الْمَكَارِمِ عَنْهُ مَرْوِيَّةٌ وَإِلَيْهِ مَعْرُوقَةٌ ؛ وَأَيَّاتُ فَضْلِهِ وَفَضَائِلُهُ بِكُلِّ لِسَانٍ مُتْلُوَةٌ .

وَيُنْبِئِي إِلَى عِلْمِهِ وَرُودَ مُشْرِفَتِهِ الَّتِي حَلَّتِ الْأَسْمَاعَ عِنْدَ مَا حَلَّتْ ، وَسَمَّتْ عَنِ الرَّيَاضِ لَمَّا جَلَّتْ عَرُوسُ فَضْلِهَا وَجَلَّتْ ؛ وَزَهَتْ عَلَى زُهُورِهَا ، بِرَقْمِ سَطُورِهَا ؛ وَطِيبَ عَرْفِهَا وَنَشَرَهَا ، بِمَا فَاحَ مِنْ طَيْبِهَا عِنْدَ نَشْرِهَا ؛ وَفَائِقَ حُسْنِهَا وَبَهْجَتِهَا ، بِرَائِقِ بَرَاعَةِ عِبَارَتِهَا ؛ وَمَعَامَلَتِهَا بِمَا يَجِبُ مِنْ فُرُوضِ إِكْرَامِهَا وَالسَّنَنِ ، وَالْمَشِي فِي تَجْمِيلِهَا عَلَى الطَّرِيقِ الْمَأْلُوفِ مِنْ مُوَالَاتِهِ وَالسَّنَنِ ، وَعِلْمَهُ بِمَا أَشَارَ إِلَيْهِ مِنَ الْهِنَاءِ بِالْعِيدِ ، وَالْيَوْمِ السَّعِيدِ ؛ وَقَدْ تَحَقَّقَ بِذَلِكَ إِحْسَانَهُ الَّذِي مَا بَرِحَ مَتَحَقِّقًا بِجَمِيلِهِ وَجَزِيلِهِ ، زُشَاكِرًا لِكَثِيرِهِ وَقَلِيلِهِ ؛ وَحَصَلَتْ لَهُ الْبُشْرَى ، وَالْمَسْرَةُ الْكُبْرَى ؛ لَيْسَ لِلْعِيدِ بِمُفْرَدِهِ ، وَلَا لِهَذَا الْهِنَاءِ بِمُجْرَدِهِ ؛ بَلْ لِبَقَاءِ الْمَوْلَى وَدَوَامِ سَعَادَتِهِ ، وَتَخْلِيدِ سِيَادَتِهِ ؛ فَإِنَّهُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ عَيْنٌ وَلِكُلِّ عَيْنٍ إِنْسَانٌ ، وَهُوَ رُوحٌ وَالْأَيَّامُ وَالْأَنْامُ جُثْمَانٌ ، فَالْمَمْلُوكُ بِبِقَائِهِ كُلِّ

بشرى بعبادته غيباً جديداً، وبنهاية الحسد تسبيحاً، حرس الله شرفه الرفيع من
الأنوار، وأراه في تمام شهره، ثم انشأ وسلم، ففقه الحروف من اللذان، وأصاب
عنه كلها أيام فقام، وبإحدى معادته بغير حد، وأتوا به.

الثمانيه السادس

(التمتع من بالبرواح والتمتع من)

من كلام المفضل بن عمر

أبو الفرج البغدادي

وروي الله حسناً الإتيان، والعقد الجميد، وأحمد العواقب، وأبهر
البحر والمرايب، وجملة من تسررت به ما، وسبب أذكى بإقباله مستظلاً،
وعرفنا به تعجبات البركات، وبتأخر الشيرات، ولا أخلاق فيه من التهاى نجيباً،
الأولاد، وكتبته بآل، وعهدك سائر الحسنة، وذكاني النعمة الجليلة بإخائك،
وعضدي وسائر إخوانك بنائك.

وله في مثله :

فرون الله بالخيرة ما عتدت، وبالسعادة ما جدت، وبجميل العاقبة ما أفدت،
وعترفك بركات هذا الاتصال، ولا أخلاق فيه من مواد السعادة والإقبال، وعضدك
بالبررة من عتبتك، والسادة من ذريتك.

وله في مثله :

إني وإن كنت ملتحقاً بلحف مودتك، ومتمسكاً بعصم أخوتك، أولى بالتهنئة
بما يحدث لك من ورود نعمه، وأتصال موهبه، فإني ما أجد فرض الدعاء لك

ساقطاً ، ولا واجب الشكر لله تعالى على ما أولاني فيك زائلاً ، فعرفك الله بركة هذا
الاتصال الحميد ، والاتقان السعيد ، وجعله للسُرور مُكثراً ، وبالهن منبشراً ، وأحياك
للتهاني بمثله في السادة من ولدك ، والنجباء من ذريتك .

وله في مثله :

وصل الله هذا الاتصال الميوس بأريج البركات وأنظفها ، وأصح العيادات
وأكملها ، وأحمد بدأه وعقباه ، وبلغك الآمال في سائر ما تمناه ، وأحياك للتهاني
بأمثاله في البررة من ولدك ، والنجباء من عقبك .

من كلام المتأخرين :

للشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

جعل الله الخيرة له فيما يدره ويأتيه ، والنجاح مبروراً بما يُعيدُه من الأواسر ويؤيدُه
والألسننة شاكرة ما يوليه من الإنعام ويُسيديه ، صدرت هذه المقدمة مغرَّبة عن
ثناء تارج عرَّفه ، وولاء أعجز الألسنة شرحه ووصفه ، وتهنئة بهذه الوصلة المباركة
جعلها الله للاتصال بالسعادة سبباً ، ومحصلةً من الخيرات مرَّاماً وإفراً وأرباباً ،
وعرَّفه بركة هذا العرس الذي أصبح الخيرُ بفنائِه معرَّساً ، ونورُ الشمس من ضياء
بهجته مقتبساً ، فنحمدُ الله على هذه الوصلة سراً وجهراً ، ونشكره أن جعل بينه
وبين السعد نسباً وصهراً ، منح الله المولى الرفاء والبنين ، والعمر الذي يُفني الأيام
والسنين ، ورزقه إسعافاً دائماً وإسعاداً ، وأراه أولاداً أولاده آباءً بل أجداداً ،
إن شاء الله تعالى .

أجوبة التهئة بالزواج والتسرى

قال في "مواد البيان": أجوبة هذه الرقاع يجب أن تكون شكرا للهني على العناية والأهتمام، و[مشملة على] الإبانة عن موقع دعائه من التبرك والتمن به، إلا أن تكون البداية بمعنى يخرج عما هذا جوابه، فينبغي أن يجاب عنه بما يقتضى الإجابة عن ذلك.

الضرب السابع

(من التهانى التهئة بالأولاد، وهو على ثلاثة أصناف)

الصنف الأول - التهئة بالبين .

ما أورده أبو الحسين بن سعد في ترسله .

إنه ليس من نعم الله وفرائد قسمة وإن حسن موقعها، ولطف محلها، نعمته تعدل النعمة في الولد، لنائها في العدد، وزيادتها في قوة العضد، وما يتعجل من عظيم بهجتها، ويرجى من باقى ذكرها في الخلف والأعقاب، ولا حق بركتها في الدعاء والاستغفار .

ومنه : إنه ليس من النعم نعمته تُشبه النعمة في الولد، لزيادتها في قوة العضد، وحسن موقعها في الخلف والعقب، وأتصل بي خبر مولود فسرتنى ماوصل الله به من العارفة إليك، وشركتك في جميل الموهبة فيه شركة من له مالك وعليه ماعليك، وسألت الله أن يوزعك شكر النعمة ويؤنس بهذا المولود ربك، ويكثر به عددك، ويعظم بركته ويمن طائره عليك، ويزيد به في النعمة كذلك، ويفعل الله ذلك، بمنه وطوله .

وفيه لابي الحسين بن سعد الى ابي مسلم بن بحريه بنه با بن حدث له :
فاما ماجدد الله من النعمة في القادم والموهوب لك ولدا وأنسا ، ولنا سنندا
وذخرا ، فقد جل قدر هذه الموهبة عن أن يحاط لها بوصف ، أو يوفى لها بشكر .
وفيه لعل بن خلف :

وينهى أنه اتصل بالملوك بزوغ نجم سعد في مشارق اقباله ، مؤذنين بالنساق سموه
وجلاله ، فاحدث من الحلال والاستبشار بمقدمه ، والتبرك والتمن بقدمه ،
ماتللات على الملوك انواره ، وحسنت عنده آثاره ، وسالت الله تعالى راغبا إليه
في أن يعرفه سعادة مولده ، ويمن موفده ، ويجعله شادا لعضده ، وموريا لزندة ،
ويشفعه والسادة السابقين ، بنجاء متلاحقين ، يتباجون في نطاق سعادتة ، ويتوسمون
في آفاق سيادته ، ويصون سلكهم من الانقصام ، وشملهم من الانهدام ، ويبقيهم
عمررا في وجوه الأيام ، وأقمارا في صفحات الظلام ، بمنه وفضله ، إن شاء الله تعالى .

وفيه له : وينهى أن الملوك يشكر الله تعالى على ما أنزله عند مولانا من عوارفه ،
وأختصه به من لطائفه ، شكر من شاركه في النعمة المسبغة عليه ، وأتتهى إلى خبر
السند المتجدد لمولانا ، فطار الملوك بخوافي السرور ومقادير ، وأخذ من الاتيهاج بأوفى
قسمه ، وسأل الله تعالى أن يبارك له في عطيته ، ويردفه بزيادته ، ويوفر عدده ،
ويشد بصالح الولد عضده ، ويجنيه من هذا القادم ثمار المسره ، ويرى عينه منه
أقرقره ، ويشفع المنحة في موهبته بإطالة مدته .

وفيه : وينهى أن أفضل النعم موقعا ، وأشرفها خصرا وموزعا ، نعمة الله تعالى
في الولد : لزيادتها في العدد وقوة العضد ، وما يتعجل من عظم بحالها وزيتها ،
ويرجى من حسن مالها وعاقبتها ، في حفظ النسب والأصل ، وحسن الخلافة على

جَدَّدَ اللهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ لَهُ مَسْرَّةً وَبُشْرَى ، وَأَطَابَ لِحُوفَهُ عَمْرُقًا وَأَسْرَابَ وَشِدَّةً لَهُ
بَوْلَهُ السَّعِيدِ الْعَلَمَةِ أَزْرًا وَأَسْرَابَ وَسَرَّ بِه نَسْمُومٌ مِنَ الْهَلُوبِ وَأَصَابَ لِحُوفِهِ نَسْرَى ،
وَرَفَعَ دَرَجَتَهُ إِلَى سَمَاءِ الْمَعَالَى لِيُقَالَ : سُبْحَانَ مَنْ يَمْرُؤُهُ أَمْرَى .

الْمَرْوِيُّ بِحَسَامِ الْمَوْلَى وَبَيْتِهِ وَبُشْرَى ، وَيُطَابَهُ عَلَى مَا عَصَلَ لَهُ مِنَ الْبُرْجَانِ
لِلسَّبَبِ الَّذِي يَنْبِيهِ وَيَذَكِّرُهُ ، وَهُوَ أَنَّهُ أَنْصَلَ بِهِ قَادُومٌ لِمَسَارِئِلِ إِمْدَادِ الْبَشَرِ ،
وظهورُ سَيِّئِ الْفِرَّةِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ بِأَسْرَابِ مِنْ سُورَةِ الْبُقْعَةِ ، وَهُوَ الْوَيْدُ الْبُزْرِيُّ
الْمَوْفَّقُ الْبَجِيبُ ، فَلَاذًا ، أَبْدَأَ اللَّهُ تَعَالَى لِيَعْمَرَ مَشْكُورًا مُؤْمِنًا بِمَا سَأَلُوا مِنْهُ مِنْ جَدِيدِ
وَيْسَأَلُ سَعْدَهُ مَسْعُودًا ، وَأَنْ يَمْرُؤَهُ وَعَلَامَهُ ، وَأَنْ يَنْبِيَهُ وَفِيهِ شَرَفُهُ وَبِهَاءُ ، وَظَاهِرُ
مَنَاءِهِ وَبَسَاءُ ، وَأَرَادَ مِنْهُ أَنْ يَأْتِيَ السُّعُودَ فِي أَيْدِيهِ ، فَسَأَلَ الْبُقْعِيَّ بِبَيْتِهِ الْبُزْرِيَّ
السُّعُودَ وَالْإِسْمَاعِيلِيَّ ، وَأَنْصَحَهُ لَهُ فِي كَيْفِ عَسَابِ الْوَيْدِ ، فَسَأَلَ عَنْ كَيْفِ عَسَابِ
وَمَنْ يَنْبِيهِ عَسَابُ اللَّهِ تَعَالَى ، فَجَاءَ بِهُ الْوَيْدُ فِي عَمَلِهِ بِحَسَابِ الْوَيْدِ وَالْبُزْرِيَّ بِبَيْتِهِ
أَبْرَقًا فِي رِيَاضِ لَيْسَةَ فِي صِحَّةٍ وَسَلَامَةٍ ، وَيُجَدِّدُ فِي لِحَاءِ الْعَلَامَةِ دَارَ الْبُقْعَةِ ، وَبِهَاءُ
مِنَ السَّعَادَةِ دَرَجَةَ لَا تَرِيهِ عَالِيَةٌ وَلَا تَرَامُ ، وَتُخَضِّعُ خَلْقَ الْيَالِيِّ وَالْأَنْبَرِيَّ وَبُشْرَى لِحَا
بِهَاءِ الْبُزْرِيِّ وَيُطْعَمَانِهِمَا بِأَسْمَتِهِمَا ، وَيَفْهَمَانِ دَعَاءَ الْيَوْمِ لَهَا مِنْ حَمْدِ رِغَابِ وَيَسْعَادِ
مِنَ الْمَسْتَبَهِ ، مَخَاطِبَةَ لِأَبِيهِ ، وَمَنْشُدَةَ لِسَائِرِ أَهْلِهِ وَمَجِيئِهِ :

مَدَّ لَكَ اللهُ الْحَيَاةَ مَدًّا ، * حَتَّى تَرَى نَجْمَكَ هَذَا جَدًّا

الصفحة الثاني - التهئة بالبنات .

من كلام المتقدمين :

أبو الحسين بن سعد :

النَّعْمَةُ نِعْمَتَانِ : إِحْدَاهُمَا تُعَجِّلُ الْأَنْسَ ، وَالْآخَرَى تُؤَخِّرُ الْأَجْرَ ، وَعَلَى حَسَبِ

ما تَلَقَى به من الشُّكر على ظاهر المحبوب، والتَّسليم فيما يَجْرِي مجرى بعض المكروه؛
 يكون المتاع عاجلاً، والثواب آجلاً؛ وما قَدِّمْتُ القولَ [إلا] لما ظننته يعرض
 لك من الوجوم في هذه الموهبة، في المولودة التي أرجو أن يعظم الله بركتها، ويعملها
 أيمن مولود في عصرها، ودالةً على سعادة أبيها وجدِّها؛ و [لئن] كان في الطبع حبُّ
 الذكور والشَّغفُ بالبَّين، فإنَّ البين من البنات، وهُنَّ باليمن معروفة؛ وبالبركات
 موصوفات. وبالذُّكور في أثرهنَّ مبشرات؛ فهناك الله النعمة فيها تهنئة لا تنقضي
 سعادتها، ولا يعترض النقص والتقدير شيئاً منها؛ وأبقى هذه الصبيَّة ممتعا أبوها بها.
 ومنشأ له الحظ من حداتها؛ وبلغها أفضل مبالغ الصالحات القانتات من أمهاتها،
 وجعل في مولدها أصدق دليل على طول عمر أبيها وسعادة جدِّه، وتضاعف نعم الله
 عنده؛ إنه لطيف جواد.

أبو مسلم محمد بن بحر :

مرحباً ببيكر النساء، وبيكر الأولاد، وعقيلة الخباء، والمأمولة للبركة، والمشهورة
 باليمن؛ وقد جربناه فوجدناه معهوداً مسعوداً؛ والله يعرفك أضعاف ما عرف
 من قبلك، ويبارك لك فيما رزقك؛ ويثني لك بأخ للمولودة ويعمله رديفها.
 وفي الخير قرينها وشريكها.

علي بن خلف .

ويُنهي أنَّ المملوك أتصل به آرتما^(٢) مولانا بمقدم الكريمة الوافده، بطالع
 السعادة المتجدده؛ فعجب المملوك من وقوع ذلك من مثل مولانا مع كمال نبه،

(١) المراد به التضييق نظر التاموس .

(٢) يريد فلقه وعدم أنبساطه .

وشرف عقله وعلمه ؛ فإن الله تعالى جلّ اسمه يقول : ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاءً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾ وإن ما جتده الله تعالى من مواهبه جدير أن يتلقى بالسرور والفرح ، لا بالاستياء والترح ، لا سيما والذكر إنما يتفضل على الأنثى بنجابته ، لا بحليته وصورته ؛ وقد يقع في الإناث من هو أشرف من الذكور طبعاً ، وأجزل عائدة ونفعاً ؛ وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ” إذا رزق العبد الأنثى نادى مناد من السماء : يا أهل الدار أبشروا بالرزق ؛ وإذا رزق ذكراً نادى مناد من السماء : يا أهل الدار أبشروا بالعزيز ” فليستقبل مولانا الرزق بالشكر فإن العز يتبعه ، ولا يعارض الله تعالى في إرادته ؛ ولا يستقل شيئاً من هبته ؛ والله تعالى يعرفه بمن عهودها ، وسعادة قُدمها ؛ وأن يسره بعدها بإخوة متابعين متلاحقين ؛ يؤيدون أمره ، ويحيون بعد العمر الأطول ذكوره .

أبو الفرج البغاء :

لو كان الإنسان متصرفاً في أمره بإرادته ، قادراً على إدراك مشيئته ؛ لبطلت دلائل القدره ، وأستحالت حقائق الصنعه ؛ ودرست معالم الآمال ، وتساوى الناس ببلوغ الأحوال ؛ غير أن الأمر لما كان بغير مشيئته مضموعاً ، وعلى ما عنه ظهر في الإبتداء مطبوعاً ؛ كان المخرج له إلى الوجود من العدم ، فيما ارتضاه له غير منهم ؛ ومولانا - أيداه الله - مع كمال فضله ، وتناهي عقله ؛ وحده فطنته ، وثاقب معرفته ؛ أجل من أن يجهل مواقع النعم الواردة من الله تعالى عليه ، أو يتسخط مواهبه الصادرة إليه ؛ فيرمقها بنواظر الكفر ، ويسلك بها غير مذاهب الشكر .

وقد اتصل بالملوك خبر المولودة كرم الله غرتها ، وأطال مدتها ؛ وعرف مولانا البركة بها ، وبلغه أملها فيها ؛ وما كان من تغيره عند أتضاع الخبر ، وإنكار ما اختاره

له سابق القدر، فموجب المأول من ذلك وأنت كذا، من مولانا وأذكرك، لضيق العذر
 في مثله عذبه . وقد نعلم مولانا أنهز أقرّب إلى القسامة، وأن الله تعالى بدأ بين
 من الترتيب اتصال جلي من قائل . (رَبِّهِمْ لِمَنْ شَاءَ إِنَّا ذُرِّيَّتٌ لِمَنْ شَاءَ اللَّهُ كَوْرًا)
 وما سماء الله شبهة فهو بالشكر أولى، وجحسن التنبيل أخرى، ولكم نسب أذن،
 وشرف أمجد من من عرق الأضهار، والاتصال بالأخيار، والمنس من الذكر
 نجابته، لأصورتته وولادته، ولكم ذكر الأثني أكرم منه ملبعا، وأظهر منه نفا،
 فمولانا يصور الحال بصورتها، ويجدد الشكر على ما وهب منها، ويستأنف الاعتراف
 له تعالى بما هو الأشبه بصيرته، والأولى بمثله، إن شاء الله تعالى .

الصف الثالث - التهئة بالتوعم .

أحسن ما رأيت من ذلك قول بعض الشعراء مما كتب به إلى بعض أصحابه،
 وقد ولد له ذكر وأثنى من جارية سوداء، وهو قوله :

رَخَّصَكَ رَبُّ الْعَرْشِ مِنْهَا بِتَوْعَمٍ * وَمِنْ ظُلُمَاتِ الْبَحْرِ تَسْتَخْرِجُ الدُّرَّ
 وَارِكْ أَضْحَى وَإِرثًا عِلْمَ جَارٍ * فَأَعْطَاكَ مِنَ الْقَابَةِ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ

الأجوبة عن التهئة بالأولاد

قال في "مواد البيان" : أجوبة هذه الرقاع يجب أن تُبنى على شكر امتحان المهني
 ورعايته، والاعتماد بعنايته، وأن الزيادة في نجدد المهني [به] زيادة في عاقده، وأن
 تشبیه من أهرق السرور فيما ينل من إليه من المراهب كسببه، لتتسري بها إلى الإحسان،
 وتكونانها من السناء، وأن تراعى مع الله سرية النبي والنبي، وبين الخطاب على
 به تشبیه كقول مهنا .

وهذا مثال من ذلك :

زهر الربيع :

ويُنهي ورود الكتاب الذي تُشرف المسالك بورد ، وأسرفيت الأيام بتكال
سعوده ، وأرغم بلاغته معطس سوايه وحسوده ، فشكر أباي من أنعم بإرساله ،
وأكتسى بالوقوف عليه حلة من سُلال خمره وجماله ، وبالك إكراهه حتى وقفت
إجلالاً له بين يديه ، ثم تلا آيات حسنة على أذنيه ، فوجدته مستملاً على إحسان
لم يسبقه إلى مثله أحد ، ومن أودعها فيه فلا يحصيها حصر ولا عدد ، فتهيج بورد
رئيس الأشواق ، وتقلد بإنعام مسرسله كما قادت الحمايم بالأطواق ، ووجدت لوعة
لا يحسن وصفها لسان اليراع في الأوراق ، وعلم ما أشار إليه المولى من التهنئة
بالولد الجديد ، بل بأصغر الخدم والعبيد ، وما أبداه من الإبتهاج لميلاده ، وأظهره
من التفضل المعروف من آباءه الكرام وأجداده ، ولم لا يكون الأمر كذلك
والوالد مملوكه ، وهو مملوك السادة الأجلاء أولاده ، حرس الله بحده ومنعه بثوب
مكارمه ، وخفض قدر محاربه ورفع كلمة مسالمة ، ولا زال عمالكه تزيده
الأيام ، وسعادته باقية بقاء الأعوام ، وعين العناية تحرسه في حالي السفر والمقام ،
إن شاء الله تعالى .

الضرب الثامن

(من التهاني التهنئة بالإبلال من المرض والعافية من الشكر)

من ذلك :

ويُنهي أنه مازالت أجسام أهل النصاب ، تشدق في الأسماء والصفات ، كما تشدق
أنفسهم في التخالص والتوافي ، ولما ألم ببولانا هذا الألم الذي جعلنا

بإماتته ، ومن فيه على السؤدد بجراسة مولانا وحياطته ؛ فرأيتُه حالاً في جوارحي ،
مُحرقاً لجوانحي ؛ ممازجاً لأعضائي ، ممتكاً لأنوائِي ؛ ولئن كنتُ قد تممْتُ من ذلك
عباً ، وأرتقيت من تململه مُرتقىً تبعاً ؛ فلقد نخرتُ بمأستِه ، وأحمدتُ طبعي على
مُشاكلته ؛ وشكرتُ الله تعالى إذ جعلني شعبة من سرحته ، وجيلة من طينته ؛ وعلى
مأسرته من إقالته وإنعاشه ، ومُصافاته وإبشاشه ؛ وسألتُ الله تعالى أن يبقيه نوراً
يُوضَع مغربَ الدهر ومشرقه ، ودُراً يرضع فؤد المجد ومفرقه ؛ ويُحسن الدفاع عن
حَوْبائه ، وهو سبحانه يُجيب ذلك ويتقبله ، ويرفعه ويسمعه ؛ إن شاء الله تعالى .

وله في مناله :

المملوكُ يهنيُّ مولاه خاصةً إذ جعله الله تعالى من صفوة أوليائه ، وخالصة أحبائه ؛
الذين يتلهم أخباراً ، ويتأبهم اختياراً ؛ ليجمع لهم بين تمحيص وزرهم ، ومضاعفة
أجرهم ؛ والحض على طاعته ، والأصراف عن معصيته ؛ ويهنيُّ الكافة عامةً بالموهبة
في نوره المطلعة لأمل الإقبال ، المروية لمساحل الآمال ؛ ثم أعطف على حمد الله
على ما من به من إبلاله ، ويسره من استقلاله ؛ والرغبة إليه في أن يمنحه صحةً تُخلد
وتقيم ، وعافية ترهن ولا تريم ؛ وأن يحجيه من حوارض الأسقام ، ويصونه من حوادث
الأيام ؛ بفضلِه وجوده ، إن شاء الله تعالى .

أبو الفرج البيهقي :

أفضل ما يفرع إليه العبدُ الخالص ، والمولى المتخصِّص ؛ فيما ينوب سيده ويهم
ولي نعمته ، الدعاءُ المقترن بصدق النية ، وصفاء الطوية [فالحمد لله الذي من بالصحة
وتصدق بالإقالة ، وتدارك بجميل المدافعة ؛ وعم سائر خدمه أيده الله بالنعمة ، وأعادَه

(١) كذا في الأصل ولعله لأحساناً أو نحو ذلك .

إلى أجمل عاداته من السلامة والصحة ، فائزاً بمدخر الأجر ، متعبداً بمستأنف الشكر ،
فلا أخلاه الله من زيادة فيما يُوليه ، ولا قصدنا بسماع سوء فيه ، وحرص من الغير
مُهيجته ، ومن المحذور نعمته .

وله في مثله :

ما كنت أعلم أنّ عافيتي مقرونة بعافيتك ، ولا سلامتي مضافة لسلامتك ،
إلى أن تحققت ذلك من مشاركتي إياك في حالتَي الألم والصحة ، والمرض والمحنة ،
فالحمد لله الذي شرف طبيعى بمناسبتك ، وجمل خلقي بملاءمتك ، فيما ساء وسر ، وإياه
بعالى أشكر على ما خصني به من كمال عافيتك ، وسبورغ سلامتك وسرعة إقالتك ،
وبه - جل اسمه - أثق في مزيدك من تظاهر النعم ، وتوفر القسم .

وله في مثله :

ولولا أنّ متضمن كتابك قرن ذكر المرض الهاجم عليك ، بذكر ما وهبه الله لك
من عود السلامة إليك ، لما اقتصر بي الفتى على [ما] دون الأمير نحوك ، والمبادرة
لمشاهدتك ، غير أنّ السكون إلى ما أوداد كتابك سابق الجزع ، والطسائيدية إلى ما وهبه الله
من كفايتك حالت دون الطلع ، فالحمد لله الذي من بالإقالة ، وتصفق بالسلامة وعم
بالكفاية ، وهو ولي حراستك وحراستي نيك .

وله في مثله :

سيدنا في سائر ما يدكره الله من هجوم أليم مؤدى بصحة ، وأراض نعمة منيرة
منعته ، سر موق العافية ، محروس من الله جل اسمه بالحفظ ، واستكراهه من الله
فائز بمدخر الأجر ، ومع العافية موقق لإستعادة الشكر ، بالحسن الذى عقد الأجر
ببقائه ، وشفى من الرمال بشفاؤه ، وكفاه استراض الخريف ، وحوارخص الدهر وطمس .

وله في مثله :

ما أنفردَ جِسْمُكَ بِالْعِلَّةِ دُونَ قَلْبِي ، وَلَا آخْتَصَّتْ نَفْسُكَ - حرسها الله تعالى -
بمُعَانَاةِ الْمَرَضِ دُونَ نَفْسِي ؛ وَلَمْ أزلْ بِالْقَلْبِ تَالِيَا ، وَفِي سَائِرِ مَا شَكُوتهُ بِالنِّيَّةِ مُسَاوِيَا ؛
إِلَى أَنْ كَشَفَ اللهُ الْغُمَّةَ ، وَأَقَالَ الْعَثْرَةَ ، وَنَفَسَ الْكُرْبَةَ ؛ وَمَنْ بِالسَّلَامَةِ ، وَتَصَدَّقَ
بِالْكِفَايَةِ ؛ وَأَوْجِبَ بِالْعَافِيَةِ عَلَيْنَا جَمِيعًا فُرُوضَ الشُّكْرِ ، بَعْدَ مَا أَدَّحَرَهُ لَكَ بِالْأَلَمِ مِنْ
كَثْرَةِ الْأَجْرِ ؛ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ حَمْدًا يُؤَدِّي إِلَى حِرَاسَةِ مَا خَوَّلَكَ ، وَيُؤَدِّنُ بِالْمَزِيدِ
فِيَا مَنْحِكَ .

ومن كلام المتأخرين :

أَعْلَى اللهُ قَدْرَ الْجَنَابِ الْفُلَانِي ، وَلَا زَالَتْ شُمُوسُ أَيَامِهِ لَا تَخَافُ كُسُوفًا وَلَا أَفُولًا ،
وَأَقْمَارُ لِيَالِيهِ تَغْرَسُ فِي قُلُوبِ أَوْلِيَائِهِ وَمَحَبِّهِ فُرُوعًا وَأَصُولًا .

المملوكُ يَخْدُمُ خِدْمَةً مَنْ تَحْمَلُ جَمِيلًا ، وَنَالَ مِنْ تَفَضُّلِ الْجَنَابِ الْكَرِيمِ جَزِيلًا .

وَيُنْهِى مَا حَصَلَ لَهُ مِنَ الشُّرُورِ بِعَافِيَةِ مَوْلَانَا ، فَالشُّكْرُ لِلَّهِ عَلَى مَا جَدَّدَ مِنَ النِّعْمَةِ
التَّامَّةِ ، وَسَمَّحَ بِهِ مِنَ الْكِرَامَةِ الْعَامَّةِ ؛ حِينَ أَعَادَ الْبَدْرَ إِلَى كَمَالِهِ ، وَالشُّرُورَ إِلَى أُنْتَمٍ
أَحْوَالِهِ ؛ وَمَا كَانَتْ إِلَّا غَلْطَةً مِنَ الدَّهْرِ فَاسْتَدْرَكَهَا ، وَصَفْقَةً خَارِجَةً عَنْ يَدِهِ فَمَلَّكَهَا ؛
فَقَرَّتْ بِذَلِكَ الْعُيُونُ ، وَتَحَقَّقَتْ فِي بُلُوغِ الْأَمْلِ الظُّنُونُ ؛ وَأَنْجَبَرَ قَلْبُهُ بَعْدَ مَا وَهَنَ ،
وَعَادَ جَفْنُهُ بَعْدَ الْأَرْقِ إِلَى الْوَسَنِ ؛ وَقَالَ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ﴾ .
وَلَقَدْ كَانَ يَتَمَنَّى الْمَمْلُوكُ لَوْ فَازَ مِنَ الرَّؤْيَةِ الشَّرِيفَةِ بِحِظِّ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ ، وَتَمَلَّى بِمَشَاهِدَةِ
وَجْهِهِ الْكَرِيمِ فَإِنَّ فِيهِ الْبُغْيَةَ وَالْوَطْرَ .

والمملوكُ فما يُعَدُّ نَفْسَهُ إِلَّا مِنَ الْمُحِبِّينَ الَّذِينَ بَدَّلُوا نَفْسَهُمْ لِمَحَبَّتِهِ وَأَعَدُّوْهَا ؛ وَاللَّهُ
تَعَالَى يُسِّرُ الْأَوْلِيَاءَ بِتَضَاعُفِ سُعُودِهِ ، وَيُدِيمُ بِهِجَةَ الْأَيَّامِ بِمِيمُونِ وُجُودِهِ ؛ وَيُطِيلُ

في مدته ويحرسها من الغير، ويحرس أحوال مزاجه الكريم على القائلون المعتبر،
ويكفي أوليائه ومحبيه فيه كل مكروه وحذر، إن شاء الله تعالى .

من زهر الربيع :

ولما شكوت، أشتكى كلُّ ١٥ * على الأرض وأهترشقي وغربُ!

لأنك قلبٌ لحسَم الزمان * وما صحَّ جسمٌ إذا اعتَلَّ قلبُ!

حرس الله جنابه، وأسبل عليه رداء السعد وأثوابه؛ ومتعه برود العافية وجلبابها،
وفتح له إلى نيل السعادة سائر أبوابها؛ ومنحه الكفاية والأمن في سره، والعافية
في جسمه من قلق كل مريض وكربه؛ وجمع له بين الثواب والأجر، وجازاه بمجزيل
الغفران عن جميل الصبر .

المملوك يبشر نفسه ومولاه بما من الله به من صحة مزاجه الكريم، والإبلال من
مريض كاد يدير كئوس الحمام على كل صديق حميم؛ ويحمد الله على عافيته حمداً
جزيلاً، ويشكره عليها بكرة وأصيلاً؛ فإنه قد عوفي لعافيته المجد والكرم، وزال عنه إلى
أعدائه الألم؛ فالمولى حفظ الله^(١) صحته من السقم، وحماه من ألم ألم؛ وجعل سعادته
تترأد على ممر الأنفاس، وجسده سالماً من الأذى كسلامة عرضه من الأذناس؛
إن شاء الله تعالى .

لشيخ جمال الدين بن نباتة :

وقى الله من الأسواء شخصه الكريم، وشمله النظيم؛ وقلب محبه الذي هو في كل
وادي من أودية الإشفاق بهم .

(١) لعله حفظ الله على المولى صحة الخ .

ولا زالت الصحة قرينه حتى لا يعتل في منزله غير مرور النسيم . ويصف شوقا
يزيد بالأنفاس وقدا، ويجدد للأحشاء وجدا، ويباشر القلب المغرم فيمد له من
عذاب الانتظار مدا .

وينهى أنه جهز هذه الخدمة نائبة عنه في استجلاء وجه أكرم الأوجه ، وتصا في
اليد التي أقلام كتبها في شكوى العباد أطبه ، مبدية إلى العلم الكريم أنه مع ما كان
يكابده من الأشواق ، ويعالجه من خواطر الإشفاق ، بلغه ضعف الجسد الموق ،
وعارض الألم الذي استطار من جوانح المحبين بوقا ، فلا يسأل الجنب الكريم عن
قلب تألم ، وصدر صامت بالمهموم ولكنه بجراح الأشجان تكلم ، ولسان أنشد :
ألا ليتني حملت ما بك من ضنى * على أن لي منه الأذى ولك الأجر!

ثم لطف الله تعالى وعجل خبر العافية المأمولة ، والصحة المقبلة عقيب الدعوات
المقبولة ، فيالها مسرة شملت ، ومبرة كتبت ، وتهنئة جمعت قلوب الأوداء ورحمت ،
وأعضاء قدتها عيون المها فتقلت عنها صفات السقام وحملت ، وعافية حولت إلى
قلوب الأعداء المرص ، وجوهر جسد طاهر زال [عنه] بأس العرض ، فهينئنا له
هذه الصحة المتوافرة الوافية ، والحمد لله ثم الحمد لله على أن جمع بين حصول الأجر
ووصول العافية ، وعلى أن حفظ ذاته الكريمة وحفظها هو المقدمة الكافية الشافية :

وتقسم الناس المسرة بينهم ، قسما فكان أجلهم قسما أنا!

وانته لسان يسبح عليه ضلال نعمه ، ويحفظه حيث كان في نفسه وأهله وخدمه ،
وكما سر الأحيات بغير عافية كذلك بشرهم ببيان مقدمه .

أجوبة التهئة بالإبلال من المرض والعافية

قال في "مواد البيان" : أجوبة هذه الرقاع يجب أن تكون مبنية على وصف الألم وصورته وما تفضل الله تعالى به من إماتته ، وشكر المهني باهتمامه وعنايته .

وهذه أمثلة من ذلك :

من زهر الربيع :

أدام الله نعمته ، وشكرمته ، وأدال دولته ، وأعلى قدره وكلمته ، وحتم على الألسنة شكره والقلوب محبته . ولا زالت التهانى من جهته وإفده ، والبشائر وإراده ، وينهى ورود الكتاب الذى أعدته يد المعالى فعاد كريما ، وشاهد محسن منظره فصار وجهه وسما ، وأنه وقف عليه ، وأحاط علما بكل ما أشار المولى إليه ، فذكره أنسا كان بخدمته لم ينسه ، وجدد له وجدا ما زال يجد في قلبه ونفسه عينه ونفسه ، ونشر من مآثره المانوره ، وفضائله المرقومة في صفائح الصحائف المسطوره ، ماشف به وشرف ، وشوق إلى لقائه وشوف ، وأقام البرهان على ذكى فطنته ، وزكى فطرته ، وعلم ما أنعم به وتفضل ، وأحسن وتطول : من تهئة المملوك بالإبلال من مرضه ، والبرء من سقمه ، والتخلص من يدى وجعه وألمه ، وسرورود كريم مشرفته ، أعظم من سروره بلباس ثوب عافيته ، وبدوام مجده وسعادته ، أكثر من صحة مزاجه وأستقامته : فإن مكارم المولى كالحدايق الناظرة ، ومزلاته أعز في القلوب من الأحداق الناظرة .

فالحمد لله الذى من بالعافية من ذلك المرض ، والداء الذى ألم بعرضه فاحتوى منهما على الجوهر والعرض ، وطال حتى أسامه من نفسه وعواده ، وآيسه من الحياة

لولا لطف الله والله لطيف بعباده ، وهذا بركة المولى ودعائه الذى كان يرفعه
والخواطر والأسماع مع بُعد الشقة تشهد به وتسمعه ، جعل الله التهانى مع الأبد
واردة منه وإليه ، وشكر إنعامه وأتم نعمته عليه ، إن شاء الله تعالى .

قلت : وكتبتُ للمقر العلائى علاء الدين الكركى وهو يومئذ كاتب السر الشريف
فى الدولة الظاهرية «برقوق» فى سلطنته الثانية ، وقد برأ من مرض نظما :

أفديه من جسد قد صح من سقم * فبات جوهره خال من العرض !
فاستبشرت بعلى القوم شيعته * ومات حاسده بالسقم والمرض !

الضرب التاسع (التهنئة بقرب المزار)

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

قرب الله مزاره ، وأذنى جواره ، وأعان أعوانه ونصر أنصاره . ولا زالت
الأنفُس لقربه مسروره ، ورايات مجده فى الملا الأعلى وأحزاب الإسلام بهيبته على
أعداء الدين منصوره .

المملوك يقبل الباسطة العالية بسط الله ظلها ، وشكر على الأولياء فضلها . وينهى أنه
أتصل به طيب أخباره ، وقرب مزاره ، فتضاعف شوقه ، وتزايد توقه ، وهيجت
صبايته لاجه ، وسهلت إلى نيل المسرة طرقه ومناجه :

وأبرح ما يكون الشوق يوماً * إذا دنت الديار من الديار !

فإنه يقرب من أمد التلاقى بعيدا ، ويجعل رداء الاجتماع بخدمته قشيبا جديدا .

الضرب العاشر

(التهنئة بنزول المنازل المستجدة)

فمن ذلك [من إنشاء] علي بن خلف :

أشرف المنازل رُقعهُ ، وأترفها بُقعه ، وأرفعها رفعه ، ما آتخذهُ مولانا لنفسه
موطنًا ، وجعله بنزوله فيه حرماً آمناً ، وصيره مُحْصَب مكارمه للعفاة مرادًا ومقصدًا ،
وبمُعذِب نوافله للظماة مشرعًا وموردًا ، وللشؤدد مجده معقلاً ، وللرياسة بشرفه
مترلاً ، والله تعالى يجعل هذه الدار التي تديرها وحلها ، وخطبها رحله ونزلها ، ماهولةً
ببقائه ، آمنةً بسبوغ نعمائه ، عامرةً بسعادته ، مشيدةً بتناصر عزه وزيادته ، لا تُخطئها
حوائم الآمال ، ولا تُخطأها ديم الإقبال ، ويُعرفهُ من بركتها ، ويمين عتبتها ، ما يقضى
بامتداد الأجل ، وأنفساح الأمل ، وبلوغ الأمان ، وأتصال التهانى ، بمنه وكرمه ،
إن شاء الله تعالى .

ومن ذلك :

ويُنهى أنه قد اتصل بالملوك تحوُّل مولانا إلى المنزل المنشأ الحديد ، ذى الطالع
السعيد ، والطائر الحميد ، فسألتُ الله تعالى أن يبوتَهُ منه المبتوأ الكريم ، ويمتعه فيه
بالدعة والنعيم ، والنماء والمزيد ، والعيش الرغيد ، ويجعله واصلاً لحبله ، ماهولاً
بأهله ، ويعرفهُ بركة عتبه ، ويملكه بيهائه ونضارته ، وحصل للملوك السرور بأن بلغه
الله الوطر ، فى سكنى ماعمر ، وأنالهُ الأمل والالتذاز بخدمته ، والسرور باقتضاض
عُذرتِهِ ، إن شاء الله تعالى .

ومن ذلك .

مولانا - أسمع الله بوجوده - غنى عن الهناء بمنزله يتزله ومحلُّ يحلُّه ، إذ الله
سبحانه وتعالى قد كثر أوطانه وأدره ، وبلغه فى تمام عمارتها وأنفساحها وطره ،

وخصه بأفضليها معاناً ، وأشرفها مكاناً ، والمستوجب في الحقيقة للهناء هو الرضيع الذي اختاره داراً ، وأرضاه ، حقواً ، وعرف المملوك أنتقاله - لازل ينتقل في بروج السعد ، ويأوي إلى ظلي الليل من المجد - إلى الدار الفلانية لازلت جامعة لشمله . مانوسة بأهله ، فعان عن خدمته بالهناء ، إلى إخلاص الدعاء ، بأن يعرفه الله تعالى بمنها وبركتها ، ويريه يقابلها وسنادتها ، ويقرب تحوله إليها بأمن طائر ، وأبرك طالع ، فإن للحركات أوقافاً ، وده ومدمومة : فإذا أعنى الله تعالى بعبد من عبده ، وفرض له نصيباً من تأييده ، وفقه للحركة في الزمن السعيد ، والوقت الحميد ، لتكون مصيره مشاككة لمباديه ، وأعجازه مشابهة لهوآديه ، والله تعالى يجعل بابها محطاً للقصد ، ومناخاً للوقاد ، وساراً للعفاء ، وملاذا [للعناء ^(١)] ويصل بها حبله ، وينشئ بها طفله ، ويضاعف باستيطانها أنسه ، ويسر بتبوتها نفسه ، إن شاء الله تعالى .

أبو الفرج البيهقي :

أسعد المنازل وأشرف المواطن ما استوطنه أيده الله وتبواه ، وتخيره لنفسه وأرضاه ، فغدا بسخطيمه وطرف الإقبال ، وبفائض كرمه حرم الآمال ، وبشرفه السؤدد معقلا ، وببئله للرياسة منزلاً ، فعرفه الله بمن هذه الدار المعمورة بحلول البركات ، المحفوفة بتناصر السعادات ، وجعلها وكل ربع يقطنه ، ومحل يسكنه ، مبشراً بامتداد بقائه ، وأهلاً بالزيادة في نجاته .

وله في مثله :

كل وطن يحثه - أيده الله - ويقطنه ، ومحل تخيره ويسكنه ، مقصود بالشكر والثناء ، أهل بالحمد والدعاء ، لا يتخطاه متوارد الآمال ، ولا تنقطع عنه مواد الإقبال ؛

(١) بياض بالاصل والتصحيح من المقام .

ولذلك صار هذا المنزل السعبد من فضائل الأرض ومحاسنها ، وتجمع الآمال وتعادنها ،
فعرفة الله يُمَنِّه وبركته ، وإقباله وسعادته ، وقرن انتقاله إليه بأسبغ نعمه ، وأكمل
سلامة وأبسط قدرة وأعلى رتبة .

وله في مثله :

عرفه الله [من] بركة هذا المنزل المورده ، والفناء المقصود ، ما يوفي على سالف
ما أولاه من تكامل البركات ، وتناسر السعادات ، وجعل مستقره فيسه مشرونا بنحو
الحال . وتتابع الإقبال ، في أفصح المدد وأطولها ، وأنجح المطالب وأفضلها ، وعمر
أوطان المكارم بإقباله ، وعظم الأمانى بالتساع نجاته .^(١)

أجوبة التهئة بقرب المزار ، وتزوي المنازل المستجدة

قال في "نواد البيان" : أجوبة هذه الرقاع يجب أن تنبؤ على الاعتماد لله تعالى
بتهنئه ، والشكر له على تودده ، والأبتهاج بهائه ، والتبرك بدعائه ، وأن المستجدة غير
مباين لتزله ، ولا خارج عن أحكام محله ، وأن تمام بركته ، أن يؤنس فيه بمراتبه ،
وما يشابه هذا .

الضرب الحادى عشر

(نواد التهانى ، وهي خمسة أصناف)

الصنف الأول - تهنة الذمى بإسلامه .

فمن ذلك ما أورده أبو الحسين بن سعد فى ترسله ، وهو :

وما زالت حالك ممثلة لنا جميل ما وهب الله فيك حتى كأنك لم تزل بالإسلام
موسوما ، وإن كنت على غيره مقيا ، وقد كُنا مؤملىن لما صرت إليه ، ومُشفقين لك

(١) لعله ببقائه ليناسب السجع الذى بعده .

مما كُنْتَ عَلَيْهِ ، حَتَّى إِذَا كَادَ إِشْفَاقُنَا يَسْتَعْلَى عَلَى رَجَائِنَا ، أَنْتِ السَّعَادَةُ فِيكَ بِمَا لَمْ تَزَلِ
الْأَنْفُسُ تَعِدُّ مِنْكَ ، وَنَسَأَلُ اللَّهَ الَّذِي تَوَرَّكَ فِي رَأْيِكَ ، وَأَضَاءَ لَكَ سَبِيلَ رُشْدِكَ ،
أَنْ يُؤَهِّلَكَ لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَأَنْ يُؤْتِيكَ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَيَقِيكَ عَذَابَ النَّارِ .

ومن ذلك ، من كلام أبي العيَّان :

وَلَتَهْنِئَتِكَ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ فِي أُخُوَّةِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالتَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ ؛
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَوَّزَ قِدْحَكَ [وَأ] عَلَى كَعْبِكَ ، وَأَنْقَذَ مِنَ النَّارِ شِلْوَكَ ؛ وَخَلَّصَكَ مِنْ لَبْسِ
الشُّكِّ ، وَحَيْرَةِ الشُّرْكِ ؛ فَاصْبَحْتَ قَدْ اسْتَبَدَلْتَ بِالْأَذْيَارِ الْمَسَاجِدَ ، وَبِالْآحَادِ الْجُمُعَ ؛
وَبِقِبْلَةِ الشَّامِ ، الْبَيْتَ الْحَرَامَ ؛ وَبِتَحْرِيفِ الْإِنْجِيلِ ، صِحَّةَ التَّنْزِيلِ ؛ وَبِأَوْتَانِ
المُشْرِكِينَ ، قِبْلَةَ الْمُوَحِّدِينَ ؛ وَبِحُكْمِ الْأُسُقُفِّ رَأْسِ الْمُؤَلِّحِينَ [حَكَم] أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ؛ فَهَنَّاكَ اللَّهُ مَا نَعَمَ بِهِ عَلَيْكَ ، وَأَحْسَنَ فِيهِ إِلَيْكَ ؛ وَذَكَرَكَ شُكْرَهُ ،
وَزَادَكَ بِالشُّكْرِ مِنْ فَضْلِهِ .

أجوبة التهنية بإسلام ذمي

قال في "مواد البيان" : أجوبة هذه الرقاع ينبغي أن تكون مبنية على شكر المهني
للمهني ، وأعتراه بنعمة الله تعالى عنده ، وأبتهاجه بما زجته في الدين ، الذي جعل الله
أهله إخواناً متصافين ، وخُلَّاناً متوافين ، ومنَّ عليهم به ، وبإماطة الحسائيف من
قلوبهم ، ونحو هذا .

الصنف الثاني - التهنية بالختان ونحروج اللحية .

فمن ذلك تهنية لأمير بختان ولدين له :

فمن خصائص ما حباه الله بعد الذي قدم له في نفسه - نفس الله مدتها ، ووسع
له مهلتها - أنني الأعداد دون فنائها ، والأعمار دون نصرمتها وأنتهاها : [من] الفضائل

(١) خدانت جمع حسيقة وهي الضغينة والسخيمة أظن اللسان في ج ١٠ مادة ح س ف .

المشهوره، والمحاسن المذكوره، والمناقب الماثوره، وأقسام الفضل الذى ينقضى
دون تصرُّم (؟) منازلَه وصف الواصف إذا أفرط، ويتهى دون أئسرها أمل الآمل
إذا اشتط... ما وهب الله له من أولادٍ سادية فضلهم فى الأخلاق والصُّور، وأكلهم
فى الأجسام والمرر، وقدمهم فى العقول والأفهام، والقرايح والألباب، ولم يجعل
للعيب فيهم سيمه، ولا للإناث بينهم شركه، حتى يكون مسلماً لهم قصب العلاء
والفاجر، وصدور الأسرة والمنابر، من غير منازع، ولا مقارع، ولا مساهم،
ولا مقاسم، وزادهم من النماء فى النشء والبركة واليمن بما يؤذن الحاضر منه بالغابر،
ويدل البادى على الآخر، وعدا من الله تعالى ذكره لهم بأوفى السعادات، وأكمل
الخيرات وأعلى الدرجات، أرجو أن يجعل الله النجح قرينه، والنجاة ذريعته،
وما أولاه فيهم فى هذه الحال الحادثة التى يعِدق الله بها أداء الفريضة، وكمال
الشريعة، ويقع التطير بالختان، الذى جعله الله من شروط الإيمان، وفرضه على
جميع الأديان : من السلامة على عظم الخطر، وشدة الفرر، فى إمضاء الحديد على
أعضاء ناعمه، وإيصال الألم إلى قلوب وادعة، لم تُعَارِع نصبا، ولم تُعانِ وصبا،
وأجتمع فيه إلى رقة الصبا، وضعف الأسر والقوى، أعتياد الرحمة، ومخالفة الترفه
والتنقل بين الشهوات، على أن كل واحد من الأميرين شهد المعركة أعزل حاسرا،
وباشر الحرب مغترا مخاطرا، فثبت لوقع السلاح. وصبر على ألم الجراح، وأبلى
بلاء الفارس المدجج، والكبي المقنع، ثم خرج خروح شبل الليث، وفرخ العقاب،
كالقدح المعلق والشهاب الساطع، والنجم الثاقب، وكان فلان أكثرهما تغيرا فى وجه
قرنه، وسسطة على منازلِه، وكل قد حصل فوق الحصل، وحوى فضيلة السبق،
وأستحق اسم البأس والشدة، وحية البسالة والتجده.

ومن ذلك ما أورده ابن الحسين بن سعد في كتابه :

الحمد لله الذي كساك باللبية سُرَّةَ الرِّقَاعِ ، وودَّ لك رِدَاءَ ذِي السَّمِّيتِ مِنَ الْأَرَارِ
والأخيار ، وهما لك عزٌّ يبيِّنُ الصَّوْمَ ، ويطالعُ أُنْسَ الحَوَى ، ويطا جلالك من اللحية
المبيَّدة ، واللبسك من لباسِ قَدْوَى النَّسْرِ ، واللبسك في مَدَى قَاتِلِهِ مِنْ يَسْتَقْبَلُ
بِعَمَّةِ سَائِحِيهِ ، وَيَسْتَعْنِي تَحْتَهُ حَمِيْقَطَا ، وَجَعَلَ مَجْمَعَهُ مِنْ صَوْرَتِكَ ، وَكَلَّ
أُذُنَيْكَ وَاللِّبْسَ ، وَقَرَّنَا لِمَنْ مَلَأَتْهُ ، وَخَصَّمَا لِمَنْ نَارَعَكَ ، وَفِي عَدَابِ لَيْلَةِ الْإِحْتِزَارِ ، مِنْ
أَحْلِ الْمَرِيْبِ وَالْأَخْطَارِ ، تَسْتَوِي [بِهِمْ] فِي الْجَاهِلِيِّ الطَّافِيهِ ، وَتَجْرِي تَجْرَاهُمْ فِي الْمَشَاهِدِ
الْمُتَمَعِّهِ ، مَسْمُوعًا تَوَلَّكَ إِذَا قَدَّرْتَ ، وَصُغْفَى بِكَ إِذَا نَعَلْتَ ، بِأَمَّا مِنْ أَنْصَرَفَ
تَلْأَبْصَارِ عَنَّا لِقُرْبِ بِلَادِكَ ، وَمِنْ [عَدَمِ] الْإِحْتِجَاجِ بِمَدِينِكَ لِقَبْلَةِ الثَّقَةِ بِمَدَائِكَ ، وَجَارِيًا
تَجْرِي تَحْتَهُ الرِّجَالُ عَنِ الْإِسْلَامِ ، وَبِأَنَّ كَشْفَ اللَّهِ تَحَارِيرَكَ مِنَ الْعَدُوِّ ، وَتَحْتَهُ
الْمَهَابَةِ مِنَ الدَّاعِي الْعَانِي . وَمِنْ السَّبْعِ النَّوَارِي ، وَوَلَوْ كَالْعَارِ مِنْ هَذِهِ الْكُفْرَةِ
الشَّرِيفَةِ ، وَبِالْحَلِيَّةِ الْمَلْحُوفَةِ ، وَبِالسِّيْقَةِ إِلَى الْأَزْدِيَّةِ الْعَلِيَّةِ ، وَبِالسِّيْقَةِ بِالْمَنْوَبِ
وَالْأُسْنِ ، وَبِأَصْنَافِ الْحَيَوَانِ ، مِنَ الْبَيْضَةِ وَالْإِنْسَانِ ، ثُمَّ لَا يُحْسِنُ مِنْ نَفْسِهِ قُوَّةً عَلَى
الدَّفْعِ عَمَّا رَأَى مِنْ صَرَغَتِهِ شَبَانًا ، وَبِأَنَّ مَلَى دَهَانِيهِ ، وَتِلْكَ نَعْمَةٌ مِنْ اللَّهِ جَلِي وَعَزَّ حَبَاكَ
بِحُرَّةِهَا فِي بَحْلِ غَشَاكَ ، وَكَلِّ أَمَّاكَ ، فَلْيُصَدِّقْ بِأَعْتِرَافِكَ وَشُكْرِكَ ، وَلِيُحْسِنْ شَاوُكَ
وَأَشْرُكَ ، قَضَاءً لِحَقِّ اللَّهِ عَلَيْكَ ، وَأَسْتَعِذُّ بِرَأْفَتِ الْمُرِيدِ مِنْ إِحْتِمَالِهِ إِلَيْكَ .

الخصمف الثالث - التبيسة بالمرض .

أبو الفرج تبييناً :

في ذكر الله سيدي بهذا العارِض - أَمَاطَهُ اللَّهُ وَصَرَفَهُ ، وَجَعَلَ صِحَّةَ الْأَبَدِ خَلْفَهُ -
بِأَنَّ عَلَى ملاحظته إِيَّاهُ بِالْعَتَابَةِ ، بِإِنْفِطَالِهِ مِنْ سِنَةِ الْإِنَّمَا ، إِذْ كَانَ تَعَالَى لَا يُدْكَرُ

(١) غنى فلان فلانا أناه كغشاء يخشوه . قاموس .

بطُروق الآلام، وتنبیه العِظَات ، غير الصَّفوة من عِبَادِهِ ، الخيرة من أوليائه ؛ فهناك
الله الفوز بأجر ما بعانيه ، وحمل عنه بالطافه ثِقَل ما هو فيه ؛ وأعقب ما اختصه
من ذخائر المثوبة والأجر بعافية تقتضيه ؛ ولا سلب الدنيا جمال بقائه ، ولا ثقل ظله
عن كافة خدمه وأوليائه .

الصنف الرابع - التهنئة بالصرف عن الولاية .

أبو الفرج البهلاء :

مَنْ حَلَّ مَحَلَّهُ - أيداه الله تعالى - من رُتَب الرِّياسة والنُّبُل ، كان معظماً في حالتي
الولاية والعزل ؛ لا يندح في قدره تسيُّر الأحوال ، ولا ينقله عن موضعه من الفضل
تنقل الأعمال ؛ إذ كان استيعاشها للضائت من بركات تطرد ، بحسب أنسها كان
بما أفادته من محمود أثره . فهناك الله نعمة الكفاية ، وأوزعه شئراً ما احتساره من
الزَّاهة والصَّيانه ؛ ولا أخلاه من التوفيق في سائر متصرفاته ؛ وإحيرة الضامنة
لعواقب إراداته .

وله في مثله :

لو كان مستحاث الأعمال ومستجهد الولايات زيادةً على ما اختصك به
من كمال الفضل ، ومأثور النبيل ؛ سناذرتنا انتقال ذلك بانتقال ما كنت بحولك بحمد
كفائتك ، وتحوطه بنواظر نرايتك ورسيايتك ؛ غير أن الله تعالى جعل
متممها ، وبالجماد متخصمها ؛ فالأسف على ما كنت عليه من الولاية ؛ فلو
تقلده بك لالك ؛ ولذلك كنت بالصرف عنها من غير أن يكون لك
مشكورا ؛ فلا أخلاك الله من تواسل الآله ، وتظلمهم نعمائه ؛ وفي سائر
وتمضيه ، وتعمده وترتيد .

أبو الحسين بن سعد - عمن تولى عملاً إلى من صرف عنه :
 قد قلدت العمل بناحيك ، فهناك الله تجديد ولايتك ، وأنفذت خيفتي لخلافتك ،
 فلا تخله من تبصيرك وهدايتك ، إلى أن يمن الله بزيارتك .

تهنئة بصرف عن ولاية :

لو كانت رئاسة سيدي مجيبة من عروش الولايات ، وسيادته خارجه عن سانج
 التصرفات ، لأشفق أولياؤه من زوالها بمزايلتيهما ، وحذروا من أنتقالهما بنقلهما ؛ لكن
 ماوسم به من الكمال ، وعلا به من رتب الجلال ؛ موجود في غريزته وجود الفيرند
 في السيف المأثور ، والألاء في النور ؛ وإذا تصرف ، أورد الله الرعية من مشارعها
 نطافا ، وأسبغ عليهم من نملها عطافا ؛ وإذا أنصرف غير مسبل تقلص ، وعيش
 رائع تنقص ؛ والأسف على العمل السليب من حلل سياسته الفاضله ، العاطل
 من حلل سيرته العادله ؛ ولهذا أصبح - أيده الله - بالعزل مبتهجا مسرورا ، كما كان
 في الولاية محمودا مشكورا ؛ وأنطلقت السنة أولياته ، في هنائه ، بما وهبه الله من الرفاهية
 والدعة ، وحطه عنه من الأثقال المقلقة ؛ ولا سيما وقد علم الخاص والعام أن الأعمال
 إذا ردت إليه ، وعول فيها عليه ؛ تسلم المودع وديعته ، والناشد ضالته ؛ وإذا عدل
 فيها إلى غيره تناولها تناول الغاصب ، وأستولى عليها أستيلاء السالب ؛ فلا تزال نازعة
 إلى ربها ، متطلعة إلى خطبها ؛ حتى تعود إلى محلها ، وترجع إلى نصلها ؛ والله تعالى
 أسأل أن يقضى لمولانا ببُلُوغ الأوطار ؛ إن شاء الله تعالى .

أجوبة التهنئة بالصرف عن الولاية والحذمة

قال في "مواد البيان" : يجب أن تكون أجوبتها مبنية على شكر الأهتمام والاعتداد
 بالمشاركة في الأحوال ، مع وقوع ماورد من الخطاب الموقع اللطيف ، وما ينتظم
 في هذا السلك .

جواب مَنْ ورد عليه كتابٌ من ولى مكانه في معنى ذلك .

فمن ذلك :

ما أنصرفت عني نعمةً أُهديت إليك ، ولا خلوتُ من كرامةٍ آسملتُ عليك ؛ وإني لأجدُ صرْفِي بكَ ولايةً ثانيه ، وحلَّةً من الوزرِ واقيه ؛ لما أمله بمكانك من حميد العاقبة وحسن الخاتمة .

الصفحة الخامس - تهنئة من تزوجت أمه بزواجها .

قد تقدم في أول المقالة الأولى في حكاية حائك الكلام مع عمرو بن مسعدة وزير المأمون ، أنه قال يُكتب إليه :

أما بعد ، فإن الأمور تجري على خلاف محابِّ المخلوقين [والله يختار لعباده] ، فخار الله لك في قبضها [إليه ، فإن القبور أكرم الأَكفاء] والسلام .

أبو الفرج البغدادى : وقد أمره سيف الدولة ابن حمدان بالكتابة في معنى ذلك امتحاناً له :

مَنْ سَلَكَ إِلَيْكَ - أعزك الله - سبيلَ الأِنْبِساطِ ، لم يستوعر مسلكاً من المحاطبة فيما يحسن الأقباض عن ذكر مثله . وأتصل بي ما كان من خبر الواجبة احق عليك ، المنسوبة بعد نسبتيك إليها إليك - وفر الله صياتها - في اختيارها مالولاً أن الأنفس تتناكره ، وشرع المرءة يحظره ؛ لكنت في مثله بالرضا أولى ، وبالاعتداد بما جتده الله في صياتها أخرى ؛ فلا يسخطك من ذلك مارضية وجوب الشرع ، وحسنه أدب الديانة ؛ ومباح الله أحق أن يتبع ، وإياك أن تكون ممن لمَّا عدم اختياره تسخط اختيار القدر له ، والسلام .

(١) تقدم في ج ١ ص ١٤٢ "وزير المعنم" .

(٢) الزيادة مما تقدم في ج ١ ص ١٤٥ .

النوع الثاني

(من مقاصد المكاتبات التعازي)

قال في " مواد البيان " : المكاتب في التعزية بالأحداث العارضة في هذه الدنيا واسعة المجال ؛ لما تضمنته من الإرشاد إلى الصبر، والتسليم إلى الله جلّت قدرته، ودليلية التعزى عما يُسأبه بمشاركة السابقين فيه، ووعدده بحسن العوض في الجزاء عنه؛ لئلا فير ذلك عما يتعظم في هذا المعنى . قال : والكتاب إذا كان جيد الغريزة حسراً التأتى فيها . بلغ المراد . ثم قال : وحكمها حكم التهنئة من الرئيس إلى المرؤوس ومن المرؤوس إلى الرئيس . ومن النظر إلى النظر .

ثم التمزية على أسرب :

الضمرب الأول

(التمزية بالآين)

أبلغ ما كتبت به في ذلك ما كتب به النبي صلى الله عليه وسلم ، إلى معاذ بن جبل ، فعزّياً له بابن له مات ، فيما ذكره أبو الحسن بن سعد في ترمذه ، وأبو جعفر النحاس في صناعة الكتاب ، وهو :

« من عبد رسول الله إلى معاذ بن جبل »

« سلام عليك » فإني أحمد ربك الذي لا إله إلا هو .

« أما بعد ، فعظم الله لك الأجر ، وأتممك الصبر ، ورزقنا وإياك »

« اللهم ثم إننا أقمنا وأهلينا ومواليينا من مواهب الله السنية ، وصواريفه »

(١٠) في أمواتنا ، ورواية المستطرف ورواية ابن أبي عمير .

«المستودعة، تمتع بها إلى أجل معدود، وتقبض لوقت معلوم»
 «مهم أقرض علينا الشكر إذا أعطى، والصبر إذا ابتلى، وكان أبناك من»
 «مواهب الله الهنيئة، وعوارفه المستودعة» (١) «متعمك به في غبطة وسرور»
 «وقبضه منك بأجر كبير: الصلاة والرحمة والهدى إلى صيرته»
 «وأحسنبت؛ فلا تجعن عليك يا معادن خصلتكم (٢) إن شجوا بكم»
 «صبرك فتندم على ما فاتك؛ فلو قدمت على تواب صبرك فقد ألتصرت»
 «ربك وتجزت موعوده، عرفت أن المصيبة قد قصرت عنه، وأعلم»
 «أن الجزع لا يرد ميتا، ولا يدفع حزنا؛ فأحسن الجزاء وتجز الموعود»
 «وليدهب أسفك ما هو نازل بك فكان قد»

من كلام المتأخرين:

تعزية بولد . من إنشاء الشيخ جمال الدين بن تباته، وهو بعد الألقاب .
 وأحسن عزاءه بأمر فقيد، وأحب محبوب، وهو أبو عروضة الحسين المصير جلالته
 التي سئلت عن الأسي فقالت: ثابت ويريد . صدرت منه المارضية الشهيرة .
 سلاما يعز عليه أن يتبع بالتعزية، وثناء يسق عليه أن يطارح حمام تجبه المطربة
 بحام الشجو المبكية المنكية، وتوضح لعلمه ورود مكاتبه المولة، فرفقتا بريا الأنا
 الدمنة ماوقفت، ونواظر الإشفاق عليه وعلى من عنده طرفة عين .

(١) في أصولنا بالفاء، ورواية المستطرف (وعواربه) أي بالياء جمع عارية .

(٢) أي فقد التواب وفقد الولد . وإليه يشير من عزى عمر بن عبد العزيز بابته فقال:

وعوضت أجزا من فقيد فلا يكن . فقيدك لا يأتي وأبرك يذهب

وعلمنا ما شرحه ولم يشرح الصدر على العادة - من وفاة الولد فلان، سقى الله عهدَه
والحداد، ونضرو وجهه وتغمد بالرضوان خاله وخذه، وما بقى إلا التمسك بأسباب
الصبر، والتفويض إلى من له الأمر، والدنيا طريق والآخرة دارٌ ودهليزها القبر،
والله من تشبهه وازرع، والاجتماع بالأحبة الراحلين واقع، إن لم يصيروا إلينا صرنا
إليهم، وإن لم يقدموا في الدار الفانية علينا قدمنا في الدار الباقية عليهم، نسأل الله
تعالى أن يجمعنا في مستقر رحمته، ويحضرنا مع الأطفال أو مع المتطفلين ولائم جنته،
والله تعالى يدارك بالصبر الجميل قلبه، ولا يجمع عليه فقد الثواب وفقد الأحبه.

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

رزقه الله تعالى ثباتاً على رزقته وصبراً، وجعل له مع كل عسر يسراً، وأبقاه
مفلساً بالأنفس والنفائس، وكان له أعظم حافظ من نوب الدهر وأجل حارس،
الملوك ينهب علمه بهذه النازلة التي فتت القلوب والأبصار، وكادت أن تفرق
بين الأرواح والأجساد، وأذالت ذخائر العيون، وأبتذلت من المدايع كل مصون،
وأذابت المهج تحرقاً وتلهباً، وجعلت كل قلب في نارٍ الأسي والأسف متقلباً،
وهي وفاة ولده الذي صغرسنه، وتزايد لفقده هم الملوك وحزنه :

ونجارك لا يبكي على قدر سنه * ولكن على قدر الخيلة والأصل !

وكان الأمل يحدث بأنه يشد للمولى أزره، ويشرح بيرة صدره، ويؤثل مجده،
ويبقى الذكر الجميل بعده، ففقد من بين أترابه، ونوى عند ما أبع غصن شبايه،
وأنظره الويسيم في لحده وترايه، وسيدنا يعلم أن الموت منهل لا بد من ورده،
وإن آدم زرع لا بد من حصده، وأن المنية تشمل الصغير والكبير، والخليل والحقير،

(١) هو مصدر كالورود عن ابن سيدة أظن اللسان (ج ٤ ص ٤٧١) .

والغنى والفقير؛ فينبغي له استعمال صبره ، والاستبشار بمضاعفة أجره ؛ والله يمتعه
بأهله وطول عمره .

وله :

لهني وما هني عليك بنافع ! * كلاً ولا وجدي ولا حرقاتي !
يا من قضى فقضى سروري بعده * وتحذرت أسفاً له عبراتي !
عقد التجلد حلقها فرط الأسي * والقلب موقوف على الحسرات !
لو كنت ممن يشتري أو يفتدي * لفديت بالأرواح والمهجات !
كنت المعد لنصرتي في شدتي * فقضى الحمام بفرقة وشتات !
والله لا أنسيت نذبك والبكا * أبداً مدى الأنفاس واللحظات !
ويسوءني أن عشت بعدك ساعة * أسفاً لفقدك ميتاً وحياتي .

أعظم الله أجر مولانا ومنحه صبراً جميلاً ، وأجراً جزيلاً ، وثناءً عريضاً الشقة
لثباته على هذه الفادحة طويلاً ؛ وجعل هذه الرزية خاتمة الرزايا ، ومحصة جميع
الذنوب والخطايا ؛ ولا يجمعه بعدها في قرّة عين ، ولا أورد محبوباً شغف به قلبه الكريم
منهل الحمام ولا سقاء كأس الحين .

المملوك يقبل البساط الذي ماقي لنشر المعدلة مبسوطاً ، وكل أمل بیره منوطاً .
وينهى إلى العلم الشريف علمه بهذه المصيبة التي أضابت فؤاد كل محب فأصمته .
وطرقت سمع كل ولي فأصمته ؛ وولجت كل قلب فأحرقته صبابه وحزنا .
على الصلدة فصدّعته ولو كان حزناً ؛ وهي وفاة فلان سقى الله عهدته ، وأسكن الرحمة
تراه ولحده ؛ فشق أسفاً على المفقود جيب كل جنان وطوى الأجداد على جراحها ،
وحسّر الأجساد على أرواحها :

وَمَا هِيَ إِلَّا نَكْبَةٌ أَوْ نَكْبَةٌ * أَهَاجَتْ سَعِيرًا فِي الْحَشَا يَتَلَهَّبُ !
 فَلَا جِسْمَ إِلَّا بِالتَّحَرُّقِ ذَائِبُ * وَلَا قَلْبَ إِلَّا فِي الْأَسَى يَتَقَلَّبُ !
 بَكَى كُلُّ جَفْنٍ مَضْرَعِ السِّيفِ فَأَغْتَدَّتْ * عَيُونَُ عَلَيْهِ فِي الْأَبَاطِحِ تَسْكُبُ !
 لَقَدْ هَالُ عُدَالِي بُكَائِي تَعْجَبًا * وَإِنْ بُكَائِي بَسَدَ فَتَسَدِيهِ أُعْجَبُ !
 فَلَو رَأَى قَسٌّ وَصَفَّ حُزْنِي وَلَوْ عَتِي * لَقَصَّرَ فِي أَوْصَافِهِ حِينَ يُسَهَّبُ !
 فَوَاللَّهِ لَا جَفَّتْ جُفُونِي مِنَ الْبُكَاءِ * وَإِنْ زَادَ عُدَالِي الْبِتَابِ وَأَطْنَبُوا !

ولهذا أصدر المملوك هذه المطالعة يدعو لمولانا فيها ويعزيه ، ويندب فقيده بالسنة
 الأفلام ويبكيه ، ويبشره بما وعد الله الصابرين على مثل مصيبه الرزية ويسأله
 فيا لها نازلة فحقت بفصن رطيب ، وقمر يرقل من الشيبية في ثوب قشيب ، وصعدت
 القلوب بفقد حبيب وأي حبيب :

والمسوت نقاد على كفه * جنواهر يختار منها الأبياد !

وبعد ، فالمملوك في هذه الرزية مشاركة كادت تبين بين روعه والحسد ،
 وهو المصيب هذه المصيبة ما تجده الواهية على فقد الولد ، لا يستقر به قرار ، ولا يجبه
 من يد الحزن فرار ، دأبه البكاء والعيول ، وحزنه العريض الطويل ، فوا أسفاه
 عن حمل هذا المصاب ، ووا أسفاه على مسافر لا ينتظر له قدوم ولا إياب ، ووا عجباه
 ليضدين اجتماعا لوالده الكريم الجناب !

تَحُونُ الْمَنَايَا عَهْدَهُ فِي سَلِيلِهِ * وَتَنْصُرُهُ بَيْنَ الْفَوَارِسِ وَالرَّجُلِ !

بَكَى كُلُّ مَالٍ فَهُوَ أَجْدَرُ مِنْ أَسْتَعَانَ عَلَى هَذِهِ الْأَعْيُنِ ، وَتَمَرَحَ لِمَا قَدَّرَ
 فَسِيحَ صَدْرُهُ ، وَشَكَرَ اللَّهَ عَلَى حُلُوِّ الْقَضَاءِ وَمَرَّهُ ، فَمَا كَانَ إِلَّا أَحَدَ الْعَمَرِينَ قَدَّرَ
 نَخْلَفَهُ عُمَرُ ، وَثَانِي الْقَمَرِينَ أَفَلَّ فَمَقَامَ مَقَامِهِ مَلَالٌ تَدُمُ مِنْ سَفَرٍ ، وَفِي بَقَاءِ الْمَوْلَى

ما يُوجب التسليم للقَدَر والقَضَاء ، والشُكْر لله تعالى في حَالِي الشَّدَّة والرِّخَاء ، جملة الله في حِرْز لا يزال حَرِيْزاً مَكِيناً ، وَحِصْنٌ عَلَى مَمَرِ الأَيَّامِ حَصِيْنًا .
وله : أعْظَمَ اللهُ أَجْرَهُ ، وَأَطَالَ عُمْرَهُ ، وَشَرَحَ صَدْرَهُ ، وَأَجَزَلَ صَبْرَهُ ، وَسَمَّرَهُ دَهْرَهُ .

المملوك يُنْهَى أَنَّهُ أَتَّصَلَ بِهِ خَيْرٌ صَدَعَ قَلْبِهِ ، وَسَرَقَ رُقَادَهُ وَوَلَبَّهُ ، وَضَاعَفَ أَسْفَهُ وَكَرَّبَهُ ، وَهُوَ [موت] فَالان تَعَمَّدَهُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ ، وَأَهْمَى عَلَيْهِ سَحَابَ مَغْفِرَتِهِ ، وَعَامَلَهُ بِلُطْفِهِ ، وَجَعَلَ الْخَيْرَ لَهُ فِي حَقِّهِ ، فَشَقَّ ذَلِكَ قَلْبَهُ وَعَظَّمَ عَلَيْهِ ، وَقَارَبَ لِشَدِيدِ حُرْزِهِ أَنَّهُ يَصِلُ إِلَى مَا وَصَلَ الْمَرْحُومُ إِلَيْهِ ، لِكِنَّةِ ثَبَتِ نَفْسِهِ وَثَبَّتْهَا ، وَرَفَعَ يَدَهُ بِالْإِدْعَاءِ لِلْوَلِيِّ وَبَسَطَهَا ، وَسَأَلَ اللهُ أَنْ يُطِيلَ بَقَاءَهُ ، وَيُحَسِّنَ عَزَاءَهُ ، وَيَحْرُسَهُ مِنْ أَرْمَاتِ الزَّمَانِ ، فَإِنَّهُ إِذَا سَلِمَ كَانَ النَّاسُ فِي السَّلَامَةِ وَالْأَمَانِ ، وَيَجْعَلُهُ عَنْ كُلِّ فَائِتٍ عَوْضًا ، كَمَا أَصَارَهُ جَوْهَرًا وَجَعَلَ غَيْرَهُ مِنَ الأَنْفَامِ عَرَضًا ، وَلَقَدْ جَلَّتْ هَذِهِ الرِّزِيَّةُ عَلَى كُلِّ جَنَابٍ ، وَدَخَلَ حُرْزُهَا إِلَى كُلِّ قَلْبٍ مِنْ كُلِّ بَابٍ ، جَعَلَ اللهُ أَجْرَهُ لِلْوَلِيِّ مِنْ أَعْظَمِ الدُّخَائِرِ ، وَمَنَحَهُ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ الَّتِي لَا تَنْتَهِي إِلَى أَمَدٍ وَلَا آخِرٍ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

الضرب الثاني

(التعسرية باليفت)

من كلام المتقدمين :

ابن أبي الحصال المغربي :

الشيخ فلان عَزَّاهُ اللهُ عَلَى أَحْتِسَابِهِ ، وَجَعَلَ الثَّرَايِبَ الْمُرْتَقِبَ أَفْصَلَ أَقْتِنَانِهِ وَأَكْتِسَابِهِ . مُعْزِّيهِ عَنْ فِلْدَةِ كَيْدِهِ ، وَسَاهِمُهُ فِي أَرْقِهِ وَسَهْمِهِ ، وَالْفَنَاتِ فِي عَضُدِ صَبْرِهِ الْجَمِيلِ وَجَلَدِهِ ، فَالان فَإِنَّ كِتَابَهُ - كَتَبَ اللهُ لَكُمْ خَيْرًا يَذْهَبُ جَزَعَكُمْ ،

وَحَسَنَ مَنجَاكُمْ بِالتَّفْدَى الْجَمِيلِ وَمَنْزَعَكُمْ - عِنْدَ مَا وَصَّيْتَنِي وَفَاةُ أَبْنَيْكُمْ الْمَرْحُومَةِ نَفْعَهَا اللَّهُ
بِإِيمَانِهَا، وَتَلَقَّاهَا بِرُوحِ الْجَنَّةِ وَرِيحَانِهَا، وَهِيَ - أَعَزُّكَ اللَّهُ - وَإِنْ أَمَلَكَ فَقُدُّهَا،
وَأَوْجَعَكَ أَنْ أَسْتَأْثَرَبَهَا لِحُدُّهَا، فَلْيُعَزِّكَ عَنْهَا مُصَابِنَا بِنَبِينَا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَعَلِمُكَ بِأَنَا
بِجَمِيعَا بِمَدْرَجَةِ الْحَمَامِ، أَفْتَجِدُ عَلَى الْأَرْضِ خَالِدًا، وَقَدِيمًا نَكُنَّا وَلِيدًا نَجِيبًا وَوَالِدًا،
فَمَنْ خُلِقَ لِلْفَنَاءِ، وَأَخْتَلِسَ بِمَرِّ السَّاعَاتِ وَالْآثَانِ، جَدِيرٌ أَنْ يَتَّعِظَ بِنَفْسِهِ، وَلَا يَحْزَنَ
لِذَهَابِ مَنْ ذَهَبَ مِنْ ذَوِي أُنْسِهِ، فَاحْمَدِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذْ رَجَحْتَ مِيزَانَكَ، وَضَمِنْتَ
لَكَ يَوْمَ الْمَعَادِ جَنَّاتِكَ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَرْزُقُنَا أَحْتِسَابًا جَمِيلًا وَصَبْرًا، وَيُؤْنِسُكَ وَقَدْ
آخْتَارَكَ الصَّهْرَ قَبْرًا، وَيَعْظُمُ لَكَ ثَوَابًا جَزِيلًا عَلَى مُصَابِكَ وَأَجْرًا، وَيُعْمُ فَقِيدَتَكَ
بِالرَّحْمَى، وَيَسْكُبُ عَلَى جَدِّهَا مَرْئِيهَا الْأَوْكْفَ الْأَهْمَى، وَيُؤْوِيكَ إِلَى كَنَفِهِ الْأَعْظَمِ
الْأَهْمَى، بِمَنَّةٍ وَرَحْمَةٍ، لَا رَبَّ غَيْرَهُ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

الضرب الثالث

(التعزية بالأب)

من كلام المتقدمين :

ابن أبي الخصال معزيًا بوزير :

يَا سَيِّدِي وَوَاحِدِي، وَمَحَلُّ الْإِبْنِ الْمُبْرُورِ، وَالْأَخِ الْمَشْكُورِ، عِنْدِي، أَعَزُّكَ اللَّهُ
بِالتَّقْوَى، وَرَضَّاكَ بِمَا قَضَى، وَأَمَدُّكَ بِالنُّعْمَى، وَشَمِيْلِكَ بِالْحُسْنَى، كَتَبْتَهُ - أَعَزُّكَ اللَّهُ
وَقَدْ وَصَلَ كِتَابُكَ الْكَرِيمَ بِمَا نَفَذَ بِهِ الْقَدْرَ الَّذِي هُوَ فِي الْعِبَادِ حَتْمٌ، وَلَهُ فِي كُلِّ عُنُقٍ
خَتْمٌ، فِي الْوَزِيرِ الْفَقِيهِ الشَّهِيدِ أَبِيكَ كَانَ، رَحِمَهُ اللَّهُ وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ، وَجَعَلَ الْحُسْنَى
الَّتِي أَعَدَّهَا لِأَوْلِيَانِهِ مَقَرَّهُ وَمَأْوَاهُ، فَاسِفَتْ كُلُّ الْأَسْفِ لِفِقْدَانِهِ، وَقَدْ كَانَ عَيْنَ زَمَانِهِ،

وَعُمْدَةٌ إِخْوَانِهِ ؛ تَعَمُّدُهُ اللَّهُ بِفُقْرَانِهِ ، وَتَقْلُهُ إِلَى رِضْوَانِهِ ؛ وَتَلْكَ - أَعَزُّكَ اللَّهُ -
 غَايَةُ الْأَحْيَاءِ ، وَسَبِيلُ الْأَعْدَاءِ وَالْأَحْبَاءِ ؛ كَانَ عَلَى رَبِّنَا - جَلَّ وَجَلَّ - حَتْمًا مَقْصِيًّا ،
 وَوَعْدًا مَأْتِيًّا ؛ وَالْأَسْوَةُ - أَعَزُّكَ اللَّهُ - فِي عَمْرِهِ الْفَضْفَاضِ ، وَبِرِّهِ الْفَيَاضِ ، وَأَنَّهُ نَحَّمَ لَهُ
 بِالْخَيْرِ وَالْإِتْقَانِ ؛ وَكَانَ آخِرَ ذَلِكَ [الْحَسْبُ] الْقَدِيمِ ، وَالْجَلِيلِ الْكَرِيمِ ؛ وَقَدْ أَمَرَكَ الْخَيْرَ
 فَافْعَلْ مَا أَمَرَتْ بِهِ وَكُنْ كَمَا ظَنَّكَ وَقَدَّرَكَ وَتَرَكَ ؛ وَإِنَّكَ بِفَضْلِ اللَّهِ تَسْتَسِدُّ سَمْتَهُ ،
 وَتَبْلُغُ فِي كُلِّ فَضِيلَةٍ حُضْرَهُ السَّابِقِ وَشَدَّهُ ، وَتَعِدُّ لِلْأَيَّامِ مِنَ الْجِدِّ وَالْإِعْتِرَافِ مَا أَعَدَّهُ ؛
 وَإِخْوَتُكَ - أَعَزُّكَ اللَّهُ - لَكَ أَظْهَارٌ وَأَعْضَادٌ ، وَفِيهِمْ غَزْرٌ وَمُضَادٌّ ؛ فَاسْتَجِمْ
 عَلَيْهِمْ ، وَارْفُقْ بِهِمْ ؛ فَإِنَّهُمْ يُتْرَلُونَكَ مِنْزَلَةَ أَبِيهِمْ ، وَتَجِدُ أَخْلَاقَهُ وَعَوْنَهُ فِيهِمْ ؛ وَأَمَّا
 مَا أَعْتَقِدُهُ مِنْ تَكْرِيمِكَ ، وَأَرَاهُ مِنْ تَفْضِيلِكَ وَتَقْدِيمِكَ ؛ فَشَيْءٌ تَسْتَهْدُ بِهِ نَفْسُكَ ،
 وَيُدْرِكُهُ يَقِينُكَ وَحَدْسُكَ ؛ أَشَدَّ بِهِ أَعْتِنَاءً ، وَأَجْمَلُ لَهُ أَسْتَوَاءً ؛ وَأَرْوَى عَيْتِكَ رِفْعًا
 وَغَنَاءً ؛ جَعَلْنَا اللَّهُ مِنَ الْمُتَحَاطِّينِ فِي خَلَالِهِ ، وَالْمُتَقَلِّينِ فِي ظِلَالِهِ ، وَأَمَّنَّا مِنَ الزَّمَانِ
 وَآخْتِلَافِ أَحْوَالِهِ ؛ بِمَنَّةٍ وَالسَّلَامِ .

الضرب الرابع

(التعزية بالأم)

أبو محمد بن عبد البر المغربي :

مَا مَاتَ مَنْ أَنْتَ بَعْدَهُ خَلْفٌ * وَالْكُلُّ فِي الْبَعْضِ غَيْرُ مُتَّبِعٍ !

كُتِبَ عَبْدُهُ الْقَيْنُ ، مِنَ الْأَسَى لِأَجَلِهِ بَعْضٌ مَا يُجِنُّ ؛ الْمُنْطَوِيُّ عَلَى قَلْبِهِ نَطْمِنُ
 الْقُلُوبُ سَلَوًا وَلَا يَطْمِنُ ؛ فَلَانِ : بَعْدَ وَصُولِ كِتَابِهِ الْكَرِيمِ بِصَدِّيقِ يُصْنَعُ الْقَارِبِ
 وَيُقَدُّ أَقْوِيَاءَ الْجُيُوبِ ، وَيَتْرَكُ الْأَحْبَابَ مَصْرَعِينَ عَلَى الْجُنُوبِ ، فَوَقَفَ الْعَبْدُ عَلَيْهِ
 مَتَرَفِقًا الْمَدَامِعَ ، مَنْعَرَقًا الْأَضَالِعَ ، رَأْيًا سَامِعًا سَجًّا الْأَبْصَارِ وَاسِيَّ السَّمَاعِ ؛ فَيَأْسَفُ

تَلَطَّبَ مَهْمُضُ رُكْنِي أَيْلِدُ وَكَانَ رَشِيْقًا ، وَصَوَّحَ رَوْضَ الْفَضْلِ وَكَانَ وَرِيْقًا ،
 وَنَحَّضَ حَسَنَ الْفَضْلِ لِمَ رَأَى صِدِيْقًا ، وَرَكَدَ لَمَسًا خَلْقًا بِهَذَا الْقَوْلِ ، وَمِثْلُهُ مَعَهُ حَقِيْقًا ،
 يَا لَيْدِي وَصَرِيْقَةُ فَعَلِدَا فِي فَرْنِ ، وَهَلْ مَسُونِ وَنَعْفَاوِ أَدِيْجَا فِي كَفْنِ ، وَحَصَانِ رَزَانِ
 لَا تُشْرِفُ بِوَهْمِهِ رَلَا تُزْنَ ، لَقَدْ أَسْمَمَ بِهَا النَّسَائِيَّ وَإِنْ كَانَ أَسْمَعُ ، وَأَرْقُ مَا تَاءَ الْفُؤَادِ
 وَأَرْقَى الْمَلِيْمُ ، وَلَمْ يَبْقِ قَلْبَا الصَّبِيَّ الْأَصْدَقَ ، رَلَا أَنْفَا لَلسُّلُو الْأَجْدَهَ ، وَلَا يَا لَلتَعْرَى
 الْأَتْرُجِيَّ ، وَلَا تَعْمُ النَّاسِيَّةُ إِلَّا أَنْتَجَا ، وَهَلْ لِيَسْلُ فِي الْمَوْتِ فِدَاً وَحَيَّ أَنْ يُؤْخَدَ
 نَسَبًا أَمَلًا ، فَخَلَّصَ الْبِكْرَ بِالْأَمِّ ، وَلَا فِدَاً كَمْ فِي سُرُوبِ النِّسَاءِ الْخَفِيَّةِ سَلْمًا ،
 فَكَيْفَ لَمْ يَلْقَ فِي الْبُؤْسِ نَسَبًا كَمْ فِي الْبُؤْسِ ، وَكَيْفَ لَمْ يَلْقَ فِي مَرِّ الْوَقْتِ التَّوْبَةَ ،

الفصل في سبب التلخيص

(التلخيص بالأخ)

أبو محمد بن محمد بن عبد البر :

وَكُنْتُ وَالْأَنْفُسُ مَرْتَمِيْضَةً ، وَالنَّيْنُ غَيْرُ سَطِيْطٍ ، وَالْإِنْفَاسُ تَتَصَعَّدُ ، وَالْأَحْرَانُ
 تَتَكَلَّمُ ، وَأَسْبَابُ النَّسَبِ الَّذِي تَمَّ وَتَمَّ ، وَأَسْمَعُ نَيْبَهُ فَأَسْمَعُ ، وَقَالَ لِلْفَرِيْحِ : كُنْتُ مِنْ
 عَائِلَةِ الْفَرِيْحِ ، نَظَرْتُ لِأَوَائِكَ ، بِوَفَاةِ [الْفَرْدِ] الَّذِي ، فِي رَأْسِهِ نُورٌ ، وَسَدَادُ الْآرَاءِ الْخَتِيْفَةِ
 وَبِأَكْ أَلْفُورٍ ، وَالْقَدِّ الَّذِي شَهِدَ الرِّجَالُ بِفَضْلِهِ ، وَتَمَّ النِّسَاءُ فَمَا تَجِيءُ بِمِثْلِهِ ،
 أَوْ مِثْلِهِ ، وَالسَّابِقِ الْأَيُّ لِأَيْجَارِيٍّ ، وَالشَّارِقِ الَّذِي لِأَيْسَارِيٍّ ، وَالغَيْثِ الَّذِي
 عَمَّ النَّيْلُ وَالْمَسَائِلُ ، وَاللَّيْلِ الَّذِي وَرَدَ الْفَرَاتَ زَيْبُهُ وَالنَّيْلُ ، فَإِنَّا لَنَدِيْ وَإِنَّا لِيَسِيءُ
 رَاجِعُونَ أَسْلِبًا لِلْقَدْرِ وَإِنْ سَاءَ ، وَشَمِلَ الْمَرْءُ وَسِيْنَ وَالرُّؤْسَاءُ ، فَيَالَهُ مُصَابًا تَرَكَ كُلَّ رَأْسِ
 أَيْبَاءٍ وَأَرْوَعَ عَمِيْمٍ كُلَّ فُؤَادٍ مُكَلَّمًا ، لَقَدْ أَنْصَلَ السُّمْرَ الْأَهَاذِمَ ، وَأَغْمَدَ الْبِيضَ
 الصَّوَارِمَ ، وَعَطَّلَ الْكَلَابَ وَالْمَقَانِبَ ، وَأَوْحَشَ الْمَفَاوِزَ وَالسَّبَابِ ، وَلَمْ يَبْقِ مَشِيْدَ

عُلاَ إِلا هَدَى، وَلَا مَدِيدَ ثَنَاءٍ إِلا صَدَّهْ، وَلَمْ لَا وَهُوَ الشَّخْصُ يَمُوتُ بِمَوْتِهِ بِشَرِّ كَثِيرٍ،
 وَيَبْكِيهِ قَلَمٌ وَحُسَامٌ وَمِنْبَرٌ وَسِرِيرٌ؛ وَعِنْدَ اللَّهِ نَحْتَسِبُهُ جَمِيعًا، وَنُوسِعُهُ بِمَحْضِ الصَّفَاءِ
 وَصَفْوِ الثَّنَاءِ تَوْبِيحًا وَتَشْدِيدًا؛ وَنُفَارِقُهُ فِرَاقَ الصَّدْرِ خَلْدُهُ، وَالْمُصَابِ جَلْدُهُ؛ فَوَاسْفَى
 لُرُزِيهِ مَا أَفْظَعَهُ مَوْقِعًا! وَوَأَحْرَبًا لِيَوْمِهِ مَا أَظْلَمَهُ مَطْلَعًا! وَوَأَحْزَنًا لِنَعْيِهِ مَا أَشْنَعَهُ
 مَرَأَى وَمَسْمَعًا!!! فَتَنِّ بَحْرِي الدَّمُوعُ لَهُ دِمَا، وَأَضْمَرْتِ الضَّلُوعُ بِهِ مُضْطَرَمًا؛
 لِمَا أَدَّتْ حَقَّهُ وَلَا كَرَبَتْ، وَلَا دَانَتْ بَعْضُ الْوَاجِبِ فِيهِ وَلَا أَقْتَرَبَتْ؛ وَلَوْلَا أَنَّ
 الْمَنِيَّةَ مَنَهْلٌ لَا يَحْلَأُ وَارِدُهُ، وَمَعْلَمٌ يَهْدِي إِلَيْهِ عَلَى أَهْدَى سَمْتٍ مُبَاعِدُهُ؛ لَمْ يَبْقَ
 فِي أُنْسٍ مَطْمَعٌ، وَلَا لِحُزْنٍ مَسْتَدْفَعٌ، وَلَكَانَ الثَّاكُلُ غَيْرَ مَا تَرَى وَتَسْمَعُ؛ وَمَا أَنْتُمْ
 أَيُّهَا الشَّيْخُ الْمَكْرَمُ مِمَّنْ يُنَبِّهُ عَلَى ذُنُوحِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، يَكْتَسِبُهُ، وَصَبْرٍ فِي الرُّزْءِ
 الْفَادِحِ، يَحْتَسِبُهُ، فَصَبْرًا فَالْمُنُونِ غَايَةَ الْمُسِينِ وَالْمُصْبِحِينَ، وَالنَّبَأَ الَّذِي يُعْلَمُ ذَوْقًا
 وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ؛ وَهُوَ تَعَالَى الْمَسْئُولُ أَنْ يَرْقِعَ بِمَكَانِكُمْ هَذَا الْخَرْقَ الْمَتْسِعَ، وَيَصِلَ
 بِجَنَائِكُمْ ذَلِكَ الشَّمْلَ الْمُنْصَدِعَ.

ابن أبي الخصال :

الشَّيْخُ فَلَانٌ أَبَقَاهُ اللَّهُ يَتَلَقَّى الْأَرْزَاءَ بِحُسْنِ الصَّبْرِ، وَجَمِيلِ الْإِحْتِسَابِ، وَيَتَقَاضَى
 بِالْتَمَزِي سَرْتَقَبِ الْأَجْرِ، وَمُنْتَظَرِ الثَّوَابِ، مُعَزَّزِهِ فِي أَخِيهِ الْكَرِيمِ عَلَيْنَا، الْعَظِيمِ مُصَابِهِ
 الْفَادِحِ لَدَيْنَا؛ فَلَانٌ : فَإِنِّي كَتَبْتُهُ - كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ صَبْرًا تَجِدُونَ ذُنُوحَهُ، وَأَوْجِبُ
 لَكُمْ عَزَاءَ تَمَحُّدُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَأْنَهُ وَأَمْرَهُ - عِنْدَ مَا وَضِلَ مِنْ وَفَاةِ الشَّيْخِ أَبِي فَلَانٍ
 أَحْبَبْتُمْ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَا كَدَّرَ الْعَيْشَ وَنَقَّصَهُ، وَجَسَّمُ جُرْعِ الْحَمَامِ الْمَقْطُوعَةَ وَغَضَّصَهُ؛
 فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ!! أَسْتَسْلِمًا لِقَدْرِهِ وَقَضَائِهِ، وَأَخْذًا فِيمَا يُدْنِي وَيَقْرُبُ
 مِنْ إِرْضَائِهِ؛ وَمَا نَحْنُ إِلا بَنُو الْأَمْوَاتِ الَّذِينَ دَرَجُوا، وَسَنَخْرُجُ مِنَ الدُّنْيَا كَمَا
 قَبْلُنَا نَحْرَجُوا؛ جَعَلْنَا اللَّهُ جَمِيعًا مِمَّنْ يَنْظُرُ لِمَعَادِهِ، وَيَجْعَلُ التَّقْوَى خَيْرَ مَا أَوْعَاهُ بِجَدَادِهِ؛

وسلك بنا نهج هدايته وطريق رشاده . وهو جلّ وعلا يُجزل لكم على مصابكم ثوابا
عميما موفورا، ويجعل فقيدكم بين أيديكم في يوم القيامة نورا، ويلقيه في دار الفردوس
مذكا كبيرا وحبورا، ولولا كذا أسرت إليكم لأعزّيكم شفاها، وأحدثكم عن ضلوع
أحرق هذا المصاب حشاها، لكن أمثال أمره المطاع، حمل على البدار إلى ما أمر به
والإسراع، والله عز وجل يُديم لنا بكم الإمتاع، بمنه وكرمه، والسلام .

الضرب السادس

(التعزية بالزوجة)

من كلام المتقدمين :

أبو محمد بن عبد البر :

وقد هزرت عند ذوى الألباب، وثبت ثبوتا لا يعلل بالأرتياب، أن الدنيا فنطرة
دائره، ومعبرة إلى الآخرة، وأن ساكنها وإن طال عمره، وطار في الخافقين أمره،
لديغ ستمها، وصريع سهمها، فما تضحك إلا لتبكي، ولا تؤنس إلا لتنكي، وقد نفذ
القدر الذى ماله رد، ولا منه بدأ، بوفاة فلانة ألحقها الله رضوانه، وأسكنها بفضل
المرجو جنانه، فإننا لله وإنا إليه راجعون!! تأسيا بالسلف الصالح، وتسليا عن ماء
الدمع السّاح، وزند القلب القادح . وعند الله نحسبها عقيلة معدومة المثل، مفقودة
الدين والعفة في هذا الحيل، متحلية من دعاء الفقراء، وثناء الصلحاء، بالغة الشاذخة
والتحجيل، لقد ذهب لذهابها الرفق والحنان، وعدم لعدمها الشيم البرّة والأخلاق
الحسان، وإن فقدتها لخرق لا يرفع، وغلة لا تنقع، وخطب لا يزال الدهر يتذكر
فيصدع، ولولا العلم بأن اللهاق بها أمر كائن، وأن المخاف في الدنيا لا محالة عنها

بائِن ، وأن التَّنْقَلَ لِلآخِرَةِ مَا لَانْتَفَكَ نَسْمَعُهُ وَنُعَايِنُ ، مَا بَقِيَتْ صُبَابُهُ دُمْعُ
إِلَّا أَرْفَضْتُمْ ، وَلَا دِعَامَةٌ صَبْرًا إِلَّا أَنْقَضْتُمْ ، وَلَكَانَ الْحُزْنَ غَيْرَ مَا تَسْمَعُ وَتَرَى ، وَالْوَجْدُ
فَوْقَ مَا يَجْرِي وَجَرَى ، لَكِنْ لَا مَعْنَى لِحُزْنٍ لِمَا يَقَعُ فِيهِ الْأَشْتِرَاكُ ، وَلَا وَجْهَ لِأَسْفِ
عَلَى مَا لَا يَصِحُّ فِيهِ الْأَسْتِدْرَاكُ . وَمَا أَنْتُمْ بِمُحْمَدِ اللَّهِ مِنْ يُذَكِّرُ بِمَا هُوَ فِيهِ أَذْكَرُ ،
وَلَا مِنْ يُنَبِّئُ عَلَى مَا هُوَ بِالتَّنْبِيهِ عَلَيْهِ أَخْلَقُ وَأَجْدَرُ ، وَلَوْلَا أَنْ التَّعَازِيَّ مِمَّا اطَّرَدَ بِهِ
الْعَمَلُ ، وَسَنَّهُ الصَّالِحُونَ الْأَوَّلُ ، لِمَا سُلِكَ سَبِيلُهُ مَعَكُمْ وَأَنْتُمْ مِنْ قَدَرِ الْأُمُورِ
قَدَرَهَا ، وَعَلِمَ أَنَّ الْحَيَاةَ لَوْ طَالَتْ فَالْمَوْتُ أَثَرَهَا وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بُدٌّ ، وَلَمْ يَمْنَعْ
مِنْهُ صَدٌّ وَلَا سَدٌّ ، فَالصَّبْرُ خَيْرٌ مِنَ الْجَزَعِ ، وَأَدُلُّ عَلَى كَرَمِ الْمَنْحَى وَالْمَنْزَعِ ، وَأَخْرَى
أَنْ يَكُونَ الثَّوَابُ جَزِيلًا ، وَالْجَزَاءُ حَسَنًا جَمِيلًا ، وَاللَّهُ يَبْقِيكُمْ أَنْتُمْ الْبَقَاءُ ، وَيَرْقِيكُمْ
أَنْتُمْ الْإِرْتِقَاءُ .

ابن أبي الخصال :

الشيخ الأجل فلان - آنس الله وحشته ، وجدد على فقيدته رحمته . معزّيه عن
أهله الهالكة وسكنه ، ومسايمه بأوجب حزن في القلوب وأسكنه . فلان :
فإنا كتبناه عن دموع تصوب وتنسرب ، وضلوع تخفق من وجيبها وتضطرب ،
وأنس يشرد منا ويحتجب ، بموت فلانة رحمها الله التي أودعت في جوائحننا من الشكّل
ما أودعت ، ورضت أ بكادنا بمصايبها وصدعت ، عزّانا الله جميعاً فيها ، وأولاهنا نعيماً
في الفردوس الأعلى وترفيها ، وأعقبنا من الوحشة أنسا ، وعمر بالرحمى جدناً مباركاً
ورمسا ، وجعلنا كلاً ممن يردع عن الانحطاط إلى الدنيا نفساً ، بمنه وكرمه .

من كلام المتأخرين :

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

لَمَّا عَلِمَ مَمْلُوكُ الْمَجْلِسِ السَّامِيِّ أَطَالَ اللهُ بَقَاءَهُ ، وَأَعْظَمَ أَجْرَهُ وَأَحْسَنَ عَزَاءَهُ ، وَفَاةَ
السَّيِّدَةِ الْمَرْحُومَةِ سَقَى اللهُ عَهْدَهَا عَهْدًا يَبْلُغُ الثَّرَى ، وَجَعَلَ الرَّحْمَةَ لِمَنْ نَزَلَتْ بِهِ لَهَا
الْقَرَى ، تَأَلَّمَ لِفَقْدِهَا غَايَةَ الْأَلَمِ ، وَوَجَدَ حُرْقَةَ كَسْتِهِ ثَوْبِيَّ ضَنِّي وَسَقَمَ ، وَحُزْنَا لَا يَعْبرُ عِنْدَهُ
بِعِبَارَةٍ بَيَانِهِ ، وَلَا يَسْتَوْعِبُ وَصْفَهُ بِلِسَانِ قَلَمِهِ وَبَيَانِهِ :

وَلَوْ كَانَ النَّسَاءُ كَمَنْ فَقَدْنَا * لَفُضِّلَتِ النَّسَاءُ عَلَى الرَّجَالِ !

وَالْمَوْلَى أَوْلَى مِنْ عَزَى نَفْسِهِ ، وَأَسْتَحْسَنَ رِذَاءَ الصَّبْرِ وَيُبْسُهُ ، وَعَلِمَ أَنَّ الْمَوْتَ
غَرِيمٌ لَا يُنْجِي مِنْهُ كَثْرَةُ الْمِطَالِ ، وَلَا يُدَافِعُ بِالْأَطْلَابِ وَالْأَبْطَالِ ؛ وَأَنَّهُ إِذَا طَالَبَ
بِذِمَّةٍ كَانَ أَلَدَ الْخِصَامِ ، وَإِذَا حَارَبَ فَعَلَ بِيَدِهِ مَا لَا تَقْضِيهِ الْحَيَاةُ بِمَنْةِ الْحَسَامِ .

الضرب السابع

(التعازي المطلقة مما يصلح إيرادها في كل صنف)

من ذلك ، من ترسل أبي الحسين بن سعد :

مَنْ صَحِبَ الْأَيَّامَ وَتَقَلَّبَ فِي آثَانِهَا ، أَعْتَوْرَتْهُ أَحْدَاثُهَا ، وَأَخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ أَحْكَامُهَا ؛
بَيْنَ مَسْرَةٍ وَمَسَاءَةٍ يَعْتَقِبَانِ ، وَفَرَحَةٍ وَتَرْحَةٍ يَتَنَارَبَانِ [وَكَانَ] فِيهَا تَأْتِيهِ مِنْ مَحْبُوبِهَا عَلَى
غَيْرِ تَقِيَةٍ مِنْ دَوَامِهِ وَأَتِّصَالِهِ ، وَلَا أَمْنٍ مِنْ تَغْيِيرِهِ وَأَنْتِقَالِهِ ؛ حَتَّى تَعْقِبَ السَّلَامَةَ حَسْرَةً ،
وَتَسْتَحِيلَ النِّعْمَةَ مِحْنَةً ؛ وَالسَّيِّدُ مَنْ وَفَّقَ فِي كُلِّ حَالٍ لِحَظِّهِ ، وَأَعْيَنَ عَلَى مَا فِيهِ
سَلَامَةٌ دِينِهِ : مِنَ الشُّكْرِ عَلَى الْمَوْهِبَةِ ، وَالصَّبْرِ عَلَى النَّازِلَةِ ، وَتَقْدِيمِ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى

في حال الغبطة والرزية . ولم تكن بالفجعة به مفردا عني وإن كان النسب يقربه منك ، والرحم تصله بك : لما كنت أوجه من حقه ، وأرعاه من مودته ، وأختصه بالاعتداد فيه دون أداني أهلي والثقة من إخواني ، ففضي رحمه الله أقوى ما كان الأمل فيه ، وأكل ما كان عليه في لبه وأديه ، واجتماع فهمه وكال هديه ، وانتظام أسباب الخير وأدوات الفضل فيه .

ومنه : لا ينكر للعبد أن يتناول مولاة عند وقوع المحنة في أهل خاصته ، وتحنون رب المنون من حاشيته ، بالتعزية عن مصيبته ، والإخبار عما يخصه من ألم حقيقته وعظم رزيته ، لاسيما إذا كان بحيث لا يرى شخصه في الباكين ، ولا تسمع صرخته بين المتفجعين ، ولو سميت على حدقي .

ومن ذلك :

إن الله تعالى أمر أهل طاعته ، بتزليل هذه الدنيا بمنزلتها من إهانتها ، وسوى بين البر والفاجر في رغائبها ومصائبها ، ولم يجعل العطفة دليلا على رضا ، ولا الرزية دليلا على سُخطه ، ولكنه ألزم كل واحد من أهل الرضا والسُخط من نعمها بنصيب ، وسقام من حوادثها بدُوب : ليبتل أهل رضا في أهون الدارين عليه ، ويحسن لهم الجزاء في أكرمهما لديه ، ولذلك حبب إليهم الزهادة في زهيد فائدتها ، ومُنوح زهرتها ، وسماها لعبا وهوا : لئلا يعلقوا بحطامها ، وينغمسوا في آثامها ، وختمها بالموت الذي كتبه على خليقته ، وسوى بينهم في سكرته : ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ . ويقربهم بدار يقنى الموت ويبقون فيها بعده ، كما فنوا في هذه الدار وبقي الموت بعدهم ، فإن تأخر الأجل فإلى غايه ، وإن تطاول الأمد فإلى نهايه ، ولابد أن يلحق التالي الماضي ، والآنف بالسالف ، وهذه حال نُصب الأفكار ، وتلقاء الأبصار ، لاحتجاج أن يرتاض الصبر على آلامها ،

والتحمل لمعضلات سهامها، والجزع عند وقوعها قادح في البصائر والأفهام، دال على الجهل بالليالي والأيام؛ وقد طرق المملوك ناعي فلان فهدّ جلدي، وقتت كيدي، لا آرتياعا للمحاذة: لأنها لو لم تكن فيه لكانت في المملوك، ولو لم تطرق إليه لتطرت إلى المدرك (؟) ولكن الأسف على عطل الزمان من حية فضله، وتعزيره من حلة نبهه، وخلو عراضه من الأنس بمثله، وما نال سيدي لفقده، وتحمله من بعده؛ وإلى الله تعالى يرغب المملوك أن يربط على قلبه بالصبر، ويوفقه لتنجز ما وعده الصابرين من الأجر، إن شاء الله تعالى.

على بن خلف:

رقعة: ليس عند المصيبة - أطل الله بقاء سيدي - خير من التسليم إلى الله والرضا بقضائه، والصبر على بلائه؛ فإنه تعالى مدح الصابرين في كتابه، ووعدهم بصلواته. فقال جل قائلًا: ﴿أَئِدِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾. وقال جل قائلًا: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ﴾. ولم تزل الأولياء من القدماء يحضون على الصبر وهم لا يرجون عليه ثوابًا؛ وينهون عن الجزع ولا يخافون عليه عقابًا؛ ومن عرف الأيام وتداولها، والأحوال وتحولها، وسع صدره للنوائب، وصبر على تجرع المصائب، ومن أغتر بطول السلامه، وطمع في الاستمرار والإقامه.

رقعة: وقد اتصل بالمملوك خبر الفجعة بفلان، فأفيضت المدامع، وتضعفت الأضالع؛ وزفرت الأنفاس، وهمدت الحواس؛ وأذاب الطرف

(١) لم يذكر في الاصل لهذا الشرط جوابا ويمكن أخذه من المقام أي «فقد حاول محالا، وذل في سعيه

ضلالا» أو نحو ذلك.

سوادهُ على الوجنات بدلاً من الأنفاس، وخلعتِ القلوبُ سُوداءَها على الأجساد،
 عوضاً عن جلايبِ الحِدادِ، وعُضَّتِ الأنايلُ جَزَعاً، ومُرَّتِ الثيابُ تَفْجَعاً
 وأوجعاً، وكل هذا وإن فارقَ حميدَ التماسك، ووافقَ ذميمَ التهاك، غيرُ موفٍ بحق
 ذلك الدارج الذي بلغ المعالي وهو في مهده، وشدَّ دعائم الفضل ولم يبلغ أوان
 رُشده، وعلمَ سيدي أن غايةَ الجازع وإن صدعتِ المصيبةُ قلبه، وأطاشتِ
 الفجيرةُ لُبه، الصبرُ والسُّلُو، وأن نهايةَ القلقِ وإن هجمتِ عليه الحُرقةُ بما لا تتوفر عليه
 الأضالع، ولا تُماسكُ معه المدامع، القرارُ والهدوء، واللهُ تعالى لا يُريه بعد هذا
 الرُزءَ رُزءاً بفنائه، وينقل ذلك عنه إلى حاسديه وأعدائه .

رقعة : من علم أن الأفضية لا تُخطئُ سهامها، والأقدار لا تُردُّ أحكامها، سلم
 الأمر في السراء والضراء، ورضى بما مناه في البلاء والإبتلاء، ولا سماً في مُصيبة
 الموت التي سوى بين الخليفة في تجريحِ صابها، وأقتحامِ عقابها، وقد أتصل بالملوك
 خبرُ الحادثِ الفاصم لعري الجلد، البارح في الجلد . فاستحالت في عين الملوك^(١)
 الأحوال، ومالت عنه الآمال، ورأى السماء وقد تكدر جفوها، والشمس وقد تعكر
 ضوها، والسحاب وقد أخلف نوها، والنهار وقد أظلم، والليل وقد أدلهم، والنسيم
 وقد ركد، والمعين وقد جمد، والزمان وقد سهمت وجهته، وسلبت حليته،
 وأفرجت قبضته عن التماسك، وقبضت على التهاك، وعدلت عن التجلد، إلى
 التبلد، ثم أفاق من غمرة جيعته، وهيب سنة رويته، فسلم لله راضياً بأفضيته،
 راغباً في مثوبته .

(١) لعله البادح والبدح والامبال والامبال الشق والمراد ظاهر .

أبو الفرج البيهقي :

إذا كان أيده الله أهدي في النعم إلى سبيل الشكر، وأعرف في المحن بطرق الصبر، فكيف تُحاذر عليه من المصائب، ونذكره التسليم لمحتوم النوائب، والمصيبة بفلان أعظم من أن نهتدي فيها إلى سلوة غير مستفادة منه، أو تقتدي في العزاء بغير ما أخذناه عنه، إذ كانت قلوبنا تتبع قلبه - سره الله - في طروق السراء والضراء، وحالاتي الشدة والرخاء. وأحسن [الله] عن الفجاعة عزاءه، وأجزل من المثوبة عطاءه، ولا شغله عن حلاوة شكر النعم بمرارة الصبر على ورود المحن، وجعل ما نقل الماضي إليه، أنفع له ولسيدي من الجزع عليه.

وله في مثله :

أتصل بي خبر المصيبة بحداد الحسرة، وسكب العبرة، وأضرم الحرقعة، وضاعف اللوعة، وكان الأسف عليه، بقدر تشوف الآمال كانت إليه : فإننا لله وإنا إليه راجعون !! أخذنا بأمره، وتسليماً لحكمه، ورضاً بمواقع أفضيته، وأحسن الله في العزاء هدايته، وحرس من فتن المصائب بصيرته، وحمل عن قلبه ما أظله من ثقل المصيبة وعظم الرزية.

ولا أزال على جملة من القلق إلى أن يرد على كتابه - أيده الله - بما أكون فيه بأديه مقتدياً، وهدايتيه إلى سبيل العزاء والصبر مهتدياً، فإن رأى إجرأى من تشريفه بذلك على مشكور العادة، فعل، إن شاء الله تعالى.

وله في مثله :

أشترك القلوب فيما ألم بقلب سيدي بحسب تساويها في المسرة بما سره، إذ كان لا يختص دون أوليائه بنعمه، ولا ينفرد دون مؤمليه بحلول مؤمبه، والمصيبة بفلان

وإن جَلَّ موقعُها وعُظمت الفَجِيعَةُ [بها] - جَلَلٌ مع سُقُوطِ الأَقْدَارِ دُونَهُ ،
وتجاوُزِها عنه ، ومُسامِحَتِها به ، فلا شغَلَ اللهُ قلبه بَعْدَها بِمَرَّارةِ الصَّبْرِ عَمَّا تُوجِبُه النِّعمُ
من حَلَاوَةِ الشُّكْرِ ، ولا جاوره بِرِزِيَّةٍ في حَمِيمٍ ولا نَعْمه .

وله في مثله :

بصيرتُكَ إلى العِزَاءِ تَهْدِيكَ ، وأغْتباطُكَ بثوابِ اللهِ يُسَلِّيكُ ، وعلمُكَ بِقِلَّةِ الغِنَاءِ
عن الجَزَعِ يَثْبِيكُ ، وجمَعنا بِكَ في الصَّبْرِ مَقْتَدُونَ ، ولرَأْيِكَ في الرِّضَا بما آخَرَهُ اللهُ
نَعالي مَتَّبِعُونَ ، فحَمَلَ اللهُ عن قلبِكَ ثِقَلَ المِصِيبَةِ ، وحرسَ يَقِينِكَ من أَعْتِراضِ
لشِبْهَةٍ ، وأحْسَنَ إلى جَمِيلِ الصَّبْرِ هِدَايَتِكَ ، وتولَّى من فِتَنِ المِحْنِ رِعايَتَكَ ، وجعل
مانَقَلَ المَاضِي إليه ، أنْفَعَ لكَ وله من الأَسْفِ عليه .

وله في مثله :

أَتَصَلُّ بِى خِبرِ المِصِيبَةِ فَأُضْرَمَ الحُسْرُ ، وسَكَبَ العَبْرُ ، وَقَدَحَ اللُّدْمُ ، وَأَمْتَرَى^(٢)
لُدْمُهُ ، وَكانتُ مُشارَكْتِي إِيّاكَ في المِصِيبَةِ به ، والنَّجِيعَةُ لِفَقْدِهِ ، بِحَسَبِ اِختِصاصِي
بِمَواهِبِ اللهِ عِنْدَكَ ، وَأغْتباطِي بِمِنِّهِ لَدَيْكَ ، فَإِنَّا اللهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ !! تَسْلِيماً
لأَمْرِهِ ، وَأتْقِياداً لِحُكْمِهِ ، وَرِضاً بِمَواقِعِ أَقْدارِهِ ، وَأحْسَنَ اللهُ عَلَيَّ العِزَاءَ تَوفيقَكَ ،
وَإلى السَّلْوةِ إِرْشادَكَ ، وَلا أَخْلاكَ فِما تَطْرُقُكَ بِهِ مِصِيبَةٌ مِنَ المِصِيبَاتِ الصَّابِرِ ،
وَما تَفِدُ بِهِ عَلَيكَ نَعْمَةٌ مِنَ الأَسْتِزادَةِ بِالشُّكْرِ ، وَحَرَسَكَ في نَفْسِكَ وَأَحْبَبْتَكَ ، وَذَوَى
عِنايَتِكَ وَنَعْمَتِكَ .

(١) أى يسير هين على حد قول امرئ القيس لما قتل أبوه :

بقتل بنى أسد ربهيم : ألا كل شيء سواء جميل

(٢) فى القاموس « ومرى الشىء استخرجه كأمراء » .

وله في مثله :

قدرُك أكبرُ ، وبصيرتُك أنورُ ، وثقتُك بالله تعالى أعظمُ من اعتراض الشُّكوكِ
عليك فيما يطرُقُك من عِظاته بالحوادث وإن عظمتُ ، والمحنِ وإن جَلَّتْ ، اختياراً
بالمصائبِ لصبرِك ، وبما يُظَاهِرُهُ عليك من النعمِ لشُكرك ، ومثلُك أيدك الله من قابلِ
الفجيرةِ بفلان - إذ كانت من الواجب المحتوم - بأحسنِ عزاءٍ وأفضلِ تسليمٍ ، غيرَ
مرتابٍ بما اختاره الله له ، ولكَ فيه ، فعَظُمَ الله به أجركَ وحرَّسك وحرَّسَ فيك .

الأجوبةُ عن التعازي

قال في "موادِّ البيان" : أجوبةُ التعازي يجبُ أن تُبنى على وقوفِ المعزّي على
كتابِ المعزّي ، وأنَّ إرشاده نفعٌ عُلتُه ، ووعظه نفعٌ علته ، وتبصيره سكنٌ أواره ،
ونذكيره أحمَدُ ناره ، وتنبيهه أيقظٌ منه بحسنِ العزاءِ غافلاً ، وهدى إلى الصبرِ ذاهلاً ،
وحسنٌ عنده الرزيةُ بعدَ جهامتها ، ودمتُ نفسه للمصيبة بعدَ فدأمتها ، فسلمَ الله تعالى
متأدباً بأدبه ، وعَمِلَ بالحُكمِ مقتدياً بمذهبه ، وغالبَ الرزءَ بالعزمِ ، وأخذَ فيه بالحزمِ ،
رسالَ الله تعالى أن يُحسِنَ له العِوضَ في رده ، ويجعله له خلفاً ممن أُصيبَ بفقدِهِ ،
ونحو هذا مما يخرط في سلكه .

جواب عن تعزية : من زهر الربيع :

أعزَّ الله سيدنا وأسعدده ، وسهَّلَ له طريقَ المسرةِ ومهدده ، وصانَ عن حوادثِ
الأيامِ حجابَهُ ، وعن طوارقِ الحَدَثانِ جنابَهُ ، وجعله في حمى عن عوارضِ الغيرِ
والغَررِ ، وأصارَ أيامَهُ محسنةً لوجوهِ الأيامِ كالغُررِ .

ورد الكتابُ الذي أنعمَ بإرساله ، بل المشرفُ الذي كَسَتْهُ اليدُ العالِيَةُ حُلَّةً من حُلَلِ جَمَالِهِ ، فوَقَفَ عليه وفِيهِمَ وتذَكَّرَ به إِحْسَانَهُ الذي لا يَنْسَاهُ ، وتَفَضَّلَهُ الذي لا يَعْرِفُ سِوَاهُ ؛ فَمَا التَعَزِيَةُ بِفِلَانٍ ، فَإِنَّهُ رَدَّ بَعْدَ لَفْظِهَا قُوَّتَهُ ، وَبَلَّ بِمَاءِ حُسْنِهَا غُلَّتَهُ ؛ وَصَبَّرَهُ عَلَى حَادِثَتِهِ بِفِلَانٍ بَعْدَ أَنْ عَزَّ عَلَيْهِ الْعَزَاءُ وَأَعْوَزَهُ ، وَطَلَبَ وَعَدَّهُ مِنْ صَبْرِهِ فَمَا أُتْجِزَهُ : لِأَنَّهُ كَانَ وَجَدَ لِمَوْتِ الْمَذْكُورِ حُزْنَ مَا اسْتَطَاعَ لَهُ تَرْكًا ، وَفَقَدَ لِمَوْتِهِ خَلًّا مِثْلَهُ يُنَاحُ عَلَيْهِ وَيُبْكِي ؛ وَفِي بَقَاءِ مَوْلَانَا مَسْرَّةً تَطْرُدُ كُلَّ حُزْنٍ ، وَفِي بَهَاءِ طَلْعَتِهِ عَوْضٌ عَنِ كُلِّ مَنْظَرٍ حَسَنٍ ، جَعَلَهُ اللَّهُ سَامِيًّا عَلَى أَثْرَابِهِ ، مَقْدَمًا عَلَى أَضْرَابِهِ ؛ مَا سَمَّيْتَ الْأَسْمَاءَ عَلَى الْأَفْعَالِ ، وَتَقَدَّمَ الْحَالُ عَلَى الْإِسْقِبَالِ .

آخر : ضَاعَفَ اللَّهُ بَقَاءَهُ وَأَطَالَ عُمُرَهُ ، وَشَرَحَ لِإِسْدَاءِ الْمَكَارِمِ صَدْرَهُ ؛ وَأَنْقَذَ نَهْيَهُ وَأَمْرَهُ ، وَلا زَالَ إِلَى أَوْلِيَائِهِ مُحْسِنًا ، وَفَضَّلَهُ بِحُجِّيَّتِهِ غَايَةَ السُّؤْلِ وَالْمُنَى ؛ وَرَدَّ مَشْرُفَهُ الْمُعَزَّى بِوَفَاةِ فِلَانٍ سَقَى اللَّهُ عَهْدَهُ عِيَادَ رِضْوَانِهِ ، وَأَسْكَنَهُ فِي عُزْرِ غُفْرَانِهِ ؛ بِخَبْرٍ مُصَابَا ، وَفَتَحَ إِلَى الصَّبْرِ أَبْوَابًا ، وَهَدَى إِلَى طَرِيقِ الْخَيْرِ وَقَالَ صَوَابًا ؛ وَسَكَّنَ نَفْسَهُ ، وَذَكَرَهُ إِحْسَانَهُ الذي لَمْ يَنْسَهُ ، وَأَزَالَ الْوَحْشَةَ وَزَادَ أُنْسَهُ ، بَعْدَ أَنْ كَانَ فَقَدُ الْمَذْكُورِ قَدْ هَدَى رُكْنَهُ وَفَتَّ عَضُدَهُ ، وَأَوْصَلَهُ إِلَى أَمَدِ الْحُزْنِ وَضَاعَفَ عَلَى الْأَيَّامِ أَمَدَهُ ؛ وَأَلْبَسَهُ رِدَاءَ الْإِكْتِنَابِ ، عَلَى تَرْبِهِ الذي أَصْبَحَ تَحْتَ الثَّرَابِ . وَصَدِيقَهُ الْمُوصُوفِ بِالصَّدَقِ ، الذي فَاقَ سَنَاهُ ذَلِكَ الْأَفْقُ ؛ جَعَلَهُ اللَّهُ أَصْلًا فِي تَحْصِيلِ الْمَسْرَّةِ إِذَا ذَوَّتِ الْفُرُوعُ ، وَسَيْفًا يَقْبَهُرُ بِهِ وَلِيَّهُ الْحَوَادِثَ التي تَرُوعُ .
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

آخر : جَعَلَ اللَّهُ أَجْرَهُ عَظِيمًا كَقَدْرِهِ ، وَالْقُلُوبَ مَجْمَعَةً عَلَى حَبَّةٍ كِاجِمَاعِ الْأَلْسِنَةِ عَلَى شُكْرِهِ .

المملوك يَعْلَمُهُ بُرُودُ كِتَابِهِ الْكَرِيمِ الْمُعْزَى بِفُلَانٍ - قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ ، وَأَمَطَرَ سَحَابَ
الرَّحْمَةِ ضَرِيحَهُ - عَلَيْهِ ، وَعِنْدَهُ مِنْ شَدِيدِ الْحَزَنِ ، مَا أَعْدَمَهُ لَدَيْدَ الْوَسَنِ ؛ وَمَنْ زَائِدِ
الْأَكْتِنَابِ ، مَا كَادَ يَحْرِمُهُ التَّقْمِصُ بِثَوْبِ الثَّوَابِ ؛ بِحَيْثُ إِنَّهُ عُوِّضَ بِالزَّمَنِ الْأَسْوَدِ
عَنِ الْعَيْشِ الْأَخْضَرِ ، وَذَاقَ مِنْ مَوْجِبِ لُبْسِ الْأَبْيَضِ طَعْمَ الْمَوْتِ الْأَحْمَرِ ، وَأَنَّهُ ضَمَّهُ
إِلَيْهِ ضَمَّ الْمُحْبُوبِ ، وَأَبْتَهَجَ بِهِ أَبْتَهَاجَ مَنْ ظَفِرَ بِغَايَةِ السُّوْلِ وَالْمَطْلُوبِ ؛ فَأَعْمَدَتْ
الْكَاتِبَةُ خَوْفًا مِنْ قَلَمِهِ سَيْفَهَا ، وَأَزَالَتِ الدُّنْيَا الدُّنْيَةَ عَنْهُ حَيْفَهَا ؛ وَعَزَى نَفْسَهُ
وَسَلَّاهَا ، وَشَغَاهُ إِحْسَانُهُ عَنْ مَحَاسِنِ مَحَا الْمَوْتِ سَنَاهَا ؛ فَرَفَضَ مَنْ تَوَجَّعَهُ مَا فَرَضَتْهُ
حَادِثَتُهُ ، وَسَلَكَ مَنَهْجًا غَيْرَ الْمَنَهْجِ الَّذِي فَتَّتَتْ فِيهِ حَشَاةَ وَمُهْجَتَهُ ؛ فَاللَّهُ تَعَالَى يَكْفِينَا
مَا نَحَازِرُهُ فِي الْمَجْلِسِ وَيَحْرُسُ سَنَاةَ ، وَيُدِيمُ سَعْدَهُ وَعُغْلَاهُ .

النوع الثالث

(من مقاصد المكاتبات التهادية والملاطفة)

قال في "مرآة البيان" : رِقَاعُ التَّهَادِي يَجِبُ أَنْ تُودَعَ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْمُسْتَحْسِنَةِ
مَا يَمْتَدُّ لِقَبُولِ الْمَلَاظِفَةِ وَالْمَبْرَةِ الَّتِي تُتَمِيزُ فِي الْمَوَدَّةِ . قَالَ : وَيَنْبَغِي أَنْ يُطْرَفَ الْكَاتِبُ
إِذَا كَانَ مُهْدِيًا أَوْ مُسْتَهْدِيًا ؛ وَقَدْ جَرَتْ الْعَادَةُ أَنْ تُودَعَ هَذِهِ الرِّقَاعُ مِنْ أَوْصَافِ
الشَّيْءِ الْمُهْدَى مَا يَحْسَنُهُ فِي نَفْسِ الْمُهْدَى إِلَيْهِ . قَالَ : وَيَنْبَغِي لِمَنْ ذَهَبَ هَذَا
الْمَدَهَبُ أَنْ لَا يَعْتَمِدَ تَفْخِيمَ هِدْيَتِهِ ، وَلَا الْإِشَارَةَ إِلَى جَلَالَةِ خَطَرِهَا ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُجِلُّ
بِشُرُوطِ الْمُرُوءَةِ وَيَتَحَامَاهُ الْكُرَمَاءُ .

ثم هي على ثلاثة أضرب :

الضرب الأول

(ما يُكْتَبُ مع التَّقَادِمِ إلى المُلُوكِ من أهل مملكتهم)

إلى القائمِين بإيصال التَّقَدِيمَةِ إلى المَلِكِ وكاتبِ السَّرِّ ونحوهما)

الشيخ جمال الدين بن نباتة : إلى كاتبِ السَّرِّ بالأبواب السلطانية صحبةً تَقَدِيمَةً

من نائب الشام إلى السلطان :

لا زالت أقلامها لتأجج الفضل مُقَدِّمه ، ولمرأ كض الكرم والبأس جياذاً مُسَوِّمه ؛
ولكاتبِ الملك من كُتِّبه أعلاماً بِشِعَارِها العباسيِّ مُعَلِّمه ، وفي يد صاحِبِها من أصحابِ
الميمنة ، والذين كَفَرُوا بِآيَاتِ الله ونِعَمِها من أصحابِ المَشَامِه ؛ تَقْيِيلَ حُبِّ لا تُفَسِّخُ
عُقُودَ وِلَايَةِ المَحْكَمِ ، ولا تُنَسِّخُ إِلَّا في الكُتُبِ عَقُودُ ثَنَائِهِ المنظَّمِ ، ولا تَطُوفُ
الأشواقُ بَيْتِ قلبه إِلَّا وهى من مَلَابِسِ السُّلُوانِ المحرَّمِ مُحَرِّمِهِ .

وُنِيهِ أَنَّهُ قد آخَرَارَ مِنْ عِنَايَةِ مَوْلَانَا بِمَقَاصِدِهِ أَحْسَنَ الخَيْرِ ، وَبُورِكَ لَهُ
فِي قَصْدِهَا (وَمَنْ بُورِكَ لَهُ فِي شَيْءٍ فَلْيَلْزِمْهُ) كما جاء الخبرُ ، وقد جَهَّزَ فلانا إلى الأبوابِ
الشريفة خَلَّدَ اللهُ سُلْطَانِها بِتَقَدِيمَتِهِ على العادةِ في كُلِّ سَنَةٍ ، وَأَتَّبَعَ سِفَارَةَ مَوْلَانَا بين
يَدَيِ المواقِفِ الشريفة فاتَّبَعَ من القَوْلِ أَحْسَنَهُ ؛ وسأل حُسْنَ نَظَرِ مَوْلَانَا الذى إذا
لَا حَظَّ قَصْدًا أَعْلَنَهُ وَسَعَدَا عَيْنَهُ ، وقد جَهَّزَ المملوكُ بِرَسْمِ مَوْلَانَا ما هو بِمَقْتَضَى الوَرَقَةِ
المجَهَّزَةِ عَطْفِها ، المُوَمَّلَةِ وَإِنْ كَانَتْ وَرَقَةً قَطْفِها ، وسأل مَقابِلَتِها بِالخَبْرِ الذى يَحْسِبُ
الأملَ حِسَابَهُ ، وَيَسْتَفْتِحُ بِنانِ القَلَمِ بابَهُ ، والإصغاءَ لما يُملى من رَسائِلِ الشُّوقِ
فإنَّها من رَسائِلِ إِخْوانِ الصِّفا المَسْتَطابَةِ ، لا بَرِحَ القاصِدُونَ مَرِحِينَ بِأَيَّامِ مَوْلَانَا
وَحَقَّ لَهُمْ أَنْ يَمْرُحُوا ، تالينَ نَسَبَةَ بَيْتِهِ وَرُحْمَى اللهُ على يَدِهِ : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ
فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ .

وله إليه أيضا مع الجهاز الشريف السلطاني :

أمتعها الله من خيرى الدنيا والآخرة بكرم الأمرين ، وبشرف الذكركين . وسرها
بما يجهز في الثناء والثواب من الوفيرين ، وأعلى منارها المحقق إلى السماء على وكر
النسرين . ولا زالت الآمال لا تبرح حتى تبلغ من تلك اليدين مجمع البحرين ، تقبيل
مخلص في الولاء والدعاء ، مستشهد بالخواطر الكريمة على ثبوت الأدعاء ، واردة لموارد
النعم قبل صدور بل قبل ورود الرعاء .

ويبقى أنه ليس للملوك فيما يؤمله ويتأمله ، ويفضاه من عقود المطالب ويجهه ،
غير إحسان مولانا الذي لا يمتل على طول الإيناس والإلباس ، وعوارف بيته
لستجدة تالية : **إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ** . وقد جهز الملوك الولد فلانا
بالحجاز المبارك إلى الأبواب الشريفة خلد الله سلطانها ، وملا به جواهر حبات
الذهب والفضة ، وهو على قدر الملوك ويقدره . لا على قدر مراده واختياره ، ولو أن
منه ما يجهه العبد إلى سيده . ويقدمه من سيد الحال ولده ، على قدر المحمول
منه . والله بين يديه ، لضعفت قوى أكثر العبيد عن ذلك ، ويثس من الرضوان
بكره . وإنما على العبيد أن يتصيب على قدرتها الحال . وعلى السادات
أن يورث بمواهل الخبر مستقبل الأفعال . وعله مولانا الكريم تحيط بتنقل الملوك
من بلد إلى بلد . ومن أمد كلفه على أموره وما حصل في ذلك من
مخارج ومصاريف كاد أن يحيى عليها الذي يحيى على غيره . وكان الملوك يود لو كان
الحصول من الجهاز من جواهر النجوم المشورة ، وأخية السعود المأثوره ،
مع تزئين للناس من الشهوات المذكوره ، أضعاف أضعافه الآن ، بل أضعاف
من ما حمل الأفلون من فلان وفلان ، كالحسن بن سهل مع اخية المامونية التي
كانت كرهه . وابن طولون مع المعتضدية التي كانت هذا الغيث قطرها ، والساماني

وما أدراك، والسُّلجُوقِيّ وما أسراك، وجميع ما تضمته التواريخ التي لو عاينت تاريخ هذه الدولة الشريفة عنت في الحال لمجده، وكان كلُّ بجلد منها يموت للهبة في جلده : لما خلده أيامها الشريفة من أخبار حكمها وخيرها، وكرمها وبرها، وعطفها على ممالك بيتها الشريف : تتقبل مسورهم، وتكفل سرورهم ؛ ويملا بجيوش الأشرار صدورهم، وتبلغهم من همم مطلوبهم ؛ وتقبل على زاهرات نجايهم ورياحين قلوبهم :

ولو لم تطعه نيات القلوب * لما قبل الله أعمالها.

والمملوك يسأل من إحسان مولانا الذي ألفه، ومعروفه الذي عرفه، ملاحظة الولد فلان بين يدي المواقف الشريفة خلد الله سلطانها، وإقامة عذر المملوك بعبارة التي أحل الله سحرها وبيانها ؛ فما للملوك في مقاصده مثل مودة مولانا الوافية المتوافية، ومقدمة عبارته الكافية الشافية ؛ والله تعالى يعين على شكر منته، والقيام بفرائض حمله وسننه ؛ والنهوض بأوصاف أياديه التي يغرد بها قلم الكتاب كما يغرد القمرى على فنيه .

الضرب الثاني

(ما يكتب مع الهدية عند بعثها)

وهو على عشرة أصناف :

الصنف الأول — ما يكتب مع إهداء الخيل .

على بن خلف : في إهداء جوادٍ أدهمٍ أغرٍّ محجلٍ .

وقد خدم المملوك ركابه الأكرم ، بجوادٍ أدهمٍ مطهَّمٍ ، قد سلب الليل غياهبه وكواكبه ، فأشتمل بأديمه ، وتحلّى بجمومه ، وأطلع من غرته الساذجة قرأ متصلا

بالمجره ، وتحلى من رثمته بالثرى^(١) أو النثره ، صافى القميص ، محوض الفصوص ،
 حديد الناظر ، صليب الحافر ، وثيق القصب ، نقي العصب ، قصير المطا ، جعد
 النسا ، كأنما أنتعلت بالرياح الأربع أربعه ، وأضغى لأستراق السمع مسمعه ،
 إن ترك سار ، وإن عمز طار ، وإن ثني أنحرف ، وإن أستوقف وقف ، أديب
 نجيب ، متين صليب ، صبور شكور ، والله تعالى يجعل السعادة مطلع غرته ، والإقبال
 معقد ناصيته .

من كلام المتأخرين :

كتاب عن نائب الشام إلى الملك الصالح : شمس الدين صاحب ما ردين قرين خيل
 منعم بها إليه ، عن السلطان الملك الصالح : عماد الدين إسماعيل بن الناصر محمد
 ابن قلاوون - من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، وهو بعد الألقاب .

وأجرى بالنصر جياته ، وبالظفر مراده ، وعلى عوائد السعد مطالع شمسه التي
 يسميها عرف المملكة بلاده ، ولا زالت منيرة بسعادة شمسه الأحلاك ، نظيمة بدر
 محامده الأسلاك ، مائلة خيول سعده حتى حمر السوابق من البروق والشهب السوانح
 في الأفلاك .

المملوك يقبل اليد التي إذا بسطت فلان تجود وتسلم ، وإذا قبضت فعلى سيف
 أوقلم .

ويُنهى بعدولاء وثناء للإخلاص شارحين ، وفي الضمائر والآفاق سائحين ، وأشتياق
 وعهد كانا أحق بالانتماء لأسمه ونعته وكان أبواهما صالحين ؛ أن المرسوم الشريف
 زاده الله تعالى شرفا ، ورد يتضمن تشریف مولانا على العادة وإعظامه ، وأستقرار
 مكانته من الخواطر الشريفة في دار مقامه ؛ وأستمرار كرامته من الآراء المعظمة

(١) هي بالضم بياض في طرف أنف الفرس . قاموس .

ولا يُنكرين الصالح والصالح استمرار الكرامة ، وأن الصدقات الشريفة أنعمت على مولانا بثلاثة أروس من الخيل كثلاثة الراح ، إلا أن حبابها عرق سبفها ، وثلاثة الشجر (١) كما قال الطائي تساوى شرف ثمرها وزهرها وعرفها ، مامننا إلا من تقصر (١) الرياح أن تسلك فجّه ، والبروق أن تتبع نهجه . ومن تود الثريا أن تكون لحامه والهلأل أن يكون سرجه . ومن يخطر كالغمام ويركض كالسيل . ومن كملت حلاه وليس حلة الفخار فمشى على الحالتين في الحلتين مسيل الذيل . ومن عقد بناصيته كل الخير وعقد له لواء الفخار على كل الخيل : من كل خضراء معجبة فهي على المجاز حديقه ، وكل أحمر سابق فهو البرق على الحقيقه ، وكل أصفر شفق إلا أن الرياح من مجاراته على نفسها شفيقه . وكيف لا يُسبّه بالشفق وهو من الأصائل ، وكيف لا يفتخر العسكرى بهذه الخيل وخصاير عددها في الحسن أوائل ، قد صرفت وجوهها المقبله ، لباب مولانا أحسن المصارف ، وكتبت عوارف الفضل في معارفه المسبله ، فناهيك منها بكتاب عوارف المعارف ، ووصل لمولانا بذلك مثال شريف ، ورسم للملوك بتجهيزها مع من يراه ، وقد جهز الملوك لخدمة مولانا الخيل المذكورة مع المثال الشريف صحبة فلان ، ومولانا أدرى بنفحات رياض الحمد بهذه الديم المطله ، وبالتقيل في الأرض التي هي سماء حوافر هذه الخيل التي هي أهله ، وأولى أن يشرف الملوك بمهمات ، ويؤنس لحظه بطيف اليقظة من مشرفاته ، والله تعالى يجتد لمعاليه في كل قصد نجحاً ، ويعلى لمجده في كل حال قدحاً ، ويروع الأعداء

(١) كذا في الأصل باستعمال من في غير العاقل .

(٢) في الأصل يخطر كالغمام ولعله مصحف عما أبتناه يقال تمطرت الخيل إذا جاءت مسرعة يسبق بعضها بعضاً تأمل .

(٣) في الأصل وجاد مجده تأمل .

من خَطَوَات خَيْلِهِ فِي بِلَادِهِمْ بِالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ، وَمِنْ خَطَرَاتِ ذِكْرِهِ فِي قُلُوبِهِمْ
بِالْمُورِيَّاتِ قَدْحًا .

وفي معناه :

يَقْبَلُ الْبَاسِطَةَ الشَّرِيفَةَ أَعْلَى اللَّهِ شَانَهَا ، وَجَمَلُ بَيْقَاتِهَا زَمَانَهَا ، وَضَاعَفَ عَلَى
الْأَوْلِيَاءِ بِرَّهَا وَإِحْسَانَهَا .

وَيَذِيحُ : أَنَّهُ أَتْبَاعَ جَوَادًا أَعْجَبَهُ ، وَطَرَفًا أَنْتَجَبَهُ ، وَقَدْ قَدَّمَهُ لَوْلِيٍّ نِعْمَتِهِ ، وَمَالِكِ
عُنْدَتِهِ : لِأَنَّ الْكِرَامَ لَا تَكُونُ إِلَّا عِنْدَ سَيِّدِ الْكِرَامِ ، وَالَّذِي يَصْلُحُ لِلْمَوْلَى عَلَى الْعَبْدِ
حَرَامٌ ، فَإِنَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُ التَّوْفِيقَ ضِيَاءَ غُرَّتِهِ ، وَأَيْمَنَ مَعْقِدَ نَاصِيَتِهِ . وَالْإِقْبَالَ تَحْجِيلَ
أَوْضَافَتِهِ ، وَالسَّعَادَةَ مَوْضِعَ الْجُلُوسِ مِنْ صَهْوَتِهِ ، وَالْمَمْلُوكُ يُسْأَلُ الْإِنْعَامَ بِقَبُولِهِ ، وَ[أَنْ]
يَبْلُغَهُ مِنْ ذَلِكَ [غَايَةَ] ، وَأَمْوَالَهُ ، مَضَافًا إِلَى مَا سَبَقَ بِهِ سَابِقُ إِحْسَانِهِ الْعَمِيمِ ، وَفَضْلِهِ
الْحَسِيمِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَحْرُسُهُ بَعِينَهُ الَّتِي لَا تَنَامُ ، آمِينَ .

الأجوبة بوصول الخيل

جوابٌ عن نائب الشام إلى أميرأخوَر بالأبواب الشريفة ، عن وُضُوعِ خَيْلٍ
إِلَيْهِ مِنَ الْإِنْعَامِ الشَّرِيفِ . مِنْ إِنْشَاءِ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ بْنِ نَبَاتَةَ ، وَهُوَ بَعْدَ
الْأَوَّلِ :

لَا زَالَتْ مَبْشُرَةٌ بِأَعْظَمِ الْبُيُوتِ وَكِرَامِ الْخَيْلِ ، مَبْشُرَةٌ النَّعْمَاءِ بِسَوَائِقِ السَّيْرِ كَدَوَائِقِ
السَّيْرِ ، مَبْشُرَةٌ عَنِ إِتْحَادِ سَوَائِقِ إِلَّا أَنَّهُمْ فِي النَّخَارِ وَالشَّيَةِ ضَافِيَةُ الدَّيْلِ ، سَفِيرَةٌ
بِالْأَمْوَالِ بِكُلِّ جَوْدٍ تَتَمَسَّحُ غُرَّتُهُ ، أَبْسَامُ النَّهْرِ وَبِدْرِكِ طَلَبِهِ إِدْرَاكُ اللَّيْلِ بِتَقْيِيلًا
يَمْتَدُّ إِلَى السَّيْرِ بِحِيَادِهِ وَيَتَسَمَّى عَلَى الْمَرْجِ النَّسَائِ الْغَمُودِ عَلَى الْأَجْيَادِ .

الر : أَيْمَنَ نِعْمَتِهِ وَالْعَمِيمِ وَالْحَسِيمِ ، وَيَعْمُرُهُ فَعَلٌ صَوَابٌ الْإِنْعَامِ .

وَيُنْهَى بَعْدَ ثَنَاءٍ وَوَلَاءٍ : هَذَا يَهِيمُ فِي كُلِّ وَاوٍ ، وَهَذَا يَهِيمُ بِمَثَلِهِ كُلُّ وَاوٍ ، وَرُودَ
 مَشْرِفَةِ مَوْلَانَا الْكَرِيمَةِ بِمَا مَلَأَ الْقَلْبَ مَسْرَهُ ، وَالْعَيْنَ قُرَّهُ ، وَدَرَجَ عَامَ الْفِيلِ مِنْ نُجْبِ
 الْخَيْلِ السَّيَارَةِ مَسْتَهْلٍ وَغُرَّهُ ؛ فَقَابِلَهَا الْمَمْلُوكُ بِتَقْبِيلِهِ ، وَقَامَ لَهَا عَلَى قَدَمِ تَجْبِيلِهِ ؛
 ثُمَّ قَامَ إِلَى الْخَيْلِ الشَّرِيفَةِ الْمُنْعَمِ بِهَا عَلَيْهِ فَقَبَّلَ مِنْ حَوَافِرِهَا أَهْلَةً ثُمَّ مِنْ غُرِّهَا
 نُجُومًا ، وَتَأَمَّلَ شِيَاتِهَا الْبَرْقِيَّةَ وَاسْتَمَطَرَ مِنَ السُّعُودِ غُيُومًا ؛ فَأَدْنَتْ لَهُ مِنَ الْإِقْبَالِ أَمَدَ
 قَاصِيهَا ، وَظَلَّ بِمَنْزِلِهِ الْخَيْرُ الْمَعْقُودُ بِنَوَاصِيهَا ؛ وَتَضَاعَفَتْ أَدْعِيَتُهُ الصَّالِحَةُ لِهَذِهِ الدَّوْلَةِ
 الْقَاهِرَةِ الصَّالِحِيَّةِ زَادَهَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَالْوَقْتِ الَّذِي مَلَأَ الدُّنْيَا بِسَحَابِ جُودِهِ
 وَرِيَاحِ جِيَادِهِ وَرِيَاضِ عَدْلِهِ ؛ وَالْمَلِكِ الَّذِي لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ، وَلَوْلَا شُهُودُ
 الْعَهْدِ الشَّهِيدِيِّ لَقَالَ وَلَا لِأَحَدٍ مِنْ قَبْلِهِ ؛ وَأَعَدَّ الْمَمْلُوكُ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ مِنَ الْخَيْلِ لِغُنْيِ
 عَلَيْهَا بِالْقِتَالِ أَهْلَ التَّعْطِيلِ وَالتَّثْلِيثِ ، وَيَسْتَخَفُّ بِهَا آجَالَ الْأَعْدَاءِ بَيْنَ يَدَيْ
 مَالِكِهِ ؛ فَإِنَّمَا مِنْ ذَوَاتِ الْعِزِّ وَالْعِزْمِ الْحَيْثُ ؛ وَمَا هِيَ إِلَّا كَوَاكِبُ سَعْدٍ تَمُدُّهَا أَسِنَّةَا
 الْوَقَّادَةِ ، وَزَهْرَاتُ حَسَنِ حَيْثُ بِهَا عَلَى الْبُعْدِ سِفَارَتُهُ الْمَعْتَادَةُ ؛ لِأَبْرَحَ مَوْلَانَا يَقْلُدُ
 بِعَيْنَيْتِهِ وَإِعَانَتِهِ الْمَنْنَ الْحَسَامَ ، وَيَنْصُرُ بِعِزَائِمِهِ النَّاطِقَةَ ، وَكَيْفَ لَا يَنْصُرُ وَيَقْطَعُ
 وَهُوَ الْحَسَامُ ؟ .

وله في جواب وصول أكديش وبارز [وكوهية] :

لَا زَالَ جَزِيلًا تَمَّاحُهُ ، جَمِيلًا مِنَ الْحَمْدِ رَبَّاحُهُ ، سَلْبًا يَهْمُ الَّذِي يَشْهَدُ بِهِ طَائِفُ
 الْخَيْرِ وَيَمْنُهُ وَطَائِفُ الْخَيْلِ وَتَجَاحُهُ . هَذِهِ الْمَفَاوِضَةُ شَهَادِي إِلَى سَلَامَةِ الْخَيْلِ وَرَبِّهَا
 وَثَنَاءً تُشْرِقُ غُرَّهُ وَأَوْضَاحُهُ ؛ وَتَوْصِيحُ أَعْلَمِهِ الْكَرِيمِ وَرُودَهُ كَالْبَرْقِ سَرِيعَةً الْإِسْتِثْنَاءُ
 طَائِرَةٌ يَمُنُّ طَرْسُهَا وَهَسَدِيَّتُهَا بِأَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثَلَاثَ ؛ حُصِّلَ الرُّقُوفُ عَلَيْهَا ، وَتَجَدَّدَ
 عَهْدُ الْآرْتِيَاكِ لَدَيْهَا ؛ وَفَهْمُنَا مَا لَمْ نَزَلْ نَفْهَمُهُ مِنْ وَدِّ الْجَنَابِ الْعَالِي ، وَبَرِّ الْمُتَعَالِي ؛

ووفاء عهده الذي لتلقاه المحامدُ بأمالٍ المحبِّ لأبمالي القالي، ووصل الأكدش الايكر
 ظاهرًا حسنه، سافرا عن وفق المراد يمينه، تجمل به المواكب، وتمشيه الرياح
 وبعضها من خلفه جنائب، وكذلك وصل البازي والكوهية، وكلاهما بديع
 الأوصاف، سريع الأفتطاف لأزاهير الطير والأختطاف، يسبق الطرف بجناحه
 اللأموح، ويستعجل من الأفق وإرد الرزق المنوح، ويواصل الخير والمير إلى المطبخ،
 فكان حوائج كاش تغدو إليه وتروح، لأبرح إحسان الجناب العالی وإصلا، وذكره
 في ضمير الاعتداد حاصلًا، وحكم سماحته وشجاعته باستحقاق الثناء فإصلا .

جواب بوصول جوارح :

كُتب به عن نائب الشام، جوابًا لمطالعة وردت على نائب الشام من الصالح
 صاحب ماردین من بقايا بني أرتق، صحبة سناقر، هدية للصالح إسماعيل بن الناصر
 محمد بن قلاوون : صاحب الديار المصرية . من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة :

وأيد هممه السوايح ، ونعمه السوايح ، وشبهه التي تنتظم منها عليه درر المحامد
 والممادح ، وشكر هداياه التي منها جوارح طير تحفُّ لفرط استحسانها الجوارح
 ولا زال من أجنحة نصره حتى السماك الراح ، ومن جنود سعده للأولياء سعد
 السعود، وفي الأعداء سعد الذابح ، ومن جياذ ركابه الشهب إلا أنها شهب الأفلاك
 السوايح ، ولا برح سلطان البسيطة مكافئًا عمل قلبه الوفي ، ولا ينكر العمل بالقلوب
 بين الصالح والصالح .

المملوك يقبل الأرض التي تستمد السحب من سمائها، وتستعد منازل الأنجم للتعلم
 من أنوائها ؛ تقيلاً يودع ورق الرسائل أزاهره، ويطلع في إيالي السطور زواهره،
 ويدخر في أيدي الحروف إلى أن تصل إلى أجياد المنابر جواهره .

وَيُنْهَى - بعد دعاء صالح، إذا جُذِدَ تَجَدَّدَ، وولاءٍ ناجح، إذا أَنْعَطَفَ تَأَكَّدَ، وثناءٍ
 سانح، إذا سرى لا يتوقف إلا أن نَسِيْمَه في الآفاق يتردد، وأرتياح لما يرد من
 أخبار دياره السائة إذا شافه سروره سَمِعَ الوليَّ شَهِدَ وَسَمِعَ الحاسدِ تَشَهَّدَ، حيثُ
 يتلقى ببلاده النجح والمقاصد، وصلات البر والعوائد، ووفود الآمال من كل أوب:
 فديار بكر ديار زيد وعمرو وخالد - ورود المشرف الكريم، بل الغيث السائر بخصب
 المقيم، على يد فلان ونعم اليد العائلة لأيدي البر العميم، ونعم المشرف الوارد عن
 مقر: هذا للأمل كهف وهذا للتأميل رقيم، ففضله المملوك عن علامة أسم لحسنها
 رسوم، ولها رسوم، وأستجلى مواقع تلك الأنامل المضية وأقسم على فضلها بمواقع
 النجوم، وأنتهى إلى الإشارات العالیه، وعلم ما كان القلب يعلمه من ضمائر الود
 الحالية لا الخالية، وقابل كل أمرٍ حسنٍ بما يجب من مذاهب الود المتواليه،
 ووصلت السناقير المنير سناً فضلها، المبير في معارك الصيد شبا نصلها، القائمة
 في كواسر الطير مقام الملوک الأکاسرة إلا في حکمها وعدلها، لا جرم أنها إذا
 دخلت آفاق طير أفسدتها وجعلت أعززة أهلها أذله، وإذا أنقضت على سرب
 وحش جذبتهم من دم الأوردة بأرسان حيث كستها من قوادم الأجنحة أجله،
 لا يسأل كاسرها في الطيور بأى ذنب قتلت، ولا يحملها جانب الطير والوحش إذا
 عاندته فيا عجباً لها على أيدي البشر كيف حملت، تظل الصيد فلا عجب أن يفرع بها
 من ظله، وتكتب علامم اليمين والظفر بما في لونها من شبه الخط وشكله، نعم
 الجالبة للخير والمير، والسائرة بما يُخيف المتصيدات وكيف لا؟ وعلى رؤوسها
 الطير، أزهري حسن لا بدع أن يكون لها كرائم، وبوارق العزم لا جرم أن أجنحتها
 عمائم، ونواقل البأس والكرم عن مرسلها فمهما جمعه الشجاعة فرقه المكارم.
 أستجلاها المملوك بعد أنفاظ المشرف الكريم فقال: (تلك الرياض وهذه السحب،

وتلك الأنوار الهادية وهذه في أفق مطارها الشهب) ، وجنّز المملوك المطالعة المحضرة
للأبواب الشريفة أعلاها الله وشرفها على يد فلان المذكور فقوبل بالإكرام والكرم .
ومثل بالمواقف الشريفة مثولا رقى بهمته إلى الكواكب لا جرم . وذكر بصالح
بيت الارتقاء صالح بيت أرتق حتى أنشد :

فَهَلْ دَرَى الْبَيْتُ أَنِّي بَعْدَ فُرْقَتِهِ . مَا سِرْتُ مِنْ حَرَمٍ إِلَّا إِلَى حَرَمٍ !

وقد عاد معلما من البشر بما يراه مولانا عليه ، معلما بما تقدم من نجوى الإنعام
بين يديه . حاملا من كرم وجاه يعذان للأولياء في يوم نزل والأعداء في يوم نزال ، قائلا
برجاء سعيه المؤمن : (يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) ولن تزال ، والله تعالى
يُجْرِي كَرَمَ مَوْلَانَا عَلَى عَوَائِدِ إِسْعَادِهِ . وَيَحْرُسُ بَعَيْنِهِ وَمَلَائِكَتِهِ نَفَاسَةَ نَفْسِهِ وَبِلَادِهِ .
وَيُدْخِلُهُ بِأَسْمِهِ وَمَسَاءِدِ لَدَى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فِي الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ .

وله جواب بوصول بازين :

ولا زالت بزاة كرمه على الحمد مطاه ، وسحائبه مسترله ، وهممه مستقلة بأعباء
المكارم وإن كانت لكثير ما يهديه مستقلة . هذه المناوضة تهدي إليه من السلام
أجله . وتوضح لعلمه الكريم وصول مكاتبته العالية فوقنا عليها ، وعودناها بكلمات
الثناء التامة من خلفها ومن بين يديها . وعامنا ما لم نزل نعلمه من موالاته وآلانه
المُسند في الشكر عنها والمستند في الولاء إليها ، ووصل كلاً البازين الحسين الحسين
كأنهما فرقا سماء قد اجتمعا . وقمرأ حُسنِ طلعا ، وعلى محاسن الصيد أطلعا ، يسران
القلوب والأبصار . ويحمل كل منهما على اليمين فيحصل به اليسار ، وما هما بأول
إحسانه الأسنى ، وبره الأهنى ، وأياديه التي أبا الكرم إلا أن ترد منى منى ، وعلم
اعتذاره عن الكوهية التي كان أدخرها فنفت ، ولو أقيمت بها أسواق الصيد

نَفَقَتْ ، وأرسل بروايتها تحقيقاً لدَعْوَى المكارم التي من زمانٍ تحَقَّقَتْ ؛ واللهُ تعالى
بِشُكْرِ بَرِّهِ ، ويملاً بِذِكْرِهِ بَحْرَ الشَّاءِ وَبَرِّهِ .

وله جوابٌ بوصولِ كُوهِيتَيْنِ على يدِ شَخِصٍ آسَمُهُ بِأَشَقْ :

لازالتِ المحامدُ من مَصَايدِ إنعامه ، وفوائدِ أيامه ؛ وثمراتُ البأسِ والكرَمِ من
قُضْبِ سُيوفِهِ وأقلامِهِ ؛ تقبيلِ معترِفٍ بإحسانها ، مغترِفٍ من مَوارِدِ آمِنانها ؛ متَحَفِّفٍ
منها بعاليِ تَحَفِّفٍ تُدَلُّ على مكانِها في الفضلِ وإمكانِها .

ويُنْهَى ورُودَ مشرَّفِ مولانا الكريمِ على يدِ الولدِ « بأشَقْ » فيأله بأشَقِّ جاء
بِكُوهِيتَيْنِ جميلَتَيْنِ ، وطارٍ للسرعةِ وهو حاملٌ مَتَيْنِ جليلَتَيْنِ ؛ وقد وصلتا و [كلنا] هما
حسنةُ الخَبْرِ والخَبَرِ ، حميدةُ الوَرْدِ والصَّدْرِ ، يُحَسِّنُ مَسْرِيَّ كُلِّ مِنْهُما وَسَيْرُهُ ؛ وَيَتَجَمَّلُ بِهِمَا
بَابُ الشُّكْرِ خاناهُ وصَدْرُها وَيَكْثُرُ خَيْرُ المِطْبَخِ وَمِيرُهُ ، فمَدَّ المملوكُ إليهما اليَدَ المَتَحَمِّلَةَ
الحامِلَةَ ، وإلى المشرَّفِ الكريمِ اليَدَ المَتَوَلِّيةَ المُتَنَاولَةَ ؛ وعلم ما تَضَمَّنَهُ من الحُسْنِ
والإحسانِ ، وَذِكْرِ المَوالاةِ التي يحكُمُ بها القلبُ العالمُ قَبْلَ شَهَادَةِ اللِّسانِ ؛ وأَعْتَدَارِ
مولانا عن تَعَدُّرِ وَجُودِ الشاهينِ ؛ وَكُلِّ إِحسانِ مولانا شَهِى كافي ، وَكُلِّ مَوارِدِ
نِعْمِهِ هَبْنِي صَافِي ؛ وَمَافَاتِ مَقْصَدِ وإِنعامِ مولانا وراءَ طَلْبِهِ وإن طال الأمدُ ، ولا فَرَّ
مَطْلُوبٌ حَتَّى يَأْتِيَ بِهِ سَعْدُ مولانا مَقْرُونًا في صَفْدٍ ؛ واللهُ تعالى يَشْكُرُ عَوائِدَ فضله ،
ولا يُضْحِي الأمالَ الملتجئة [إليه] من ظِلِّهِ .^(١)

جواب بوصولِ طيورٍ ، من إنشاءِ الشيخِ جمالِ الدينِ بنِ نباتةِ :

وَشَكَرَ هَدَايَاهُ المَتَقَبَّلَةَ ، وَسَجَّانَاهُ التي هي بأفواهِ المحامدِ مُقَبَّلَةٌ ، ولا زالَ بِأدْرِ سَعادَتِهِ
المُؤمِلَةَ وطائرَ هَدِيَّتِهِ المَتأملَةَ .

(١) مراده لا يجرها ولا يخلها .

صدرت هذه المكاتبُ إلى الجَنابِ العالى تُهْدَى إليه من السلام أُمَّه، ومن الشَّاءِ أُمَّه؛ وتوضَّحَ لعلمه الكَريمِ ورُودَ مكاتبته الكَريمه، ومكارمه السِّمِمه؛ وطُيورِ هديته التي كلُّ منها في الحُسْنِ بدرُتِمْ، وظَهَرَتْ ظُهُورَ البَدْرِ لِتَمَامِهِ فأبَتْ محاسِنُها أنْ تُنكُتِمْ، حُسْنَ ورُودِها، ورُعيَ بفضلِ التَّلَطُّفِ والتودُّدِ مقصودِها؛ وأقبلت تلكَ الطُيورُ اتِّمِيَّةَ تامَّةَ الإِنعامِ، دالَّةٌ بِيَمْنِ طَائِرِها على بركةِ عامَّةٍ وكيف لا؟ وقد جاءت بيضاءَ عددَ شهورِ العامِ؛ واللهُ تعالى يزيده من فضله، ويُجْرِي الأقدارَ بالسُّعودِ الشَّامِلةِ لجمعه الجامعةِ لشمِّله؛ إن شاء الله تعالى .

جواب في المعنى، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة أيضا :

لازالتِ الجَوَارِحُ شاهدةً بِيَرِّه، والجوانِحُ حائمةً الجَنَاحِ على شَرِيفِ ذِكْرِهِ؛ والمحامدُ من مَصائِدِ أَقلامِهِ ورِمَاحِهِ في السَّلْمِ والحَرْبِ : فإِما بِقِوادمِ سُمُردِ، وإِما بِمَناسِرِ حُمْرِهِ؛ تَقبِيلاً يبعثُهُ على أَجْنَحَةِ أوراقي الرِّسائِلِ، وَيَتَصَيِّدُ بِهِ على البُعْدِ مِشافَهَةَ تلكِ الأناملِ الجَلالِ .

ويُنهي بعد دعاء، تُخَلِّقُ إلى السَّماءِ كَلِماتَهُ الحَسَنَةَ . وولاءٍ وشاءٍ : هذا تَحْفِيقُ بِتَشَوُّقِهِ أَجْنَحَةَ القلوبِ، وهذا تَحْفِيقُ بِذِكْرِهِ أَجْنَحَةَ الألسِنَةِ - أنَّ كِتابَ مولانا وردَ على المملوكِ فأوردَ عليه المَسارِبَ؛ و[ملاً] يده بالمبار، ومصايدَه بالمير، ومنازلَه بالخير؛ وآماله بأمالِي الكَرَمِ لذي السرحاتِ المنشِرحِ بِأَيَّةِ (وَعَلَمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ) فقابله المملوكُ بِتَقبِيلِهِ؛ وواصلَ فَضْلَ الآ بِتَدادِ بِتَفْضِيلِهِ، وحصلَ من هداياها وهداها على جملة الإحسانِ وتَفْصِيلِهِ؛ وانتهى إلى الإشاراتِ العالِيَةِ التي زَكَّتْ على العِيانِ وتأمَلَهُ وأرَبَتْ على الجَنانِ وتأمَلَهُ .

فأما الإنعام بالكوهيتين اللتين ماقدف البحر إلى الساحل أبهى من دررهما
المكنونه ، وأزهر من وجوههما المباركة الميمونه ، فقد وصل كلا الطائرين بيمينه ،
والسابقين بيمينه ، والغائبين في جَو السماء الآتيتين من الصيود بأوفى من قطرات مونه ،
وَأستقبل المملوك منهما وجوه المسار ، وحمّلت يمينه الثروة وحمّلت على اليسار ،
وناولت يده يدي إحسان يسر الناظرين والسامعين ، وأستخدما للشكر خاناه ولحفظ
نمطبخ يلا عيون المشبعين والجائعين ، وقال صنع الله لصناعتها : اثتيا بصيود السماء
طوعا أو كرها (قالتا أتينا طائعين) . قد كتبت باليمن في مطاوي ريشها أشباه الحروف ،
وقضى الجود لتلك الأحرف أن تقرى ما تقرى عواصي الطير له بطاقة تقيد السابح
في طلقه ، ويعود مطلقها وقد أزم نجاح الطير طائرته في عنقه ، فشكر الله إحسان
مولانا الذي ألحف الأمل جناحه ، والقصد نجاحه ، ويره الذي أحمد في سوانح
الطير وبوارحه مساءه وصبأحه ، وعلم ما أشار مولانا إليه في أمر فلان وأمره علم
الله تعالى في الخاطر حاضر ، وما يؤخر شغله عن إهمال وعائب الإهمال غادره
وما أشار إليه في أمر فلان أمير شكاره وأمير شكر المملوك ، وتقدم بخلاص حقه ،
وأستنزل بهديته قضاء الشغل من أفقه ، لأبرح مولانا ممتثل الأوامر ، هامي سحب
البر الهوامر ، مجددا في كل وقت نعمي ، مائتا بهداياه قلوب محبيه وبيوتهم شحا ولجما ،
إن شاء الله تعالى .

وله جواب في وصول طيور العقق :

لا زالت متصلة من إرفاها وإرفاقها ، نازلة على حكمها [الأشياء] حتى
الطير العاقبة من آفاقها ، خافقة أعلام نصرها بالأجنحة مؤمنة لظنون القاصدين من

(١) لعل المناسب « بطون » .

إخفاقيها، تقبيل مُطْلِقٍ لسانِ الحميدِ على عوائِدِ إطلاقيها، مجتَنِّ لثمراتِ الإحسانِ من
غُصُونِ أَقْلَامِهَا وَغُصُونِ أَوْرَاقِهَا .

وَيُنْهِى وَرُودَ مَشْرِفِ مولانا العالی على يَدِ الولدِ فلانٍ فوقفَ المملوكُ عليه، وعلم
من جميلِ الاحتفالِ ما أشار إليه، وأنه موقعٌ على المقصودِ من طُيورِ العُقمِ فأوقعها
من مَطَارِهَا، وَأَسْتَنْزَلَهَا مِنْ أَوْكَارِ أَفْقِهَا وَأَفُقِ أَوْكَارِهَا، وَأَرْسَلَهَا قَرِينِ مَشْرِفِهِ
الكریم، وَقَدْ عُنُقَ الأملِ بِعِقْدِهَا النُّظْمِ، وَوَصَلَتْ سَبْعَةَ كَعْدَدِ أَيَّامِ الجُمُعَةِ الكَامِلَةِ،
وَالكَوَاكِبِ المَائِلَةِ، وَالسَّمَوَاتِ لِاجْرَمِ أَنْ تُحَبَّ بِمِنْهَا هَامِلِهِ، حَسَنَةَ الشَّكْلِ
الموصوفِ وَالوَصْفِ وَإِنْ كَانَ مَعَ عُقُوقِهِ المَأْلُوفِ، طَائِعَةً لِأوامرِ تَوَقُّعِهِ فَسَاعَقَتْ
مِنْهَا شَيْءٌ غَيْرَ تَضَعْفِ أَسْمِنِهَا المَعْرُوفِ، لِابْرِحِ إِحْسَانِ مولانا متنوعاً، وَبِرِّهِ الجَزِيلِ
مَتَبَّرَعاً، وَغُصْنِ قَلَمِهِ بِأَنْوَاعِ المَكَارِمِ مَتَفَرَّعاً .

وله جواب بوصول تَمَاتٍ، وَإِوْزِ صِينِي، وَطَلَبِ إِمْرَةِ عَشْرَةِ :

حَمِي اللهُ تِلْكَ النِّعْمَةَ مِنَ الغَيْرِ، وَأَطَّلَعَهَا عَلَيْهِ بِأَيْمَنِ الغُرِّ، وَلَا بَرِحَ طَائِرُ مَنْه
كَوَصْفِهِ أبيضَ الخُبْرِ وَالخَبْرِ . هَذِهِ المَفَاوِضَةُ إِلَى الجَنَابِ الكَرِيمِ تُهْدِي إِلَيْهِ سَلَاماً
يُسُوقُ الصَّبَاحَ، وَشَاءَ خَفَاقِ الجَنَاحِ، وَتُوضِّحُ لِعَلْمِهِ الكَرِيمِ وَرُودَ مَكَاتِبِهِ الكَرِيمَةِ
جَمِيلَةَ الفَوَائِدِ، جَلِيلَةَ المَصَائِدِ، تَمِيَّةَ البُدُورِ المَتَنَاوَلَةِ مِنْ مَنَالِ الفَرَاقِدِ، فَوْقُنَا بِالأَشْوَاقِ
عَلَيْهَا، وَعَطَفْنَا عَلَى العَادَةِ بِتَأْكِيدِ الوَلَاءِ إِلَيْهَا، وَوَصَلَتْ تِلْكَ التَّمَاتُ وَاصْحَةَ الأَنْوَارِ،
لِأَلْحَةِ كِبْيَاضِ النُّوَارِ، تَامَةً تَمَامَ مِيقَاتِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا أَنَّهَا لِبَيَاضِهَا كَأَرْبَعِينَ
نَهَاراً، وَكَذَلِكَ البَطُّ الصِّينِيُّ كَأَيَّامِ الحِجِّ عَشْرَةَ كَامِلَةً، مَفْتَرِضاً عَلَى عَشْرَتِهَا وَلاءُ القُلُوبِ
المَتَأَمِّلَةِ الآمَلِ، صِينِيَّةٌ مَمْلُوءَةٌ بِجَمَاسِنِ الأَلْوَانِ الَّتِي هِيَ بِغَيْرِ مَثَلِ مَائِلِهِ، وَحَصَلَ
الأَعْتَادُ بِرَدِّهِ، وَالْإِزْدِيَادُ لِحَمْدِهِ وَشُكْرِهِ، وَفَهْمُنَا مَا ذَكَرَهُ مِنْ إِمْرَةِ العَشْرَةِ الَّتِي آنَحَلَّتْ

عن فلان، وقد طالعنا بأمرها، ومجئنا بذكرها، ونرجو أن يعجل بأمانيها المتظرة،
وأن يقابل بمخاوف أعلامها خوافق بطه فتقابل عشرة بعشره، والله تعالى يعجل
لمعاله الصعود، ويؤثك لمساعيه السُّعود؛ إن شاء الله تعالى .

الأجوبة عن وصول الصيود ولحومها

جواب عن نائب الشام إلى نائب حلب بوصول [لحم] طير صيد قديد وصحبه
يطبخ أخضر، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة . وهو بعد الألقاب :

لا زالت تُقتنص المحامد بعطايه المكره، وأوايد الصيد برماياه المقررة، ورقاب
الإنس والوحش : إما بسهام نعمة المتواترة، وإما بسهام قسيه الموتره؛ ولا برحت
نفات مكارمه، تشهد أن المسك بعض دم الغزال، وسرحت عزائم، تمتد
في صيد الوحش لقرى نزيل أو في صيد الأعداء لتقرير نزال؛ تقيلاً تنعطف أجياد
الطبء لمحاولة عقوده، وتزدحم أفواه الأولياء على مشافهة وروده .

وينهى بعد ولأء تقوم الخواطر الكريمة في دعواه مقام شهوده، وشوق لا تزال
النسمات الشمالية قاضية باستمرار وفوده - أن مشرف مولانا الكريم ورد على المملوك
على يد فلان وصحبه الإنعام المتجدد، وإن كان قديماً في المعنى، واللحم القديد،
وإن كان أطرى من الروض النضير حسناً، والسمين المحبوب وإن كان كحال عده
الذين تُقدد جسومهم في الحياة قبل الممات حزناً، فقابل المملوك المشرف الكريم،
بتقبيل أحرفه، والإنعام العميم، بقبول مسعده ومسعفه؛ وعانقهما بجوانح آماله،
وأخذ الكتاب والبر كما يقال بيمينه وشماله، فيألف من طبء تُعشق وإن بدت
محاسنها، وغزلان تُغازل وإن بادت عيونها إلا أنه ما باد حب من يعاينها، وصيود
توصف وإن قصدها قصد السهام بطعن، ويتقى بقرونها القتال والقسي نالسة :

(كَمْ أَهْلَكَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ) . سَلَكَتْ خِيُولُ مَوْلَانَا لِقَنْصِهَا الْمَصَابِيبَ
وَأَتَّخَذَهَا الْآلَ كَلُونًا سَهْلًا ، وَتَصَيْدَهَا مِنَ الْفَلَاةِ وَأَصْطَادَهَا الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمَقْلَى ،
وَوَصَلَ مَعَهُ الْبَطِّيخُ الْأَخْضَرُ فَشَبَّهَ بِثَمَارِ الْجَنَّةِ الْمَشْبُوهُونَ ، وَقِيلَ : هَكَذَا تَرْتِيبُ مَا كَانَتْ
الْجَنَّةُ لَهَا فِيهَا فَافَاكُهُ وَالْحَمُّ طَيْرٌ مِمَّا يَشْتَهَوْنَ ، لَا زَالَتْ مِنْ مَوْلَانَا مَشْرُوحَةً
مَشْرُوعَةً ، وَثَمَرَاتُ نَعِيمِهِ مِنَ الدُّنْيَا كَثَمَرَاتُ أَهْلِ الْجَنَّةِ غَيْرَ مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ،
بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ .

أجوبة هدايا الفواكه وما في معناها

الشيخ جمال الدين بن نباتة :

جوابُ وُصُولِ مَشْمِشِ لَوْلُؤِيٍّ وَدَغْمِيشِيٍّ مِنْ حَمَاةٍ .

بَسَطَ اللَّهُ ظِلَّهَا وَنَدَّاهَا ، وَأَطْلَعَ بِالْيَمَنِ نُجُومَ هَدْيِهَا وَهَدَّاهَا ، وَلَا زَالَتْ مَوَاهِبُ
بَحْرِهَا لَوْلُؤِيَّيْهِ ، وَشَوَاهِدُ يَمَنِهَا كَوَكِيئَةٍ ، وَثَمَرَاتُ جُودِهَا فِضْيَةٌ الْأَعْيَانِ ذَهَبِيَّةٌ ، تَقْبِيلًا
حَلَّتْ مَوَاقِعَهُ ، وَجَلَّتْ مَطَالِعُهُ .

وَيَنْهَى بَعْدَ وِلَايَةِ وَحْمِدٍ : هَذَا قَدْ ثَبَّتَتْ فِي الْقَلْبِ شَرِيعَتُهُ وَهَذَا قَدْ عَدُبَتْ
فِي السَّمْعِ مَشَارِعَهُ ، أَنَّ مَشْرِفَةَ مَوْلَانَا الْكَرِيمَةَ وَرَدَّتْ عَلَى الْمَمْلُوكِ نَتَضَمَّنُ الْحُسْنَ
وَالْإِحْسَانَ ، وَيَمِينُ الْبِرِّ الشَّامِلِ لِكُلِّ إِنْسَانٍ ، وَعَهْدَ الْمَحَبَّةِ الَّتِي حَكَمَتْ فِيهِ بَعْلَمُهَا
الْقُلُوبَ فَمَا تَحْتَاجُ إِلَى بَيِّنَةٍ لِسَانٍ ، فَقَابَلَهَا الْمَمْلُوكُ مَقْبَلًا ، وَأَسْتَجَلَى وَجَهَ الْوُدِّ وَالْإِحْسَانِ
مُقْبِلًا ، وَوَصَلَ الْمَشْمِشُ الَّذِي شَفَى لَوْلُؤِيَّيْهِ نَظَرَ النَّاضِرِينَ ، وَنَوْعُهُ الْآخِرُ الدَّغْمِيشِيُّ
الَّذِي هُوَ الشَّهْدُ بِحَسَنِهِ وَلَا يُدَغْمِشُ بِاسْمِهِ عَلَى الْحَاضِرِينَ ، فَتَنَاوَلَ الْمَمْلُوكُ عَوَارِفَ
بِرِّهِ الْمَعْرُوفِ وَالْمَبْتَكَّرِ ، وَأَسْتَضَاءَ نُجُومِهِ الْمَتَرَدَّةَ مُنْشِدًا قَوْلَ الْمَعْرِيِّ : (كَمْ دُرٌّ ،
وَكَيُّرٌ هَذِهِ الْأَكْرُ) ، وَقَالَ : شَكَرَ اللَّهُ هَذِهِ الْمِنَّةَ الْحُلُوءَةَ الثَّمَرَاتِ ، الْمُتَّصِلَةَ

الخطرات ؛ وهذه المجاني التي طابت أصولها وفروعها فلا أبعدهن الله من شجرات ،
وحيا حماة وما جلبت ، وجنابات ذلك الوادي وما أنجبت ؛ وحدائق ذلك العاصي
لذي أطاع ببركة مولانا فأنبت أحلى وأحل ما نبت ؛ وقد جهز المملوك هذه الخدمة
منطوية على وظائف الحمد المستجاده ؛ ولطائف الحب المستفاده ؛ وحمد المن التي
لا زال من مولانا عادة ومن المحبين شهادته . لا برحت يد مولانا الكريمة إن بسطت
فيعوائد إنعامها ، وإن قبضت فعلى سيوفها لصالح الدور وأقلامها ، وإن زهت^(۱)
فروع المكارم ، تساقطت ثمرات برها من زهرات أكامها .

جواب بوصول مشمش وبطيخ حلبي ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة .

ويُنهي بعد ولاء وثناء : لهذا في الأسماع أزهى وأزهر ثمره ، ولهذا في القلوب
أرسى وأرسخ شجره - ورود المشرف الكريم على يد فلان ؛ ما ملأ السمع من أخبار
مولانا المرتبة سرورا ، والعين من آثار يده الكريمة نورا ؛ والضم من هدايا المشمش
لحموى كئوس لذة كان مزاجها كافورا ؛ فقبل المملوك أسطره مستحيا مواقع
رشفاته ، وقابله بعوائد المحامد مستجليا عوائد انتقاداته وصلاته ؛ ومد يده وفكره
فالتقط النجوم المشرقة من هداياه وكلماته ؛ وتقلد جواهر المبرات الحسنة المحسنة ،
والثمرات التي جاءت بدريّة القُدوم وإن كانت نجومية الهيئات المكنونه ؛ وأستصوب
نتائج الغيث فقال : لعل هذه بنادق قوس السماء الملونة ، وصنفا وطاب ظاهرها
وقلبها وكذا تكون صفات ذوى القلوب المؤمنة ؛ والمؤمن حلوى لاجرم ، والحموى
على عجمه الخراساني أولى بفصاحة الفخار والكرم ؛ لا زالت فعلات من مولانا
مستجاده ، ونعمه لاسيما المشمشية مستزاده ؛ وأفئداته المشهورة لدى ممالكه

(۱) لعل الصواب وان هزت ، كما لا يخفى .

ومحبته منه عادة ومنهم شهادته؛ وجاءت فاكهة البطيخ الحلبي وقد رضع حلب الغمام
فأنجبت، وأستوى باطنه وظاهره في الحسن فأعجب من حين أعشب به وأستطاب
الذوق والشم مطعمه وأنفاسه، ووصف بالرؤوس فضمه كل منلق وقبل رأسه به
يقال: نعم الهدية السرية، والفاكهة التي طلعت سرز [ها] دلالية وثريتها بذكره.

جواب عن وصول بطيخ حلبي، من إنشائه أيضا، [وهو] بعد الألقاب:

وشكر تجارته التي تلت، وهداياها التي تكررت بذلت، وأقناعاته التي طاب ظاهرها
وباطنها فكانت من أخلاقه الجميلة نقلت به أصدرناها إيدي إليه سلاما ينمده
كهديته تسميم العذير، وثناء ينتج أطيب الثمر مندهات غيثة الماطر، وتوضع لعلمه
الكريم أن مكاتبة الكريمة ردت بحسنة بالود مشاورة، وأقرت في الإتياع فاكهتها
وسما كرتها، ووصول البطيخ فله در حابه ودر حبه، لقد حسنت في ملاذ الملائم
طريقته المرضية، ولقد أسبه القناديل بتكوينه وفنسه عرقه فلا جرم أن قناديله
من الشكر مضته، ولقد ملأ خبره وخبره عين البصر وأذن المصيح، ولقد خلق دواء
لرؤسهم حتى قيل الحايين للأريد: دواؤك البطيخ، فشكر الله إحسان الجناب
السري، ويره المتوالي، من الرألة والولد ومن عدهما سلام المحب المتغالي، والله
تعالى يحفظ عليهم من الفضل ما وهب، ويرزقهم بغير حساب ويرزق الظن فيهم
ما حيسب، إن شاء الله تعالى.

وله أيضا جواب بوصول بطيخ حلبي، وهو بعد الألقاب:

وشكر إحسانه الذي حاد مذاقه، وزكت أعرافه، وحيا على البعد تحية طيبة
نضحت بها أزهار الكتاب وأثمرت أوراقه، هذه المفاوضة تُهدى إليه سلاما طيبا
كهديته، وثناء زائجا كطويته، وتوضيح لعلمه الكرم ورود مكاتبته الجامعة حسن

الأقوال والأفعال ، المطلعة بوارِدِ عَمَامِهَا أُطِيبَ الثمر في الخال ؛ فأحيت ولاءَ حاشي
 لوجوده من العدم ، وجددت عهد البشر - وما بالعهد من قدم - ووصل البطح
 الحلبي أصله ، الحموي فضله ، الدمشقي ضمه وشمه وأكله ، الفلكي ولا سيما من الأهل
 المجتمعة شكاه ؛ فكرم مطلقا ، وحسن من الأفواه موقعا ؛ وعم الحاضرين نوالا ،
 وأشتملهم بعطف الإحسان أشملا ، وأخذ الغلام السكين :

فقطّع بالبرق شمس الضحى ، وناول ككلاً هلال هلالاً

لابل أهلة كثر تعدادها ، وكرر تردادها ، ورصد قربها ولا نقول كما يقول أصحاب
 الهيئة أبعادها ؛ فشكر الله إحسان الجذب العاني حاضرًا وغائبًا ، وربه الذي يُصلح
 كل وقت من هداياه وكتبه أهلة وكواكبها ، ومرياه الذي نقل عن ملوك كانت
 منازعهم للحامد روضاً وكانت أيديهم للكرم تحائباً ؛ إن شاء الله تعالى .

وله جوابٌ بوصول قصب سكر وأترج وقنقاس :

لا زالت أوصاف شبيها ، تطرب كما يطرب القصب ، والطاف كرمها ، كما يغدو
 الحسد وينعش الروح ويشفي الوصب ، وأصناف نبيها من الخلو والخلوص
 مما يغدي الأيدي المتناولة فهي على الأعداء تنصب ؛ تقيس عيب حلت له المن
 فتناولها ، ومواقع اللثم فعاج إليها وعاجلها .

ويهي ورده مشرف مولانا الكريم ، على يد فلان يتضمن الحس والإحسان
 والبر المأثور بكل فم المشكور بكل لسان ، فقابله المملوك بما يجب من الخدمة لله
 ولاقاه بعوائد محمد عوائد فضله ، ووصل قرينه الإنعام الذي شرح قلوب وأفئاد ،
 وملا فم الشراب خاناه سكرًا ويد المطبخ إحسانًا ؛ وذكر بالله عز وجل عهد الديار
 المصرية ، وأوقات الأنس بخدمة مولانا السنية ؛ سقيًا لها من أوقات وعهود ، وشكرًا

لجود مولانا الذي هو في كلِّ وادٍ موجودٌ ؛ ولتدييره الشمسيِّ الذي احيا الله به على عباده عناصرَ هذا الوجودِ ، ولا برحمتِ مكارمِهِ متنوّعة ، ونعمَ أياديه متفرّعة : فمنها ما حَلَا فرُعُه فأصبح لكلِّ حلوا أصلا ؛ ومنها ما طاب ريحُه وطعمُه فكان للؤمنِ مثلاً ؛ ومنها ما لَدَّ طعامُه الشهيُّ فما هو مما يُهَجَّر وإن كان مما يُقلى .

وله جواب بوصول باكورة خيار وملوخية :

لا زالت تشرح بمكارمها الصدور ، وتفتح بركاتِ الأعوامِ والشهور ؛ وتمنح من لطائفِ منيها كلَّ جماعةٍ السرور ، وتمنح في هداياها المستبقة إلى الأولياء خيارَ الأمور ؛ تقبيل محبٍّ لا تُغَيِّرُ ولاءَه الدهور ، ماشٍ من طريقِ المصافاة والمُوافاة في نورِ علي نور .

ويُنهي ورودَ مشرفةِ مولانا على يدِ فلانٍ لتضمّن المعهودَ من ولاءِه وآلائِه والمشهودَ المشهورَ من إحسانِ نداءِ قبلِ نداءه ؛ فقابلها المملوكُ مقابلةَ الشيق إلى قرب الديار ، المُمضي في المحبة قلبه لمولاه قبل شرطِ الخيار ، ووصلت لطائفَ هديته الخِضرة النضرة ، وطرائفَ الفضلِ الباكورة كعاني اللفظِ المتكره ؛ فتجنز المملوكُ الفاكهة قبل أوانها البديع ، ورصدَ من أفلاكِ العلبِ في ذى الحجة غرةَ ربيع ، وتنازل بالهدية المجمعة الأحاباب في أن يعودَ الشملُ وهو جميع ؛ وقد عاد فلانٌ حاملاً من رسائلِ الشوق والشكر ما يؤذيه بين أيدي مولانا الكريمة ، ويحددُ بذكراه عهودَ الأئس القديمه ؛ لا برح مولانا سابقِ الكرم ، محضَر المربعِ بييضِ النعم .

قلت : وكتبت جواباً لبعض الأصحاب وقد أهدى لي سمكا :

أهدى لنا سمكا قد طابَ مطعمُه * أكرمَ به سمكا لم يسكنِ البركا !
لا شكَّ أنَّ له بالبحرِ شاكلة * والبحرُ عادته أن يهدى السمكا !

الضرب الثاني

(من كتب التهادي الاستهداء)

وأعلم أن كل ما يكتب مع إهدائه قد يكتب مع استهدائه، إلا أن الغالب مما حرت به عادة الكتاب في الاستهداء طلب الأشياء المعتبرة بنظرة منة دون ما يعظم خطره، اللهم إلا أن يكون الاستهداء من المساوئ ونحوهم فيطلب فيه ما جاز وعظم.

والذي حرت عادة الكتاب بالكتابة في استهدائه على أصناف :

الصنف الأول - آلات الكتابة : من الأدوات والمداد والأقلام :

ما تقدم ذكره في الإهداء .

أبو الفرج البيهقي في استهداء دواة :

أنفس الخاير وأشرف الآمال ما كان للفضل نسيباً ، وللصناعة والنظرة سبباً ، وبالذوى تحنى ثمره الصناعة ، ويحتلب ثمر الكتابة ، وقد يحسن التاديب الدهر عما كنت أفتنيه من نقائسها ، وفضائده في وجود الرضى على الحقيقة منها ، فإن رأى مولياً أن يميظ ببعض ما يستخديه من حالها أو غايتها من غبطة المملوك ، ويسرع بإهدائه إلى أهل تضريره ويقابله بالشجع والتقبل رغبتة ، فعليه إن شاء الله تعالى .

وله في استهداء مداد :

شنافس - أيدك الله - في أدوات الكتابة وآلات الصناعة بحسب التقاض في شهور العمة ، والتخير لبيان الإمكان والقدر . ولا غناؤك الذوى سواء فيما تمدر

(١) من جواب من الذوى الفخر القاموس .

الأقلام عنها ، وتستمدُّ بطونُ الكتب منها ، وأولى الآتها بأن تتوفَّر العنايةُ عليه ،
وينصرف التَّخْيِيرُ بِالضَّرُورَةِ إليه ، المِدادُ الذي هو يَنْبُوعُ الآداب ، وَعَتَادُ الكُتُبِ ،
وَمَادَّةُ الأَفْهَامِ ، وشَرْبُ الأَقْلَامِ ، جَمَلَهَا اللهُ بِرَاجِبِ القِصِيَّةِ والحُكْمِ ، في سَبْرٍ وصفِهِ
من الحِلْمِ والمَدَامَةِ ، وإِزْمَاتِ السُّنَنِ ، فَتُفَضِّلُ مَوْجِعَها ، ولتَجِبَ الأَشْرُفُ في أَعْيُنِ مُعَلِّمِيها ،
وَأَمَّا مُنَادِيٌّ رَءِيسٌ ، فَهِيَ بِرَأْسِهَا بِرَأْسِ كَلْبِيٍّ مِنْ جِوَارِحِهَا ، وَأَمَّا المُسْتَفِيدُ
فَهُوَ فِي مَنَاجِلِ الحَوْلِ الحَضِيَّةِ ، بِرَأْسِهَا فَهِيَ عِيْنُ سَمْعِهَا ، وَتَكْسِبُ نَهْمَهَا بِرَأْسِهَا ،
وَأَمَّا فَهْمٌ ، فَهِيَ بِرَأْسِهَا بِرَأْسِهَا ، وَتَكْسِبُ نَهْمَهَا بِرَأْسِهَا ، وَتَكْسِبُ نَهْمَهَا بِرَأْسِهَا ،

من باب فاعل في قوله

أولى الأقدام عنها ، وتستمدُّ بطونُ الكتب منها ، وأولى الآتها بأن تتوفَّر العنايةُ عليه ،
وينصرف التَّخْيِيرُ بِالضَّرُورَةِ إليه ، المِدادُ الذي هو يَنْبُوعُ الآداب ، وَعَتَادُ الكُتُبِ ،
وَمَادَّةُ الأَفْهَامِ ، وشَرْبُ الأَقْلَامِ ، جَمَلَهَا اللهُ بِرَاجِبِ القِصِيَّةِ والحُكْمِ ، في سَبْرٍ وصفِهِ
من الحِلْمِ والمَدَامَةِ ، وإِزْمَاتِ السُّنَنِ ، فَتُفَضِّلُ مَوْجِعَها ، ولتَجِبَ الأَشْرُفُ في أَعْيُنِ مُعَلِّمِيها ،
وَأَمَّا مُنَادِيٌّ رَءِيسٌ ، فَهِيَ بِرَأْسِهَا بِرَأْسِ كَلْبِيٍّ مِنْ جِوَارِحِهَا ، وَأَمَّا المُسْتَفِيدُ
فَهُوَ فِي مَنَاجِلِ الحَوْلِ الحَضِيَّةِ ، بِرَأْسِهَا فَهِيَ عِيْنُ سَمْعِهَا ، وَتَكْسِبُ نَهْمَهَا بِرَأْسِهَا ،

أول الأقدام عنها ، وتستمدُّ بطونُ الكتب منها ، وأولى الآتها بأن تتوفَّر العنايةُ عليه ،

وينصرف التَّخْيِيرُ بِالضَّرُورَةِ إليه ، المِدادُ الذي هو يَنْبُوعُ الآداب ، وَعَتَادُ الكُتُبِ ،

وَمَادَّةُ الأَفْهَامِ ، وشَرْبُ الأَقْلَامِ ، جَمَلَهَا اللهُ بِرَاجِبِ القِصِيَّةِ والحُكْمِ ، في سَبْرٍ وصفِهِ

من الحِلْمِ والمَدَامَةِ ، وإِزْمَاتِ السُّنَنِ ، فَتُفَضِّلُ مَوْجِعَها ، ولتَجِبَ الأَشْرُفُ في أَعْيُنِ مُعَلِّمِيها ،
وَأَمَّا مُنَادِيٌّ رَءِيسٌ ، فَهِيَ بِرَأْسِهَا بِرَأْسِ كَلْبِيٍّ مِنْ جِوَارِحِهَا ، وَأَمَّا المُسْتَفِيدُ
فَهُوَ فِي مَنَاجِلِ الحَوْلِ الحَضِيَّةِ ، بِرَأْسِهَا فَهِيَ عِيْنُ سَمْعِهَا ، وَتَكْسِبُ نَهْمَهَا بِرَأْسِهَا ،
وَأَمَّا فَهْمٌ ، فَهِيَ بِرَأْسِهَا بِرَأْسِهَا ، وَتَكْسِبُ نَهْمَهَا بِرَأْسِهَا ، وَتَكْسِبُ نَهْمَهَا بِرَأْسِهَا ،

وله في مثله :

الطَّفُ المِنَ مَوْضِعًا ، وَأَجَلُهَا مِنَ الأَنْفُسِ مَوْقِعًا ، مَا عَمَّرَ أوطَانَ المَسْرَةِ ، وَطَرَدَ
عَوَارِضَ الهَمِّ وَالفِكْرِ ، وَجَمَعَ تَمَلُّ المَوَدَّةِ وَالأَنْفَةِ ، وَأَدَّى إِلَى اجْتِنَاءِ ثَمَرَةِ اللَّدَّةِ ،
وَبَدَّخَارِكُ مِنَ المَشْرُوبِ مَعَ عَسَدِهِ الأَرِصَافِ [مَا] يَسْتَرِيقُ حَرَّ الشُّكْرِ ، وَيَحْرُزُ تَحَسُّبَ
السَّبْقِ إِلَى التَّسْرِ وَجَمِيلِ الذِّكْرِ ، فَبِمَا رَأَيْتَ أَنَّ تُجَاهِدَ «لَمْ يَكُنْ مِنْهُ مَرْقُوقِي» عَلَى قَضَائِهِ
حَقٌّ مِنْ أَوْجِبِ المِنَّةَ عَلَى بِيَارِيهِ مَعْلُومَةٌ .

وله في مثله :

مَنْ كَانَ بِفَضْلِ سَبِيحِ المَدَدِ المُنَوِّدِ فَطَنًا ، وَبِغَايَةِ التَّوَابِتِ مِنَ نَهْرِ الأَلْبَانِ ،
وَلَمْ يَتَعَوَّبَ بِأَسْسٍ فِي التَّهَمُّاتِ المَسَارِ بِهَيْبَةٍ ، وَبِطَوَائِفِ المَخَوَاتِ مِنَ كِبَرِ
الْمَشْرِيقِ بِأَرْبَعِ المَوَاقِفِ ، وَبِأَنْفُسِ المَجْرِبَةِ وَفِيهَا مَوَاقِفٌ ، وَصَادَقِي مِنَ المَشْرُوبِ
مُعِيرًا ، وَرَجَدَتْ الأَبْسَاحُ فِي كَوْنِهِ مِنَ غَايَةِ تَهَيُّ مَتَعَسِّرًا ، وَبِزَيْنِ تَمَطُّلَتِ
تَفَرِّجِ مَرْقُوقِي فِي الإِسْعَافِ مِنْهُ بِمَا لَمْ تَعَفَّ الأَنْفُسُ بِمَجْمَعِ تَمَلُّ المَسْرَةِ ، وَبِجَعَلِهَا
بِكَ فِي رِقَى الأَعْتِدَانِ بِالمِنَّةِ ، وَبِغَيْبِ عَنِي بِتَشْتَالِكِ المَرْقُوقِ المَوْثِقَةِ ،

علي بن خلف :

قَدْ أَنْتَظَمَ لَنَا - أَطَالَ اللهُ بِنَاءَ سِيدِي - بِجُلُوسِ وَاقِفٍ بَيْنَ النُّشَاطِ وَالتَّنْمِيهِ وَالتَّوَابِتِ
وَالشَّرُورِ : لَغُرُوبِ نُجُومِ النُّجْمِ عَنِ سَمَائِهِ ، وَعَظَلَهُ مِنْ حُلِيِّ نُورِهِ وَالأَلْبَانِ بِفِيهِ عَوْلَانَا
فِي إِطْلَاقِهِ إِلَى إِحْدَى الجِهَتَيْنِ عَلَيْهِ ، وَجَعَلْنَا زِمَامَهُ بِيَدِيهِ ، فَإِنْ رَأَى أَنَّ يُرْوَحَ أَفْكَارَنَا
بِشَيْءٍ مِنْ رَاحَةِ المُشَابِهَةِ عَبَقًا وَعَتَقًا لِأَخْلَاقِهِ وَأَعْرَاقِهِ ، فَعَلَّ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

(١) في "القاموس" مادة ن ف س « ونفس به كفرح ضن وعليه بخير حسد » .

وله في سلسله :

أفضل ما أهدى سيدي ما أهدى السرور إلى أحبته ، ونظم شمل المتحققين بخدمته ؛
 وحمم عنهم هواجس الفكر ، وأعداهم على الدمر ؛ وقد جمعنا مجلساً وقبناه لثناء
 عليه ، وزفت عرائس الخمر إليه ، فإن رأى إشارتنا بما يكمل نشاطنا ، ونتم
 أنيساطنا ، فليهدر همومنا بنبي من عقاره ، وينظم [جمعنا] في سلك أياديه ومباريه ؛
 إن شاء الله تعالى

النوع الرابع

(الشفاعات والعنسيات)

قال في "مواد البيان" : وهذه الكتب إنما تصدر عن ذوي الرتب والأخطار ،
 والمنازل ، والأقدار ، الذين يتوسل بجاههم إلى نيل المطوب ودرك الرغائب .

قال : والعنسي فيها من تنقذ إليه أحد ثلاثة أنواع : إما بذل ماله ولا يبذل
 ماله إلا ذوقه ، وهذا يفرضه على نفسه حقاً في له صديقه ؛ وإما بذل جاهه وفي ذلك
 الجاد راقه ، ماء الوجه والتعرض لوقوف الرد ؛ وإما الاستئصال عن تخيمة وبرجدة
 في العزول ، منهم أكثر حد أعصب وغض طرف الحق ، ومما صعبان إلا عن من
 نذل جلده ، وأصف لونه .

ثم قال : والكتب يحتاج إلى التلطف فيها وإيداعها من الخطاب ما يخرج به
 المتابع عن صورة المثل على المشفوع إليه بما كلفه إهد ، ويؤدى إلى بلوغ غرض
 المنفوع له ونجاح مطلبه ، ثم أشيع ذلك أن قال : وسبيل ما كان في استماعة المان .
 أن يبنى على الإبانة من موقع الفضل ، وفضيلة السؤال ؛ وأغتنام فرص الأوقار ،

في معونة الأحرار ، وما بجارى هذا - وسبيل ما كان منهما في طلب الانتفاع بالجاه أن يُبنى على هَرِّ الأَرِيحِيَّة لِأَصِطِنَاعِ الصَّنَائِعِ ، وتَحْمَلِ المَشَاقَّ فِي تَقْلِيدِ المِنَنِ ، وَأَدْخَارِ الفِعْلِ الحَسَنِ ، وَأَغْتِنَامِ الأَجْرِ والشُّكْرِ - وسبيل ما كان منهما في الإِسْتِزَالِ عَنِ السُّخَائِمِ أن يُبْنَى عَلَى المِلاطِفَةِ ، وَالإِشَارَةِ إِلَى فَضِيلَةِ الحِلْمِ وَالصَّفْحِ عَنِ الخَاطِئِ ، وَمَا فِي ذَلِكَ مِنْ حُسْنِ السَّمْعَةِ فِي العَاجِلِ ، وَمَتَوَقُّرِ المَثُوبَةِ فِي الآجِلِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ .

وذكر أن أحسن ما قصد في هذا الفن مسلك الإيجاز والاختصار ، وأن يسلك به مسلك الرقاع القصار الجملة ، لا الكتب الطوال المفصلة ؛ وأن يرجع فيما يودعه إلى قدر الشافع والمشفوع فيه ، والكاتب إذا كان مُرْتاضاً ماهراً لم يضل عن تنزيل كل شيء [في] منزلته ، وترتيبه في مرتبته .

قلت : ومن أحسن ما يطابق هذا النوع ما رأيتُه في بعض المصنِّفات : أن عمرو ابن مسعدة وزير المأمون كتب إلى المأمون في رُقعة :

أما بعد ، فإن فلانا سألني أن أشفع له إلى أمير المؤمنين ، فأخبرته أنني لم أبلغ عند أمير المؤمنين مبلغ الشفاعة - فلمَّا وَصَلَتِ الرُقعة إلى المأمون وَقَعَ عَلَيْهَا بَخْطُهُ : قد فهمنا تصريحك به وتعريضك بنفسك ، وأجبتك إليهما وأتحفناك بهما .

من كلام المتقدمين :

الحسن بن سهل :

كتابي إليك كتاب معتنٍ بمن كتب له واثقٍ بمن كتب إليه ، ولن يضيع حامله بين عناية وثقة ، والسلام .

أبو الحسين بن سعد :

وقد توجه إليك فلان بقصد فيه مستجمع ، وأمل فيما قبلك مُنبسط ، وليس بعد إصابتك عنده مَوْضِعًا وعندنا متجملاً للبد الحسنة إلا آفراض ذلك منه ومناً في أمره على يُسر في حاجته ، وتخفيف من مشورته ؛ فإن رأيت أن تأتي في ذلك بما يشبه أمله وظنه ، وتوجب عليه الحق به ، ونشكر لك منه ما سبق عندنا ، بأنك بحيث تأتي الفضل وتتوخى الصلة ؛ [فعلت] إن شاء الله تعالى .

آخر : معرفتي بأنك لا تتجاوز في العقوبة سبيلها من مواقع الأدب ، تحلني على مساءلتك ما أنت مُوجب له والذكرى تنفع المؤمنين ، ولولا ذلك لاستغنى صاحب كتابي عنه ؛ فإن كان ذنبه صغيراً فالصغير يُخرج من حبه ، وإن كان كبيراً فالعفو يسعه . وكتابي متفاض لك تقديم العفو على العقوبة ، والحسنة على السيئة ، والأستصلاح على القوة في التأديب .

طفال بن شبة :

وأحق من يعطف على أهل البيوتات ، ويجود لهم بما سبق ذكره ، ويحسن به ذنوره ، مثلك ؛ وقد وجهت إليك فلانا ، وهو من ذوى قراباتي ، وذوى الهيئة من أسرتي ، وعرضته لمعروفك ، وأحببت أن تلبس نعمتك وتصرفه إلى وقد أودعني وإياه ما تجده باقياً على البشر الجميل في الغيب والحضر .

ولغيره :

وقد جعلك الله غيائاً ، وجعل عندك لمؤمليك وراجي رفدك ، أبلغ ذريعة من كرمك وفضلك ؛ وقد أصبحت مفرع كل ذي هم ، ومدجاً كل ذي أرب ، وموضع كل أمل ، وأصبحت ملتقى السبل ، وجمع الأصناف المختلفة ، والطوائف المتصرفة .

(١) نعله على شر الجميل الخ .

أبو مسلم محمد بن بحر :

قد شهرتني باصطناعك [حتى] تكافأ في معرفة خبرها أهل بلدان المشرق
والمغرب . والذين عرفوني فصدق منهم مفتيظ بذلك لي ، وشريك في النعمة به
علي ، وقوى الظهر بما منحنيهِ الله من رأيك ؛ وإذا نابت بعضهم نائبة يرجوك
لكشفها ولم يكن له إليك طريق يُدنيه ولا حرمة تُقر به وتعطفك عليه ، سألني
الشفاعة له إليك ؛ ففعلت ذلك مدلاً بما أعتقده من الشكر على نعمتك عندي ؛
والإخلاص في طاعتك المفروضة علي ؛ واثقاً بتسويغك إياي ما رقيت إليه من درجة
الشافع لغيره ، والسائل (؟) في طريقه وذوي الحق عليه : لتكون قد أكلت
على النعمة ، ووكدت لدى العارفة ، وأستممت عندي الصبيعة .

أبو الخطاب بن الصابي :

أبسط الشفاعة وجهها ، وأقربها نجحاً ، وأوقعها في القلوب ، وأسرعها إلى القبول ،
ما وقع من أقسام ثلاثة : من إدلال السائل بحسن الظن ، وأرتياح المسئول إلى فعل
الخير ، وأستحقاق المسئول فيه لقضاء الحق ؛ فإذا اجتمع لها ذلك كانت الثقة بها
زائده ، والفتوة لها رائده ، والفضل عليها قائماً ، والنجح بها قادماً ؛ وكان الشكر
من أقل موجوداتها ، والمِنَّة من أجل مَذخوراتها .

وله : إن دَلَّ المملوك فبِصَدَقِ المودَّة ، أو عَوَّلَ فعلى حُسْنِ النِّيَّة ، أو أَسْتَظْهِرَ
فبِقَدِيمِ الحُرْمَةِ ، أو أَسْتَنْصَرَ فبِكَرِيمِ الرَّعَايَةِ ، ووراء ذلك همة من مولانا بريدة الرزقي ،
طويلة المساعي ، شامخة الأنف ، سابقة الطرف ، تُوجد الآمال سراحاً ، وتوسعها
نجاحاً ، وتأخذها نحاصاً ، وتردها بطاناً ، وتوردُها هزلاً وتصدرها سماناً ؛ وثقة مني

(١) لم يرد هذا الجمع في كتب اللغة التي بأيدينا والقياس على بطن وسمان لا بأباه .

قد أحكم عقدها الرمان، وأرتق شدتها الإمتحان، فصارت لأعراض المملوك رائده،
وفي قوّة نفسه زائده؛ فالمملوك من اجتماع هذه الأقسام، رُجُوب ما تقتضيه من
الأحكام، بين ظنّ جميل لإجمال الشكّ عليه، ويقين صحيح لأوصول للأرتياب إليه .

آخر : ولئن كان المملوك أسرف في مجارى التثقل على مولانا ، فإنّ المملوك لم
يردّ بعضاً من دواعى الأمل فيه ، فإنّ المظنون من فتوة مولانا رائد الثقة بجميل نيته ،
ولن يعدّم النجاح من اعتماد على الفتوة والثقة .

آخر : وينهى أنّ المملوك إن أدلّ ، فبحقّ لدى مولانا أتكده ، أو أسترسل ،
فبفضل منه عوده ، وبين الدالة من المملوك والعادة من مولانا موضع لنجاح الحاجة ،
وبلوغ الإفادة ، وقد فعل المملوك ما نعلق به واثقاً بالكرم من مولانا ، فليفعل مولانا
ما يتعلق به محققاً للأمل فيه .

آخر : وينهى أنّ المملوك إن أنبسط ، أو الحزرة الوكيدة ، ومعول على
النية الكريمة ، أو أنقبض ، فلهيبة الإقدام على مولانا ومراعاة التخفيف عنه ، ولفضله
فيما بين ذلك مسلك وغلبة تسلط يدعوان إلى حُسن الظن بمولانا ، ويوثقان من
وجود النجاح لديه .

آخر : بذل الجاه في إعانة الضعيف ، وإغاثة الملهوف ، والترويح عن
المضغوط ، والتفريح عن المكروب المكدود ؛ كبذل المال في إسعاف المعسر .
وإسعاد المقتر ، ومواساة المحروم ، والتعطف على المزحوم ، وما في الحالتين إلا ما اللدّيانة
له ضامنه ، والمروءة له قائمة ؛ والحقّ به مستوجب ، والأجر به مكتسب ، والصنعة
به معتقده ، والثوبة به مدّخره .

آخر : وينهى أن حرمة الحوار من أوجب الحرمات حقاً ، وأحكامها عقداً ، وأخصها بالعناية ، وأحقها بالرعاية ، وما رعاها إلا ذو قدرٍ عظيم ، وخلقٍ كريم ، وأصلٍ عريق ، وعهدٍ وثيق . وفلان ممن يضرب بداللتها ، ويمت بوسيلتها ، ويخفف بدمتها ، ويتعلق بعصمتها ، ويعتدها وزراً مانعاً ، وذخراً نافعاً ، وعدةً موجودةً عند الحاجة ، وله أمرٌ يذكره مشافهةً ، فإن رأى مولانا أن يحقق من ظنه ما كان جميلاً ، ويصدق من أمله ما كان فضلاً مولانا إليه سبيلاً ، فهو المعهود من إحسانه ، والمؤمل من فضله .

آخر : من سافر إلى سيدي بأمله ورغبته ، ومات إلى حضرته بوفادته وهجرته ، فقد استغنى عن الشافع ، وكفى أمر الوسائل والذرائع ، وحامل كتابي هذا قد تجشم القُدوم إليه ، وتمسك^(١) بذيام الوفاة عليه ، مع ما يتحقق به من حق المشاركة في الصناعة ، ويستوجبه بفضيلة الكفاية والأمانة ، وإنما أصدر المملوك هذه الخدمة عن يده ممهدة لأئسه ، ومقويةً لنفسه ، وإذا مثل بحضرته ، ونظره بعين نبأته ، فقد غنى عن الشفاعة وبلغ الإرادة .

آخر : وينهى أن ما يفرضه مولانا لمن أمه بالرجاء ، ومات له بإخلاص الحمد والثناء : من إدرار أخلاف الإفضال ، وتحقيق الرغبات والآمال ، يغني قاصديه عن الشفاعات والوسائل ، ويكفي آمليه تحمل الذرائع والمسائل ، والواصل إليه بهذه الرقعة فلان ، ومولانا يعرف حقه على المملوك وماله من الموات لديه ، وقد توجه إلى حضرته ، راجياً أن يلحفه من ظل سعادته ما يتكفل بمصلحته ، ويقضي على الزمن بإعدائه ومعاونته ، ومولانا أحق من تولاه بحسن خلافته فيه ، والتفضل على المملوك بتحقيق ما يرجيه .

(١) الذمام بالذال المعجمة الحق والحرمة .

آخرفى معتقل : علم المملوك بأن مولانا لا يتعدى فى العقاب موضع الإصلاح والتأديب ، ولا يتجاوز فى الغضب موقع التثويم والتهديب ، عملاً بالعدل ، وتمسكاً بالفضل ، يبعثه على تنبيهه لما أغفله ، وأنقياده لما أصابه ، وفلان قد تطاول أعتقاله : فإن كان جرمه صغيراً فقد ظلم فى القصاص ، وإن كان كبيراً فقد استحق الانتحاص ، والمسئول من إحسانه أن يعاود جميل عادته ، ويراجع كريم شميته ، فيعمل فى أمره بالعدل ، إذا لم يره أهلاً للفضل ، وإن كانت حقوقه متأكده ، ومزمته مؤكده ، فلا يحسن أن يضاع ويخفر ، ولا ينبغي أن يجحد وينكر ، وهو حرى أن يحقق الظن فيه ، ويقابل هذا السؤال بما يقتضيه .

آخسر : على حسب أخطار الودائع يكون الإشفاق عليها ، والشكر ممن صرف رعايته إليها ، وقد كان المملوك أودع كنف سرورته ، وفناء همته ، فلان ، وهو درة المحاسن الفريده ، ونادرة الدهر الشريده ، والجامع لأسباب المحامد بفضائله ومناقبه ، والناظم لنتار المآثر بحلقه وأدبه ، مع ما خص به من المعرفة بقدر الصنعة ، والتعويض بالشكر عن قليل العارفة ، والمملوك يرجو أن يكون مولانا قد أحسن خلافته فيه ، ونزله من حياطته وتوليته ، بما يوجبه مكانه من المملوك ويقتضيه ، متعوضاً من شكر المملوك وشكره بما هو خليق أن يطوق أجياد معاليه ، وينتظم فى سلك مساعيه .

رقعة - وينهى أن الأيام ، إذا قعدت بالكرام ، فأنزلتهم بعد السعة ضيقاً ، أوجدتهم إلى التثقل على من يمتون إليه بسالف الخدمة طريقاً ، ومن تحداه الزمن بنكده ، وعوضه ببؤسه من رغده ، فلان ، وكان قد فرغ إلى جماعة من الخلان ، واثقا منهم بالإمتنان والإحسان ، فالفى وعداً جميلاً ، ومظلاً طويلاً ، فعندل عنهم

إلى سيدي وعزل عنهم إليه ، وتوجه إليه معتمداً بعد الله في مقصده عليه ، ثقةً
بفضل غيره ، وحسن أثره ، وتحمل عبودية المملوك هذه ذريعةً تسعده له من مولانا
محيّاه ، وتوصله إلى ما يرجوه من معرفته ونداه . وما أولى مولانا بأن يحقّق ظنّ
المملوك وظنه ، ويحوز شكره وشكره ؛ إن شاء الله تعالى .

رقعة - وينهى أن رغبة سيدي في إسداء المعروف . وتغوت الملبس
تبعث على السفر إليه ، والتقدم بالرغبات عليه ، والله تعالى يواصل بين الدنيا
كما وصلها من يديه ؛ وقد سبقت له عوارف لا ينساها المملوك . ولا ينمل برضاها
إلا برفوع الدعاء ، وكريم الثناء ؛ حتى تقتضى ضرائرها ، وتستدعي نظائرها . جعل
عبوديتي هذه ، فلان ؛ والمملوك يرضى لمولانا لسان شكره ، كما يرضاه بحسن خبره .
وقد ركض ظهر الأمل إلى حضرته ، ووثق ببلوغ الوطن من جهته ؛ وإن سلك
في سلك من أسبغت عليه عوارفه ، وعمته لطائفه ؛ وعزز ذاته بمصداقها
المملوك إلى بايه ، وتقديمه ذريعةً في التزام حقه وإيجابه .

رقعة - من كان سيدي شافعه البسط في المني ، ولم يرض بغير الصلاة ، وقد علم
مولانا أن للشفاة أحوالاً ثلاثاً ؛ حالاً تخص الشافع ، وحالاً تخص المستشفع ؛
وحالاً تخص [المنفوع إليه] ولكلّ حدّ يجب الانتهاء إليه . ولا يجوز التخصير فيه ؛
فعلى المستشفع آرتياد أخصب جناب ، وأسكب تحاب ، وفصد الجهة التي لا تصد
عن البغية سائلاً ، ولا ترد عن الأمل آملاً ، وأن ينهض بالشكر عن الشفاة ، ويثبته
بالنعم عنه في الأحوال الطارفة ؛ وعلى الشافع أن يريق ماء وجهه في الشفاة .

(١) غار الرجل يغوره ويفيره نفعه فالمراد بفضل نفعه تأمل .

(٢) في الاصل الشافع وهو غير مناسب .

ويجوز رغبته في تسهيل المنال ، ويعتقد أن ذلك من الدين المقترض ، والدين المقترض ، ويتكفل بالقيام بما يستدعي منه من المكافاة ، ويلتمس من العوض والمجازاة . وعلى المشفوع إليه أن يعلم أن الشافع والمستشفع ما قصدها إلا بعد الثقة بأخلاقه ، ولا اعتماداً إلا بعد السكون إلى أريحته . وأنه لا ينبغي أن يخسر شجرها ، ولا يضع سفرهما . وقد اجتمعت هذه الأحوال الثلاث للرئيس المشفوع إليه . وليس لدى الشافع ، ولخادمه المستشفع به ، ولم يبق إلا عزيمة منه تبرز تلك الأحوال فتساقط أثمارها ، وتنبثق عوارض الآمال فيتهافت قطارها .

أمر المسرح البقاء :

وموصول كتابي هذا عن شفاعتي له بما يمت من حرّات الرغبة إليك ، والوفوف لأول كل مقصد عليك . وبما يشفع ذلك من التقدم في الصناعة ، والتوصل بوجبه الكفاية ، وإنما زودته هذه الأحرف لأفصح له باب الأنسة ، وأسهل السبل إلى التعلق بالعلم ، وأدل بها على ما تكشف منه المطاوعة والخيرة ، وأنت أيدك الله في التوفيق بالتقدم في بنائه ، وبسطه في الخدمة بما يستريد له محمود الأثر فيها من حسن النظر وجميل الرأي .

وله في مثله :

وموصول كتابي ليا يؤمله منك ويبلغه بك متمسكاً من رجائك بأوكد ذمّه . ومن شفاعتي بأوجب حرّمه ، ومهما متّ به بعد ذلك من ظهور كفاية أو تقدم في صناعة كان غير ضائع عند رعائتك . ولا مجهول مع تيقظ عنايتك ، وأرجو أن يحلّ من نقباتك ، بحيث أحله حسن النظر بتطوئك .

وله في مثله :

وفي علمك ما أخذ به نفسي ، وأروض به أخلاقي : مز الأقباض عن التسرح
إلى مسألة ، والأحتشام من الانبساط في حاجة ، مادلك على موضع فلان ومكانه
من إثاري بواجبات حقوقه ، وسالف موآته ، ولذلك سمحت بالكتاب له إليك ،
وفارقت رسي بالتفيل في قضاء حقه عليك ، وقد قصد نحوك بأبيه ، وأختارته
لرجائه ، وقدر بك بلوغ البغية ، وأختصر بشفاعتي إلى تفضلك السبيل إلى إدراك
المحبة ^(١) ، فإن رأيت أن تأتي في بابه ما يشبه فضلك ، ويناسب وكيدته ففته بك ،
وأني أشركه في الشكر وأسأله في الاعتداد ، فعلت .

آخر :

رأيت المساكين قد أجمعوا * على أنك الوزر المعتمد !
فأنت لطفتهم والسد . وأنت لشيخهم كالولد !

السلام العظيم ورحمة الله وبركاته على من جعله الله للمساكين ظلاً يقبهم ، وطلاً
يستفيهم ، ونعمة تعمهم ، ورحمة تضمهم ، أبو فلان ، أبقاد الله في عنزة تالدة طارفة ،
وسعادة لا تزال طارفة بكل عارفه .

من أقامه الله مقامك أيها الشيخ المبرور بالترقى بالفقراء ، والإحسان إلى العباد
لم يعدم من يضا يقبده في النداء ، ولا يندم فيضا يستبد لك كسلاً ، ولا يندم
توسل وحده ، وتستفيع من لا يتبع عمل عامل عنده ، ولا يندم فلان من
جناحه ، وأخني عليه الدهر واجتماعه ، ولما رأى الفقراء بربطكم من يقبهم ، وعلى

(١) لغة الطلبة .

شكركم متفقين ؛ أمم حسن الظن باليمن ، ولم يُقدِّم شفيعاً دُنْيَوِيًّا ، ولا طريقاً واضحاً
 مسويًّا ؛ وأنتم أيها الشيخ الموقر تُزِلُونَهُ مَازِلَةَ سِوَاهُ ، ممن نوى مشواه ؛ ونوى فيكم
 من الأجر والشكر مانواه ؛ إن شاء الله تعالى ، والسلام الكريم العميم . يخص جنابكم
 ورحمة الله وبركاته :

فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يُبْقِيَسُكَ فِي دَعَايِ - وَحَسَنِ حَالٍ وَتَيْسِيرٍ وَإِقْبَالٍ !
 مُقَدِّمِ الْمَجْدِ فِي عِزِّهِ وَفِي كَرَمِ * مُؤَمِّلِ النَّفْعِ مِنْ جَاهِهِ وَمِنْ مَالِهِ !

الشفاعات من كلام المتأخرين

الشيخ شهاب الدين محمود الحلي :

الشفاعة في استخادم كاتب درج :

جعل الله تعالى دوره رتبة اليراح ، وسعادته في الأزدية وأعاديه في الأنتفاص ،
 والاعمال لإحسانه مقروناً بصدق النية والإخلاص :

يَا مَنْ دَعَاكَ سَكَتٌ كَرِيمٌ * فَإِنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ فَيْكَ وَقَدْ فَعَلَ !

صاحب هذه الخدمة تستمطر بعباب كرمه ، وهامى ديمه ، وتسال جميل شيمه ،
 فاستوى شيبك لمؤلف وداعيه ، والشاكر لأبديه ، والملازم على رواية أخبار فضائله
 وبشاه رتشر تفضلاته ونشأ ؛ فإنه من بيت كريم النجار ، زائد الفخار ؛ وله على
 مولانا حق خدمة ؛ وهو يمت بسالف معرفة ؛ ومحبة الملوك له شديده ، والصحبة
 يترى ما تارة رتبة الرتبة بجديده ؛ ولولا ذلك ما نقل على خدمته ، وتهجم على المولى
 بمكاتبه ، وقد توجه إلى باب العالي منهاجراً ، وناداه لسان جوده فلباه وأجابه مبادراً ،
 وعرفنا أن يكون كثر من يديه ، ومملوكاً تقع عين العناية عليه ؛ وهو من الكرام

الكاتبين ، والراغبين في الانتظام في سلك خدَمِهِ والمؤثرين ، ووصفاته بالجميل موصوفه ،
وفصاحته معروفة ، وقلمه الذي يقلم ظفر المهتمات ويكف كف الحدّان ، ولسانه
الذي يغني بسبّاته عن حدّ السنان ؛ ورأيه المقدم في الهيجاء على شجاعة الشجعان ؛
فإذا أنعم المولى باستخدامه ، وتحقيق مرّامه ، كان قد وضع الشيء في محله ، وصنع
المعروف مع أهله ؛ وبيض وجه المملوك وشفاعته ، وصدق الأمل في إحسانه
ومروءته ، ورأيه العالی ؛ إن شاء الله تعالى .

وله شفاعه في استخدام جندي :

لا زال برّه مطلوباً ، وجوده محطوباً ؛ وذکر إحسانه في الملا الأعلى مكتوباً ؛ ولا
برحت رياض جوده أزهر وأنضر من روض الربا ، ويده البيضاء ترقم له في سواد
القلوب سطور حمد أحسن من نور تفتحه الصبا . هذه الخدمة صدرت على يد فلان
نهدي إلى المولى سلام المملوك وتحيته ، ودعاه الصالح الذي أخلص فيه نيته ، وتشفع
إليه في تزييه في الحلقة المنصورة واستخدامه ، وترتيبه في سلك جيشه المؤيد
وأنظامه ؛ فإنه من الأجناد الجياد ، وذوي الجلد على الجلال ؛ وهو الغشمشم الذي
لا يرد ، والشهم الذي لا يصد ؛ والباسل الذي لا تحصر بسأته بوصف ولا تحدد ،
والنقيب الميمون الغرة والنقيسه ، الموصوف في الهيجاء بحزم الكهول وجهل الجهل
الشبيه . والمولى وإن كان بحمد الله غير محتاج إلى مساعد ، ولا مفتقر إلى معانيد ؛
فإن أسنته لا تحتجب عن روح محتجب ، ونفسه الشريفة تقوم وحدها يوم الكفاح
مقام عسكري لحب ؛ وقلبه يغنيه عن الأطلاب والأبطال ، وجيوش سطوته لا تكفنه
المقام في منازل الزال ؛ فإن المملوك يعلم أن نفسه الشريفة تهوى تزيد عسكره وجنده ،
ررعى حرمة قاصده وقصده ، فلهذا توسل بشفع وتر الشفاعه ؛ وتوصل إلى إزالة

ضَرَحَ حاله بكثرة الضَّرَاعِ ، فإذا أنعم المولى بقبول شفاعة المملوك فيه ، وحقَّق له من العناية ما يؤمِّله ويرتجيه ، كان قد شدَّ للمشار إليه ، أضعفَّه العُطلة من منته ، وقد المملوك للمولى جميل منته .

شفاعة في رد معزول إلى ولايته :

يَقْبَلُ اليدَ العالية لازالت مقبله ، وإسداء الخير إلى أهله مؤهله ، وبأياديها على الكافة متفضله .

ويذهب ملازمته على شكر مواهبه ، ونشر فضائله الجسيمة ومناقبه ، وحمده كريم شيمه ، والاعتذار من ثقيله على خدمة المولى بخدمه ، وسؤال إنعامه بوجود مكاتبه ولسان قلبه ، وما ذاك إلا لما يتحققه من كريم نجاهه ، وشدة تطلبه لإسداء العوارف وإيثاره ، والموجب لهذه الوسيلة وسؤال مكارمه . وأستطار سخائب مراحمه ، ما بلغه من عزول مملوك المولى وعنده ، وواصف جميل أوصافه بلسان شكره وحمده ، فلان ، أفض الله عليه إحسان المولى وإنعامه . وخالد لنا وله دولته وأيامه ، فإنه صاحب المملوك وصديقه ، وشريكه في الدعاء لمولانا ورقيقه ، وهو من العُدول الأمانة ، والنقمة الأقياء ، وهو قليل الحدة كثير العيال ، لا يجد حيلة إذا بطل بخلاف ما يحكى عن البطال ، وقد تشفع بالمملوك ومكاتبته في ملاحظة المولى له بعين عيائه ، والتقدم برده إلى جهة ولايته ، فهذا كتب إليه وأكد في معناه السؤال ، وعلق بتحصيل أمه الآمال ، يعلم ذلك موقفاً .

شذاعة في خلاص مسجون :

فسح الله في مدته . وسهل أداء ما يجب من شكر نعمته ، وألزم الألسنة بحمده والتوب بحبته . وجعله مفرجاً كل كرب . ومسهلاً من المقاصد كل صعب .

وبعد ، فإن كافة الأمة قد تحققت رحمة قلب المولى ورأفته ، وتيقنت إحسانه ومروءته ، وأنه يؤثر إعانة كل عاين وإغاثة كل ملهوف ، وأنه لا يُتسك إلا بالإحسان ولا يُسرح إلا بالمهروف ، بحيث سارت بحسن سيرته الركاب عوضا عن الركبان ، ودرأت مكارمه عن الأولياء نوب الزمان ، وعلا على حاتم فلو تشبه بكرمه لقلنا له : (مرعى ولا كالسعدان) . وللملوك من إحسانه أوفر نصيب ، وهو يرقل من جوده في نوب قشيب ، وقد أشتهر ما يعامل به من الإكرام ، وأن قسمه من العناية أوفر الأقسام ، وكان يعد من جملة العبيد فأصبح مضافا إلى الأزام ، وهذا مما يوجب على الملوك أن يتهدل إلى الله في تخليد دولته ويتضرع ، وعلى حلم مولانا أنه إذا شفع إليه في مذنب أن يشفع ، وهو يشفع إليه في مملوكه وعبيده ، والملازم على رفع رايات مجده وتلاوة آيات حمده ، فلان ، رزقه الله رضا الخواطر الشريفة ، وأسبل عليه حلة عفوه المنيفة على الحلل بظلالها الكثيفة ، فإنه قد طالت مدة حبسه ، وأعترف بأنه الجاني على نفسه ، والمعترف بذنبه كمن لا أذنب ، والمغترف من بحر جوده يروى دون أن يشرب ، والطالب لبره ينال سؤله والمطلب ، فإن حسن في رأيه العالى زاده الله علا ، وضاعف له سناء ، المشى على منار جوده ومنهاجه ، وبروز أمره المطاع بإطلاقه وإخراجه ، أغتم أجره ، وجبر كسره ، ورجح في هذا الشهر المبارك دعاه الصالح وشكره ، وكان قد أنعم على الملوك بقبول شفاعته إليه ، وفعل ما يوجب على كل مسلم الثناء عليه ، والله الموفق .

شفاعة بسبب خلاص حق :

يخدم المجلس السامى لاقتى بالتحيات مخدوما ، وحبل سعدة مبروما ، ودر المدائح
لحيد جوده منظوما ، وعدله بين الأخصام قاضيا فما يترك ظالما ولا مظلوما .

(١) فى الأصلين « ودرأت مكارمه على الأولياء » ويظهر أنه تصحيف من الناسخ .

ولا زالت الآمال متعلقة بهيمته ، منوطة بسعيد عزمته ، راجية خلاص كل حق من هو في جهته . وتوضح لعلمه أن فلانا أدام الله سعادته ، وخلد سيادته ، ذكر أن الله ديناً في جهة غريم مُسَاطِلِ مُدَافِع ، وخَصْمُ مُمَانِع ، وقد جعل هذه الخدمة ذريعة إلى خلاص حقه ، وخالفها إلى الوصول إلى عناية المولى أقرب طرقه ، وهو جدير بالتقدم بإحضار غريمه ومحاqqته ، وأخذ مالمملوك في ذمته ، وأن لا يُفَسَّحَ له في تأخيره ، ولا يُسَمَّحَ بقليل الصبر ولا كثيره ، فإنه يعلم أن المولى المشار إليه واجب الخدمة ، وإفرا الحُرْمه ، وقد تعلق أمره في خلاص حقه بالمولى ، ولا يُجَازِبُ عن هذه الخدمة بلو ولولا ، بل يبذل جهده ، ويُطَلِّقُ في تحصيل الغرض لسان الاجتهاد ويده ، ويعتمد من الأهتمام ما يليق بأمثاله ، ويبيض وجه الشافع وسؤاله ، موقفاً . شعر :

ولو كان [أى] في حاجتي ألف شافع * لما كان فيهم مثل جودك شافع

شفاعة فيمن أسمه سراج الدين إلى من أسمه جمال الدين :

الشيخ جمال الدين بن نباتة :

وينبى بعد ولاء يحكم على القلوب شافع جماله ، وثناء يحرق على أكام الزهر فضل أذباله : أن العلوم الكريمة مُحِيطَةٌ بإيجاب حق من هاجر إلى بابها ، وشكا غلة الفاقة إلى منهل منهل تتحاياها ، وأن المسائل بهذه الخدمة ، فلان ، ذكر احتياجه إلى عاطفة من عواطف مولانا التي شملت ، وعارفة من عوارفه التي لو آسمدت من غررها الليالى لما أظلمت ولا ظلمت ، وأن بيده وظيفة شهادة بيت لحم بتواقع شريفة نظرت في حاله ، ونشرت حال عياله وأطفاله ، وأن ثم من ينازعه في جهته المعتاده ،

(۱) وَيَقْصِدُ نَزْعَهُ وَالنَّزْعَ عَنْ تِلْكَ الشَّهَادَةِ الْمَسْطَرَّةِ أَخْفَ مِنْ نَزْعِ الشَّهَادَةِ ، وَمَوْلَانَا أَوْلَى مِنْ رَحِمٍ مِنْهُ ضَعْفًا ، وَأَشْتَمَلَ عَلَيْهِ عَطْفًا ؛ وَدَارَكَ بِكْرِهِ هَذَا السَّرَاجَ قَبْلَ أَنْ يُطْفِئَ ؛ وَرَعَى سِيرَةَ مَبَاشِرَتِهِ الْحَسَنَةَ الْآثَارَ ، وَأَغْتَمَّ أَدْعِيَتَهُ وَأَدْعِيَةَ أَوْلَادِهِ الَّذِينَ هُمْ كَقِطْعِ الشَّطْرَبِجِ صِغَارًا وَبِكَارٍ ؛ وَكَفَّ يَدَ التَّعَرُّضِ إِلَيْهِ فِي أَيَّامِ عَدْلِهِ فَإِنَّهَا أَيَّامٌ لِأَضْرَرٍ فِيهَا وَلَا ضَرَّارٍ ؛ وَعَلَى الْجَمَلَةِ فَقَدْ تَرَكْتَهُ الْإَيَّامُ قِطْعَةً لَحْمٍ ، فَمَبَاشِرَةُ بَيْتِ لَحْمٍ أَوْلَى بِهِ ، وَرِجَالُهُ فِرْجَانِيَّةٌ وَأَخْوَاتُهَا أَحَقُّ أَنْ يَتَعَلَّقَ سَبَبُهَا بِأَسْبَابِهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُبِيرُ بَيْنَ مَوْلَانَا أَحْوَالِ الْمَضْرُورِينَ فَإِنَّهَا ظَلَامٌ ، وَيَنْصُرُهُمْ عَلَى حَرْبِ الْإَيَّامِ بِسُيُوفِهِ الَّتِي هِيَ أَقْلَامٌ ، وَيَمْتَعُّ بِأَيَّامِ عَدْلِهِ وَإِحْسَانِهِ الَّتِي تُتَنَافَسُ فِيهَا أَعْمَارُ الرِّعَايَا فَإِنَّهُمْ يُتَّبِعُونَ أَيَّامًا بِأَعْوَامٍ .

وله إلى شخص اسمه شمس الدين :

وَيُنْهِى بَعْدَ قِيَامِ بوظائفٍ شَاءَ يَتَمَسَّكَ بِنَفْحَاتِهِ [المتواليه] ، وولاءٍ يَتَمَسَّكَ بِجِبَالِهِ الْمَتِينَةِ وَمَا كُلُّ شَيْءٍ جِبَالُهَا وَاهِيَةٌ : أَنَّهُ يَرْتَادُ الْأَوْقَاتَ لِخُطَابِ مَوْلَانَا بِالْأَقْلَامِ ؛ حَيْثُ حَبَسَ الْبَعْدُ خِطَابَ الْكَلَامِ ، وَيَتَخَيَّرُ حَمَلَةَ رَسَائِلِ الشُّوقِ ، وَإِنْ أَضْعَفَ عَطْفُ النَّسِيمِ رَسَائِلَ السَّلَامِ . وَلَمَّا حَضَرَ مِنْ مَكَانٍ كَذَا ، عَارِضٌ هَذِهِ الْخِدْمَةَ فَلَانَ ، وَذَكَرَ تَوَجُّهَهُ إِلَى حِمَى حِمَاةِ الْحُرُوسِ ، وَقَصِدَ كِتَابًا يَكُونُ فِي وَحْشَةِ الْإِغْتِرَابِ أُنَيْسِهِ ، فَوَافَقَ ذَلِكَ غَرَضَ الْمَمْلُوكِ ، وَسَلَكَ طَرِيقَ مُرَادِهِ وَلَا يُنْكِرُ مِنْ جِهَةِ هَذَا الرَّجُلِ الصَّالِحِ السُّلُوكَ ، فَأَصْلَمْتَهُ أَنَّ الْمَكَارِمَ الْحَمَادِيَّةَ لَا تَحْتَاجُ غَيْرَ الْحَمْدِ وَالْأَجْرِ الْمُنَاسِبِ إِلَيْهَا ، وَالْمَنَازِلَ الشَّمْسِيَّةَ لَا تَفْتَقِرُ إِلَى دَلِيلٍ يَنْبُؤُهَا عَلَيْهَا ، وَطَالَمَا جَمَعْتُ لِقَاصِدِهَا الْفِعْلَ وَالْقَوْلَ السَّخِيَّ ، وَطَالَمَا قَالَ يَوْسُفُ رَحِمَهُ اللَّهُ أَخُو مَوْلَانَا أَبْقَاهُ اللَّهُ لِلْقَاصِدِ : أَنَا يَوْسُفُ وَهَذَا أَخِي ، وَلَكِنِ الْمَمْلُوكُ يَذْكُرُ الْخَاطِرَ الْكَرِيمَ بِهَذَا الْقَادِمِ فَإِنَّهُ مِنْ

(۱) في الاصل عند وهو تحريف من الناسخ .

أهله ، ويلقاه قبل ذلك بالبشر المنشد * أَضَاحِكُ ضَيْفِي قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ *
 فإنه من أصحاب ولي الله طالما فاض ولى معروفه ، وأستفاضت نسبته المرشدية
 فكان وليا مرشدا قامت صفته مقام موصوفه ، وإن آثار هذه البركات على هذا
 القادم لأئحه ، وإن على يده تجارة ذكر وأجروهي في سوق همم مولانا تجارة رابحه ،
 والله تعالى يجعل له في كل ثناء وثواب نصيبا ، ويديم قلمه الكريم مقصد رُفد وجاه
 (فطورا رشاء وطورا قاييا) .

وله : عن نائب الشام إلى نائب حماة شفاعته في شخص اسمه شهاب الدين ، وهو
 بعد الألقاب :

لازال الأقدار تُسعدده ، والملائكة تُحجده ، ومواطن النصر تجرد حده بأسه ومواطن
 الحلم تُعمده ، والحناة تلوذ بظله : فأى جاني ذنب ما يعفو عنه ، وأى جاني بر ما يرق
 عليه ويرفده ، تقبيلا يترادف مدده ، ولا تنتهي في القرب والبعد مدده .

وينهى بعد ولاء وثناء : هذا لا يبلى جديده وهذا لا تخفى جدده ؛ وشوق
 وأرتياح كلاهما يروى عن ابن شهاب توقده . ويحمل على يد شهاب سنده : أن
 العلوم الكريمة محيطة بمقدار الحلم وفضله ، والعفو ومحله ، والتجاوز عن هفوات
 المخطئين من القوم . وطلب العفو من الله غدا بالعفو عن عباده اليوم ، قال الله تعالى :
 زَلِّعُوا لِيَعْفُوا وَيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ . ولما سمع الصديق رضي الله
 عنه هذه الآية ، قال : (يا الله إني لأحب أن يغفر الله لي) ثم عفا عمن نزلت
 بسببه ، ومملوك مولانا أعز الله أنصاره فلان ، قد أعترف بهفوة بدت منه ، وزلة
 نقلت عنه ، ما يسعها إلا عفو مولانا ومراحمة ، وقدم على المملوك فكأنه ما خرج عن
 ظل مولانا ولا فارقت معاملة ، وسأل سؤال مولانا أن يشمله بالعفو ، ويتجاوز له

عن السهو، ويرحم كبر سنه وكبيرة جهله، ويرعى قدم هجرته لخدمة هذا الباب الذي نشأ عمراً طويلاً في ظلّه، أهلاً لأن تشمله عواطف أهله، وهو - كما عرف المملوك وأطلع عليه حيث كان في نيابة حماة - مشكور السيرة بالإعتبار، ناهض الخدمة بالإختبار، ملازم لثرى الباب بعزم ما عليه غباراً وله على المملوك بالأمس حقّ خدمة وباليوم حقّ سؤال يشفع بهما في القلوب وهي بكار، والمسئول من صدقات مولانا تجاوزه عن هفوته، وردّه إلى أمنه ووظيفته، وإجراؤه على عادة إقطاعه، وحاشاه في أيام مولانا أن يقطع، بل حاشى المذكور أن لا يستخبر وأن لا يقطع، وأستقراره في مكان خدمته، وإجابة سؤال المملوك في كل ما يتعلق بنجاح هجرته وعزيمته، لأبرح مولانا مأمول المن الغائبة والحاضرة، والمقيمة والسائرة، مأهول الخواطر برقع ذكره وقدره في الدنيا والآخرة.

الشيخ جمال الدين بن نباتة :

لا زالت المحامد بذكرها متوجهة، ومقدمات الفضل والفضائل من تلقاء شيمها منتجة، ومطالع الكرم والإكرام هادية إلى حرمة من أتجه، تقبيل مواظب على الدعاء يرفعه، والولاء يجمعه، والثناء يقول بضاع أرجه لا مما نُضِيعه بل مما نُضَوِّعه، [وينهى] أن عارض هذه الخدمة على عارض كرم مولانا الممطر، وبابه الذي هو لكيد الحاسد وفم الوارد مفضّر، فلان بالقضاء تعلقات له أولها التعلق بحبل رجائه المخصد، وأتمائه المرصد، والتجمل بقصد باب مولانا الذي هو المهّم المقدم على كل مقصد، وهو من الفضلاء الذين يعرفهم انتقاد مولانا معرفة الخبير، وله اتصال بالأكابر الذين سلم منهم زمام المفاحر كل كبير، وقصد من المملوك هذه الخدمة لمولانا تونس اغترابه، وتنشد المقر الذي ماقرع سن الندامة من قرع بابه :

يَا غَرِيبَ الصِّفَاتِ حَقٌّ لِمَنْ كَا * نَ غَرِيبًا أَنْ يَرْحَمَ الْغُرَبَاءُ!
 والمملوكُ يسأل من إحسان مولانا ملاحظة المذكور بعين عناية التي ما أغفقت
 عن القاصدين ولا غفلت ، وعواطفه التي طالما فتحت أبوابها فأثنت عليها الر كائبُ
 التي قفلت ؛ والله تعالى يُديم تقليد الأعناق بكلمه وبره ، ويمتّع المالك الساحلية
 بما قذف لها من درر بحره .

النوع الخامس

(التشوق)

قال في "مواد البيان" : وينبغي للكاتب أن يجمع لها فكره ، ويُظهر فيها صناعته ،
 ويأخذ في نظمها مأخذا من اللطافة والرفقة يدل على تمازج الأرواح ، وأتسلاف
 القلوب ، وما يجري هذا المجرى ؛ وأن يستخدم لها أعذب لفظ والطف معنى ؛
 ويذهب فيها مذهب الإيجاز والاختصار ، ويعدل عن سبل الإطناب والإكثار ؛
 لئلا يستغرق جزءا كبيرا من الكتاب فيمَلّ ويضجر ، ويفتطم في سلك الملق والتكلف
 اللذين لا يعتادهما المتصافون من الأصدقاء .

وهذه نسخ من ذلك :

أبو الفرج البغاء :

شوق المملوك إلى مولانا بحسب مكانه من تفضله ، وحظه من جميل نظره ،
 واختصاصه بإنعامه ، وأغتيابه بشرف خدمته ، ومكانه من إثاره ؛ والله يجمع للمملوك
 شمل السعادة بمشاهدة حضرة ، وسانه من الدهر بالنظر إلى غرته ، على الحال
 السارة فيه وبه .

(١) كذا في الأصين به من استعد وتراد أنه يتمتع بالنظر الخ تأمل .

وله : شوق المملوك إليه شوق الظئان إلى القطر، والسارى إلى غرة الفجر .
وله : شوقى إليه شوق من لم يجد مع بعده عوضاً منه ، فتقوده الزيادة إلى
الأنصراف بالرغبة عنه .

وله : شوقى إليه شوق من فقد بالكراهة سكنه ، وفارق بالضرورة وطنه .

وله : لو كان ما يُصدره من خطاب ، ويُناجيه به من متضمن كتاب ، بقدر
ما أعانيه من ألم الشوق إلى غرته ، ومضض الفاتت من مشاهدته ، لما أحاطت
بذكره بسطة لسان ، ولا ناب في إثباته استخدام بنان .

وله : أما الدهر فما يستحق من إبعاد المملوك عنه عتبا ، ولا يعد ماجناه من
ذلك ذنبا ، إذ كان إنما نقل من حشمة المخاطبه ، إلى أنيساط المكاتبه .

وله : وقدره - أبقاه الله تعالى - يرتفع عن ذكر الشوق إليه ، فالمملوك يعبر
عنه بذكر الشوق إلى مفارقه من تفضله ، وبعد عنه من أوطان تطوله .

وله : ولولا أن المملوك يُجد نار الأشتياق ، ويرد أوار الفراق ، بالتخيل الممثل
لمن نأت محلته ، والتفكر المصور لمن بعدت شقته ، لألمت أنفاسه ، وأسعرت
حواسه ، وهمت دموعه ، وأنقضت ضلوعه ، والله المحمود على ما وفق له من تمازج
الأرواح ، عند تباين الأشباح .

وله : ولا بد أن يكف بالمكاتبات ، من غرب الأشتياق ، ويستعين بالأسرار
المراسلات ، على وحشة الفراق ، فإنها السن ناطقه ، وعيون على البعد راققه .

وله : عند المملوك لمولانا نبيال مقيم ، لا يبرح ولا يريم ، يحأ عليه صورته ،
ويطلع على عين فكرته طلعتة ، إن سهر المملوك سامر معيناً على الشهاد ، أو رقد

تصوّر مُعْدِبًا طَعْمَ الرُّقَادِ ، لَا يَمُطُّهُ زِيَارَتُهُ ، وَلَا يُوحِشُهُ بَغِيْبَتُهُ ، كَأَنَّمَا تَصَوَّرُ بِصُورَتِهِ فِي الْوَفَاءِ ، وَتَخْلُقُ بِخُلُقِهِ فِي الْمَحَافِظَةِ عَلَى الْإِخَاءِ .

وله : إِنْ تَزَايَلَتِ الْأَشْبَاحُ . فَقَدْ تَوَاصَلَتِ الْأَرْوَاحُ ؛ وَإِنْ تَزَحَّتِ الْأَشْخَاصُ وَبُعِدَتْ ، فَقَدْ دَنَّتِ الْأَنْفُسُ وَتَقَارَبَتْ ؛ فَلَا تُمِضُ الْفُرْقَةُ وَتُؤَلِّمُ . وَتُنْفِصُ النَّوَى وَتَتَكَلِّمُ ؛ وَقَدْ يُنَالُ بِنَجَاحِ الضَّمَائِرِ . وَتَحَاوِرُ السَّرَائِرَ ، مَا لَا تَصِلُ إِلَيْهِ الْإِشَارَةُ ، وَلَا تَدُلُّ عَلَيْهِ الْعِبَارَةُ ؛ إِذَا الْأَنْفُسُ الْبَسِيطَةُ أَرَقَتْ مَسْرَى ، وَأَبْعَدُ مِنَ الْأَلْسِنَةِ مَرْمَى .

التشويق من كلام المتأخرين :

نسخة كتاب من ذلك ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، وهو بعد الصدر :
لَا زَالَ الدَّهْرُ يَقْضِي خِدْمَتَهُ ، وَيُمِضِي رَأْيَهُ وَسَيْفَهُ وَقَلَمَهُ ، وَيُرِضِي الدُّوْلَ الشَّاكِرَةَ تَقْدِيمَهُ فِيهَا وَقَدَمَهُ ؛ وَلَا بَرِحَتْ الْأَقْدَارُ الْمُعْرَبَةُ تُجْزِمُ أَمْرَهُ وَتَكْسِرُ ضِدَّهُ وَتَرْفَعُ عِلْمَهُ ؛ تَقْبِيلًا إِذَا لَمَّ التُّرْبَ التَّشْمَهُ ، وَإِذَا أُوْدِعَ الْقَلْبُ فِي ذَلِكَ التُّرْبِ خَتَمَهُ .
وَيُنْهَى مُوَاطِنَتَهُ عَلَى وِلَايٍ لَا يَنْسَخُ الْبُعْدُ مُحْكَمَهُ ، وَدُعَاءٍ يُقَابِلُ النُّجُومَ وَلَا تَنْقَطِعُ مِنَ الْقُبُولِ إِذْرَارَاتُهُ الْمُنْجَمَةَ .

ويُنْهَى أَنَّهُ سَطَّرَهَا عَنْ شَوْقٍ يَعْزُّ عَلَيْهِ أَنْ يُنُوبَ فِيهِ سَعَى الْقَلَمِ ، عَنْ سَعَى الْقَدَمِ ، وَأَرْتِيَاجٍ إِلَى الْقُرْبِ الَّذِي بَأَنَسِهِ يُؤْنِسُهُ أَنْوَارًا عَلَى أَعْلَى عِلْمٍ ؛ وَتَطَّلَعٍ لِمُعَاوَدَةِ الْأَخْبَارِ أَوْفَى مِنْ تَطَّلَعِ الْعَامِرِيِّ إِلَى مُعَاوَدَةِ أَيَّامِ ذِي سَلَمٍ ؛ وَتَعَلُّلٍ بِقَوْلِ الْقَائِلِ :

بَعَثْتُ لَكُمْ سَوَادًا فِي بَيَاضٍ * لِأَنْظُرَكُمْ بِشَيْءٍ مِثْلِ عَيْنِي !

وهيئات ! أين نظرات الحروف المرقومة من نظرات العيون الراقمة ، وأين منال السلو من شجوى يقول : * أعيدها نظرات منك صادقه *

ما يحسب المملوك من النظر إلا ما يملأ العين من ذلك الوجه الكريم ، ولا يلبس من خلع الأيام إلا ما تحيط الأهداب على شبا ذلك القرب الرقيم ، وعلى ذلك فقد جهزها المملوك على يد فلان ، وحمله من رسائل الشوق ما يرجو أن ينهض فيه بأعباء الرسالة ، ويسأل الإصغاء والملاحظة فيما توجه فيه وإن أدت الأمالي إلى الملالة ، والله تعالى المسئول أن يبلغ في امتدادها مولانا الأمنيّه ، ويمتّع الدول منه بهذه البقية النقيه ، إن شاء الله تعالى .

نسخة كتاب في المعنى عن نائب الشام ، إلى القاضي علاء الدين بن فضل الله ، كاتب السرّ بالأبواب السلطانية ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة أيضا ، وهو بعد الألقاب .

لا زال قلمها مفتاح الرزق لطالبيه ، واجاه لكاسيه ، والظفر لمستنيب كتبها عن كتابه ، والتنجح لرائد مطالبة الدهر بعد المطال به ، ولا برح البأس والكرم يتحدنان عن بحرهما ولا حرج عن عجائبيه ، تقيلا تغيظه في مرابعها ، تُغور الأزاهر ، لابل تحسده في مطالعها ، تُغور الزواهر .

وينهى بعد دعاء أحسنت فيه الألسنة وأخلصت الضمائر ، وولاء وثناء لهما مصاعد النجمين إلا أن هذا في القلوب واقع وهذا في الآفاق طائر - أنه جهز هذه الخدمة معربة عن شوق ينجدد ، وأرتياح لا يتعدى ولا يتعدد ، ساعية عنه بخطوات الأفلام ، أن منع الوقت خطوات الأقدام ، نائبة في تقبيل الأنامل التي تُسنسق ديمها على القرب والبعد ولا كيد ولا كرامة للغام ، وجهزها على يد فلان بعد أن حمله من رسائل الشوق ما إن حملنا من إحسانه لينضي عمود الأنجم لو تعددت ، ومفاتيح أبوابه لتنوء بالعصبة أولى القوة لو تجسدت ، وهو بين يديه يقدم تجواها ، ويستشهد

بالخاطر الكريم قبل حضور دعواها ، والمسئول إصغاء السمع الكريم إليه ،
 والملاحظة فيما توجه فيه متكلاً على الله وعليه ؛ وإذا عاد مشمولاً بعناية مولانا
 المعهوده ، مكفولاً برعايته المقصورة على نجح الآمال الممدوده ، فلينعم على المملوك من
 المشرفات الكريمة بما يسكن على جور البعد خواطره الدهشه ، ويعينه على الوحشه
 التي حركها نحوه البعاد فهي الوحشه ، والله تعالى يشكرهم مولانا غائباً وحاضراً ،
 وشافِعاً لرسائل خدمه وناظرها ؛ ويخص بابة العلوي بسلام كسلام سقيط الطل عن
 ورق الغصن ناضراً .

آخر من كلامه : كتب به إلى بعض رؤساء مصر .

ويهي أنه سطرها مغربه عن شوق مقيم ، وعهد لا يبرح على صراطه المستقيم ؛
 وارتياح لحنائه ، أو لكتابه ، ليتلو لإنصات شجوه : (أم حسبت أن أصحاب الكهف
 والرقيم) . متطلدا لما يرد من أخبار مولانا السارة البارده ، مرتقياً لأنبائه ارتقاب
 الزهيرة الفاغرة إلى ضرع الغمام الدآره ، ولو أن كل ما يمتنى المرء يدركه ، وكل ما يفترح
 على الدهر يملكه ، لغني بقرب مخاطبه ، عن بُعد المكاتبه ، وأستجلى كوكب الجمال
 المشوي وأقصر في ليالي الانتظار عن المراقبه . وقد جهزها على يد فلان ، وحمه من
 رسائل الشوق أوفى وأوفر من رسائل الصفا ، وسأل الإصغاء والملاحظة من مولى
 بكاره النيل معروف المنافع والوفاء ، ولآمال المملوك بمشرفاته وأوامره جمال حين يريح
 وحين يشرح ، وحين يقتصر على سقترحات الأيام حين يشرح ؛ فينعم مولانا بمواصلتها
 على هذه المقدمه ، ويعمل ذلك من إدرارات صلواته المنجمه ؛ والله تعالى لا يقدم
 المملوك في حال كرمه : إما أن يفيض في القرب بمره وإما أن يبعث على البعد ديمه .

وله إلى كاتب السر :

أعلى الله أمرَ قلمها على الأقلام، وأدام بفيض أنامله عليه بسطَ كلمة الإسلام،
راع بكتائب كتبه العدا إذا أنتبهوا، فإذا أغفوا «سَلَّتْ عليهم سُيوفها الأحلام» .

ولا زالت تلك الأقلامُ العاليةُ في تلك اليدِ الكريمةِ إن لم تكن من المنشآت
إنها من المنشآت في البحر كالأعلام ؛ تتبيل مواظب على دعاء يطلع طلوع طرة
لصبح تحت ذلك الظلام ، وولاء إذا أعتبر الخاطر الكريم مسعاه وخدمته :
قال يابشرى هذا غلام .

ويهي أنه جهز هذه الخدمة مقصورةً على وصف الأشواق المهدودة ، وجوانح
الشجر المهدود ، وأنفاس الندى التي لا شرف ، مذ كورها لم تكن عنده من
لأناس المهدود ، فبأها مقصورة على سوي ، فإنها غير طيور الجراح عناقاً الجراح ،
سبابة الأرياح ، ويأتمس أناس منسكراً أغنى ما يمتد من كبر كاس وأتراج
رقبت راح ، ويأها ورقة فارش ، يشاء لثم اليد الترسية لثمة رصاص ، ونأت
عن نخار الروض عطفاً ، واستطاست بأفك الشطير على تلك الأمان
وسطرتها والجسم أهل ما يرى ، فإلثني أميحت في هذا الشوق

واصلت إلى الباب الكريم بسلام وصل عبقة نرا ، ماودت ماودت عبقة نرا ، فلال
وقد حمل من رسائل الصفاء ، والود من ماحدث ، وحصلت على الصفاء ، والود
على ماحصل وحصلت ، والشواهد يسأل الإصفاء إليها ، والله بفرح من
والإنعام على الحب المبارك بمشرفات تجلو عليه أيام جمع ، ويريد على أوقات وحنية
إذا وصفها المشتاقون وأقلامهم ، ولو رأيتهم يمشون من اللوع ، لا يرح ذكراً مولانا
علياً ، ويرد بملء الآمال ، آراء ، ووصفه بالثني وحباب الجود على الخليل ولياً :



يَأْمِينَةَ النَّفْسِ وَيَا مَالِكِي * مُذْ غَبَّتْ عَنِّي لَمْ تَسْمِ مَقْلَتِي!

إِنْ بِنْتُ عَنْ عَيْنِي بَرَعْمِي فَقَدْ * سَكَنْتَ فِي قَلْبِي وَفِي مُهْجَتِي!

لا أوحش الله من طلعتة ، ولا أخلى من كريم مساعدته ، وجمع شمل الأُس

بخدمته .

المملوك يشكو من المولى فراقاً أوجب له على نفسه فرقا ، وجيش صدود منحه

من العزائم طوائف و فرقا ، وداء صباية كلما ترجى الإفراق منه ^(١) آزداد تلها و حرقا ،

ووجوب قلب تحتم لغيبته ووجب ، ودمع عين يحومها عبر عنه لسان قلمه

أو كتب ، وقد أطال المهجر تألمه وعبته ، وأطارسنته ولبه ، مذ وصل المولى غير

وقطع عنه كتبه ، والمولى يعلم أن المملوك لفظ والمولى معناه ، وسعدده شخص وأنت

وجهه الميمون ويمناه ، فبواتر إرسال مكاتباته ، ويخف بما ثوره ولباناته ، ويعطر

بذكره الجميل الأماكن ويشتف المسامع ، كما شرف بحلولة فيها الأضالع ، والله

يُدِيمُهُ وَيُمِدُّهُ بِالْإِسْعَافِ وَالْإِسْعَادِ ، وَيَنْصُرُهُ عَلَى الْأَضْدَادِ وَالْحُسَادِ :



أَقَاسِي مِنْ بَعَادِكَ مَا أَقَاسِي * وَقَلْبُكَ رَاحِمٌ وَعَلَى قَاسِي!

وَأَحْمِلُ مِنْ نَوَاكٍ بَضْعِي نَفْسِي * عَنَاءٌ يُعْجِزُ الشَّمَّ الرَّوَاسِي!

وَتُبْعِدُنِي وَأَمْرُكَ إِنْ أَتَانِي * جَعَلْتُ مَحَلَّهُ عَيْنِي وَرَاسِي!

(١) أى البره مصدر أفرق العليل إفرقا إذا برأ من غلته . انظر التيسار ج ١٢ ، مادة ف ر ق .

قَرَّبَ اللهُ أَوْبَتَهُ، وَعَجَّلَ رُؤْيَتَهُ، وَحَرَسَ نَفْسَهُ مِنَ الْغَيْرِ وَالْحَادِثَاتِ، وَصَانَ حِجَابَهُ
الْمُنِيعَ عَنِ الْمَلِمَّاتِ الْمُؤَلِمَاتِ، وَجَمَّلَ الْأَيَّامَ بِوَجُودِهِ، وَالْأَنْامَ بِجُودِهِ. وَلَا زَالَتْ
الدُّنْيَا بِهِ مَجْمَلَةً، وَأَعْنَاقُ أَبْنَائِهَا لِمَنِّهِ مَتَحَمَّلَةً .

صدرت هذه الخدمة إلى خدمته متضمنة إهداء سلامه، وشاكية لغيبته جور
أيامه، ومُنِيَّةٌ شِدَّةَ أَشْوَاقِهِ الَّتِي أَفْنَتْ بِالصَّبَابَةِ قَلْبَهُ، وَأَذْهَبَتْ حُشَاشَتَهُ وَوَلَبَّهُ، وَهِيَ
فِي ذَلِكَ نَائِبَةٌ مَنْابَ سَائِرِ الْخَدَمِ، وَمَعْبَرَةٌ عَنِ السِّنَةِ الْأَقَالِمِ بِلِسَانِ التَّلَمِّ؛ فَإِنَّ الْأَعْيُنَ
مَتَطَّلَعَةٌ إِلَى رُؤْيَتِهِ، وَالْقُلُوبُ مَتَعَطِّشَةٌ إِلَى قُفُولِهِ وَرَجْعَتِهِ؛ كَمَا نَتَطَّلَعُ إِلَى السَّمَاءِ عُيُونُ
النَّجْمِ، وَنَتَعَطِّشُ الرِّيَاضُ إِلَى الْوَابِلِ الْغَدَقِ بَعْدَ الْيَوْمِ الْمُحَرَّرِ الْمُشْمِسِ؛ فَالْمَوْلَى
يَعْمَلُ مَوَاصِلَتَهُ بِأَخْبَارِهِ فَرَضًا لَازِمًا، وَيَمْتَنِعُ مِنْ إِغْفَالِهِ كَمَا يَمْتَنِعُ مِنْ لَذَّةِ الطَّعَامِ إِذَا
كَانَ صَائِمًا؛ فَإِنَّ الْمَوْلَى هُوَ صُورَةُ الْجُودِ وَمَعْنَاهُ، وَبَيْتَهُ الْكَرِيمُ فَنَاءُ الْخَيْرِ وَمَغْنَاهُ؛
وَالنَّاسُ مَا لَمْ يَرَوْكَ أَشْبَاهَهُ، حَرَسَهُ اللهُ وَتَوَلَّاهُ، وَضَاعَفَ عُلَاةَهُ، وَالسَّلَامُ .



يَا أَجْمَلَ النَّاسِ سَنَاءً وَسَنًا * جَفَّتْ جُفُونِي لِحَفَاكِ الْوَسَنَا!

ثِمَارَ آلاَمِ إِيَّامِ أَجْتِنِي؟ * يَا لَيْتَنِي أَعْلَمُ حَظِّي مَا جَنَّا؟

وَأَنْتُمْ يَا أَهْلَ بَابِ لَعْلَعٍ * مَدُّ بِنْتُمْ لَمْ أَرِ شَيْئًا حَسَنًا!

أَقْتُمْ بِنَحْنِي أَضَالِعِي * وَسِرْتُمْ يَا أَهْلَ وَادِي الْمُنْحَنَا!

فِي بُعْدِكُمْ مَنِّي لَا تَبْعُدُوا * وَقُرْبِكُمْ غَايَةُ سُؤْلِي وَالْمَنَا!

خَلَّدَ اللهُ سَعَادَتَهُ، وَبَلَّغَهُ مِنَ الْعَلْيَاءِ إِرَادَتَهُ؛ وَأَثَلَ مَجْدَهُ، وَأَدَامَ سَعْدَهُ؛ وَأَعَذَّبَ

مَنْهَلَهُ وَوَرَدَهُ .

المملوكُ يتشوقُ إلى لقائه ، ويتشوقُ إلى أنبائه ، ويصفُ شديدَ اشواقه وصَبَابته ،
 وحينئذٍ إلى مشاهدةِ المولى ومشافهته ، وما يجدهُ لذلك من ألمٍ في جوارحه الجريحه ،
 وسَقَمٍ في جوانحه الصحيحه ؛ ويلمس مواصلته بكتبه آناء الليل وأطراف النهار ،
 وأخباره السارة ليتضاعفَ له مزيدُ الاستبشار ؛ فإنَّ القاب بنار الصبابة قد وقَّد ،
 وأما صبره على [بعده] فقدَّ فقدَّ ، ومتى ورد كتابُ المولى سُفِي الغليل ، وأبلَّ العليل ،
 ونجم طعم الحياة ونجم التأميل ؛ فليصيرَ وتر مكاتباته شُفعا ، ولا يجعلَ لوصاياهنَّ قطعا ؛
 والله يمنح عيشه خفضا ومكانه رفعا ، والسلام .



شعر في معنى التشوق :

قد كان لي شرفٌ يصفو برويتكم * فكدرته يد الأيام حين صفا

غيره :

صكتبت^(١) للكتاب مجلد * على أنه قبلي بلقياك يسعد

النوع السادس

(في الاستتارة)

(٢) قال في "سواد البيان" : رِقَاعُ الاستتارة إنما تستعمل على وصف حالات
 الأُنس ومجالس اللذات ، ومشاهد المسرات . قال : ويجب على الكاتب أن يودعها
 حلو الألفاظ ، ومؤنق المعاني وبارع التشبيهات ، ويأليغ في تشويق المسترار إلى
 الحضور ، ويتلطف فيه أحسن تَلَطُّف .

(١) يابض في الأمل ولهده وشوق للكتاب الخ .

(٢) لهه مجالات كما لا يخفى .

وهذه نسخ من ذلك :

على بن خلف :

رُفَعْتِي - أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ سَيِّدِي - وَمَجْلِسِي بَيْنَ حَلَّةٍ مِنْ خَدَمِهِ ، وَنَزَلَهُ مِنْ صَفَا
كِرْمِهِ ، فَكَأَنَّ مَرِينَ بِأَنْجَمِهِ ، فَإِنْ رَأَى أَنْ يُطْلِعَ فِيهِ بَدْرًا بِطُلُوعِهِ وَيُنْقَلِ قَدَمَهُ إِلَيْهِ
وَيُكَمَّلَ نَقْصَهُمْ بِتَمَامِهِ ، وَيُضَيَّفَ ذَلِكَ إِلَى تَلِيدِ إِنْعَامِهِ ، فَعَلِ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى
وَلَهُ فِي مِثْلِهِ :

قَدْ أَنْتَضَمَ لَنَا - أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ سَيِّدِي - مَجْلِسٌ رَقَّتْ حَوَاشِيهِ ، وَتَبَسَّمَتْ رَأْسُ
عَنْ حَبِّبٍ ، كَالْأَلِيِّ عَلَى ذَهَبٍ ، وَقَامَتْ فِيهِ سُوقُ السُّرُورِ ، لَا يُكْسِدُهَا إِلَّا تَخَفٌ
عَنِ الْحُضُورِ ، فَإِنْ رَأَى أَنْ يُكَمَّلَ جَدَلَنَا بِإِطْلَاعِ طَلْعَتِهِ عَلَيْنَا ، وَيَصَدِّقَ ظَنَّنَا بِتَمَامِ
قَدَمِهِ إِلَيْنَا ، سَرَّ وَأُبْهِجَ ، وَتَمَّ مِنْ الْإِحْسَانِ مَا أَخْدَجَ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

وله : هَذَا - أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ مَوْلَانَا - يَوْمَ صَفِيْقِ الظَّلِّ ، رَقِيْقُ غِلَالَةِ الطَّلِّ
قَدْ تَرَفَعَتْ شَمْسُهُ بِبَرِّجِ الأُنْسِ (١) ، وَأَفْتَرَّ جَدَلًا عَنْ مَضَاحِكِ بَرْقِهِ ، وَتَرَنَّمَ طَرَبًا بِزَيْجِ
رَعْدِهِ ، وَوَشَّتْ مَدَارِجُ نَسِيمِهِ ، بِأَرْجِ شَمِيمِهِ ، وَقَامَ عَلَى مَنَارِ السُّرُورِ يَخْطُبُ
الْكَرَّمَ لِأَبْنَاءِ الْكِرَامِ ، وَيُنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِهِ : حَيَّ عَلَى الْمُدَامِ ، فَقَدْ وَجِبَ عَلَى
مَوْفِقِي لِأَجْتِنَاءِ ثَمَارِ السُّرُورِ ، وَالتَّعَافِ عِطَافِ الْحُبُورِ ، أَنْ يَلِيَّ دَعْوَتَهُ ، وَتُحْيِي
فُرُصَتَهُ ، وَيُعَوِّضَهُ مِنْ شَمْسِهِ الْآفِلِهِ ، بِرَاجِ لِإِظْهَارِ مَا أَخْتَفَى مِنْ نَسِيمِهِ وَأَعْوَابِ كَانِ
وَيَقِفُهُ عَلَى التَّمَلِّيِّ بِالْكَاسِ وَالنَّدْمَانِ ، وَيَجْعَلُهُ سِدْرًا يَنْتَضِمُ فِيهِ الْإِخْوَانُ . وَرُقِيْقِي
هَذِهِ صَادِرَةٌ إِلَى مَوْلَايَ وَقَدْ تَبَيَّنَا لَنَا مَجْلِسٌ مِنْ مَجَالِسِ الأُنْسِ ، بِسِتْرِ تَجَمُّدِ النَّدَمِ

(١) لعله "أفقد" .

(١) فيه بغم ونغم ، ومزهر وزهر ، وخلان قد تراضعوا لبان العقار ، وتساهموا نقل الوقار ، وشجعوا في معارك الخمار ، وأدمنوا على المماساة والابتكار ؛ إلا أن هذا المجلس مع تمامه مُخَدِّج ، وعلى كماله محتلج ؛ لبعد مولاي الحال منه محلّ الواسطة من النظام ، والأرواح من الأجسام ؛ فإن رأى أن يُكَلِّم منه ما نقص ، ويُمِيط عنه [ما نقص] فليجملنا بالمصير إلينا ، والطلوع علينا ؛ وإعفائنا من إضجار الانتظار ، معتداً بذلك في كريم الأيدي والمبار ؛ إن شاء الله تعالى .

وله في مثله :

هذا اليوم - أطل الله بقاء سيدي - يوم أعرس فيه الجؤ بالجارية البيضاء
نخدرها ، وحجها بسجف الغمام وسترها ؛ واختال آختيال المعرس في معرسه ، بمصنّده
ومسكه ومورسه ؛ وأتخذ من ذهب البوارق نثاراً ، وأستنطق من زنار الرواعد
أوتاراً ؛ ودعا إلى حضور ولينته ، والسرور بمسرتة ؛ فإن رأى أن يلبي طلب هذا اليوم
الصفيق ، ويتمتع بعيشه الرافع الرفيق ؛ فليطالع علينا طلعتة التي تبهر القمر المزهر ،
وتصدع الليل المعتكر : ليُنْهِضُ غُرَّةَ الإصباح ، بغرّة الراح ، ويقطف ثمار الأوس
والمحاضر ، ويمتلئ بالسماع والمداكره ؛ ويأخذ بحظ من لذّاذة الفيخة الشبيهة بشمائله ،
ويعدّ ذلك من مباره وفواضله ؛ [فعل] إن شاء الله تعالى .

وله في الأستارة في بُستان :

كتبت - أطل الله بقاء سيدي - وقد غدوت في هذا اليوم [إلى] بُستاني والطير
في الأوكار ، والأنداء تهبط كالتيار ؛ والليل مشتمل على الصبح ، أشتمال الأذهم

(١) هو بالفتح وبالضم وبالتحريك ما ينقل به على الشراب . أنظر اللسان ج ١٤ .

(٢) في الأصل « أبطل » ولعله من تصحيف الناصح .

على الأوضح؛ عازماً على مشاركته ومُشارفة ما استمددت من عمارته، لا للخلوة فيه
بمُعاطاة المدام، ومُؤانسة الندام؛ فحين سَرَحْتُ الطُّرْفُ في مَيَادِينِهِ وَجَدَاوِلِهِ، وَأَقْبَلْتُ
على تَصَفُّحِ حَلَاهِ وَحُلُّهُ؛ رَأَيْتُ مَنَاطِرَهُ تَعْتَلِقُ الْقُلُوبَ أَعْتَلَقَ الْأَشْرَاكَ، وَتَعْتَاقُ
المُسْتَوْفِزَ عَنِ الحَرَكَ؛ وَتُقِيمُ قَاعِدَ المِزَاجِ والنَّشَاطِ، وَتُوقِظُ هَاجِدَ الفَرَحِ وَالإِنْسَاطِ:
فمن أشجارٍ كالأوانِسِ، في رِيحَانِي المَلَابِسِ؛ حَالِيَةِ من مُوشَعِ الزَهْرِ وَالثَمْرِ، بِأَنْصَعِ
من الياقوتِ والجوهرِ؛ كَأَنَّمَا تَحَفَّتْ لِاجْتِلَاءِ عَرُوسِ، أَوْ مُعَاطَاةِ كُثُوسِ؛ مَا بَيْنَ
نَجِيلٍ قَدْ نَشَرَتْ عَذَبَ السُّنْدُسِ عَلَى ذُرَاهَا، وَأَطْلَعَتْ طَلْعًا كَالْحَنَاجِرِ غَشِيهَا صَدَاهَا؛
وَنَارُجٍ يَجْمَلُ أَكْبَرَ العِقْيَانِ، أَوْ وَجَنَاتِ القِيَانِ؛ وَأُتْرُجٍ قَدْ آسْتَعَارَ ثَمْرَةَ أَشْوَاقِ العُشَاقِ،
إِذَا صَالَتْ عَلَيْهِمُ يَدُ الفِرَاقِ . وَمن رِيضَانِ زَاهِيَةٍ بِنَشْرَاهَا، وَقُضْبُهَا مِخْتَالَةٌ فِي مَلَابِسِ
زَهْرَاهَا؛ وَزَجِيسُهَا كَعَيْنِ مَحَبٍّ حَدَّقَ إِلَى الحَبِيبِ، وَثَنَى جِيدَهُ خَوْفَ الرَّقِيبِ، إِذَا
عَبَثَ بِهِ النَّسِيمُ جَمَعَ بَيْنَ كُلِّ قَضِيبٍ وَإِلْفِهِ، وَسَعَى بِالِاعْتِنَاقِ مِنْ شَوْقِهِ وَكَلْفِهِ؛
وَوَرَدُهَا كَمَدَاهِنِ يَاقُوتٍ فِيهَا نُضَارٌ، وَشَقِيقُهَا كَمَدَامَاتِ عَقِيقٍ فِيهَا صُورٌ؛ وَبَنَفْسَجُهَا
نِخْدٌ تَمْضِي فِيهِ مِنَ القَرُصِ آثَارٌ؛ أَوْ جَامٌ لُجَيْنٍ عَلَيْهِ مِنَ التَّنْدِي نِثَارٌ. وَمن أَنهَارِ قُدَّتْ
حَافَاتُهَا قَدَّ الأَدِيمِ، وَحُدَّتْ عَلَى صَرَاطِ مُسْتَقِيمٍ؛ بِحِجْرَةِ مَسْجُورِهِ، كَالسُّيُوفِ المَشْهُورَةِ
أَوْ المَهَارِقِ المَنْشُورِهِ؛ إِذَا نَحَمَشَهَا الهَوَى خَلَعَ عَلَيْهَا مُتُونِ المَبَارِدِ، أَوْ سُلُوحِ الأَسَاوِدِ؛
يَتَخَرَّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ نَسِيمٌ رَقِيقٌ الغَلَائِلِ، حُلُوُّ الشَّمَائِلِ؛ يَسْعَى بِالنَّمِيمِ، فِي المَعَاطِسِ
وَالشَّمِيمِ؛ انْصَبَّتْ إِلَى مَجْلِسِ فَنَيسِجِ البِنَاءِ، ضَيْقُ الأَقْنَاءِ؛ مُوشَى الجُدْرَانِ وَالسَّمَاءِ،
فِي صَدْرِهِ شَاذِرٌ وَان يَرْمِي بِكِسْرِ البَلُّورِ، وَفِي وَسَطِهِ نَهْرٌ يَنْسَابُ مِائِهِ الأَسْمِيَابِ

(١) الرِيضَانِ وَالرِيَاضُ جَمْعُ الرُوضَةِ .

(٢) الصُّورُ وَالصُّورُ الرِّيحُ وَالمَسْكُ أَنْظَرَجَ ٦ - ص ١٤٧

من اللسان .

الشُّجَاع المذْعُور ، وتوسَّطه بركةٌ مَنَّمَةٌ ينصبُّ الماء إليها بالدَّوَالِي إلى أربع شاذروانات ، ويخرج عنها من أربع فطيمات ، يحتفها كلُّ شجرٍ مُنْمَرٍ ، وروضٍ مُزهِرٍ .
 فقلت : هذا المراد الذي يحطُّ به الرائد رحله ، ويوفدُ إليه أهله ، ويدعو إلى اختيار مَنْ يهبُّ إلى السرور ، ويساعد على الحضور ، للمشاركة في التملُّي ببهجته ، والتمتع بنضرتة ، فكان مولاي أزل من جرى إليه ذكرى ، ووقع عليه طرفُ فكري :
 لأنه الساكن في نُورادي ، ليالٍ في محلِّ رقادى ، فإن رأى أراه الله ما يُقرُّ العين أن يحلَّ مسرقي بنقل قدمه إلى ، وإطلاع سعدٍ طلعتة على : لیتتم محاسن ما وصفته ،
 ويكمل الألفاظ بما شرحته ، فعل إن شاء الله تعالى .

أجوبة رفاع الأسيترارة

قال في "مواد البيان" : لا يخلو المسترار من الإجابة إلى الحضور أو الناقل عنه فإن حضر على الذور ، فلا جواب لما نفذ إليه ، وإن وعد الحضور وتلوم بقضى سُخلاً ويحضر ، فينبغي أن يبنى الجواب على سروره بما دُعي إليه ، وحسن موقعه منه ، وأن تلوم الناقل الذي قَطَمه عن أن يكون جراباً عما ورد عليه ، وأن حضوره يذمُّ رُفَعته ، وإن أيس من الحضور ، وجب أن يبنى الجواب على ما يمهده عذره ، ويقرر في نفس مستريه أنه لم يتأخر عن المساعدة على الأيسر إلا لظواهر صدت عنه ، يعلم العذر إليه محتمها ليحرس ما بينهما من المودة ، فإن كثيراً ما تتفاسد المُلان من مثل هذه الأحوال .

النوع السابع

(في آخِطَابِ الْمَوَدَّةِ وَأَفْتَاكِ الْمَكْتَابَةِ)

قال في "مواد البيان" : الرَّقَاعُ الدَّائِرَةُ بَيْنَ الْإِخْوَانِ فِي آخِطَابِ الْمَعَاشِرَةِ ، وَأَنْتَاءِ الْمَكَائِرِ ، وَطَلِبِ انْطِلَاطِ وَالْمُؤَانَسَةِ ، يَجِبُ أَنْ يَقَدَّرَ الْخَطَابُ فِيهَا عَلَى أَنْ يَصِلَ الْمَرْغُوبُ فِي عِشْرَتِهِ إِلَى الْإِنْخِرَاطِ فِي سَاكِ أَجْبَائِهِ ، وَالْإِتِّحَاذِ إِلَى أَهْلِ وِلَايَتِهِ ، وَيُبَعَثَ عَلَى قَصْدِهِ ، فِي الْإِتِّحَاقِ بِوُدِّهِ ، وَيُدَلَّ عَلَى الْمَحَاحِصِ ، وَالصِّفَاءِ وَالْمَخَالِصِ ، وَمَا جَرَى مِنْهَا الْمَجْرَى عَمَّا يَتَعَامَلُ بِهِ إِخْلَاءُ الصِّدْقِ ، وَيَجْعَلُونَهُ مَهْرًا لِمَا يَتَمَسُّونَهُ مِنَ الْمَازِجِ ، وَيُرْوَمُونَهُ مِنَ الْإِخْتِلَاطِ وَالْمَوَاشِجِ .

قال : وَيَنْبَغِي أَنْ يَنْصَبَ الْكَاتِبُ فِي هَذِهِ الرَّقَاعِ دَهْدَهَا لَطِيفًا ، وَيُحْسِنَ التَّوَصُّلَ إِلَى الْإِفْصَاحِ عَنْ أَعْرَاضِهَا : لِأَخْذِ بِجَمَائِعِ الْقُلُوبِ ، وَيُعِينُ عَلَى نَيْلِ الْمَطْلُوبِ .

وهذه نسخ من ذلك :

رقصة : وَيُنْبَغِي أَنْ الْمَلُوكَ لَمْ يَزَلْ مُدُّ وَقِعَ طَرْفُهُ نَيْلِ صُورَتِهِ ، وَوَجَّحَ سَمْعَهُ بَعْدَ شَيْئِهِ ، يُنَاجِي نَفْسَهُ بِالْمَتَابِ مَكَاتِبَتِهِ وَمِرَاسِلَتِهِ ، وَأَخِطَابِ مَازِجَتِهِ وَمَوَاصِلَتِهِ ، رَغْبَةً فِي الْإِعْتِقَادِ بِإِخَائِهِ ، وَالْإِرْتِسَافِ مِنْ مَشَارِعِ صَفَائِهِ ، وَالْمَقَادِيرِ تَطْوِيرِ الطَّوِيرِ عَلَى مَا فِيهَا ، وَالْعَوَائِقُ تَمَثَّلُ النِّيَّةَ بِجَزَائِمَتَوِيهِ وَتَأْوِيهَا ، إِلَى أَنْ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ يَنْزِلَ بِإِعْرَاضِ الْأَعْرَاضِ ، وَأَنْقِبَاضِ أَسْبَابِ الْإِنْقِبَاضِ ، فَانظُرِ الْمَلُوكَ طَائِفَةَ الْقَوْمِ وَاتَّقَا مِنْ مَوْلَانَا بِحُسْنِ الْمُرَّةِ ، وَأَنَّهُ يَوْجِبُ الْقَبُولَ بِإِيَابَتِهِ ، وَيُجِيبُ إِلَى مَسَاعِدَتِهِ ، وَيَرْضَى الْمَلُوكَ أَهْلًا لِأَصْطِفَائِهِ ، وَحَمَلًا لِإِسَائِهِ ، عَالِمًا بِإِيحَابِهِ لِلْحَقِّ ، وَالْمَعْرِفَةَ بِالسَّبْقِ ، وَأَنْ تُلْقَى هَذِهِ الرِّغْبَةُ بِالْقَبُولِ ، وَيَسْلَمَ إِلَيْهَا مِفْتَاحُ الْمَأْمُولِ .

رقعة : لو كانت المودّة لا تحُصَل إلا عن أُلْفَة تالدة ، ومُواصلةٍ سالفة ، لم
يَسْتَطِرِف المرءُ صَفِيًّا ، ولم يَسْتَحْدِث وَلِيًّا . وما زال البُعْداءُ يَتَقَارَبُونَ ، والمتناكِرُونَ
يَتَعَارَفُونَ ؛ ولَمَّا نُمِّيَ إلى المملوك من أنباء مولانا ما تَضَوَّعَ عِطْرُهُ ، وطاب نَشْرُهُ ؛
سافرَ بالأَمَلِ إليه ، وقَدِمَ بالرَّغْبَةِ عليه ؛ طالبًا الأَنْخِرَاطَ في سلكِ أوليائه ، والأَخْتِلَاطَ
بِخَاصَّتِهِ وَخُلُصَانِهِ ؛ ومثُلُ مولانا مَنْ أَجَابَ السُّؤْلَ ، وَصَدَّقَ المَأْمُولَ ؛ والمملوكُ
يَرْجُو أن تَكْشِفَ الأَيَّامُ لمولانا منه عن خُلَّةٍ صادقة ، ومودَّةٍ صحيحة ، لا تَضِيغُ معها
إِجابته ، ولا تَحْسِرُ صَفْقَتَهُ .

رقعة : وَيُنْهَى أن المملوكَ ما زال مُدْ وَقَعَ طَرْفُهُ على صُورته البَدْرِيَّةِ ، وأحاط
علمًا بِخَلَائِقِهِ المَرْضِيَّةِ ؛ رَاغِبًا في مُواشَجَّتِهِ ، باعِثًا نَفْسَهُ على آخِطَابِ مودتِهِ ، وإِكْبَارِهِ
يُقْعِدُهُ ، وإِعْظَامِهِ يُبْعِدُهُ ؛ فَلَمَّا تَطَاوَلَ يَرَاعُ هِمَّتَهُ ، شَجَعَتْ على إِنْفَازِ عَزْمَتِهِ ؛
فَقَدِمَ . مَكَاتِبَتَهُ أَمَامَ مَشَافِهَتِهِ ؛ فَإِنْ حِظِيَ بِالْإِجَابَةِ وَتَتَوَيْلِ الطَّلِبَةِ ؛ فَتَدْفَأُ قَدْحُهُ ،
وَتَبَلِّجُ صُبْحُهُ ؛ وَنَالَ مُنَاهُ ، وَبَلَغَ رِضَاهُ ، وَصَادَفَ هَنَاهُ ، وَدِيدًا مَوْثُوقًا بُوْدَهُ ، مَسْكُونًا
إلى عَقْدِهِ وَعَهْدِهِ ؛ يَحْمَدُهُ عِنْدَ الإِخْتِبَارِ ، وَيَعْرِفُ بِهِ صِحَّةَ رَأْيِهِ عِنْدَ الإِخْتِبَارِ ؛
والمملوكُ يَرْجُو أن يَصِحَّ مَسْأَلُهُ وَكَفَلَهُ ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

رقعة : وَيُنْهَى أن من عَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِنِئَانِهِ المَحَافِلَ ، وَعَطَّرَ بِأَنْبَاءِهِ الفَضَائِلَ ؛
وَأَقَامَ مِنْ مَسَاعِيهِ الكِرَامِ خَطِيبًا يُحْطَبُ بِسُودَدِهِ وَفَضْلِهِ ، وَيُعْرَبُ عَنِ شَرَفِ مَحْتَدِهِ
وَأَصْلِهِ ؛ تَطَلَّعَتِ الأَمَالُ لِلأَنْتِظَامِ فِي سِلْكِ أَحِبَّائِهِ ، وَتَشَوَّفَتِ الهِمَمُ إلى الأَمْتِراجِ
بِخُلُصَانِهِ وَأَوْلِيائِهِ ؛ لَمَّا يَضْفُو على المَعْتَصِمِ بِعُرَى مُصَافَاتِهِ مِنْ لِبَاسِ جَمَّالِهِ ، وَيُحَلِّي
المَعْتَرَى إلى وِلَائِهِ مِنْ نِخْلِ جَلَّالِهِ ؛ وَأَحَقُّ مَنْ أَسْعَفَهُ مولانا بِالْمُودَّةِ إِذَا خَطَبَهَا ،

وأجابه إلى المصافاة إذا طلبها ؛ من بدأه بالرغبة ، ومَتَّ إليه بالمحبة ، لا لمُرغِب ولا مُرْهِب ، وأختاره لنفسه على علم بكماله ، ومعرفة بشرفِ خِلاله .

وما زال المملوكُ مُذْ أطلعه اللهُ على ماخُصَّ به مولانا من المحاسن المتعدِّدة إلا لَدَيْهِ ، والفضائل المتَّعة إلا عَلَيْهِ ؛ يُحومُ على مدارِجِ مَمازِجَتِهِ ولا يَرُدُّها ، ويرومُ مواقعَ مُواشِجَتِهِ ولا يَعْتَمِدُها ، إكباراً لِقَدْرِهِ ، وإعظاماً لِحَطَرِهِ ، وخَوْفاً من تَصَفُّحِهِ ونَقْدِهِ ، وإبقاءً على ماءِ وَجْهِهِ من رَدِّهِ ؛ والمملوكُ وإن كان عالماً بأنَّ كَرَمَ مولانا يَرَقَعُ الخَلَلَ ، وفضله يُصَدِّقُ الأملَ ؛ فإنه لا يَعْتَمِدُ مَذْ رَغْبٍ في قُرْبِ مولانا ما لَعَلَّهُ يَجِدُهُ فِيهِ ، مما يُخالِفُ مَذْهِبَهُ وَيُنَافِيهِ ؛ إذ كان لا يَبْلُغُ تَضاهِيهِ في التَّمامِ وتَوَافِيهِ ، إلى أن أذِنَ اللهُ تَعَالَى بأن أبلغَ نَفْسَهُ الأُمْنِيَّةَ ، وأظهرَ ما طَوَّيَتْ عَلَيْهِ الطَّوِيَّةَ ؛ فكتب هذه الرُّقْعَةَ وجعلها فيما رامَهُ من الأَعْتِلاقِ بِجَبَلِ مَوَدَّتِهِ سَفيراً ، وعلى ما أَلَمَّسَهُ من الأَنْصِمَامِ إلى جُحْمَتِهِ ظَهيراً ؛ وَقَدِمَ بِها عَلَيْهِ وَظَنَّهُ يَتَرَجَّحُ من الإِعْراضِ إلى القَبُولِ ، ثِقَّةً بِقُرْبِ نَيْلِ المَأْمُولِ ؛ فإن رأى أن يُجيبَهُ إلى ما سألَهُ ، وَيُسِرَّهُ بِتَنْوِيلِ ما اقْتَرَحَهُ ، فَعَلْ ؛ إن شاء اللهُ تَعَالَى .

اختطاب المودة ومفاتيح المكاتبة من كلام المتأخرين :

الشيخ جمال الدين بن نباتة :

وضاعف للمالك ببقائه الانتفاع ، وبأرتقائه الارتفاع ؛ وسرَّ بحاسن نظره وخبره العيان والسماع .

ولا زال للمحبين من وده عطف المتلطف وللأعداء من بأسه خطف الشجاع .
أصدرها المملوك منطويةً على ما عهد من صدق المحبة ، ووفاء العهود المستتبه ؛ ودُرر

المحامد التي لا تسوى^(١) لديها دُرر العقود حبه ، مُبديَّة لعلمه الكريم أن المودات إذا صفت ، والقلوب إذا تجنّدت وتعارفت ، حثت المحبين في البعاد على المفاتحة بكتبهم ورسائلهم ، والمخاطبة في ظلال الأوراق بالسنة أقلامهم من لهوات أناملهم ؛ إيثارا لتجديد الأثر وإن صحَّ الميثاق ، وتذكارا لخواطير الود ، وإن رسمت منه الأصول ومنت الأعراق ؛ ولذلك فاتح بها مخاطبا ، وأرتقب لمناديتها بالأخبار السارة مجاوبا ؛ نائبة عنه في مشاهدة الوجه الكريم ، ومصافحة اليد في حديث برها القديم ؛ تستطلع أخباره ، وتستعرض أوطاره ؛ وتُحیی بالسلام وجهه وعهده ودياره ، على يد فلان ، وقد حمل من المودات والمشافهات ما يعيده على السمع الكريم المنعم بأصغائه ، المُصغى بنعمائه ؛ المتحف بالمهمات التي يحصل فوز القيام بها ، والمشرفات التي كل أسباب الشور متصل بسببها ، والله تعالى يُهيج من تلقائه سمعا ونظرا ، ويُيق عيش حاسده هشيما وعيش محبيه نصرا ؛ ويُديم رياض ذكره تالية على المسامح : (فأخرجنا منه خضرا) .

أجوبة أخطاب المودة

قال في "مواد البيان" : لا يخلو من يرام ذلك منه من أن يجيب أو يعتل ، فإن اجاب بنى الجواب على وقوع رغبة المختطب أحسن مواقعها ، وأتباع المختطب بها ، ومعرفته بقدر ما رآه أهلا له وسارعتيه إليه ؛ وإن اعتل بنى الجواب على أنه قد عرض له ما يقصر عنه ، ولا ترضى نفسه به ، وأن العذر [ليس] بعادة له في المزايلة ، وطريقة في الأنفراد والمجانبة .

(١) أي لا تساوى يقال سوى درهما يسوى من باب تعب ومنعها أبو زيد . أنظر المصباح .

النوع الثامن

(في خطبة النساء)

قال في "مواد البيان": الرقاع في التماس الصهر والمواصلة يجب أن تكون مبنية على وصف المخطوب إليه بما يقتضى الرغبة، ويدل الخاطب عن نفسه بما يؤدى إلى الكفاية والإسعاف بالطلبية.

قال: وينبغي للكاتب أن يودعها من ألفاظ المعاني المنتظمة في هذا الباب أوقعها في النفوس، وأعودها بتقريب المرآم، وأدلهما على صدق القول فيما تكفله من حسن معاشرته، ولين معاملة، وأن يذهب بها إلى الاختصار والإيجاز.

وهذه نسخ من ذلك:

ما أورده أبو الحسين بن سعد في ترسله.

وأفضل تلك المواهب موقعا وأطفها وأحمدها عاقبة، وأرهنها يدا، ما يؤلف الله به القربات، ويؤكد به الحرمات، ويوجب به الصلات، ويحدد به المكرمات، ويحدث به الأنساب، ويقوى به الأسباب، ويكثر به من القلة، ويجمع به من الفرقة، ويونس به من الوحشة، ويزاد به في الحقوق وجوبا، وفي المودات ثبوتا، ثم لا مثل لما كان لله طاعة ورضاء، وبأمره أخذا وأقتداء، وبكاتبه قدوة وأخذاء،^(١) فالله نسأل الخيرة في قضائه، والبركة فيما يقوم بناؤك عليه.

(١) في الاصل فما يعزم.

ومنه : تَصِلُ رَحِمًا ، وَتَعْقِدُ سَبَابًا ، وَتُحَدِّثُ نَسَبًا ، وَتُجَدِّدُ وَصْلَةً ، وَتُؤَكِّدُ أُلْفَةً .
 رقعة : مَنْ خَصَّهُ اللهُ تَعَالَى بِمَا خَصَّ بِهِ سَيِّدِي : مِنْ طَهَارَةِ الْأَعْرَاقِ
 وَالْأَنْسَابِ ، وَشَرَفِ الْأَخْلَاقِ وَالْآدَابِ ؛ وَأَفْرَدَهُ بِاجْتِمَاعِ خِلَالِ الْخَيْرِ الْمَتَفَرِّقَةِ
 فِي الْأَنَامِ ، وَعَطَّرَ بِنَائِهِ مَلَابِسَ الْأَيَّامِ ؛ رَغِبَ الْأَحْرَارُ فِي مُوَاصَلَتِهِ ، وَهَانَ عَلَيْهِمْ بَذْلُ
 الْوَجْهِ فِي آخِطَابِ مِمَّا زَجَّتْهُ ، وَآلَمَسَ مُوَاشَجَتَهُ وَمُنَاسَبَتَهُ ؛ وَجَدِيرٌ مِنْ رُغْبٍ إِلَيْهِ ،
 وَطَلَبِ مَالِدِيهِ ؛ وَأَخْتِيرَ لِلْمَشَابِكَةِ فِي الْوَلَدِ وَاللُّحْمَةِ ، وَالْمَشَارِكَةِ فِي الْمَالِ وَالنَّعْمَةِ - أَنْ
 يَجِيبَ وَلَا يَمْنَعُ ، وَيَصِلَ وَلَا يَقْطَعُ ؛ مُصَدِّقًا لِأَمَلٍ مِنْ أَفْرَدِهِ بِأَرْتِيَادِهِ ، وَتَوْحُّدِهِ
 بِاعْتِمَادِهِ ؛ عَارِفًا لَهُ حَقَّ آبْتِدَائِهِ بِالثِّقَةِ الَّتِي لَا يَجُوزُ رَدُّ مَنْ أَعْتَقَدَهَا ، وَلَا صَدُّ مَنْ
 حَسَّنَ ظَنِّهَا ؛ وَقَدْ عَلِمَ اللهُ تَعَالَى أَنْ [مَضَى] لِلْمَمْلُوكِ مَدَّةَ طَوِيلَةٍ [وَهُوَ يَبْحَثُ] مُتَطَلِّبًا
 سَبْعًا لِلتَّاهِلِ ، مُؤَثِّرًا لِعِمَارَةِ الْمَنْزِلِ ، رَاغِبًا فِي سَكَنِ تَطْمِئِنُّ النَّفْسُ إِلَيْهِ ، وَتَعْتَمِدُ
 فِي الْفَوَائِحِ وَالْمَصَائِرِ عَلَيْهِ ؛ وَكُلَّمَا عُرِضَ لِلْمَمْلُوكِ بَيْتُ أَبِيهِ ، أَوْ ذَكَرَ لَهُ جَنَابُ قَطْعِ
 عَنْهُ رَجَاهُ : لِعَدَمِ بَعْضِ الشَّرُوطِ الَّتِي يُرِيدُهَا فِيهِ ، وَتَعَذُّرِهَا عَلَيْهِ ؛ فَلَمَّا قَرَعَ سَمْعَهُ
 ذَكَرَ سَيِّدِي ، عَلِمَ أَنَّ الْغَايَةَ الَّتِي لَامَرْتَنِي بِعَدَمِهَا ، وَالنَّهْيَةَ الَّتِي لَامَطَمَحَ وَرَاءَهَا ، وَأَنَّهُ
 قَدْ ظَفِرَ بِالثِّقَةِ ، وَوَصَلَ إِلَى الْأُمْنِيَّةِ ، وَوَجَدَ مِنْ يَجْمَعُ الْخِلَالَ الْمَرْضِيَّةَ وَيَزِيدُ ؛
 وَيُجُوزُ مِنَ الْفَضْلِ الشَّأْوِ الْبَعِيدِ ، وَكَتَبَ الْمَمْلُوكُ هَذِهِ الرَّقْعَةَ خَاطِبًا كَرِيمًا فَلَانَةً
 [لِيَكُونَ لَهَا] كَالْفِعْدِ الضَّامِنِ لِلْمَهْدِ ، وَالْجِلْدِ الْحَافِظِ لِلجِلْدِ ؛ وَيَكُونُ لِمَوْلَانَا كَالْوَادِ
 الْبَرِّ بِأَبِيهِ ، وَالْأَخِيهَا كَالصَّنْوِ الشَّفِيقِ عَلَى أُخِيهِ ؛ فَإِنْ رَأَى سَيِّدِي أَنْ يَتَدَبَّرَ مَا كَتَبَهُ
 الْمَمْلُوكُ وَيَتَسَمَّعَ مِنْ تَوْكِيدِ رُقْعَتِهِ مَا حَمَلَتْهُ ، وَيَجِيبَهُ إِلَى مَا سَأَلَهُ فَلَهُ عُلُوُّ الرَّأْيِ فِي ذَلِكَ ؛
 إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

مطالعتة هذه ما لم تسع إيداعه المكتبة ، فإن رأى مولانا أن يُصغى إليه ويُجيب عبده بما يعتمده المملوك في ذلك فله الفضل ، إن شاء الله تعالى .

رقعة : وَيُنْهَى أَنْ لَدَوِي الْمَنَاجِبِ الطَّيِّبَةِ الْأَنْسَابِ ، وَالْمَنَاحِتِ الزَّكِيَّةِ الْأَحْسَابِ ، وَالْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ وَالْآدَابِ ، بَيْنَ الْأَنَامِ لِسَانِ صِدْقٍ يَخْطُبُ لَهُمُ بِالْمَحَاسِنِ وَالْمَحَامِدِ ، وَيُطَّرُّ بِثَنَائِهِمُ الصَّادِرَ وَالْوَارِدَ ، وَيَدْعُو الْقُلُوبَ إِلَى نَيْلِ عُلُقِهِ مِنْ مَازَجَتِهِمْ ، وَالتَّسْكُكِ بِطَرَفٍ مِنْ مُوَاصَلَتِهِمْ ، وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ لِمَوْلَانَا مِنْ كَرِيمِ الْمُتَلَدِّ^(١) وَالْمُطَّرَفِ ، وَقَدِيمِ وَحَدِيثِ الْفَضْلِ وَالشَّرَفِ ، مَا تَفَرَّقَ فِي السِّيَادَاتِ ، وَتَوَزَّعَ عَلَى أَهْلِ الرِّيَاسَاتِ ، وَجَعَلَهُ فِي طَهَارَةِ الْمَوْلِدِ ، وَطَيِّبَةِ الْمُحْتَدِ ، وَأَسْتِكْمَالِ الْمَآثِرِ ، وَأَسْتِثْمَامِ الْمَفَاحِرِ ، عَلِمًا ظَاهِرًا ، وَنَجْمًا زَاهِرًا ، فَمَا مِنْ رَيْسٍ سِوَى مَوْلَانَا تُعْجِزُهُ خَلَّةٌ مِنْ خِلَالِ الرِّيَاسَةِ إِلَّا وَجَدَهَا لَدَيْهِ ، وَلَا نَفِيسٍ تُعْوِزُهُ خَصْلَةٌ مِنْ خِصَالِ النَّفَاسَةِ إِلَّا أَسْتَمَاحَهَا مِنْ يَدَيْهِ ، وَلِذَلِكَ آمَتَدَتِ الْأَعْنَاقُ إِلَى التَّمَسُّكِ بِعَبْلِهِ ، وَتَطَلَّعَتِ الْجَمْعُ إِلَى مُوَاشَجَتِهِ فِي كَرِيمِ أَصْلِهِ ، وَصَارَ سُرْعُوبًا إِلَيْهِ لِأَرَاغِبًا ، وَسَطْلُوبًا لَدَيْهِ لِأَطَالِبًا ، وَهُوَ جَدِيرٌ بِمَا وَشَبَهُ اللَّهُ مِنْ هَذَا الْفَضْلِ الدَّاعِ ، وَالنُّبْلِ الشَّائِعِ ، أَنْ يُجِيبَ سَائِلَهُ ، وَيَصَدِّقَ آيَاتِهِ ، وَلَا يَتَّخِذَهُمْ فِي وَجْهِ قَاصِدِهِ ، وَلَا يَرُدَّهُ عَنْ مَقْصَدِهِ ، وَلَا سِيَّيَا إِذَا كَانَ قَدْ أَسْلَفَهُ الْعَطْنُ الْجَمِيلَ ، وَبَدَأَهُ بِالثَّقَةِ وَالنَّامِيلِ ، وَتَعَدَّرَ عَلَيْهِ قَدْرُ الْعَارِفِ بِقُدْرِهِ ، الْعَالِمِ بِخَطَرِهِ ، الْمُرْتَضَى بِشَرَائِطِهِ ، النَّازِلَ عَلَى حِكْمِهِ ، الْمَتَدَبِّرَ بِرَأْيِهِ ، وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الْمَمْلُوكَ مُذْ نَشَأَ وَصَلَحَ لِلتَّأَهُلِ مَرغُوبٌ فِيهِ ، مَخْطُوبٌ إِلَيْهِ ، مِنْ عِدَّةِ جِهَاتٍ جَلِيلَةٍ ، وَجَنَابَاتِ رِيَّاسَةٍ ، وَالْمَمْلُوكُ صَادٌّ عَنِ الْإِجَابَةِ ، صَارِفٌ عَنِ الْمَطَاوَعَةِ : لَشُدُودِ بَعْضِ الشُّرُوطِ الَّتِي يَرُومُ أَنْ تَكُونَ مَجْتَمِعَةً فِي النَّسَبِ ، الَّذِي أَعُدَّهُ شَرِيكًا فِي الْوَلَدِ وَالنَّسَبِ ،

(١) المتلد (أي مكرم) ما ولد عندك من مالك أو نتج وما لم منه فديم .

ومفاوضاً في الحال والسبب ، مرتاداً من يقنع بالموافقه ، ويرتض ، بالمشرة والمرافقه ، حتى أفضى في الانتقاد إلى مولانا فوجد المراد على اشتراط ، وألغى المقصود على اشتراط ، فدعاه ذلك إلى التهجم بعد الإحجام ، وحمله على التجاسر والإقدام ، والتوسل إلى مولانا بما يتوسل به الأحرار ، إلى الأخيار ، وأمه بصادق الرغبة وصميم المحبة والأنسباط ، في خطبة كريمته فلانة ، على أن يعاشرها بغاية الأئس ، ويصحبها صحبة الجسد للنفس ، ويعرف لها من قدر أبوتها وأمومتها ما تستحق برياستها ، وقد أصدر هذه الرقعة نائبة عنه في ذلك ، فإن رأى مولانا أن يتحفه بالقبول ، ويجعله أهلاً لإجابة السؤل ، فله الفضل في ذلك ، إن شاء الله تعالى .

ومن النادر الغريب ما ذكره الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي في "حسن التوسل" في الكتابة إلى شخص في ترويح أمه ، وهو :

هذه المكتبة إلى فلان - جعله الله ممن يؤثر دينه على الطوى ، وينوى بأفعاله الوقوف مع أحكام الله تعالى وإنما لكل أمرئ ما نوى ، ويعلم أن الخير والخيرة فيما يسره الله من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وأن الشر والمكروه فيما ظوى ، فعرض له بأمرٍ لا حرج عليه في الإجابة إليه ، ولا خلل يلحقه به في المروءة وهزل أخل بالمروءة من فعل ما حض الشر المطهر عليه ؟ وأظهر الناس مروءة من أبلغ النفس في مصالح حرمه عذرها ، ووفى من حقوق أخصن بربه كل ما علم أن فيه برها ، وإذا كانت المرأة عورة ، فإن كمال صونها فيما جعل الله فيه سترها ، وصلاح حالها فيما أصلح الله به في الحياة أمرها ، وإذا كانت النساء شقائق الرجال في باطن أمر البشرية وظاهره ، وكان الأولى تعجيل أسباب العصمة فلا فرق بين أول [وقت] ^(١) الاحتياج [إلى ذلك] ^(٢)

(١) الزيادة من "حسن التوسل" ص ١١٦ .

النسب التاسع

(في الاسترخاء بالإنعاش)

قال في "مواد البيان" : المكتوب في مستطاب "الرسالة" من عطفة التبراء :
تحتاج إلى حسن تأنيدها كما تأنيدها من تحتها في التبراء ، وما ألتزمه
من مَرَعَى الخدم ، وما يتبعه من التبراء ، وما ألتزمه من التبراء ، وما ألتزمه
القبوب ، ويتبرأ "الفرار من التبراء" ، وما ألتزمه من التبراء ، وما ألتزمه
في تأليف الكتاب .

قال : وينبغي للكاتب أن يمدح "مواضع" التبراء ، وما ألتزمه من التبراء ،
وأستيناد المعاني ، وأدب التبراء ، وما ألتزمه من التبراء ، وما ألتزمه
بالبراءة مما قُرف به ، ولا ينبغي له أن يمدح "مواضع" التبراء ، وما ألتزمه
رُحى به ، فإن ذلك من "مواضع" التبراء ، وما ألتزمه من التبراء ، وما ألتزمه
لهم بالتقصير والتعريف ، ولا ينبغي له أن يمدح "مواضع" التبراء ، وما ألتزمه
توجب سكرًا مستأنفًا ، وما ألتزمه من التبراء ، وما ألتزمه من التبراء ،
فلا يوضع الإحسان إلا باليد ، وما ألتزمه من التبراء ، وما ألتزمه من التبراء ،
ذلك واجب له ، في منعه منه قلم .

(١) في الاصلين : مما تقدم في نسخة "مواضع" التبراء .

(٢) المراد أن إقراره والرضا عنه ليس من الإحسان ، بل من الرأفة ، كما قال

وهذه نسخ من ذلك :

لأبي الحسين بن سعد :

فإن رأيت أن تنظر في أمرى نظراً يُشبه أخلاقك المَرْضِيَّة ويكون لحسن ظنى بك مصدقاً ، ولعظيم أمل [فيك] محققاً ، ولما لا تزال أمدنيهِ مُنجزاً ، ولحق حُوقى بك وقديم اتصالي بوسيلتك قاضياً ، فعلت ، إن شاء الله تعالى .

ومنه : لسليمان بن وهب .

من أنصرف في الاحتجاج إلى الإقرار بما يلزمه وإن لم يكن لازماً ، فقد لطف الاستعطاف . واستوجب المسامحة والإسفاف .

ومنه : وقد نأى من جفوة الأمر بعد الذي كنت أتدرف من به والطفه أمر أجلي محل المدب في نفسي مع البراءة من الذنب . والزمى الإسلام مع الخروج من التقصير . وزاده عندي عظم وشدة أن صوّتت الخروج منه بالإعذار ، فلم أجدني إلا الأمير ذنباً أعتذر منه . ولا على فيما أزمى من معتقته . فجدت أحوالاً منها والتخلص منها ، فأصبحت شاعراً من ذلك داء قد نغى ذوائفه . وأحيرت من أوضاع أمري لم أجد فساده ، فإن رأيت أن تمحل كل ما وكلت من قديم ما أصح عنده ، من معروفك بجديته . فليس عندي في مطالبة تخلة الخبيث من الخرجة إلا ما يريد الله . والثقة عنده بفضله ، فإن كنت مُدنياً عفاً ، وإن كنت بريئاً راجعاً .

ومنه : لأبي علي البصير .

وأنا أحد من أمكنته ظلك . وأعلقته حبلك . وسدته بلطف بك ، وخاص عنائك ، وانتصف بك من الزمان ، واستغنى بإخائك عن الإخوان ، فهو لا يرغب

إلا إليك ، ولا يعتمد إلا عليك ، ولا يستنجح طلبه إلا بك ، وقد كان فرط مني قول : إن تأولته لي ، أراك أوجه عذري ، وقام عندك بحجتي ، فأغناني عن توكيد الأيمان على حسن نيتي ، وإن تأولته علي ، أحاق بي لايمتك وحبسني على [أسوأ] حال عندك ، وقد أتيتك معترفا بالزلة ، مستكينا للمرجعة ، عائدا بالصنم والإقالة ، فإن رأيت أن تقر عينا قوت بعينك عندي ، ولا تسلمني منها ما ألدستني ، وأن تقتصر من عقوبتي على المكروه الذي نالني بسبب عتيتك علي ، وتأمر بتعريف رأيك بما يطامن هلمي ، وتسكن إليه نفسي ، ويأمن به روعي . فقلت ، إن شاء الله تعالى .

ومنه : لأبي الحسين بن أبي البفل .

نبؤ الطرف من الوزير دليل على تغير الحال عنده ، والحناء من عود الله البر منه شديدا ، وقد استبدلت بإزالة الوزير إياي النحل الذي كان نحليه بتطوله ، نيل ما سوت له طنا بنفسي ، وما أخاف عتبا : لأنني لم أجهي ذنبا ، فإن رأى الوزير أن يقومني لنفسي ، ويدلني على ما يريد مني ، فعل ، إن شاء الله تعالى .

ومنه : لأبي الربيع .

أصدق المقال ، ماحقه الفعال ، وأفضل الخبر ، ما صدقه الأثر .

ومنه : لمولانا سيرة في الفضل والإحسان ما أمأها أمل إلا جانت ومنتت ومنتت ، وعوائد في العفو وأرجاء راج إلا صفحت ومنتت ، وأحتي من تلقاه عند العثار ، بالإقالة والأغفار ، ووقف به عند حد التذويم والإصلاح ، ولم يعرضه

(١) في الأصل "على ما أحاق" تأمل .

Handwritten text at the top of the page, possibly a header or title, which is mostly illegible due to fading and bleed-through.

A small, dark mark or signature located in the center of the page.

الملاوئک أرسل لفظاً علی سبیل الإشفاق ذکب به الحاسدُ إلى غیر معناد ، وخالف
 فی تأییرہ حتی کتبہ الخائب وأحسب من بیته ، وعرضه علیه علی غیر صورته : لیوحش
 برأ الملأ من الأبرار من رعايته ، یأخر برأه المطمین بملاحظته وعنايته ، وقد
 أساء الخائب ولده ، فبرأه سائلاً من رعايته ، وأن یجید الملاوئک إلى مکانه
 به تأییر ، ویراها من صورته .

ویراها من صورته ، ویراها من صورته ، ویراها من صورته ، ویراها من صورته ،
 ویراها من صورته ، ویراها من صورته ، ویراها من صورته ، ویراها من صورته ،
 ویراها من صورته ، ویراها من صورته ، ویراها من صورته ، ویراها من صورته ،

ویراها من صورته ، ویراها من صورته ، ویراها من صورته ، ویراها من صورته ،
 ویراها من صورته ، ویراها من صورته ، ویراها من صورته ، ویراها من صورته ،

ویراها من صورته ، ویراها من صورته ، ویراها من صورته ، ویراها من صورته ،
 ویراها من صورته ، ویراها من صورته ، ویراها من صورته ، ویراها من صورته ،

ویراها من صورته ، ویراها من صورته ، ویراها من صورته ، ویراها من صورته ،
 ویراها من صورته ، ویراها من صورته ، ویراها من صورته ، ویراها من صورته ،

ویراها من صورته ، ویراها من صورته ، ویراها من صورته ، ویراها من صورته ،
 ویراها من صورته ، ویراها من صورته ، ویراها من صورته ، ویراها من صورته ،

علي بن خلف :

الأعدارُ - أطال الله بقاء سيدي - تنأى على الأمتناع ، وتضيق على الإلتساع ،
وذلك بحسب ما تصادفه من قبول وردة ، ومسامحة وتقدير ، وأنا أحمد الله على أن
جعل عُدري إلى من يتحمل العُدْرَ للعُدْر ، ويصفح صفح المسالك المقتدير ، كما
تمَّ بقول الشاعر :

إذا ما أتت من صاحبك زلةٌ - فكن أنت محملاً لرأسه عُدرا

وَم يَحْمِسَاهُ إِلَى مِنْ يَغْلِبُ هَاجِسَ الظُّنُونِ ، عَلَى وَاضِعِ الجُمَّةِ ، وَمِمَّا الشَّدَّ عَلَى
صَهِيحِ البَقِيَّةِ . وَنُحِيَ إِلَى أَنَّ عَاطِلًا لِمَكَانِي مِنْ حَضْرَتِهِ ، حَسَدِي عَلَى قَحْلِي مِنْ
مَوَدَّتِهِ ، وَزُورَ مَا يَكْشِفُ عَنِ الْإِفْكَ وَالْبُهْتَانِ ، وَدَلَّسَ الْكَيْدَ فِي صُورَةِ الْبُرْهَانِ ،
فَمَا جَلَّاهُ فِي مَنَازِلِ زَخَائِرِهِ أَظْهَرَ لِسَيْدِي تُرَارَهُ ، وَأَبْدَى لَطْرَفَهُ سُوَارَهُ ، فَشَلَّ^(١)
سَمْعَهُ عَنِ رَعِيصِهِ ، وَطَرَفَ طَرَفَهُ عَنِ رَعِيصِهِ ، وَاسْتَمَّ عَائِلِيَّ شَيْئِهِ . فِي حُسْنِ الضَّرِّ
بِأَحَبِّهِ ، فَقَدَّمْتُ مِنَ الْأَعْتَادِ مَا يَقْدِمُهُ الْمَذْنِبُ نُزُولًا عَلَى طَاعَتِهِ ، وَتَأْتِيًا فِي خِدْمَتِهِ ،
وَشَفِيقَةً مِنَ الشُّكْرِ مَا يَقْتَضِيهِ إِحْسَانُهُ وَيُوجِبُهُ .

أبو النعمان البغدادي :

أَحَقُّ الْعَادِلِينَ التَّغْلِيلُ رَأُولَاهَا بِسَبَّةِ الْقَلْبِ مَا صَدَرَ عَنِ اسْتِكَاةِ الْأَقْدَارِ ، وَدَلَّ
عَلَى حَسْمِ مَوَادِّ الْأَضْرَارِ ، وَصَفَا مِنْ كَدْرِ الْإِحْتِجَاجَاتِ ، وَتَنَزَّ عَنِ تَحْمَلِ الشُّبُهَاتِ :
لِيَخْلُصَ بِهِ مَلِكُ الْعَفْوِ ، وَلِتَكْمَلَ نِعْمَةُ التَّعَاوُزِ ، وَلَسْتُ أَكْرَهُ شَرَفَ تَأْدِيهِ ، وَنَبَلَ
تَقْدِيرِهِ وَتَهْنِئَتِهِ ، مَا لَمْ يَحْمِلْ فِي الْعَشْرَةِ وَالتَّقْرِيمِ إِلَى قَوْلِ الْإِعْرَاضِ ، وَمَضِيضِ

(١) أي عيبه وشل سمعه أي طرده، والمراد أنه لم يصفغ إليه .

التنكر والانتقاض ؛ ولا أخطبُ الإقالة من تفضله إلا بلسان الثقة وشافِعِ الخدمة ،
 هارباً إلى سعة كرمه مما دفعني المحبة إليه ، وأشفى بي عدم التوفيق عليه ؛ فإن رأى أن
 يكون عند أحسن ظني به في الصّبح ، كما هو عند أصدق أملٍ فيه بالإنعام ، فعَل .

وله في مثله :

ليس يخلو الإغراق في التنصّل والمبالغة في الاعتذار من إقامة حجة ، أو تمسك
 باعترافٍ شبيهة ، وأنا أجل ما أخطبه من عظيم عنده ، وشكر ما أحاوله من نعمة
 تجاوزه ، عن المقابلة بعين الاعتراف بالزلل وبعد الاستحقاق من الصّبح . ما لم يوجب
 لي بسعة تأوله ، ويعدّ على فيه بعبادات تفضله ؛ لتصفو منه الأعضاء ، وتلزمي
 واجبات الشكر والثناء ؛ غير متنعٍ مع ذلك من البرى إليه مما أنكه من تجاوز السهو
 إلى العمل ، والتوجه إلى ما فرط بالاختيار والتقصّد للذين يغفر تحننهما من ذنوبهم
 الأفعال ، ويتعمد سبي الأعمال ؛ فإن رأى أن يحمل أمرى فيما قصدتني الأيام بتوجه
 الظنون فيه على غير النية لظاهر الفعل ، إذ كانت صفات الإنسان بالأشهر من
 أخلاقه والأكثر من أفعاله ، ولا صفة لي أعرف بها وأنسب إليها غير الاعتراف
 بإنعامه ، والتطاول من اصطناعه . أخذاً من كل حال بالنضيل ، ومشتقاً بدسطة
 الرياسة والنبل .

وله في مثله :

لست أخاف في المدة التي تجاوز الدهر لي عنها في خدمته من أن توصل بفقرط
 الاجتهاد ، إلى ما وصل من رأيه إلى رتبة التقبل والرحام ؛ وليس يحبط ما أتيت به من
 مرضى الخدمة بالنية والعمد بما اعطاه فرط من غير مراد ؛ إذ كان - أيده الله بفاتن

طَوْلُهُ ، وَمَأْتُورٌ فَضْلُهُ - أَخْذًا مِنْ آدَابِ اللَّهِ بِمَا أَحَاكَمَهُ مِنْهُ : (١) إِنْ الْحَسَنَاتِ يَدُهِنَّ
 السَّيِّئَاتِ : - وَ [لَوْ] لَا إِثَارِي مَفْتَرَضٌ الطَّاعَةِ وَأَمِينِكَاةَ الْأَعْتَادِ : وَأَنْ لَا أُخْطَبَ
 رِضَاهُ بِسَانَ الْأَسْتِجَابِ ، وَلَا أُنْبَسَى عَفْوُهُ بِوَجُوبِ الْأَسْتِحْقَاقِ : لَتَسَلَّمَ لَهُ صِفَاتُ
 الْفَضْلِ ، وَفِي مَوَاقِفِ الْإِعْتِرَافِ ، بِمَنْزِلَةِ التَّنَطُّلِ ، لَبَرَهَتْ عَلَى سَلَامَتِي مِمَّا قَصِرَ عَلَى
 تَرْجِيهِ أَهْلُونَ ، وَاعْتَرَضَ الْأَرْمَانُ ، وَلَا تَهْمَلُ بِشَمْسِ النَّيْسَةِ وَرَمَادِ الرَّأْيِ : فَإِنْ رَأَى
 أَنْ يَشْكُرَكَ مَا أَبْتَدَأَ فَتُحْمَرُ مِنْ أَمِينِهِ فِي عَمَّا يَصُونُهُ عَنِ التَّشْكُرِ ، وَيَتَسَوَّرَاتِ عَادَتِي
 وَ شَكَرْتِكُمْ وَالْأَعْتَادِ بِهِ عَنِ التَّحْمُرِ وَالْمَشِيرِ قَالِ :

أَجْمَعُ مِنَ الْأَمْرِ تَرْجِيهِ وَالْأَسْرَ مَطْلُوعًا

قَالَ فِي "مَوَاقِفِ" : "وَاللَّيْلَةُ لَمَعَانُورٌ بِرَيْدِ مَنْ أَمْرِي : أَمَّا نَحْمَا أَنْ يَضِلَّ
 لَمَعَانُورٌ بِالْأَمْرِ كَمَا يَمْرُؤُورٌ شَرِيحًا دُونَ تَوَلَّى بِرَيْدِ مَنْ تَجَاهُ فَمَنْ كَرَى تَدَبَّرَ
 أَمْرَهُ ، وَجِبَتْ أَنْ يَبْقَى بِرَيْدِ مَنْ يَضِلُّ بِالْحَكِيمِ ، وَالرَّوَدُوفِ عَلَيْهِ ، وَالنَّضْبُ لِمَا
 نَسَبَهُ ، وَرَهْبَةً لِمَحْسَبِهِ عَنِ مَشِيئَةِ مَنْ الْأَعْتَادُ وَالْأَقْبَابُ إِلَى الْإِعْتِرَافِ بِالْجُرْمِ
 وَ الْإِثْرَانِ ، كَمَا مَا نَسَبَهُ عَنِ التَّهْمَةِ ، وَرَهْبَةً عَنِ الْفُتْنَةِ : فَإِنَّ الْأَسْرَ الَّذِي أَوْجِبَ
 تَسَدُّرُهُ مَسَدُورٌ بِرَيْدِ ، الْأَقْبَابُ وَدَائِمُ التَّأْدِيلِ لَهُ بِأَنَّهُ ، مَسَدُورٌ عَنِ بَطْنِ سَلِيمٍ
 وَمَسْلُوعٌ أَوْجِبَتْهُ ، قَالِ : مَا لِي سَلَا لِمَنْ عَزَّ الَّذِي يُنَابِ بِهِ مَنْ قَبِلَ عُدْوَهُ
 فَفَطَّ : لِأَنَّهُ يَنْزِلُ أَنْ يَجِيبَ بِأَنَّهُ تَدَبَّرَ الْأَمْرَ ، وَرَهْبَةً عَنِ الْجُرْمِ ، عَلَى أَنْ لَا يَبُودَ
 إِلَى مَنَاهِ ، وَإِنْ أَسْحَرَ عَلَى الْأَعْتَادِ ، عَنِ جَرَائِبِ عَلَى إِطْلَالِ الْعُدُوِّ وَمَعَارَضَتِهِ بِمَا

(١) كَذَا فِي الْأَسْرِ وَالْمَعْرُوفِ .

(٢) فِي الْأَسْرِ «وَلَا يَبْقَى عَنِ مَنَاهِ» كَمَا فِي الْأَحْسَانِ الشَّامِ .

(٣) أَيْ تَدَبَّرَ الْأَمْرَ وَبِقَبُولِهِ فِي شَيْءٍ ، وَهُوَ يَضِلُّ الْأَعْتَادُ .

يفتضيه ، والدلالة على خطئ المعتذر ، وأنه مما لا يسوغ الصفتح عنه ، ولا يليق بالحزم إقالته .

قال : وهذان معنيان يجهلان من العبارة مالا يكاد يحصر في قول مشروح مبسوط ، فضلا عن قول مجمل موحى ، إلا أن المتأرب بالصناعة إذا سرت به هذه الأصول أمكنه التفريع عليها .

النسوع الضائر

(في الشكوى - أعادنا الله تعالى منها)

قال في "مواد البيان" : رِقَاعُ الشُّكْوَى - عَصَمًا اللهُ مِنْ مُوجِبَاتِهَا - يَجِبُ أَنْ تَكُونَ مَبْنِيَّةً مِنْ صِفَةِ الْحَالِ الْمُشْكِيَةِ ، عَلَى مَا يُوجِبُ الْمَشَارَكَةَ فِيهَا وَيُقْضَى بِالمُسَاعَدَةِ ، إِنْ أَسْتَدْعِيَتْ عَلَيْهَا ، مِنْ غَيْرِ إِغْرَاقٍ يُقْضَى إِلَى تَطْلِيمِ الْأَقْدَارِ وَإِحْبَاطِ الْأَمْرِ ، وَشُكْوَى الْمَبْتَلَى بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَيَدُلُّ عَلَى التَّهَالُكِ الْجَزَعُ ، وَضَعْفُ انْتِمَاسِكَ وَقُوَّةِ ادِّعَاءِهِ ، وَاسْتِيْلَاءُ الْقُدْرَةِ وَالْإِيَّاسُ ، وَأَنْ يَتَفَنَّعَ الشُّكْوَى بِذِكْرِ الثَّقَةِ بِاللَّهِ سَبْحَانَهُ ، وَالسَّلِيمِ إِلَيْهِ ، وَالرِّضَا بِأَحْكَامِهِ ، وَتَوَقُّعِ الْفَرَجِ مِنْ عِنْدِهِ ، وَتَأَقُّبِ امْتِنَانِهِ بِالصَّبْرِ ، كَمَا تَأَقُّبُ نَعْمَهُ بِالشُّكْرِ ، وَنَعْمَ هَذَا مِمَّا يَلِيقُ بِهِ وَيَجْرِي مَحْرَاهُ ، قَالَ : وَقَدْ يَكْتُبُ الْأَتْبَاعُ لِلرُّؤَسَاءِ رِقَاعًا بِشِكَايَةِ الْأَحْوَالِ وَمُسَاعَلَةِ النَّظَرِ ، ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ سَبَبَ هَذِهِ الرِّقَاعِ أَنْ يُسَدَّلَ بِهَا عَنِ التَّصْرِيحِ بِالشُّكْوَى إِلَى كُنُوفِ الشُّكْرَاءِ ، وَتَطْلُبُ الزِّيَادَةَ وَالْإِلْحَاقَ بِالنُّظَرَاءِ فِي الْإِحْسَانِ : لِمَا فِي إِسْطِلاقِ الشُّكَايَةِ ، وَالتَّصْرِيحِ بِهَا مِنْ التَّعْرِيفِ بِإِخْلَالِ الرَّئِيسِ بِمَا يَلْزَمُهُ النَّظَرُ فِيهِ مِنْ أَحْوَالِ خَاصَّتِهِمْ وَتَعَهُّدِ مَرَاقِبِهِمْ مِنَ الْكِفَايَةِ .

وهذه نسخ من ذلك :

رقعة شكوى هموم :

كتب المملوك هذا الكتاب وهو رهيب فِكْرٍ وغمٍّ ، وقلقٍ وهمٍّ ، وحليف جوى
قد سكن القلب ، وخوفٍ قد أطار اللب ، وبالله العياذ ، وهو الملاذبا وبيده تحلُّ
العقدة ، وبأمره تزول الشدة ، وقد أهدم الله سبحانه المملوك صبرا يسر أمره ، وأملا
في الفرج خفف سره ، وليس بأئس من عطفته ، ولا قانطٍ من نعمته .

رقعة في معنى ذلك :

كتب المملوك وهو شاكٍ لجاهل الأيام ، وقيدٌ من مواقع سهامها الرغبية الكلام ،
منهوم بهموم تضعف الجأيد ، وتسوء الوديد ، وتسرع الحسود ، لاقٍ من قسوة الدهر
وفظاظته ، ونبوذة العيش ونفرتة ، ما يرد الجفون عن الهجوع ، ويغرق العيون
بالدموع ، والله تعالى في عباده أقضية يقضيها ، وأقدار يمضيها ، والله أسأل حسن
الداقبة والخطام ، وتمحيص الأوزار والآثام .

رقعة : كتب المملوك وجسمه صحيح ، وقلبه قريح ، وجنانه سليم ، وجنابه

سليم : لما يتبادر إليه من نكبات تدح وتترح ، وحادثات تكلم وتجرح ، ونوب
تهض ، وتهدم وترض ، وخطوب تخاطب شفاها ، وتوصل من اليد إلى اليد إذاها ،
إلا أن الله يهب ریح المنع ، وقد تداكت المحن فينشفها ، ويشق عمود الفرح ، وقد
أدهمت فيكشفيها ، وظن المملوك بالله تعالى جميل ، وله في صنعه ولطفه تأميل .

رقعة : وينهى أنه قد كتب هذه العبودية بيدٍ قد أعرستها الآلام ، يملي عليها

قلبٌ قد قلبته الأسقام ، بجسمه ناعل ، وجسده بعد النظرة قاحل ، وقواه قد

وَهَنَتْ ، وَجَلَادُتُهُ قَدْ وَهَتْ ، وَصَبْرُهُ قَدْ تَحَلَّى وَأَضْطَرَبَ ، وَتَحْمَلُهُ قَدْ نَأَى وَأَقْتَرَبَ ،
 وَعَادَ شَبَحًا مِنَ الْأَشْبَاحِ ، وَهَبَاءً تَذْرُوهَ الرِّيَّاحِ ، فَلَوْ أَعْتَلَقَ بِشَعْرَةٍ لَمْ تَنْصَرِمَ ، أَوْ وَجَلَ
 نَحْرَتَ إِبْرَةَ خِيَّاطٍ لَمْ تَنْفَصِمَ ، وَلَوْلَا الثَّقَةُ بِاللَّهِ وَآنَهُ يُتَّبِعُ السُّتْمَ بِالصَّحَّةِ ، وَيَسْفَعُ الْحِجْنَ
 بِالْمِنْحَةِ ، لَذَهَبَ مَا بَقِيَ مِنْ ذِمَّائِهِ ، وَأَطَّلَ عَلَى شَفَا شِقَائِهِ ، وَالْمَمْلُوكُ يَسْتَشْرِفُ مِنْهُ
 تَعَالَى لَطْفًا يُعِيدُ الْكَلِيلَ حَدِيدًا ، وَالْمُخَلَّقَ جَدِيدًا .

رقعة : وَيُنْهَى أَنَّهُ قَدْ كَتَبَ هَذِهِ الرَّقْعَةَ ، وَقَدْ سَاءَ أَثْرُ الْأَيَّامِ عَلَيْهِ ، وَقَبِحَ
 صُنْعُهَا لَدَيْهِ ، وَأَبْتَلَتْهُ بِمَوْلِمِ الْبَلْوَى ، وَأَنْطَقَتْهُ بِلِسَانِ الشُّكْوَى ، فَهُوَ مُحْتَرِقٌ بِنَارِ الْغَيْظِ ،
 يَدْعُو عَلَى نَفْسِهِ بِالْفَيْظِ ، إِنْ لَمْ يَكُنْ فَرَجٌ يَفْرَجُ بَيْنَ الْأَضْدَادِ ، وَلُطْفٌ يُرِيحُ مِنْ هَذَا
 الْجِهَادِ ، وَكُلَّمَا طَلَبَ الْمُزَايِلَةَ عَوَّقَ ، أَوْ طَلَبَ الْفِكَكَكَ أَعْتَلَقَ ، فَهُوَ قَاطِنٌ فِي صُورَةِ
 الطَّاعِنِ ، وَحَالٌ فِي حَالِ الرَّاسِمِ ، وَاللَّهُ يَمُنُّ بِالْمُخْرَجِ ، وَيَأْتِي بِالْفَرَجِ .

رقعة : وَقَدْ سَمَّيْتُ الْمَمْلُوكَ هَذِهِ الْعَبُودِيَّةَ ، وَقَدْ أَنْجَلَتْ هَذِهِ النَّبْوءَ ، عَنِ الْبَلَاءِ
 وَالشَّقْوَى ، وَتَنَادَى الْمَالَ ، وَأَسْتَعَالَ الْحَالَ ، وَأَسْتَيْلَى الْعُدْوَى ، وَأَسْتَعْلَى السُّوَى ، وَكَذَا
 الدَّهْرُ يَخْدُوعُ غُرُورًا ، خُؤُونُ غُدُورًا ، إِنْ وَهَبَ أَرْجَعُ ، وَإِنْ أَلْبَسَ أَنْتَرَعَ ، وَإِنْ
 أَعْطَى أَعْطَى قَلِيلًا وَقَلَعَ ، وَإِنْ أَحْلَى أَمْرًا ، وَإِنْ نَفَعَ ضَرْبًا ، وَإِنْ أْبْرَمَ نَقَضَ ، وَإِنْ
 رَفَعَ خَفَضَ ، وَإِنْ أَقْبَلَ أَعْرَضَ ، وَإِنْ وَعَدَ أَمْرَضَ ، فَنِعْمَهُ مَقْرُونَةٌ بِالزَّوَالِ .
 وَمِنْحُهُ مَعْرُضَةٌ لِلْإِنْقَالِ ، وَسَمْنُوهُ مَشُوبٌ بِالْكَدْرِ ، وَعَيْشُهُ مَمْرُوجٌ بِالْفَيْزِ ، مَا أَجَنَّ
 إِلَّا أَوْجَدَ خَلَلًا ، وَلَا أَمَّنَ إِلَّا أَتْبَعَ الْأَمْنَ جَلَلًا ، وَالْمَمْلُوكُ يَمْحَدُ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى أَنْ أَوْسَعَهُ
 فِي حَالِ الْبَلَاءِ شُكْرًا ، وَفِي حَالِ الْإِبْتِلَاءِ صَبْرًا .

أجوبة رِقَاع الشُّكْرَى

قال في "مواد البيان" : ينبغي أن تفرق أوجهه بينه وبين الأرتامس في الحال المشككة، والتوجع منها، وبذلك التوجع في الأوجه عن المشاركة فيها وما يشترى، هذا الحجرى مما يليق به .

النسخة من نسخة

(في نسخة نسخة نسخة)

قال في "مواد البيان" : ورقاع الأستامسية يُختار أن تكون قواماً من الأقطار ما يُحرك قوى السباح، ويبعث دواعي الأرتياح، ويُرسب سرعة الأقطار المشبهة بذلك المسال الصَّعب، بله، إلا على من وقَّر أنه شربته، وأوصى به أئمة الأئمة، وإن غلت .

قال : ويبنى للكاتب أن يتفحص فيها اقتضاب العين في الأقطار، بل من من المصنوع على إرفاق [ماء] الوجه، والطيبة، والذوق عن المشيئة، ويعتدل من التمثيل والإخاف المشجعين ولا يضيئ العسائر على السرح، بل الأقطار، وما المشاركة في الحال .

وهذه نسخة من ذلك :

من كتاب [أبي] الحسين بن سعد .

أفضل القول أصدقه، وأهني العريف أعمله، وأبلغ الأثر أظنه .

ومنه : إن حضرتك نية في قضاء حاجة فعبثها ، فإن أهني المعروف ما عجل ،
وأنكده ماتازعته العلل ، وأعرضته كثرة الإقتضاء .

ومنه : أنت أعزك الله واجد السبيل إلى أصطناع المعروف واكتساب
الثواب ، وأنت أعرف بما في استنقاذ أسير من أسرى المسلمين ، من وارد الأسر ،
وعرصة الكفر ، وأنبياشه من الذلة والفاقة ، والبلاء والمشقة ، من جزيل ثواب الله
وكريم جزائه [وأجل] من أن تحاطب في ذلك مخاطبة من يحتاج إلى زيادة
في بصيرته ، وتقوية لنيته ، وبالله توفيقك وعونك .

على بن خلف :

قد تمسك أمني بضمانك ، وتطلع رجائي إلى إحسانك ، وكفل لي النجاح مشهور
كرمك ، ورغبتك في رب نعمك ، ولي من فضلك نسيب أعتري إليه ، ومن شكري
شفيع أعتمد عليه .

وله : المواعيد - أطال الله بقاء مولاى - غروس ، حلوتها الإنجاز والتعجيل .
ومره المطل والتطويل ؛ وقد شام أمني من سحائب فضله ، حقيقا بأن ينهمر
ويهمي ، وأرتاد من روض نبله ؛ جديراً بأن يزيد وينمي ، فإن كانت هذه المخلة
صادقه ، فلتكن منه همة للرجاء محققه ، إن شاء الله تعالى .

وله : هممت أن أستعجب إلى مولاى ذريعة تحجب مطلي ، وتكون هيبا
على وجهي في المطالعة بأربي ، فلاح لي من أساريه برق أوضح مقصدي ، ومن
أخلاقه أنبساط أمان تجعدي ، ولست مع معرفته بحق نعمة الله تعالى وحق مؤمنه ،
محتاجا عنده إلى ذريعة ولا مفتقرا إلى وسيلة .

وله : ولا يَجْمَلُنِي مَوْلَايَ عَلَيَّ ظَاهِرَ تَجْمَلِي ، وَجَمِيلٍ تَوَكَّلِي ، عَلَيَّ حَالٍ قَدْ أَحَالَتَهَا
 الْمُعْطَلَةَ ، وَتَخَلَّلَتْهَا الْخَلَّةُ ، وَإِنَّمَا أُبْقِي بِالتَّجْمَلِ عَلَيَّ دِيْبَاجَةَ هَمَّتِي ، وَأَصُونُ بِالتَّخْفِيفِ
 عَنِ الصَّدِيقِ مُرَوَّتِي ، وَلَوْلَا أَنَّ الشُّكْوَى تَخَفَّتْ مَتَحَمَّلِ الْبَلْوَى ، لَأُضْرِبْتَ
 عَنِ مُسَاءَلَتِهِ ، وَأَمْسَكْتُ عَنِ تَذَكِيرِهِ ، وَلَكِنْ لَا بَدَّ لِلْوَصِيبِ الشَّاكِي ، مِنْ ذِكْرِ حَالِهِ
 لِلطَّيِّبِ الشَّافِي ، وَقَدْ كَانَ بَرَقَ لِي مِنْ سَحَابٍ وَعَدَهُ مَا هُوَ جَدِيرٌ بِالْإِنْهَامَارِ ، وَأُورِقَ
 مِنْ نَمَائِهِ مَا هُوَ حَقِيقٌ بِالْإِنْشَارِ ، فَإِنِّي رَأَيْتُ أَنْ يَسِمَ وَجْهَ التَّامِيلِ ، بَعْدَ الْإِنْجَازِ
 وَالتَّعْجِيلِ ، فَعَل .

وله : مَا حَامَتْ أَمَانِي - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ - إِلَّا وَقَعَتْ بِحَضْرَتِهِ ، وَلَا صَعِبَتْ عَلَيَّ
 جَوَابِي الرِّجَاءِ إِلَّا سَهَلَتْ مِنْ جِهَتِهِ ، وَلَا كَذَّبَتْنِي الظُّنُونُ إِلَّا صَدَّقَهَا بَعْلُو هَمَّتِي ،
 فَذَلِكَ أَعْتَلَقُ فِي الْمُهَمِّ بِجَمَلِهِ ، وَأَعْتَصِمُ فِي الْمَلَمِّ بِظَلَمِهِ ، وَقَدْ عَرَّضْتُ لِي كَذَا وَعَلَيْهِ فِيهِ
 الْمُعْتَمَلُ ، وَهُوَ الْمَرْجُوُّ وَالْمُؤْمَلُ ، وَمَا أَوْلَاهُ بِالْحَرِيِّ عَلَيَّ عَادَتِهِ فِي رَيْشِ جَنَاحِي ، وَالْمَعُونَةُ
 عَلَيَّ سَلَامِي .

في طلب كسوة من كلام المتأخرين :

لَا أَيُّهَا الْمَوْتَى الَّذِي نَهَرُ جُودِهِ * يَزِيدُ وَعَاصِي أَمْرِهِ الدَّهْرُ يَنْقُصُ !
 إِلَيْكَ أَشْتَكِي مِنْ دِمَشْقَ وَبَرْدَهَا * وَمَا أَنَا فِيهِ مِنْ أُمُورٍ تَنْقُصُ !
 وَإِنِّي فِي عُرْسٍ مِنَ الْبَرْدِ دَائِمٍ * تُصَفِّقُ أَسْنَانِي وَقَلْبِي يَرْقُصُ !

المملوك ينهي بعد الأبهال إلى الله تعالى في إدامة نعمته ، وإدالة دولته ،
 أنه ما ألق من إحسانه إلا أنه يضاعف رسم الإنعام ، ويواتر إرساله على ممر الأيام
 والأعوام ، وللملوك في خزانته الشريفة في كل عام تشریف يُفيضه على جسده ،

(١) كذا في الأصول والظاهر "بل أنا على" الخ .

ويُسِّرُ به قلوبَ أوليائه ويفتُّ أكبَادَ حُسده، ويتَّقِي به سَوْرَةَ الشتاءِ وقُرْه، ويجعله
قُرَّةً ويَجْمَلُ به من الدَّعَةِ وقُرْه، وقد دَرَسَ رسمُه، وفُقِدَ من الدِّيوانِ المعمورِ أسمُه،
وهو يسألُ بروزَ الأمرِ العالى بإجرائه على عادته المستمِرة، وقاعدته السالفة المستقره؛
بتشريفه بأخذ التَّشريفِ ولُبْسِه : ليدفعَ بذلك شِدَّةَ البَرْدِ وألَمَ مَسِّه؛ ويتذكَّرُ بها
في يومه ما يُوجِبُ حمدَ المولى وذمَّ أَمْسِه، ورأيه العالى .

وله في طلب ورق :

يا أَسْمَعَ النَّاسِ وَيَأْمَنُ غَدَا * جَبِينَهُ يُجْجِلُ ضَوْءَ الشَّفَقِ !
جُودُكَ بِالْوَرَقِ عَمِيمٌ ^(١) [فَلِم] * أَحْبَبْتُ يَا مَوْلَايَ بَعَثَ الْوَرَقَ ؟

وله في طلب رسم :

رَسَمِي يَا مَوْلَايَ غَدَا * مُؤَخَّرًا وَلَوْ حَضَرَ !
وَلَوْ أَرَادَ سَيِّدِي * إِحْضَارَهُ، كَانَ أَمْرًا !
فَقَدْ مَضَى مَحْرَمٌ * وَرَاحَتِي مِنْهُ صَفْرًا !

وكتب كاتبٌ إلى مُخدومه، وقد تأخر صرفُ معلومه :

وَتَعَلَّمْتُ أَنِّي كَثِيرُ الْعِيَالِ * قَلِيلُ الْجِرَايَةِ وَالْوَاجِبِ !
فَلَسْتُ عَلَى ظَنِّمَا قَانِعًا * بِوَرْدٍ مِنَ الْوَسْطِيِّ النَّاسِ !
وَلَا شَكَّ فِي أَنِّي هَارِبٌ * [ف] قَدَّرَ لِنَفْسِكَ فِي كَاتِبٍ !

(١) الورق مثله وككتف وجبل الدراهم المضروبة اه من القاموس .

قلت : وكتبتُ نظماً لأُمير المؤمنين المستعين بالله أبي الفضل العباس : خليفة
العصر، أَسْتَمِيحُه حاجةً في مجلسٍ كان فيه هو وولده يحيى وأخواه داودُ ويعقوبُ
ماصورته :

إذا رُمّت أن تُحظى بَنِيْلٍ مَارِبٍ * فبادِرْ إلى العباسِ مِنْ آلِ عَبَّاسِ !
إمامٌ به تُفَرُّ الخِلافةَ بِاسْمٍ * وَعِرْنِيْهَا يَسْمُو عَلَى قِمَّةِ الرَّاسِ !
أبي الفضلُ إلا أن يَكُونَ لِأَهْلِهِ * [دواماً] وَأَنْ يُدْعَى أبا الفضلِ فِي النَّاسِ !
فَلِلمُسْتَعِينِ أَقْصِدْ تَجِدْ خَيْرَ مُنْجِدٍ * حَرِيصٌ عَلَى المَعْرُوفِ بَرًّا بِبِائِنِاسِ !
فِيحْيَا لَهُ يَحْيَى وَداوُدُ صِنُوهُ * وَيَعْقُوبُ أَعْضَادًا وَحَصْنًا مِنَ البَّاسِ !



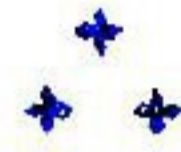
وكتبت لفاضل القضاة شيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن ابن شيخ الإسلام
عمر البلقيني أَسْتَمِيحُه حاجةً أيضاً :

أَيَا شَيْخِ إِسْلَامٍ وَقَاضِي قَضَائِهِ * وَمَنْ قَد سَمَا فِي النَّاسِ عِلْمًا وَمَنْصِبًا !
لَقَدْ عَمَّ نَوَى مِنْكَ كُلِّ مُؤْمِلٍ * وَحَاشَى لِبَرَقِ شِمْتٍ يَظْهَرُ خُلْبًا !
أَأَحْرَمَ مَعْرُوفًا لَهُ كُنْتُ أُرْتَجَى * وَيُحْجَبُ ذُو بَعْدٍ مِنَ التَّعْوِمِ أَقْرَبًا !
وَمَا زِلْتُ أَرْجُو فِي زَمَانِكَ رِفْعَةً * وَلِيَكُنْ جَوَادُ الحِظِّ بِالْبُعْدِ قَدْ كَبَا !
وَلَنْ يَسْتَعِيضَ الحَفْضُ بِالرَّفْعِ مَا جَدَّ * خُصُوصًا وَمَنْ أَنْعَرَتْ مَا نَالَ مَطْلَبًا !
وَلَسْتُ تَرَى مِنِّي إِلَيْكَ وَسِيلَةً * سِوَاكَ وَحَسْبِي بِاعْتِلَاكَ تَقَرُّبًا !



وكتبت للقاضي القضاة جمال الدين محمود القيسراني ، وهو يومئذ قاضي قضاة
لخفية وناظر الجيوش المنصورة ، أذكركم بطلاة عرضت لي من وظيفة مباشرة
كانت بيدي :

إلى الله أشكرو من زمانى بواره * فأمسيت في الحرمان بي يضرب المثل !
تماديت بطالا وأعوزت حيلة * ولم يبرح البطال تعرف له الحيل !
فلا ملتجى جاء ولا عز صاحب * ولا مالك يحنو فياقوم ما العمل ؟
ولكن (محمود) العواقب أرتجى * ومن يحمده العقبى على القصد قد حصل !



وكتبت للقاضي شمس الدين العمرى كاتب الدست الشريف في حاجة تجرها :
إن لا أرى عمرا حتى أليم به * ألفت من نسله من كان لي عمرا .
لم يغف عن حاجتي حتى أنبهه * وكيف يغفوفى المعروف كم سهرا ؟
جعلته مبتدا في رفيعه خبري * وعادة المبتدا أن يرفع الخبرا !

أجوبة استماعة الجوائب

قال في "مواد البيان" : لا يخلو المستاح والمكلف حاجة من أن يسعف أو ينع ،
فإن أسعف فقد غنى عن الجواب ، وربما أجاب المسعف بجواب مبنى على حسن
موقع أنيساط المستمع ، والاعتذار عن التقصير في حقه وإن كان قد بلغ به فوق

(١) نسبة إلى قيسارية على غير قياس .

ما يجب له - تكراً وتفضلاً ، وإن منع فربما أجاب بعذر في الوقت الحاضر أو عذر في المستقبل ؛ وربما أخلّ بالجواب تغافلاً .



وهذه نسخة جواب بالإسعاف بالمقصود ، كتبت بها في جواب لكتاب السر عن نائب الشام ، في طلب إقطاع ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة إجابة للطلوب ، وهي :

لا زال قلمها يمدُّ على الإسلام ظلاً ظليلاً ، ويستجدُّ صنعا جميلاً ، ويأخذُ بأمر الله أعداء دينه أخذاً وبيلاً ، ويقومُ باجتهاده في مصاح الملك النهار كله والليل الأقبلا ، تقبيل مواظب على ولاء لا يجده له تبديلاً ، وثناء لو سمعه المحب فشافه الأجاب إذا لا تحذوه خايلاً .

ويُنهي ورود مشرفة مولانا القديم فضلها ، الكريم وصلها وأصلها ، فوقف المملوك عليها ، وأصغى بجملته إليها ، وعلم مارسم به مولانا ، وأشار إليه تبياناً ، وكذلك بلغه مملوكه الولد فلان المشافهة الكريمة فخبذا من صاحب السر أسراراً وإعلاناً ، وشكر لها مشرفة ومشافهة أورد الإحسان مثنى مثنى ، وسراً سمعه المملوك لفظاً وأستهداه معنى ، فما مننهما في الإحسان إلا زائده ، ولا في الصلوات إلا عائده ، لا جرم أن المملوك أقبل على قبيلهما بسمعته وناظره ، وقلبه وخاطرته ، وجملته وسائرته ، وأمتل الإشارة العالية التي من حقها أن تقدم على كل مهم يرد عليه ، وأمر يتوجه إليه ، ويد الزمان مشكورة يأخذها منه بكتنا يديه ، وعين المملوك لوقته الإقطاع المطلوب ، وتقدم بكتابة مربيته حسب مارسم من تجرى السعادة من سطره تحت مكتوب ، وجهزها قرين هذه الخدمة ومن ذا يقارن سبق ذلك البر المديد ، وكيف توازي

المربعة كتابا هو بالإحسان للعنق تقليد، لا برحت مرايم مولانا معدودة من رسوم
نعمه، ومشرقاته محسوبة من تشريفاته التي يخلعها على أبناء محبيه وخدمه .

النوع الثاني عشر

(في الشكر)

قال في "مواد البيان" : رقاغ الشكر يجب أن تكون مودعة من الاعتراف بأقدار
المواهب ، وكفاية الاستقلال بحقوق النعم ، والأضططلاع بحمل الأيادي ، والنهوض
بأعباء الصنائع ، ما تشحذ الهمم في الزيادة منها ، وبوثق المصطنع بإفاضة الصنيع ،
ويعرب عن كريم سجية المحسن إليه .

قال : وينبغي للكاتب أن يفتن فيها ، ويقرب معانيها ، وينتحل لها من ألفاظ
الشكر أنوطها بالقلوب : لتستيقن نفس المتفضل أنه قد آجتى ثمرة تفضله ، وحصل
من الشكر على أضعاف ما بذله من ماله أو جاهه ، إلا أنه ينبغي أنها إذا كانت صادرة
من الأتباع إلى رؤسائهم ، ومن يرجع إلى اختصاص وأثرة ، أن لا تبنى على الإغراق
في الشكر : لأن الإغراق في الشكر يحمل هذه الطبقة على التملق الذي لا يليق إلا بالأبعد
الذين يقصدون الدلالة على استقلالهم بحقوق ما أسدى إليهم ، فأما من ضفا عليه
من النعم ما يدفع الشك في اعترافه بالذل لديه ، فإنه يغنى عن المبالغة في الشكر
والاعتداد ، ثم قال : وإنما يجب أن يذهب فيما يكتب عن هؤلاء من هذا الفن
مذهب الاختصار ، والإتيان بالألفاظ الوجيزة الجامعة لمعاني الشكر ، دون مذهب
الغلو والإفراط ، ودو الطبع السليم ، والفكر المستقيم ، يكتفى بسير التمثيل .

وهذه نسخ من ذلك :

أبو الفرج البغاء ، في شكر تابع لمتبوع :

أنا في شكره - أيدته الله - مبرهن عن مواقع إحسانه إلى ، وتظاهر إنعامه عليّ ،
لامقتدر أني مع المبالغة والإسهاب ، والإطالة والإطناب ؛ أجازى عفو تفضله ،
ولا أجامل أيسر تطوله ؛ وقد وسمني أيدته الله من شرف أصطناعه ، بما بوأني به
أرفع منازل خدمه وأتباعه ؛ وإلى الله أرغب في توفيق من مقابلة ذلك بالأجتهاد
في خدمته ، والمبالغة في طاعته - لما أكون به للزيد مستوجباً ، وللخطوة مستحقاً

وله في شكر قريب :

فرض الشكر - أعزك الله - لا يسقط بقرب الأنساب ، ولذلك لا أستجيز إغفال
الواجب عليّ منه ، ولا أجد عدولاً في التسامح فيه والإضراب عنه ، وإن كنت
غنياً عن الإفاضة فيما اعتقده من ذلك وأضميره ، وأيديه وأظهيره ، بالمتعالم من خلوص
النية وصحة الاعتقاد ، فلا أخلاك [الله] من جميل نسيده ، وتفضل توليه ؛ يمتري
لك المزيد من سوابغ النعم وفوائد الشكر .

وله : قد استنفدت مادة شكرى ، ووسع اعتدادي ونشري ؛ نتابع تفضلك ،
وتواني تطولك ؛ ولست أقدر على النهوض بشكر منة حتى تطرقني منك منة
ولا أحاول مجازاة نعمة حتى تفد عليّ منك نعمة ؛ فبأي عوارفك اعترف ، أم بأي
أياديك بالثناء أنتصف ؛ فقد فزعت إلى الإقرار بالعجز عما يلزم من فروضك ،
وواجبات حقوقك ؛ وأنصرفت إلى سؤال الله جل اسمه بإيزاعي شكر ما وهب منك ،
والتجاوز للمكارم والفضل عنك .

وله : وقد شكرت بِرِّكَ الْجَلِيلِ مَوْقِعَهُ ، اللَّطِيفِ مَوْضِعَهُ ، الْخَفِيفِ مَحْمَلَهُ ، الْعَذْبِ مَنَهْلَهُ ، وَشَافِهَتِكَ مِنْ ذَلِكَ بِمَا أَسْمَعْتُ لَهُ الْقُدْرَةَ لَا مَا تَقْتَضِيهِ حُقُوقُ الْمَنَّةِ .

وله : أَنَا فِي الشُّكْرِ بَيْنَ نِعْمَةٍ تُنْطَقِنِي ، وَعَجْزٍ عَمَّا يَجِبُ لَكَ يُخْرِسُنِي ، وَلَسْتُ أَفْرَعُ إِلَى غَيْرِ تَجَاوُزِكَ ، وَلَا أَعْتَمِدُ عَلَى غَيْرِ مَسَامِحَتِكَ ، وَلَا أَتَطَاوُلُ إِلَّا بِمَكَانِي مِنْكَ ، وَلَا أَفَاحِرُ إِلَّا بِمَوْقِعِي مِنْ إِثَارِكَ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنِي بَوْلَاثِكَ مَشْهُورًا ، وَفِي شُكْرِكَ مَقْصُورًا .

على بن خلف :

رقعة : وَيَنْهَى أَنْ اللَّهُ تَعَالَى لَمَّا أَهَمَّ مَوْلَانَا الْبِرَّ ، أَهَمَّ الْمَمْلُوكَ الشُّكْرَ ، فَهُوَ لَا يَزَالُ يُوسِعُ فِي الْبِرِّ وَيَزِيدُ ، وَالْمَمْلُوكُ لَا يَزَالُ يُبْدِي فِي الشُّكْرِ وَيُعِيدُ ، وَلَكِنْ شَتَّانَ بَيْنَ فَاعِلٍ وَقَائِلٍ ، وَمُعْطٍ وَقَابِلٍ ، وَوَاهِبٍ وَسَائِلٍ ، وَرَافِدٍ وَحَامِدٍ ، وَشَاكِرٍ وَشَاكِدٍ ، وَالْمَمْلُوكُ يَحْمَدُ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا جَعَلَ يَدَهُ الطُّوْلَى ، وَحِظَّهُ الْأَعْلَى .

رقعة : وَصَلَ بِرِّ مَوْلَانَا وَقَدْ أَحَالَتْ الْخَلَّةُ مِنَ الْمَمْلُوكِ حَالَهُ ، وَأَمَالَتْ آمَالَهُ ، فَلَأَمَّتْ مَا صَدَعَهُ الدَّهْرُ مِنْ مَرَوْتِهِ ، وَجَدَّدَتْ مَا أَخْلَقَهُ مِنْ فَرَوْتِهِ ، فَكَفَّ الْمَمْلُوكُ يَدَيْهِ [عَنْ] أَمْتِحَانِ الْخُلَّانِ ، وَقَبَضَ لِسَانَهُ عَنْ شِكَايَةِ الزَّمَانِ ، وَأَقْرَمَاءَ وَجْهِهِ فِي قَرَارَتِهِ ، وَحَفِظَ عَلَى جَاهِهِ لِبَاسَ وَجَاهَتِهِ ، فَيَالَهُ مِنْ بَرِّ وَقَعٍ مِنَ الْفَقْرِ ، مَوْقِعِ الْقَطْرِ مِنَ الْفَقْرِ ، وَلَمْ يَتَقَدَّمْهُ مِنْ قَدَامَةِ الْوَعْدِ ، مَا يَتَقَدَّمُ الْقَطْرُ مِنْ جَهَامَةِ الرَّغْدِ ، وَكُلُّ مَعْرُوفٍ وَإِنْ فَاضَتْ يَنَابِيعُهُ ، وَطَالَتْ فُرُوعُهُ ، قَاصِرٌ عَنِ الْأَمْلِ فِي كَرَمِهِ ، وَاقِعٌ دُونَ غَايَاتِ هَمِّهِ ، كَمَا أَنَّ الشُّكْرَ لَوْ وَآكَبَ النُّجْمُ ، وَسَاكَبَ السَّجْمُ ، قَاصِرٌ عَنِ مَكَافَاةِ تَفْضُلِهِ ، وَجُجَارَاةِ تَطَوُّلِهِ ، وَالْمَمْلُوكُ يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى الَّذِي جَعَلَهُ قُدْوَةً

الكرام، وحسنة الأيام، وربّ الإنعام، وواحد الأنام؛ أن يُلهم المملوك من حمده، بقدر ما أسبغه عليه من رفته .

رقعة شكر : عند المملوك لسيدى أيايد وصلت سابقة هوادياها ، وظلت لائحة تواليها ؛ فصارت صدورها نسبا أعتري إليه ، وأعجازها [سببا أعول في الملمات عليه] .

رقعة : لولا أن الله تعالى جعل الشكر ثمرة البرّ، والحمد جزاء الرّفد، وأراد إقرارهما على أهلهما من الغابرين ، وأن يجعل لهم مينا لسان صدق في الآخرين ، لكان الذى غمّره به مولانا من الإنعام ، يُتحدث عنه تحدث الرياح بأثار الغمام ، ويكفى المملوك بالإشارة، مئونة العبارة؛ والمملوك وإن رام تأدية ما يلزمه من شكره، قاصر عن غاية برّه؛ ولو استخدم السنة الأقلام ، واستغرق أمدى النثار والنظام؛ ومولانا جدير بقبول اليسير، الذى لا يمكن الزيادة عليه؛ والصنّج عن التقصير، الذى تُقود الضرورة إليه؛ إن شاء الله تعالى .

رقعة : لو أن هذه العارفة بكر عوارفه ، وبأكورة لطائفه ؛ لعجزت عن شكرها ، وقصرت عن نشرها ؛ فكيف وقد سبقها قرائن ونظائر ، وتقدمها أتراب وضرائر؛ [مما] أنقل من المملوك كاهله ، وبسط به يدى أمليه ؛ فما يقدم شيئا فيرجيه ، ولا يفقده فيرغب فيه ؛ والذى تربه من المملوك جوارحه ، وتحويه جوانحه ؛ علمه بأنه لا يجارى أياديه ، ولا يجازى مساعيه ؛ والله تعالى يخصه من الفضائل ، بمثل ما تبرع به من القواضل .

رقعة : ومثل مولانا من [ذوى الشرف^(١)] والسودد من حسن محضره، وطاب
مخبره، وكرم غيبه ومشهده، وصح على تغاير الأحوال عقده ووده، وقد اتصل بالملوك
مأعاره له مولانا من أوصافه، وجرى فيه على عادة فضله وإنصافه، فطفق لفضله
شاكرًا، ولطوله ناشرًا، وأضاف ذلك إلى تواليد إحسانه، ونظمه في عقد أمثانه .

رقعة : قد طوق مولانا [مملوكه] من فضله طوقا كأطواق الحمام لا ينزع ،
وألبيه بردا من بره لا يخلع ، وأولاه من مزیده ما قصرت الهمة عن تمنيه ، ولم تهتد
القريحة إليه فتستدعيه ، ولو وجد المملوك جزاء على دارفته ، وكفاء لمثوبته ، غير
الموالة الصريحة ، وعقد الضمائر على المودة الصحيحة ؛ واللهم بالشكر ، فى السر
والجهر ، لرمي من وراء عنايته ، ولا استبعد طول شقته ؛ ولكن المملوك عديم
لما يقابل به يده الغراء ، عاجز عما يقضى به حق موهبته الزهراء ؛ ما لم يحسن كرمه
أمره ، ويقبل منه على التقصير شكره ؛ ويضف ذلك إلى لطائفه ، وينظمه فى سلك
عوارفه ؛ إن شاء الله تعالى .

رقعة : وأجتهاد المملوك فى نشر أيديه وشكرها ، كأجتهاد مولانا فى كتابها
وسرّها ، فكما أبديتها بالثناء أخفاها ، أو نشرتها بالإشادة طواها ؛ وهيات أن يخفى
عرف كعرف المسك نشرًا ، ومن كالروضة نورا والغزاة نورا ؛ ولو كان المملوك
والعياد بالله ستر هذا العرف بكفر ، وأغتمصه مانعا لشكر ؛ لنم عليه حسنه بموم
الصباح ، وتوقد توقد المصباح ؛ فكيف وللمملوك مقول لايسامى^(٢) [يعجم سره]
الليالى بالإحماد ، ويرقم صفحات النهار بالأعتداد .

(١) بياض فى الاصول والتصحيح من المقام .

(٢) فى الاصول « ولا يسامى الليالى » الخ وزدنا ما يقتضيه المقام ويتم الكلام تأمل .

الأجوبة عن رقع الشكر

قال في "مواد البيان": [ان كانت] هذه الرقاع من المرءوسين إلى الرؤساء فلا جواب لها. وإن كانت من النظير فالواجب أن يُستعمل في أجوبتها مندوبُ التناصف والتفاوض.

جواب عن فعل المعروف والشكر عليه من كلام المتأخرين

من ذلك، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة، وهو بعد الصدر:

خَلَدَ اللهُ عَلَى الْمَالِكِ نِعْمَهُ، وَعَلَى الْمَالِكِ دَيْمَهُ، وَحَرَّمَ بَقَائِهِ ذَمَّ الزَّمَانِ وَأَوْجَبَ
ذِمَّتَهُ، وَلَا بَرِحْ نَحْوُ الْمُحَامِدِ يُنَادِي يَوْمَ الْكَرَمِ مُفْرَدَهُ وَيَوْمَ الْهَيْبِاجِ عَلَّمَهُ. تَقْبِيلًا
يَسْحَبُ فِي الْفَخَّارِ بُرُودَهُ الْمُعْلَمَهُ، وَيَتَذَكَّرُ بِالْقُرْبِ فَلَا يَزَالُ الشُّوقُ يُنْتِجُهُ حَيْثُ كَلَا
التَّذْكَارِ وَالْعَهْدِ مُقَدَّمَهُ.

وينهى ورُودَ المثالِ العَالِي بِمَا مَلَأَ الْقَلْبَ خَيْرًا وَالْهَدَّ بَرًّا، وَالسَّمْعَ إِشَارَةً وَالْوَجْهَ
إِشْرًا، حَتَّى تَنَاقَسَتِ الْأَعْضَاءُ عَلَى تَقْبِيلِهِ، وَالْجَوَارِحُ عَلَى تَأْمِيلِهِ، فَالْيَدُ تَسَابِقُ
إِلَى مَنَنِهِ بِالْأَمْتِدَادِ، وَالْقَلْبُ يَسَابِقُ إِلَى كَرَمِ عَهْدِهِ بِالْإِعْتِدَادِ، وَالْوَجْهُ يَقَلِّبُ نَظْرَهُ
فِي سَمَاءِ مَوَاقِعِ الْقَلَمِ، وَالسَّمْعُ يَنْعَمُ بِمَا تَقْضَى عَلَيْهِ الْمَسَارُّ مِنْ أَخْبَارِ حَيْرَةِ الْعَلَمِ،
حَتَّى كَادَ الْمَمْلُوكُ يَحْوُ بِالتَّقْبِيلِ أَسْطَرَّهُ، وَيَشْتَغِلُ بِذَلِكَ عَنِ اسْتِجْلَاءِ مَا ذَكَرَهُ الْمُنْعِمُ
لَا عَدِمَ الْمَمْلُوكُ فِي مِصْرَ وَالشَّامِ تَكَرَّرَهُ، وَفِيهِمْ مَا أَشَارَ مَوْلَانَا إِلَيْهِ مِنَ الْفَضْلِ الَّذِي
مَوْلَانَا أَهْلُهُ، وَكَرَمِ الْعَهْدِ الَّذِي لَا يُنْكِرُ مِنْ مِثْلِهِ وَأَيْنَ مِثْلُهُ، وَقَابِلِ الْمَمْلُوكِ جَمِيعَ ذَلِكَ
بِجَهْدِهِ مِنَ الْأَدْعِيَةِ الصَّالِحَةِ، وَبِسَمَاحَةِ الْحَمْدِ الْمُتَفَاوِحِ، وَالْإِعْتِدَادِ بِنِعْمَةِ مَوْلَانَا
الَّتِي لَوْلَا [مُوَالَاتُهَا] ^(١) كُلَّ وَقْتٍ لَقِيلَ فِيهَا «مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ» وَتَضَاعَفَ

(١) بياض في الأصل والتصحيح من المقام.

نُهوَضُ المملوك على قَدَمِ المُوَالاةِ التي [يستشهد] في دَعْوَاهَا بِشهادة الخاطر الشريف ، ويتقدَّم بها تقدُّماً تحت لواءِ الولاءِ وتأتي بقيَّةَ الأولياءِ في اللِّيفِ ، والله تعالى يُوزِعُ المملوكَ سُكْرَ هذه النِّعمِ المتصِلِ مددُها ، والمِنَنِ التي لا يَعْدُمُها ولا يَعُدُّها ، ويَطِيلُ بقاءَ مولانا لِحَمْدِ يَحْتَلِيهِ وَيَحْتَنِيهِ ، وشرفِ دنيا وأخرى يهدمُ وفره وُغْمَرَهُ وَيَبْنِيهِ .

النوع الثالث عشر

(العتاب)

قال في "مواد البيان" : المكاتبَةُ بالمعانيبةِ على التحوُّلِ عن المودَّةِ والاستخفافِ بحقوقِ الخَلَّةِ من المكاتباتِ التي يجبُ أن تُستوفى شروطُها ، وتكجَّلُ أقسامُها : لأن ترخيصَ الصِّديقِ لصديقه في المقاطعةِ والمُصارمةِ دالٌّ على ضَعْفِ الاعتقادِ ، وأستحالةِ الودادِ .

من كلام المتقدمين .

إِنِّي ما أَحَدْتُ نَبُوهُ ، إِلَّا بعدَ أن أَحَدْتُ جَفْوَهُ ؛ ولا أَبَدَيْتُ هَجْرًا ، إِلَّا بعدَ أن أَبَدَيْتُ غَدْرًا ؛ ولا لَوَيْتُ وَجْهًا عن الصَّلَةِ ، إِلَّا بعدَ أن شَيْتُ عِطْفًا إلى القَطِيعَةِ ؛ والأوَّلُ مِنَّا جان ، والثاني حان ؛ والمتقدِّمُ مُؤَثِّرٌ ، والمتأخِّرُ مُضْطَّرٌّ ؛ وكم بين فعلِ المختارِ والمُكْرَه ، والمبتدِعِ والمُتَّبِعِ .

أخسر : إن أَمْسَكْتُ يَاسِيدي عن عِتَابِكَ ، مُرْخِيًا من عِنَانِكَ ؛ كُنْتُ بين قَطْعِ لِحْبِكَ ، وِرْضًا بِفِعْلِكَ ؛ أو أَقْتَصَرْتُ فيه على التَّلْوِيحِ به لم يُغْنِ ذلكَ مع كثرةِ جُوحِكَ ، وشِدَّةِ جُنُوحِكَ ؛ وما آرتكبتُه من رَائِكَ ؛ وأستخرجتُه من جَفَائِكَ .

رقعة عتاب : لمولانا لدى المملوك عوارف لا يبتدى إلى معرفتها فيوفئها كُنْه المراد، وأياد لا يبلغ ما تستحقه من الإحاد ، ولو عَضَّدته خُطباءُ إِيَاد، أَجْلِهَا في نَفْسِه خَطَرًا، وَأَحْسَنُهَا عَلَيْهِ أَثْرًا، مَا يَفْرِضُهُ لَهُ مِنْ بَرِّهِ وَإِكْرَامِهِ ، وَتَعْنِدُهُ وَأَهْتِمَامِهِ ، وَقَدْ غَيَّرَ مَوْلَانَا عَادَتَهُ ، وَنَقَضَ سِمَتَهُ ، وَبَدَّلَ الْمَمْلُوكَ مِنَ الْإِنْعَاطِافِ بِالْإِعْرَاضِ ، وَمِنَ الْإِنْسِاطِ بِالْإِنْقِبَاضِ ، وَحَمَلَهُ مِنْ ذَلِكَ مَا أَوْهَى قُوَى صَبْرِهِ ، وَأَظْلَمَ بَصَائِرَ فِكْرِهِ ، فَإِنْ يَكُنْ ذَلِكَ لِحَطِّهِ وَأَقْعَهُ الْمَمْلُوكُ سَاهِيًا ، وَجُرْمَ أَجْتَرَمِهِ لِأَهْيَابِ فِئْتَلِ مَوْلَانَا لَا يُطَالِبُ إِلَّا بِالْقَصْدِ ، وَلَا يُعَاقِبُ إِلَّا عَلَى الْعَمْدِ ، إِذْ كَانَ الْمَمْلُوكُ لَا يُعْصِمُ مِنْ زَلَلٍ ، وَلَا يَسْلَمُ مِنْ خَلَلٍ ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَوْلَانَا أَرَادَ مِنَ الْمَمْلُوكِ تَقْوِيمَهُ وَتَأْدِيبَهُ ، وَإِصْلَاحَهُ وَتَهْدِيَتَهُ : لِيُحْسِنَ أَثْرَهُ فِي خِدْمَتِهِ ، وَيَسْلُكَ السَّبِيلَ الْوَاضِحَ فِي تَبَاعُتِهِ ، فَلَا أَعْدَمَ اللَّهُ الْمَمْلُوكَ تَثْقِيفَهُ ، وَلَا سَلَبَهُ تَبْصِيرَهُ وَتَعْرِيفَهُ ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ لَشَكِّ عَرَضٍ مِنَ الْمَمْلُوكِ فِي وَدَادِهِ ، وَآرْتِيَابِ حَامِرٍ فِي حُسْنِ اعْتِقَادِهِ ، فَأَعِيدَهُ بِاللَّهِ مِنَ الْقَطْعِ بِالشُّبُهَاتِ ، وَالْعَمَلِ بِمَنْغِلِ السَّعَايَا^(٢) ، وَمَوْلَانَا خَلِيقٌ بَانَ يُطَاعُ مِنْ أُنْسِ الْمَمْلُوكِ مَا غَرَبَ ، وَيُنْبِطُ مِنْ سُرُورِهِ مَا نَضَبَ ، وَيُعِيدُهُ لِرِضَاهُ ، وَيُجْرِيهِ عَلَى مَا أَحْمَدُهُ مِنْهُ وَأَرْضَاهُ .

رقعة : ليس المملوك يرفع مولانا في إعراضه ، إِلَّا إِلَى فَضْلِهِ ، وَلَا يُحَاكِمُهُ عَلَى انْقِبَاضِهِ ، إِلَّا إِلَى عَدْلِهِ ، وَلَا يَسْتَعِينُ عَلَيْهِ إِلَّا بِمَا يَسْتَمْلِيهِ مِنْ آدَابِهِ ، وَلَا يَنَظُرُهُ إِلَّا بِمَا أَخَذَهُ عَنْهُ مِنْ مُحَافِظَتِهِ وَإِيْجَابِهِ ، إِذْ كَانَ الْمَمْلُوكُ مُدْ وَصَلَتَهُ السَّعَادَةُ بِجِبَالِهِ ، نَاسِجًا عَلَى مَنَوَالِهِ ، مُتَقَبِّلًا شَرَائِفَ خِلَالِهِ ، وَمَا عَهْدَتُهُ عَمَرَ اللَّهُ مَعَاهِدَهُ ، وَكَبَّتْ

(١) لعله للولى .

(٢) يقال أنفلهم حديثا سمعه ثم إليهم به أنظر اللسان ج ١٤ ص ١٩٩ .

حاسده ، يغضبُ تقليدًا قبل الاختبار ، ويُحوج البريء إلى موقف الاعتذار ،
ولا سيمًا إذا كان المظنونُ به عالمًا بشروط الكرم ، عارفًا بمواقع النعم ، لا ينسخ
الشكر ، بالكفر ، ولا يتعوّض عن الحمد ، بالتحذير ، وقد عرف مولانا ثناء المملوك
على تفضاله ، ووقف على بلائه لأعماله ، وهو وفي بربّ عوارفه وصنائعه ، وتميز
مارهن لديه من ودائع ، وتنزيه سمعه عن الإصغاء إلى ما يخالفه حاسد ، ويصوغه
كائد ، وقد حكم المملوك على نفسه نقد الذي لا يهرج عليه ولا يدلس ، وكشفه
الذي لا يغطي عليه ولا يلبس ، فليحك أفعال المملوك على محك بصيرته ، وليجمل
في تأمل مقاصده طرف فكرته ، فإنه ممن لا تُحيلة الأحوال ولا تُحوّله ، ولا تُغيّره الغير
ولا تُبدله ، إن شاء الله تعالى .

رقعة : أفعال شكر المملوك في الحلم والغضب ، والرضا والسخط ، إذا لم يقتض
الحزم إيقاعها موقع الفضل ، واقعة موقع الإنصاف والعدل ، ولا يغلب هواه
على رأيه ، ولا بادرتة على أناته ، وقد جانب مع المملوك عادته ، وبارن فيه شيمته ،
وناله من إغراضه ، وجفائه وأنقباضه ، وتغير رأيه ، ما وسم المملوك فيه بالذنب
ولم يذنبه ، وجمله على الحرم ولم يحتقبه ، وأوقفه لديه موقف الاعتذار ، وأحوجه
إلى الاستقالة والاستغفار ، وليس المملوك يُحاكمه إلا إليه ، ولا يُعول في الانتصاف
إلا عليه ، وما أولاه بأن يعيد المملوك إلى محله من رضاه ، فإنه لم يواقع في الخذلان
إلا ما يرضاه ، وحسبه شاهدًا بذلك ما يعلم من المملوك من سلامة غيبه ، وطهارة
جيبه ، وفضل وده ، وصحة معتقده ، إن شاء الله تعالى .

(١) كذا في غير أصل ولعله "أفعال شيم المولى" ليستقيم الكلام بعد .

(١)

رقعة بمعاتبه على

كُلُّ مانع مَالِدِيهِ مَنْ رَغِبَهُ ، دافع عما عنده مَنْ طَلَبَهُ ، فمستغنى عنه إِلَّا اللهُ تعالى
 المُبْتَدِيٌّ بالنعم ، العَوَادُ بالكِرم ، ولو عَرَفَ مَوْلَانَا بطعم شجرة المَعْرُوفِ ، لِأَسْرَعِ
 إِلَى أَحْتِذَائِهَا ، ولو علم مَالَهُ اللهُ تعالى عليه من الحُقُوقِ فِي مَالِهِ وَجَاهِهِ ، لم يُقَصِّرْ عن
 أدائها ، غير أنه ظَنَّ أَنَّ الفُوزَ بالوُجُدِ ، غَايَةُ المَجْدِ ، وَأَنَّهُ إِذَا أَحْمَدَ النَّسَبَ غَنِيٌّ عن
 الحَمْدِ ، وَأَنَّ النعمَةَ تُرْتَبِطُ بِالرِّبْطِ عَلَيْهَا ، وَتَنْصَرِفُ بِالتَّصْرِيفِ فِيهَا ، وَمَا سَاءَ المَمْلُوكُ
 أَنْ تَنَزَّهُ عن تَقَلُّدِ مَنِيَّةِ لَنِيمِ ، وَحُرْمِ تَحْمَدَةٍ من كَرِيمِ ، وَهَذَا الحِرْمَانُ أَحْسَنُ وَاللهِ
 فِي عَيْنِ المَمْلُوكِ مِنَ النِّوَالِ ، وَهَذَا الإِكْدَاءُ أْبْرَثُ لَدِيهِ مِنْ بُلُوغِ الآمَالِ ، وَسَيَنْشُرُ المَمْلُوكُ
 مَذْهَبَهُ فِي كُلِّ نَادٍ ، وَيَكْفُفُ عَنْهُ أَمَانِي القُصَادِ ، وَيَكْفِيهِ مَثُونَةَ الأَعْتِدَارِ ، وَيَصُونُهُ
 عن أَنْ تُبَدَّلَ إِلَيْهِ وَجُوهُ الأَحْرَارِ : لِيَعْلَمَ أَنَّ المَمْلُوكَ على مَنْعِهِ لم يُقَصِّرْ فِي بُلُوغِ
 أَوْطَارِهِ ، وَالسَّعْيِ فِي إِيْثَارِهِ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تعالى .

رقعة في المعنى : مارد المملوك ير مولانا مستنزرا لقليله ، ولا لايمًا لنفسه على
 تأميله ، لِكِنَّهُ آتَجَعَهُ آتِجَاعَ مَنْ ظَنَّهُ عَارِفًا بِقُدْرِهِ ، رَاغِبًا فِي شُكْرِهِ ، فَلَوْ أَغْضَى
 المَمْلُوكُ مِنْهُ عَلَى الأِطْرَاحِ لِأَمْرِهِ ، لِأَسْتَدَلَّ مِنْهُ عَلَى قِصْرِ الهِمَّةِ ، وَظَنَّ أَنَّهُ قَوْمُهُ
 بِدُونِ القِيمَةِ ، لِأَسْمَاً وَهُوَ يُفْرَضُ لِمَنْ لا يُجَارِي المَمْلُوكَ فِي مِضْمَارِ ، وَلا يُسَاوِيهِ
 فِي مِقْدَارِ ، مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ بِتَأْمِيلِ وَرَجَاءِ ، وَتَقْدِيمِ ذَرِيعَةٍ مِنْ تَقْرِيطِ وَثَنَاءِ ، مَا تَضِيقُ
 عَنْهُ الهِمَمُ الفِسَاحَ ، وَلا يَصِلُ إِلَيْهِ الأَقْرَاحُ .

(١) بياض في الأصل ولعله « على منع عطاء » .

(٢) لعله « رزة المعروف ... الى اجتنائها » تأمل .

رقعة عتاب، على تقصير في خطاب :

حُوشَى مَوْلَايَ أَنْ يُجْرَّ الدَّيْلَ عَلَى آثَارِ فَضْلِهِ ، وَيُمَيَّتَ مِنْ غُرُوسِ إِحْسَانِهِ
 مَا هُوَ جَدِيرٌ أَنْ يَتَعَهَّدَهُ بَوْبُلَهُ ؛ وَيَعْفَى مِنِّي رُسُومَ كَرَمِهِ ، وَيَصْدَعُ بِمُجَانِبَةِ الْإِنْصَافِ
 صِفَاةَ صِفَاتِهِ وَصِفَائِهِ ، وَيُنْطِقَ الْأَلْسُنَ بِعِتَابِهِ ؛ وَيُصَلِّتَ سَيْفَ التَّائِبِ مِنْ قِرَابِهِ ؛
 بِمَا اسْتَحْسَنَهُ مِنْ مَسْتَقْبَحِ الْمُصَارَمَةِ فِي الْمَخَاطَبَةِ ، وَأَسْتَوْطَاهُ مِنْ جَاغِ التَّرْيِيبِ
 فِي الْمَكَاتِبِ ؛ وَلَا سِيَّمَا وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ مَوْقِعَ الْإِكْرَامِ مِنَ الْكِرَامِ ، أَلْطَفُ مِنْ مَوْقِعِ
 الْإِنْعَامِ ؛ وَأَنْ مَحَلَّ الْقَالِ ، أَفْضَلُ مِنْ مَحَلِّ النَّوَالِ ، وَأَنْ تَغْيِرَ الْعَادَةَ فِي الْبِرِّ ، مُقَوِّضُ
 لِمَعَاهِدِ الشُّكْرِ ؛ وَسَيْحِ (؟) السَّنَةِ فِي الْإِنْصَافِ ، قَاضٍ بِالْإِنْصَافِ بَعْدَ الْإِنْعَافِ ،
 وَقَدْ كَانَ الْمَمْلُوكُ أَرْمَعَ أَنْ يَتَحَمَّلَ تَقْصِيرَهُ بِهِ ، وَأَنْ يُفْلَ مِنْ غَرْبِهِ ، غَيْرَ مَطَاوِعٍ
 لِلْحَمِيَّةِ ، وَلَا مُنْقَادٍ لِنَفْسِ الْعَصَبِيَّةِ ، وَلَا يَقْرَعُ سَمْعَهُ بِعِتَابِ ، وَلَا يُورِدُ عَلَيْهِ مُمَضَّ
 خِطَابِ ؛ ثُمَّ رَأَى الْمَمْلُوكُ أَنْ يُرْشِدَهُ إِلَى الْأَزِينِ ، وَيَبْعَثَهُ عَلَى اعْتِمَادِ الْأَحْسَنِ ؛
 وَيُحْضِرُهُ عَلَى مُرَاجَعَةِ الْأَفْضَلِ ، وَمُعَاوَدَةِ الْأَجْمَلِ : لِيَتَحَفَّظَ مَعَ سِوَاهُ ، وَلَا يَجْرِيَ
 مَجْرَاهُ ؛ فَلَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ يَتَحَمَّلُهُ ، وَيَرْضَى رِضَا الْمَمْلُوكِ بِمَا يَفْعَلُهُ ؛ فَمَوْلَانَا حَبَّبَ اللَّهُ
 إِلَيْهِ الرَّشْدَ ، وَوَقَّعَهُ إِلَى الْمَنْهَجِ الْأَسَدِ ؛ هَلْ هُوَ مِنْ شَيْءٍ سِوَى بَشَرٍ ؛ فَمَا هَذَا التَّيَهُ
 وَالْبَطْرُ ؟ وَلِمَ هَذَا الْأَزْلُ وَالْأَشْرُ ؟ وَمَا فِعْلُ الرَّئِيسِ إِلَى مَا يَصْغُرُ عَنْهُ قَدْرُ ؛
 وَلَا يَبْأَسُ مِنْ نَيْلِهِ عَمْرُ ؛ وَلَا مَضَّتْ أَقْلَامُكَ فِي الْأَقَالِمِ ، وَلَا أُشِيرَ إِلَيْكَ بِبَنَانِ
 التَّعْظِيمِ ؛ وَلَا فُوضتْ إِلَيْكَ الْوِزَارَةُ وَالرِّدَاةُ ، وَلَا تَأَمَّرتْ عَلَى الْكَافَةِ ؛ وَلَا طَاوَلتْ
 الْأَكْفَاءَ فَطَلتْ ، وَلَا نَاضَلتْ الْقُرْنَاءَ فَنَضَلتْ ؛ وَإِنَّمَا سَرَقَ إِلَيْكَ الْحِظُّ مِنْ حِمْدِهِ
 وَشَلَا مُصَرِّدًا ، وَأَدْرَكَكَ الدَّهْرُ مِنْ أَخْلَافِهِ مُجَدِّدًا ، فَافْتَتَحَتِ الْمَعَامِلَةَ بِظُلْمِ
 الْإِخْوَانِ ، وَتَسَخَّرَتِ شَرَائِعَ الْإِحْسَانِ ؛ كَذَبتْكَ نَفْسُكَ ، وَغَرَّكَ حَدْسُكَ ؛ كَيْفَ بَكَ
 غَدًا إِذَا اسْتَرَدَّ الزَّمَنُ مَا خَوَّلَكَ ، وَأَسْتَرْجَعَ مَا نَوَّلَكَ ؛ وَصَحَّوَتْ بِالْعِزْلِ مِنْ سَكْرَةِ

(١) الولايه ، وتفرقت بعد طلب الغايه ؛ وعدت إلى إخوانك فوجدت أوطان أنسهم بك نايه ، ونفوسهم للإقبال عليك آييه ؛ ولو كان الزمن أمكنك من رقبتي ، وطرق لك الطريق إلى إيداع عُرفك في جهتي ؛ لقبح بك أن تطول بطولك ، وتدعي الفضل بفضلك ، ولم يحسن أن تبدل الإنعام ، وتضمن بالالتزام ؛ فإن كنت تفخر بسلفك وأبوتك ، وتطاول بأوليتك وأسرتك ؛ فلو كان أبوك كسرى ، لما جبر منك كسرا ، ولو كان جدك بخت نصر ، لما أنتفعت به في مظاهرة ولا نصر ، فدع أكثر مافات ، ولا تعول على العظام الرفات ؛ فما آستند إليها إلا عار من الفضل عا طيل من الحلي . على أنك لو فخرتنا بها لفخرناك ، وتقدمنا وأخرناك ؛ وإن كنت تستند إلى ديانتك ، وتعتمد على نُسكك وأمانتك ؛ فهذه خالص حال لا تخلص مرتبتها ولا تتم فضيلتها إلا باستشعار التواضع ، والأخذ بمكارم الأخلاق لدى التنازع ؛ فارجع هديتك إلى الأجل ، وأعمل بالأفضل ، وقف بحيث رتبك ؛ ولا تتشوف إلى غير درحتك ؛ وإن أبيت ذاك فاقطع المراسله ، وأعفها من المواصله ، والسلام .

رقعة عتاب على تأخر المكاتبه :

من حُكم الوداد - أطال الله بقاء سيدي - الزيارة عند المقاربة ، والمكاتبه عند المباعده ؛ وإن كانت الموده الصريحه لا يغيرها اجتناب ، إلا أن الكتب السنو العباد ؛ والأعين التي تنظر حقائق الوداد ، ولها في القلوب تأثير ، وموقعها فيها أثير ؛ وحوشي مولانا أن أهنر أريحته لما يؤكد الثقة بإخائه ؛ ويشهد بوفائه ؛ ولا سيما وهو يفرض ذلك لأحبه ، وقوله واجب في شرع مودته .

(١) لعله « وتفرقت » . (٢) في الأصل « عديتك » .

رقعة في معناه :

إن ابتداء المملوك مولانا لم يجب ، وإن سأله الإبتداء لم يوجب ، فلا حق لإجابة توديه ، ولا ناجز المسألة تقضيه ، فإن كان إذا شخص غابت عن فكره أشخاص أحبته ، وإذا بعد عاملهم بتجافيه وجفوته ، فقد كان ينبغي أن يتكلم ويتجمل ، ويتصنع ويتعمل : فإنه لو علل مشوبا بالانتظار ، أو اعتذر ممرضا بالاعتذار ، لأقت ذلك مقام المكاتبه ، وصنفته عن محض المعاتبه ، لكنه مال مع الملل ، ورضى الأطراح والإهمال ، ودل على أنه مستقل بالإخوان ، متنقل مع الزمان ، وأرجو أن تصدق المخيله ، ويرجع إلى العادة الجميله .

رقعة معاتبه رجل كريم الأصل لئيم الفعل :

قد عرف مولانا وفقه الله ووقفه على منهج الرشاد ، أن جنایة الغضب الذميمة ، تقدح في كرم الجنث^(١) الكريم ، وأن قبيح الصلف ، ينسخ تليد الشرف ، وخبث الدرّيه ، يعنى على طيب المناحيث الزكيه ، وأنه ليس لمن تحمل بالعلم والجور ، وتلبس بالنكث والغدر ، وسامح نفسه بأطراح الحقوق ، وأستيطاء الحقوق ، إلا إضاعة الحرم ، وإخفار الذم .

المعاتبه من كلام المتأخرين :

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

يُقبل الأرض وينهى أنه قد صار يرى قربه أزوارا ، وطويل سلامه آتنيصارا ، ويُغالط في ذلك حتى شاهده عيانا مرارا ، وهذا ويكر الولاء ، صقيله الجلباب ،

(١) جنث الانسان أصله . ورفع في الأصل "الحديث" وهو تصحيف .

وعروسُ الثناء، جميلةُ البرّةِ حسنةُ الشباب، وهو لا يفتأ من الموالاة في صعدٍ وقدره
 في صَبَبٍ، فكلُّها مَكْنٌ وتَدِ الإِسْتِعْطَافِ يَرْجُو عَدَمَ تَخْلُخُلِهِ فُصْلَ بَأْيَسِرِ سَبَبٍ ؛
 بحيثُ أطفأ الإِهْمَالُ نارَ المُسَاعَفَةِ والمُسَاعَدَةِ، وأنتقل توهمُ عَدَمِ العِنَايَةِ إلى تَيَقُّنِ
 وجودِهِ بالمُشَاهَدَةِ ؛ وقد كان يَرْفَعُ قَدْرَهُ نَحْفِضُ، وَعُوْضُ في الحَالِ عن الرُّفْعِ
 بِالِابْتِدَاءِ، أَنه مُفْرَدٌ وَيُنْصَبُ كالنِكرَةِ في النِّداءِ، وأهْمَلُ حَتَّى صارَ كالحُرُوفِ لا تُسَنَدُ
 ولا يُسَنَدُ إليها، وألغى حَتَّى شابهَ ظَنَنْتُ إِذا وَقَعَتْ متأخِّرةً عن مفعولِها ؛ ومتى
 يَقْلُقُ لأمرٍ، أَنشدَ نَفْسَهُ * ما في وَقُوفِكَ سَاعَةً من بَاسٍ *

وكان يَغْشَى مَجْلِسَهُ الكَرِيمِ خِدْمَةً وأداءً للواجبِ، وطلباً لعادةٍ أَكَّدها إِحسانُهُ
 حَتَّى صارَتْ ضَرْبَةً لا زَبَّ ؛ فلا يَخْلُو مَجْلِسٌ من إِظهارِ تَغْيِيرِ عَادَةٍ وَطَدِّ الجُودِ
 أَساسِها، وَاِنْتِقاِضِ قاعِدَةٍ أَبْرَمِ الكَرَمِ أَمْرَاسِها؛ فينْقَطِعُ سُلُوكًا للأدبِ وتُخَفِّفُ عن
 الخِوَاطِرِ، ويتلقَى ما يَصْدُرُ بقلْبِ شاكٍ ولسانِ شاكرٍ ؛ فإن كان قد عَزَمَ مِولاهُ
 على طَرْدِهِ، وَعُوْضَهُ عن مِئْحةِ القُرْبِ المِئْحَنَةِ بَعْدَهُ؛ فإنه يَأْبى ذلكَ جُودَهُ ولُطْفَهُ،
 ومَعْرِفَهُ يَشْكُرُ وَيَزِيدُ لا يَمْكِنُ صَرْفَهُ ؛ ولو جازَ الصَّرْفُ لمَجْرَدِ ^(١) بالعبودية لَمَنَعَهُ
 العَدْلُ من سَيِّدِهِ، والجِلمُ الذي عُرِفَ من كَرِيمٍ مَحْتَدِهِ؛ فكان المملوكُ يَسْتَحْسِنُ
 في حَبْرِهِ وَسَبْرِهِ، وَيَعُوْضُ عن مِقابِلَتِهِ بِجَبْرِهِ ؛ فقد صارَ سَمِينُهُ غَنًّا وشَحْمُهُ ورَمًا،
 وحديثُهُ رَثًّا وسَهْلُهُ عَلَمًا :

وَعَيْنُ الرِّضَا عَن كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ * كما أَنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي المِساوِيَا

وما تَمَّ بِحَمْدِ اللهِ ما يُوجِبُ ذلكَ ولا بَعْضَهُ، ولا يُحْدِثُ ذَمَّ المملوكِ وبُغْضَهُ ؛
 ولو بَدَأَ مِنْهُ زَلَلٌ . أو لَمَحَ مِنْهُ خَطَلٌ ؛ فمِكارُمُ مِولانا أَوْسَعُ من إِبقاءِ ذلكَ في صُدُورِ
 الصُّدُورِ، و[أخرى ب] مَجْزِياتِ السِّئِّاتِ فإنه لَمِنَ عَزَمِ الأُمُورِ .

(١) بياض بالأصل ولعله « مجرد شك بالعبودية » .



وله : يُخْدَمُ بِدُعَائِهِ ، وَصَادِقٌ وَلَائِهِ ؛ وَيُنْهَى أَنَّهُ أَنْكَسَرَ خَاطِرُهُ ، وَأَرِقَ جَفْنُهُ وَنَاطِرُهُ ؛ وَتَضَاعَفَ بَلْبَالُهُ ، وَتَزَايَدَتْ فِي النَّقْصِ أَحْوَالُهُ ؛ مِنْذُ تَأَنَّثَرَتِ الْأَمْثِلَةُ الْكِرَامُ ، وَأَنْقَطَعَتْ عَنْهُ بَانِقَطَاعِهَا الْمِنُّ الْجِسَامُ ؛ وَهُوَ يَسْأَلُ الْعَفْوَ عَنْ ذَنْبٍ وَقَعَ ، وَتَشْرِيفَهُ بِمِثَالٍ يَرْفَعُ مِنْ قَدْرِهِ مَا وَضَعَ ؛ وَأَسْتَعْمَالَ الصَّفْحِ عَنْهُ كَسَائِرِ عَادَاتِهِ ، وَإِجْرَاءَهُ عَلَى اللَّطْفِ الَّذِي أَلْفَهُ مِنْ تَفْضُّلَاتِهِ ؛ فَقَدْ ضَعُفَ صَبْرُ الْمَمْلُوكِ وَجَنَانُهُ ، وَتَفَرَّقَ لِلْفِرَاقِ جَفْنُهُ وَإِنْسَانُهُ ؛ وَصَغُرَ قَدْرُهُ ، وَأَهْمِلَ جَانِبُهُ وَمَنْ أَمَرَ بِإِهَانَتِهِ نَحْرَهُ ، وَلِهَذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِ الْمَسَالِكُ ، وَكَانَ لِسَانُ حَالِهِ [يَنْشُدُ] فِي ذَلِكَ :

وَأَهَنْتَنِي فَأَهَنْتُ نَفْسِي عَامِدًا * مَا مِنْ يَهُونٍ عَلَيْكَ مِمَّنْ يُكْرَمُ!

والمملوك معترف بأنه مازال يجهل ما يجب عليه من الخدم، ومقتر بته بصيره عن القيام بحمل ما يواصل به من النعم، لكنه ألف من مولانا أن يقابل إساءته بالإحسان، وجهله بصفح لا يقوم بشكره اللسان، بل جميع الجثمان، فإن كان ذنب من المملوك هو الذي أوجب أطراحه، وأوجد أسفه وأذهب أفراحه، وكان أيسر مما تقدمه من جهله وإساءته، فحلمك جدير أن يلحقه بإخوته، وإن كان قد تزايد مقداره، فالمولى قد تضاعف على العفو اقتداره، وإذا كبرت الخطيئة كثر أجر غفرانها، وعلت المجاوزة عنها على أقرانها، وعلى كلاً الأمرين فقد استحق المملوك المغفرة بكل طريق، وأن يقابل رجاؤه بالتحقيق، وأمله بالتصديق.



وله : وَيُنْهَى أَنَّهُ مَازَالَ يَتْلُو آيَاتِ مَحَاسِنِهِ وَحَمْدِهِ ، وَيَرْفَعُ رَايَاتِ إِحْسَانِهِ وَجَمْدِهِ ؛ وَيَتَوَلَّاهُ وَلَا يَتَوَلَّى عَنْ مَحَبَّتِهِ ، وَيُكْثِرُ الثَّنَاءَ عَلَى الْمَعِيِّ فِطْنَتِهِ وَجَزِيلِ

مُرُوَّتِهِ ، وَقَدْ صَارَ يُشَاهِدُ مِنَ الْمَوْلَى مَلَالًا وَصُدُودًا ، وَإِعْرَاضًا يَغِيظُ بِهِ صَدِيقًا
وَيَسْرِبُهُ حَسُودًا ، وَأَطْرَاحًا أَوْهَمَهُ أَنَّهُ أَلِفٌ وَصَلَّ دُرُجَتًا ، أَوْ لَفْظَةً هُجْرًا لَفِظَتْ
وَلَا يَعْرِفُ لَهُ ذَنْبًا يُوجِبُ إِبْعَادَهُ ، وَلَا جُرْمًا يَسْتَوْجِبُ بِهِ أَنْ يَنْقُضَ حَبْلَ وَصْلِهِ
وَيَرْفُضَ وِدَادَهُ ، وَلَا يَعْلَمُ سَبَبًا يُوجِبُ سَبَّهُ ، وَلَا شَيْئًا يُحْدِثُ عَنَبَهُ ، مَعَ أَنَّ الْمَمْلُوكَ
أَحَقُّ أَنْ يَبْدَأَ بِالْإِعْرَاضِ ، وَيَرْفُلَ مِنْ إِغْفَالِ مَوَدَّتِهِ فِي الثَّوْبِ الْفَضْفَاضِ ، فَإِنَّ
الْمَوْلَى أَلَمَهُ بِالْقَوْلِ مِرَارًا ، وَجَعَلَ تَحَابَةً حَيْفَهُ تَهَيُّ عَلَيْهِ مِدْرَارًا ، وَهُوَ يَحْتَمِلُ
الْأَسَى ، وَيَغْضَى عَلَى الْقَسْدِ ، وَلَا يُظْهِرُ إِلَّا مَحَبَّةً ، وَلَا يُبْطِنُ لَهُ إِلَّا مَوَدَّةً ، فَإِنْ
شَاهَدَ الْمَوْلَى بَعْدَ إِعْرَاضِهِ إِعْرَاضًا فَلْيَلِّمْ نَفْسَهُ ، أَوْ أَمْرَقَهُ لَهَبُ نَارِ الْخَفَاءِ فَلَا يَشْكُو
مَسَّهُ ، يُحِيطُ بِذَلِكَ عُلَمَاءُ ، وَرَأْيُهُ الْعَالِي .

شعر في العتاب :

مَوْلَايَ قَدْ طَالَ التَّبَاعُدُ بَيْنَنَا * أَوْ مَا سَمَّيْتَ قَطِيعَتِي وَمَلَالِي !
إِنْ لَمْ تَرِقَّ لِحَالَتِي يَا هَاجِرِي * مَوْلَايَ قُلْ لِي مَنْ يَرِقُّ لِحَالِي !

نسيه :

يُبَاعِدُنِي عَنْ قُرْبِهِ وَلِقَائِهِ * فَلَمَّا أَذَابَ الْجِسْمَ مِنِّي تَعَطَّفَا

غيره :

إِنْ كَانَ هِجْرَانُنَا يَطِيبُ لَكُمْ * فَلَيْسَ لِلْوَصْلِ عِنْدَنَا ثَمَنٌ

غيره :

شَمَّتْ بِي الْأَعْدَاءُ حِينَ هَجَرْتَنِي * وَالْمَوْتُ دُونَ شِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ !

غيره :

تَنَامُ عَيْنَاكَ وَتَشْكُو الْهَوَى * لَوْ كُنْتَ صَبًا لَمْ تَكُنْ نَائِمًا !

(١) ول بعضهم : سيدى بادانى بلطف من غير خبره ، وأعقبنى جفاءً من غير ذنب ؛
فاطمعنى أوله فى إخائه ، وآيسنى آخره من وفائه ؛ فسبحان من لو شاء لكشف
بإيضاح المبهم عن عزيمة الرأى فيه ؛ والمملوك يقول :

عَجِبْتُ لِقَلْبِكَ كَيْفَ انْقَلَبَ * وَصَفُوْا وِدَادِكَ أَنَّى ذَهَبَ
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا وَذَا أَنَّى * أَرَاكَ بَعَيْنِ الرِّضَا فِي الغَضَبِ

أجوبة رقع العتاب

قال فى " مواد البيان " : حكم أجوبة هذه الرقع حكم رقع أجوبة الاعتذار
إلا أنها لا تخلو من الإجابة بالإعتاب أو الإصرار على العتاب . قال : ويجب
أن يسلك فيها المصيب مذهب المصيب عن رقع الاعتذار .

زهر الآداب :

فى جواب العتب على تأخر مكتابة .

وعلم المملوك ما أشار به من العتب بسبب تأخر خدمه عن جنابه ، وما توهمه
من اشتغال المملوك بأهله وأصحابه ؛ وحاشاه أن يتوهم فى المملوك غير الولاء ، والملازمة
على الحمد والثناء ؛ فهو لا يعتمد ذلك إلا تخفيفاً عن خاطره ، ووئوقاً بما يتحققه
المولى من خالص مودته فى باطنه وظاهره ؛ حرسه الله ووفقه ، وفتح له باب السعادة
ولا أغلقه ، بمنه وكرمه .

(١) نمنه جواب عبد الله بن معاوية فى العتاب .

زهر الربيع :

جواب عتاب :

زاد الله جنابه حنانا ، وأسبغ عليه إنعاما وإحسانا ، وخذ له على كل عدو سلطانا .
ولا زالت همته سماء لنا كب الكواكب ، وأياديه تُفيض على الأولياء غرائب
الرياء ، ولا برحت سحائب إنعامه هاميه ، وفطوف إحسانه دائمة دانيه ، وشرائع
مياه جوده تُجفف جفونا من الفاقة دامية .

المملوك يحدد خدمته ، ويواتر للمولى أدعيته ، ويعترف بمننه التي أقرت بها السنة
جوارحه فلا يستطيع أن ينكرها ، ويعترف بيد تضرعه من يحار جوده التي تشعب
الوحي من سحابها إلى كل وى وتقذف له جواهرها .

ويتهى ورود المكتبة والعلم بمضمونها . والأحتواء على سائر معاني فنونها ،
وما أشار إليه من العتب الذي يرجو به بقاء الوداد ، وأستصحاب حال التواصل
من غير نقاد ، والمملوك فلا ينكر ذنبه ، ولا يتصل ولا يتوصل بل يعترف بجرمه وقلة
خدمته ، ويستمسك بالعروة الوثقى من إحسانه وحلمه ، ويسأل مكارمه إجراءه
على عادته بالصنح عنه ورسميه ، وهو يرجو أن أم هذه الهنوة لا تلد لها أختا ، وأنه
لا يعتمد إلا ما يزيد به إلى المولى مقة ويزيل مقنا ، فإن معاتبه مولانا قد وعثها أذن
واعيه ، ومراضيه لا تخفى على المملوك بعد ذلك منها خافيه ، إن شاء الله تعالى .

آخر : أسعد الله المجلس وعطف للأولياء قلبه ، ونصر كتابه وأنفذ كتبه ،
وأرهم في نصرته الإسلام سنانة وعضبه ، وألهم حبة قلب الزمان حبه ، وأقدره
على الخلم الزائد حتى يغفر به لكل مذنب ذنبه .

[وينهى] وُرودَ الكتابِ الذى أعدته يدُ مولانا فصارَ كريماً ، وكسته عبارته ثوبَ
براعته فأصبحَ منظره وسياً ، وأستنشقَ عَرَفَ نَسيمه المباركِ فطابَ شَمِيماً ، وعلم
المملوكُ منه شِدَّةَ عتبه ، ومَرَّ التجنى الذى ظَهَرَ من حُلوفِ لفظه وعَدْبِهِ ، ولم يَعْرِفْ
لعتبه مُوجِباً ، ولا لتغيرِ مودته سبباً ؛ فإنه ما حادَ عن طريقِ ولآيته ولا حال ،
ولا زَلَّتْ قدمه عنه ولا زال ؛ ولا مادَ عن منهجِ المودَةِ ولا مال ؛ وما قَتِيَ لمَحاسِنه
ناشِراً ، ولا إحسانه شاكراً ؛ فإن كان قد نُقِلَ عنه إلى مولانا شىءٌ أزعجَه ، وأخرجه
عن عادةِ حلمه وأخرجه ؛ فإن الوشاةَ قد آختلَقُوا قولهم ونقلهم ، وقصدوا تشييتَ
المصاحبةِ شَتَّ اللهُ شَمْلهم :

وقد نقلوا عني الذي لم أفهيه * وما آفةُ الأخبارِ إلا رواؤها!

آخر: وردت المشرفة العالمة أعلى الله نجمَ مُرسِلها ؛ وأسبغَ أياديهِ وشكر
جسيمَ تفضيلها ؛ فابتهجتِ الأنفُسُ بحلوها وحللِ جمالها ، وعوملتُ بما يجبُ من
إكرامها وإجلالها ، وفُضِّ ختامها ففاحَ منها أريجُ العبيرِ والعنبرِ ، وتليتُ ألفاظها
التي هي أبهى من الرياضِ وأحلى من السكرِ ؛ فأغنتُ كُؤُسَ فصاحتها عن المدام ،
وأزال ماؤها الرِّلالُ الباردُ حرَّ الأوامِ ؛ وأعربَ مُنشئها عمّا في ضميره من العتبِ ،
والضيقِ الذى حصلَ فى ذلك الصدرِ الرَّحْبِ ؛ وهو يُقسِمُ بنعمته ، وبصديقِ محبته ؛
أنه لم يبدُ منه ما يُوجبُ عليه عتبا ، ولا آنتنى عن الثناء على [محاسنه]^(١) التى شغفتَه
حُباً ؛ فإن كان المولى قد توهمَ شيئاً أخرجه وأقلقه ، وإلى أليمِ العتبِ شوقه ؛
فليزِلْ ذلك الوهمَ من خاطره ، وليثِقْ بما تحقّقَ من موالاته فى باطنه وظاهره ؛
ورأيه العالى .

(١) بياض فى الأصل والتصحيح من المقام .

آخر: أعز الله عزماته، وشكر جسيم تفضلاته .

ولا زالت نعمته باقيه، وقدمه إلى درج المعالي راقيه، وهيمته إلى السمو على الكواكب ساميه، وسماء جوده على العفافة هاميه، وعزمته لتغور الإسلام حاميه، عبد نعمه، وغرس كرمه، يعلمه بصدق وده، والمداومه على شكره وحمده، وأنه وقف على مشرفه وفهمه، وشاهد منه عبه وعلمه، وهو لا يشكو من المولى جفاء ولا يسب، و [عن] طريق المصافاة والمخالصة فلا يغيب، بل يقول :

أنت البريء من الإساءة كلها * ولك الرضا وأنا المسيء المذنب

والمرجو من لطافة أخلاقه، وطهارة أعراقه، أن يصفح عن زلته، ويعفو عن

ذنبه وإساءته :

فأنت الذي تُرجى لتخفيف زلتي * وتحقيق آمالي ونيل ما ربي!

وقربك مقصودي وبابك كعبي * وروياك ياسولي أعز مطالي!

قلت : وكتبت إلى المولى شهاب الدين الدنيسرى وقد بلغني عنه مساعدة بعض

الجهال على في بعض الأمور :

عهدت شهاب الفضل يرمي بسهمه * شياطين جهل أن تداني جنابه!

فأ بال مولانا على فرط فضله * يعرف شيطان الجهالة بابه؟

النوع الرابع عشر
(العيادة والسؤال عن حال المريض)

رُقعة عيادة :

وَيُنْهَى أَنَّهُ أَتَّصَلَ بِالْمَمْلُوكِ مِنَ أَلِمَ مَوْلَانَا - أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءَهُ ، وَحَرَسَ حَوْبَاءَهُ -
مَا أَهْمَى مَدَامِعَهُ ، وَأَحْمَى أَضَالِعَهُ ؛ وَمَزَّقَ جِلْدَهُ ، وَحَرَّقَ خَلْدَهُ ؛ وَأَطَارَ الْوَسْنَ عَنِ
عَيْنِهِ ، وَتَقَرَّ الْهُدُوءَ عَنِ مَضْجَعِهِ ؛ حَتَّى تَدَارِكَ اللَّهُ تَعَالَى بِكِتَابِهِ النَّاطِقِ بِإِقْلَاعِ الْمَلِمِ ،
الْمُعْرَبِ عَنِ دِفَاعِ الْمِهْمِ ؛ فَرَقًا مِنْ دُمُوعِي مَا أَرَقَضَ ، وَجَبْرًا مِنْ ضُلُوعِ الْمَمْلُوكِ
مَا أَرْتَضَ ؛ وَالتَّامِ مِنْ جِلْدِهِ مَا تَفَطَّرَ ، وَبُرْدًا مِنْ خَلْدِهِ مَا تَوَقَّدَ ؛ وَجَمَّ مَاطَارًا مِنْ وَسَنِهِ
وَأَنَسَ مِنَ الْهُدُوءِ مَا نَفَرَ عَنْهُ ، وَالتَّامِتِ الْآمَالِ بَعْدَ أَنْثِلَامِهَا ، وَبَرَزَتْ ثِمَارُ الْأَمَانِيِّ
مِنْ أَكْمَامِهَا ؛ وَطَلَعَ مِنَ الرَّجَاءِ آفِلُهُ ، وَرَوَى مِنَ الشَّرُورِ مَاحِلُهُ ؛ وَتَجَدَّدَ مِنَ السُّوَدِّ
طَامِسُهُ ، وَضَحِكَ مِنَ الزَّمَانِ عَائِسُهُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُفَضُّ طَرْفَ الْحَدَثَانِ ، عَنِ مُهْجَتِهِ ،
وَيَصْرِفُ جُصُوفَ الزَّمَانِ ، عَنِ سَاحَتِهِ ؛ وَيَهْنِيهِ بِمَا أَعَادَهُ إِلَيْهِ مِنَ الْإِبْلَالِ ، وَيُمَلِّئُهُ
بِمَا أَفَاضَهُ عَلَيْهِ مِنَ الْأَسْتِقْلَالِ ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

رُقعة : وَيُنْهَى أَنْ مَا خَامَرَهُ مِنْ قَلْقٍ وَجَزَعٍ ، وَفَرَقٍ وَهَلَعٍ ، بِسَبَبِ مَا بَلَّغَهُ مِنْ
شَكْوَى مَوْلَانَا لَا تَحْضُرُهُ الْأَوْهَامُ ، وَلَا تُسَطِّرُهُ الْأَقْلَامُ ؛ وَلَوْ لَا ثِقَةَ الْمَمْلُوكِ بِاللَّهِ تَعَالَى
لَوَهَتْ عَقْدَ صَنْبَرِهِ ، وَلَا نَخَلَعَ فُؤَادَهُ مِنْ صَدْرِهِ ؛ وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ هَذَا الْأَمَّ
لَوْ نُقِلَ إِلَى الْمَمْلُوكِ لَمَا ثَقُلَ عَلَيْهِ ، وَكَيْفَ يَسْتَثْقِلُ مَا يَخْفَفُ عَنِ مَوْلَانَا ؛ وَتَعَالَى
وَيُخْسِمُهُ ، وَيُعَكِّفُ لَهُ سَبِيلَ الشِّفَاءِ وَيَنْظِمُهُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَهْدِي فِي أَمَانٍ مِنْ
كَفَايَتِهِ ، وَضَمَانٍ مِنْ حَيَاطَتِهِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) فِي الْأَصْلِ "تَوَفَّرَ" بِالْفَاءِ وَالرَّاءِ وَهُوَ لَا يَنْسَبُ الْمَعْنَى .

أجوبة كُتِبَ الشَّفَاعَاتِ وَالْعِنَايَاتِ^(١)

قال في "مواد البيان": هذه الكُتُبُ إذا أُجِيبَ المَلْتَمِسُ إلى حاجته فينبغي أن تُبْنَى أجوبتها على شُكْرٍ مَقْصِدِ الشَّافِعِ . والإِدْلَالِ وَالْأَسْتِرْسَالِ وَإِنَالَةِ المَشْفُوعِ لَهُ وَطَرَهُ إِجَابًا لِحَقِّ الشَّافِعِ ، وَإِنْ وَقَعَ الْأَمْتِنَاعُ وَالتَّوَقُّفُ عَنِ الإِجَابَةِ إِلَى المَلْتَمِسِ ؛ فَالْوَاجِبُ أَنْ تُبْنَى عَلَى إِقَامَةِ العُدْرَةِ لِأَغْيُرٍ .

زهر الربيع :

جوابُ شَفَاعَةٍ فِي حَقِّ كَاتِبٍ :

جَدَّدَ اللهُ [لَهُ] السَّعَادَةَ وَخَدَّهَا ، وَأَصَارَهَا لَهُ شِعَارًا وَأَبَدَهَا ، وَوَطَّدَ بِهِ المَمَالِكَ وَمَهَّدَهَا ، وَعَضَّدَ بِهِ طَائِفَةَ الإِسْلَامِ وَأَيْدَهَا ، وَشَكَرَهُ صِنَاعَ يَعُدُّ مِنْهَا وَلِيٌّ وَلَا تُكَلِّلُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعُدَّهَا .

المَمْلُوكُ يَقْبَلُ اليَدَ الشَّرِيفَةَ أَدَاءً لِلْفَرِيضِ اللَّازِمِ ، وَشُكْرًا لِمَا أَوْلَتْهُ مِنَ الأَيَادِي وَالْمَكَارِمِ ، وَحَمْدًا لِأَلطَافِهِ الَّتِي أَطْمَعْتُهُ بِالتَّمْيِيزِ فَاصْبَحَ بَرُّعٌ قَدْرِهِ كَالجَازِمِ .
وَيَنْهَى وَرُودَ المَشْرِفِ الَّذِي نَزَّ نَاطِرَهُ ، وَجَبَرَ قَلْبَهُ بِحُسْنِ أَلْفَاظِهِ وَخَاطِرَهُ ، وَالْعِلْمَ بِمَا أَمَرَ بِهِ ، وَشَفَعَ إِلَى المَمْلُوكِ بِسَبَبِهِ ، وَهُوَ الكَاتِبُ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ ، وَقَدْ رَكَّنَ إِلَى مَا شَكَرَهُ بِهِ المَوْلَى وَأَتَى بِهِ عَلَيْهِ ، وَأَعْتَقَدَ يَمِينًا^(٢) إِغَارَةَ الشَّافِعِ فَعَقَّدَ عَلَى المَشْفُوعِ فِيهِ خِنِصْرَهُ ، وَتَقَدَّمَ بِتَرْبِيئِهِ فِي دِيْوَانِ إِنْشَائِهِ ، وَجَعَلَهُ مِنْ جُمْلَةِ خَوَاصِّهِ وَخَلَصَائِهِ ، وَفَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ اتِّبَاعًا لِإِشَارَتِهِ ، وَقَبُولًا لِشَفَاعَتِهِ ، فَالمَوْلَى يُوَاصِلُ بِمِرَاسِمِهِ وَأَمْثَلَتِهِ ، فَإِنَّهَا تَرِدُ عَلَى مُرْتَسِمٍ مِمْتَلٍ .

(١) حق هذه الأجوبة أن تكون تابعة للنوع الرابع فهي مؤخره من تقديم فتنه .

(٢) لعله إشارة الشافع .

ومنه : جواب شفاعة في استخدام جُنْدِيّ :

ضاعف الله تعالى نعمه ، وأزهف في نُصرة الإسلام سيفه وقلمه ؛ ولا برحت
السنّة الأنام ناطقةً بولائه ، وأيدي ذوى الرجاء مملوءة من فواضل نعمائه .

المملوك يواصل بأذعيتيه الصالحه ، ويستنشق روحاني رِيحِك فيسكن منه بلذيد
تلك الرائحة ؛ ويشكره مامنحه من المكارم ، ويباهى بعزماته اللبوث الضراغم ؛
فلا يجد مضاهياً لتلك العزائم .

وينهى ورود المثال الذي أشرقت الوجوه بنوره ، وأبتهجت الأنفس ببلاغة
منشيه ووشي سطوره ، وعلم إشارة المولى في معنى فلان : أدام الله سعده ، وأعدب
منهله وورده ، والتوصية بأمره ؛ وما أبداه من حمده وشكره ، وأن يقطع إقطاعاً يليق
بأمثاله ، ويتفياً من نراجها ضايفي ظلاله ، وعند مثول مثاله العالى أمثِلْ وألتم ،
وأستخدم المشار إليه لإشارته وخدم ، وهذا بعض ما يجب من قبول أمره ، وتعظيم
كتابه وتبجيل قدره ، فيواصل بمراسمه فإنها تقابل بالارتسام ، ومشرفاتِه فإنها تعامل
بوافر الإكرام .

جواب شفاعة في الجملة :

قُلْ مَا تَشَاءُ فَإِنِّي لَكَ طَائِعٌ * مَا أَنتَ عِنْدِي شَافِعٌ بَلْ أَمْرٌ!

جعله الله لكل خير سبباً ، وحقق به لأوليائه ظنوننا وحصل أرباباً ؛ ووفر له من
أجر شفاعته الحسنه نصيباً ، وأدامه عن كل شر بعيداً وإلى كل خير قريباً .

المملوك ينهى تألمه لفراقه ، وما يجده من صبابته وشدة أشواقه ؛ ويعانيه من
حنينه وأتواقه ، وأنه ورد عليه كتابه فاستلمه ولتمه ، وبجمله وعظمه ؛ وعلم ما أشار

إليه ، وأخذ أمر المشفوع فيه بكلتا يديه ، وجعل قضاء أمره لازماً ، وما فتئ على ساق الاجتهاد قائماً ، إلى أن حصل غرضه ، وأدى من حسن القيام بأمره ما أوجبه مشرفه العالی وأقرضه ، والمولى أمر غير شفيح ، ومهما ورد من جهته على المملوك فوارد على سميع مطيع ، فيواصل من مراسمه بما سنع ، ومن أخباره بما تارج طيب عرفه ونفع ، ورأيه في ذلك العالی .

آخر : شكر الله عوارفها ، وتالد جودها وطارفها ، ووافر ظلالها ووارفها ، وينهى شاءه على معاليه ، وملازمته ومداومته على بث محاسنه ونث أباديه ، وحمد عواقب إحسانه ومبادهيه ، وشدة أشواقه إلى جنابه ، ولذيد مشاهدته وخطابه ، وما يعانیه من غرام لازمه ملازمة الغريم ، وداء صباية يضاعف شوقه إلى رؤية وجهه الوسيم ، ومداومته على التعوض بشكر محاسنه عن المدامة والنديم ، ونظم جواهر مدحه لجيد جوده ، وحمد المولى على ذلك التنظيم ، وأنه ورد عليه مشرفه العالی فقبله ، ودعا لمسيره دعاء يرجو من الله تعالى أن يستجيبه ويتقبله ، وحصل له بوصوله آبتهاج عظيم ، وقال لمن حضر وروده (يا أيها الملائة انى ألقى إلى كتاب كريم) وفهم مضمونه وخواه . وعلم معناه وما أظهره فيه وأبداه : من الوصية بفلان وما يؤثره من تسهيل مطالبه ، وتيسير مآربه ، ووصل المشار إليه وحصل الأئس برويته ، وتمتعت النواظر والمسامع بمشاهدته ومشافهته ، وقام المملوك في أمره قياماً تاماً ، وجعل عين اجتهاده في مصلحته متيقظة لاتعرف مناماً ، وثمر عن ساق الاجتهاد ، في تحصيل المرام والمراد ، إلى أن حصل له الفوز بنيل أمليه ، وعاد راتعاً من العيش في أخضره وأخضله ، رافلاً من السرور في أبهى حلله ، فيحيط علمه بذلك ، والله تعالى يعضد به الدول والممالك ، إن شاء الله تعالى .

آخر: جعله الله مفتاحاً لكلِّ بابٍ مُرْتَجِّجٍ، وَصَدَّقَ بِهِ [أَمَلٌ] كُلَّ آمَلٍ
وَحَقَّقَ رَجَاءَ كُلِّ مُرْتَجِّجٍ، وَلَا زَالَتْ سَحَابُ جُودِهِ هَامِيَةً بِالْوَشِيِّ وَالْوَلِيِّ^(١)، مَاطِرَةٌ
بَوَابِهَا وَطَلَّتْهَا عَلَى الْوَلِيِّ.

المملوكُ يُخْدَمُ بِتَحِيَّةِ أَرْقٍ مِنَ النَّسِيمِ، وَسَلَامِ أَطْيَبِ عَرَفَا مِنْ بَابِ النَّقَا إِذَا تَحَمَّلَتْ
عَرَفَهُ رِيحُ الصَّرِيمِ.

وينبى إلى علمه الكريم ورُودَ مشرفته وأنه أحاطَ بمضمونها علماً، وشاهدَ منها
في حال طيِّها مكارمَ أصارت تفضيله على حاتم الطائي حتماً، ووقفَ منها على دُرِّ لفظ
قذفه بحرُ خاطره نثراً ونظماً، وبراعةِ عبارةٍ زادت قلبَ مواليه غراماً وأنفَ مُناوِيه
رغمًا، وفصاحةِ عرْفته قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لِسِحْرًا وَإِنَّ مِنَ
الشَّعْرِ لِحِكْمًا»^(٢) وَفِهِم عُنَايَتَهُ بِفُلَانٍ نَفَعَ اللهُ بَعْلَمَهُ وَعَمَلَهُ، وَقَرَّبَ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ مَا لَا
يُطْمَعُ بِهِ بِعِيدِ أَمَلِهِ، وَإِشَارَتَهُ بِسَبَبِ التَّنْبِيهِ وَالْإِرْشَادِ عَلَى جَمَلِ فُضَائِلِهِ، وَمَفْصَلِ
مُنَاقِبِهِ الْمَشْهُورَةِ فِي الْبِلَادِ، وَإِبْضَاحِ كِفَايَتِهِ فِي وَجِيزَتِكَ الْفُصُولِ الصَّحَاحِ الْإِسْنَادِ،
فَحَالَ قُدُومِ الْمَذْكُورِ وَحُلُولِهِ، وَوُرُودِ مَشْرِفِهِ وَوُصُولِهِ؛ أَنهى الْمَمْلُوكُ أَمْرَهُ إِلَى
مُخْدَمِهِ، وَطَالَعَ بِهِ شَرِيفَ عُلُومِهِ؛ وَلَا زَالَ يُحْسِنُ سَعْيَهُ، وَيَعْتَمِدُ عَلَى مَشِيئَةِ اللهِ
وَلَا يَتْرُكُ حِرْصَهُ وَمَشِيئَهُ؛ إِلَى أَنْ حَقَّقَ قَصْدَهُ بِقَضَاءِ شُغْلِهِ، وَقَرَّبَ لَهُ أَمَدَ أَمَلِهِ،
وَكَتَبَ تَوْقِيْعَهُ وَلَمْ يُرِدْ اللهُ تَعْوِيْقَهُ، وَنَجَعَ طَعْمُ قَصْدِهِ وَأَنْجَحَ اللهُ طَرِيقَهُ؛ وَقَدْ كَانَ
مُصْحُوبًا بِالسَّلَامَةِ، مَعْرُوفًا بِتَحْصِيلِ هَذَا الْقَصْدِ بِأَنَّهُ (طَلَّاعُ الشَّيَا) مِنْ مَجْمُوعِ
الْعِيَامَةِ، حَسَبَ إِشَارَةِ الْمَوْلَى وَأَمْرِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُمِدُّ بِسُوْرَتِهِ وَنُظْمِهِ.

(١) الولي المطر الذي يأتي بعد الوشمى ووقع في الأصول "الوبلى" وهو تحريف واضح.

(٢) هو بضم الجاء وسكون الكاف العلم والفقه أى إن في الشعر كلاما ناعما يمنع من الجهل والسفه.....

ويروى إن من الشعر لحكمة وهو بمعنى الحكم . انظر اللسان ج ١٥ ص ٣٠ .

آخر: في استخلاص حق .

شكر الله إحسانه وإنعامه ، وحصل به لكل ولي مرامه ، وحمد تطوله وتفضله ،
وأنال به لكل آمل أمله ، وخذ دولته ، وأدام نعمته ، وأنفذ كلمته ؛ ولا زال فضله
كاملا ، وإحسانه إلى الأولياء وإصلا ؛ ونواله لبني الآمال شاملا .

المملوك يخدم بدعاء أحسن من نور الربا ، وثناء أطف من ریح الصبا ؛ وسلام
أطيب بمروره من تذکر أيام الصبا .

وينهى ورود الكتاب الذي طاب بالمولى محتده ونجاره ، وزاد على كتاب الكتب
نقاره ، وأنه وقف عليه وقوف مشتاق إلى مرسله ، شاكر أنعم فضله وجسيم
تفضله ؛ فأسكرته تلك الفصاحة بشذاها الأرج ، ونزهت لحظه في دل لفظها البهج ؛
فظنها لما آه تنشق رائحتها راحا قرقفا ، ولما أبهجه لفظها بالفاظ تزهى على الرياض
روضة أنفا ؛ وعلم الإشارة الكريمة في معنى فلان واللوصية بخدمته ، وما أمر به من
مساعدته ومساعدته ؛ وعند وصول مشرف المولى وقبل وضعه من يده ، نوى
المملوك مساعدة المذكور على مقصده ، فتقدم بإحضار غريمه فوجده عن البلد
غائبا ، فانتظره إلى أن عاد آثبا ؛ فعند وصوله طلبه وأحضره ، وسأله عما يدعيه
عليه خصمه فأنكره ؛ وطلب الحضور إلى القاضي ، وحث على ذلك حتى أوهم أنه
المتقاضى ؛ فلما رأى المملوك أن حجة المشفوع فيه لا تقوم بصدق دعواه وحجج ،
ولا يظهر بها على غريمه إلا من طريق حرج ؛ بذل في مصالحتها جهد الاجتهاد ،
وما زال يرشدهما إلى طريق الرشاد ؛ ويدلها على سبيل السداد ، ويعرفهما أن
التضارر خير ، وأن الصلح خير ؛ فكل منهما يهيم في واد ، ويسلق خصمه بالسنة
حداد ؛ إلى أن تراضيا وتوافقا ، وسلكا طريق الرفق وترافقا ؛ وصدق الخصم

نَخَصَمَهُ فَتَصَادَقَا ، وَأَنْفَصَلَا وَكُلٌّ مِنْهُمَا قَدْ أَرْضَى خِدْنَهُ ، وَعَنِ الْمَحَاكِمَةِ وَالْمَحَاقِقَةِ
أَغْضَى جَفْنَهُ .

أَخْسَرُ : أَيْدِ اللَّهِ سَعَدَ الْمَوْلَى وَأَبْدَهُ ، وَأَثَلُ مَجْدَهُ وَمَجْدَهُ ؛ وَأَعَانَهُ عَلَى إِسْدَاءِ
الْعَوَارِفِ وَعَضَّيْدِهِ ؛ وَأَمَدَهُ مِنَ الْمَسْرَاتِ بِمَا يُزِيلُ عَنِ الْأَيَّامِ أْبْدَهُ ، وَأَنَالَهُ سَعْدًا لَا تَبْلُغُ
الْأَيَّامُ أَمَدَهُ ؛ وَلَا زَالُ بَرْدُ جَدِّهِ مِنَ السَّعَادَةِ جَدِيدًا ، وَنَجْمٌ عَدُوهُ آفِلًا وَنَجْمُهُ سَعِيدًا .
الَّذِي يُحِيطُ بِهِ عِلْمُهُ الْكَرِيمُ أَنَّ كِتَابَهُ وَرَدَ فَسَّرَى هَمَّ الْأَنْفُسِ وَسَرَّهَا ، وَضَاعَفَ
بِمَا ضَاعَ مِنْ نَسْرِهِ بِسَرَّهَا ؛ وَفَاحَ مِنْهُ شَدًّا عِنْدَ إِقْبَالِهِ ، فَقِيلَ : قَدْ هَبَّتِ الْقَبُولُ ،
وَرِيحُ الْأَوْلِيَاءِ ، فَقِيلَ : قَدْ هَبَّتْ رِيحُ الشَّمَالِ وَأَدِيرَتِ الرَّاحُ الشَّمُولُ ؛ وَأَنَّ الْمَمْلُوكَ
وَقَفَ مِنْهُ عَلَى الْفَاطِظِ سَقْتَهُ كُثُوسَ سُورٍ لَا كُثُوسَ مُدَامَ ، وَرَوَتْ لَهُ أَخْبَارَ حِلْمٍ
لَوْ أُسْنِدَتْ إِلَى سِوَاهِ لَتَوَهَّمَتْ أَضْفَاتَ أَحْلَامِ ؛ وَرَوَتْ أَوْ كَبَادًا أَضْرَبَهَا لَغَيْبَتِهِ حُرٌّ
ظَمًا وَأَوَامَ ؛ وَبَيَّنَّتْ سِحْرَ الْبَيَانِ ، وَأَعْرَبَتْ بِلِسَانِ حُسْنِهَا عَمَّا لَمُنَّشِيهَا بِلِ مَوْثِيهَا مِنْ
الْإِحْسَانِ ، وَأَعْرَبَتْ فِي الْفَصَاحَةِ نَحْلَنَا كُلَّ كَلِمَةٍ تَنْطِقُ عَنْ سَحْبَانَ بِلِسَانِ ؛ وَزَهَتْ
بِيَانِجِ ثِمَارِ فَضْلِهَا فَتَزَهَتْ كُلُّ عَيْنٍ فِي بُسْتَانِ ؛ وَعَلِمَ إِشَارَةَ الْمَوْلَى فِي مَعْنَى فُلَانِ ،
وَمَا أَبْدَاهُ مِنَ الْعِنَايَةِ فِي حَقِّهِ ، وَالْإِثَارَ لِصِلَةِ رِزْقِهِ ؛ وَأَنَّهُ مِنَ الْأَلْزَامِ ؛ وَالَّذِينَ
تَجِبُ مَعَامَلَتُهُمْ بِالْإِكْرَامِ وَالْإِحْتِرَامِ التَّامِ ؛ وَعِنْدَ مَا شَاهَدَ الْمَمْلُوكُ كِتَابَ مَنْ شَرَّفَهُ ،
وَسَمِعَ الْفَاطِظَةَ الَّتِي بَلُطْفَهَا أَتَحَفَّهُ ؛ بَلِ بَرْدَائِهَا عَلَى الْبَرْدِ الْحَفَفِ ، تَقَدَّمَ بِإِجَابَةِ سُؤَالِهِ ،
وَتَرْتِيبِهِ فِي جِهَةِ تَلِيْقِ بِأَمْثَالِهِ ؛ وَقَمَّصَهُ مِنَ الْعِنَايَةِ قَمِيضًا لَا يَبْلَى ، وَجَمَعَ لِحَاطِرَهُ وَالِدَّةَ
شَمْلًا ؛ وَهَذَا حَسَبَ إِشَارَةِ الْمَوْلَى الَّتِي لَا تُخَالَفُ ، وَأَمْرِهِ الَّذِي يَقِفُ كُلُّ أَحَدٍ عِنْدَهُ
وَلَا يَسْتَوْفِقُ وَلَا يُوَاقِفُ .^(٢)

(١) أى غضبه فهو مصدر أيد عليه كفرح اذا غضب .

(٢) هذا آخر ما حقه التقديم بعد النوع الرابع وقبل الخامس فتنبه .

كتاب إلى مريض بالسؤال عنه من كلام المتأخرين :

حاشي مزاجك من أذى * وكريم جسمك من وسب!
يا غايَةَ المأمولِ . والتمرُّ جويًا كُـلَّ الطَّلَبِ!
مُدَّغِبَتِ عَنِّي لَمْ أزل * مِنْ بَعْدِ بَعْدِكَ فِي نَصَبِ!
جَنَّبَنِي غَرِيقٌ بِالذَّمِّ * عِوَاءِ صَبْرِي قَدْ نَضَبِ!
والله مَسَالِي فِي البَقَا * . وَأَنْتَ نَاءٌ مِنْ أَرْبِ!
فَتَرَى ابْشِرَ سَيْدِي * أَنْ اللِّقَاءَ قَدْ أَقْتَرَبِ!^(١)

حرس الله مزاج المولى! وأصار العافية له شعاراً، والصحة له دناراً، ولا زالت ساكنة في جوانحه، مقبلة حشواً أعضائه المباركة وجوارحه .

أصدرها الملوحة تُعْرِبُ عَنْ شَوْقِي يَكُلُّ عَنْ وَصْفِهِ اللِّسَانُ، وَتَوَقِّي لِأَيُّحْسِنُ وَصْفَهُ
الْبَنَاتِ، وَلَا عَجْرٌ يَعْجِزُ عَنْ حَمَلِ بَعْضِهِ الْجَنَانِ، مَلْتَمِسًا الْمَوَاصِلَةَ بِأَخْبَارِهِ، وَوَاضِعًا
مَا يَجِدُهُ الْقَلْبُ مِنْ أَلَمِ الشُّوقِ وَنَارِهِ، وَشَاكِيًا مِنْ جَوْرِ أَيَّامِ الْفِرَاقِ، وَرَاجِيًا أَنْ يُبَشِّرَ
بِالإِذْلَالِ مِنْ مَرِيضِهِ وَالْإِفْرَاقِ، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِتَعْجِيلِ أَيَّامِ التَّلَاقِ . وَمَعَ ذَلِكَ فَلَوْ
رُئِيَ أَنْ أُشْرِحَ كُلُّ مَا أَجِدُهُ مِنَ الصَّبَابَةِ لِأَسَامَتٍ وَأَسَهَبَتٍ، بَلْ لَوْ ذَكَرْتُ مَا أُثْنِيهِ
لِأَلَمِهِ لَنَقَلْتُ عَلَى خَاطِرِهِ وَشَوْشَتِ^(٢)، لَكِنْ خَاطِرُ الْمَوْلَى شَاهِدٌ بِوَجْدِي، وَخَاطِرُكَ
بِمَا تَحْمَلُهُ مِنَ الْكِبَابَةِ الَّتِي لَمْ يَحْمِلْهَا أَحَدٌ قَبْلِي وَلَا تُحْمَلُ بَعْدِي، فَيُوَاصِلُ بِأَخْبَارِهِ،
وَاللَّهِ يَحْرُسُهُ أَنَاءَ لَيْلِيهِ وَأَطْرَافِ نَهَارِهِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) مراده تبي أشر . ولعله تصحيف من الكاتب .

(٢) نقل هذا الفعل الثارابي وتبعه الجوهرى وأستعمله كاتب هذه الرسالة وأنكره بعض الخذاق وقال

الصواب هوشت .

في معناه :

يا مَنْ شَكَا فَشَكَا فُوَادِي حُرْقَةً * لا تَنْطَفِي وَصَبَابَةٌ لا تَبْرَحُ !
 وَغَدَا سَقِيمَ الْجِسْمِ يَوْمًا وَاحِدًا * فَتَرَحَّتْ دَمْعًا لِلدَّامِغِ يَجْرَحُ !
 وَأَزْدَادَ شَوْقِي نَحْوَ طَلْعَتِهِ الَّتِي * أَبَدًا يُجِنُّ بِهَا أَسْتَنْجِحُ !
 لا زِلْتَ فِي عِزٍّ وَسَعِيدٍ دَائِمٍ * أَيَّامُنَا بِبَقَائِهِ نَتَّبَجِّحُ !
 وَبَقِيَتْ مَا بَقِيَ الزَّمَانُ مُؤَيَّدًا * تُنْمِسِي قَرِيرَ الْعَيْنِ فِيهِ وَتُصْبِحُ !

كَلَّمَ اللهُ عَافِيَةَ الْمَوْلَى وَحَرَسَهُ ، وَلا سَلَبَهُ ثَوْبَ الصَّحَّةِ بَلْ قَمَّصَهُ إِيَّاهُ وَالْبَسَدَ ،
 وَأَخْدَمَهُ الْأَيَّامَ فَلا تَسْتَطِيعُ مَخَالَفَةَ أَمْرِهِ وَلا الْخُرُوجَ عَنْ حُكْمِهِ ، وَرَزَقَهُ أَنْ يَمْلِكَ
 الدُّنْيَا بِحِذَائِيرِهَا وَهَذَا يَحْضُلُ بِعَافِيَةِ جِسْمِهِ .

المملوكُ ينهى أنه أتصل به نأله فشق ذلك عليه ، ووصل من القلق إلى حدٍّ
 لم يصلِ المولى والحمد لله إليه ، وأبتهل إلى الله في معافاة جسده ، وأن يعضده ببقاء
 والده وولده ، ويضاعف تسهيل مآربه ومقاصده ، ويرفع كلمته وقدره على رغم
 معطس شائيه الأبتير وحاسده ، إن شاء الله تعالى .

جوابٌ إلى من فنطره فرسه :^(١)

ثَبَّتَ اللهُ قِوَاعِدَ مَجْدِهِ ، وَبَلَّغَهُ سَعْدًا لا تَبْلُغُهُ الْأَمَالُ لِبُعْدِهِ ، وَأَهْمَى عَلَى مَحَبَّتِهِ
 سَحَابَ جُودِهِ وَرِفْدِهِ .

(١) جرى في هذا الفعل اللغة العامية والصواب قطره قال الشاعر :

قد طبت على وجاراتها * ما قطر الفارس إلا إنا

أطهر المجلد ج ٦ ص ٤١٨ .

المملوك يُخْدَم بِتَحِيَّةِ أَرْقٍ مِنَ النَّسِيمِ ، وَيُشْكُرُ مَوَاهِبَهُ الَّتِي مَازَلَتْ تَحْنُو عَلَيْهِ حَنْوً
الْمُرْضِعَاتِ عَلَى الْفَطِيمِ .

وَيُنْهَى وَرُودَ الْخَبْرِ بِأَنَّهُ كَبَّاهُ جَوَادُهُ عِنْدَ مَا زَلَّتْ قَوَائِمُهُ ، وَأَنْقَلَتَهُ فِضَائِلُ الْمَوْلَى
وَمَكَارِمُهُ ، فَاتَزَجَّ لِذَلِكَ وَتَأَلَّمَ ، وَكَادَ قَلْبُهُ لَوْلَا الْمَبَشِّرُ بِسَلَامَتِهِ أَنْ يَتَكَلَّمَ ، وَجَوَادُ
الْمَوْلَى لِاسْتَيْلٍ إِلَى ذَمِّهِ ، فَإِنَّهُ أَسْمَحُ جَوَادٍ ، وَلَا أَتَّهَمُهُ بِالْعَجْزِ ، فَإِنَّهُ عُرِفَ بِإِتِّهَامِ
وَأَنْجَادِ :

لَكِنَّهُ نَظَرَ الْأَفْلَاكَ سَاجِدَةً * إِلَى عِلَاكَ فَلَمْ تَثْبُتْ قَوَائِمُهُ !

وَالْمَوْلَى أَوْلَى مَنْ قَابِلٍ عُدْرٍ طَرَفُهُ بِطَرَفِ الْقَبُولِ ، وَأَعْتَمَدَ عَلَيْهِ دُونَ سَائِرِ
الْخِيُولِ : فَإِنَّ الْمَوْلَى وَلِلَّهِ الْحَمْدُ فِي صِحَّةِ دَائِمِهِ ، وَسَلَامَةِ مَلَاذِمِهِ ، وَهَذَا هُوَ الْقَصْدُ
وَالْمُرَادُ ، وَالْأَسْتِبْشَارُ الَّذِي تَفْتَرُّهُ تُغُورُ الثُّغُورِ وَتَعْمُرُ بِهِ الْبِلَادُ ، جَعَلَهُ اللَّهُ فِي سَعِيدِ مَالِهِ
فَرَاغٌ وَلَا نَفَادَ ، وَرَزَقَهُ مَا دَعَا بِهِ الْعِبَادُ الْفَاضِلُ وَالْفَاضِلُ الْعِبَادَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

أَجْوِبَةُ كُتُبِ الْعِبَادَةِ

قَالَ فِي "مَوَادِّ الْبَيَانِ" : يَجِبُ أَنْ تَبْنِيَ هَذِهِ الْأَجْوِبَةَ عَلَى وُصُولِ الرَّقْعَةِ ،
وَمَا صَادَفَتْ الْمَرِيضَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَرَضِ ، وَأَنَّهَا أَهَدَتْ رَوْحَ الْهُدُوءِ ، وَأَرْكَدَتْ رِيَّاحَ
السَّلَامَةِ ، وَتَمَسَّتْ بِنَسِيمِ الْإِبْلَالِ ، وَتَضَوَّعَتْ بِأَرْجِ الْأِسْتِقْلَالِ ، وَبَشَّرَتْ بِالْعَافِيَةِ
وَالسَّلَامَةِ ، وَأَذْنَتْ بِالصَّلَاحِ وَالْإِسْتِقَامَةِ ، وَأَشْبَاهَ هَذَا .

ابن نباتة المصري :

شَكَرَ اللَّهُ آفِتْقَادَهَا وَأَنْسَهَا ، وَقَلَمَهَا وَطَرَسَهَا ، وَحَمَى مِنْ عَارِضِ الْخَطْبِ لِأَمْنِ
عَارِضِ الْخِصْبِ شَمْسَهَا ، وَلَا أَعْدَمَ الْأَوْلِيَاءَ قَصْدَهَا الْجَمِيلِ ، وَوَدَّهَا الْجَلِيلِ ، وَإِحْسَانَ

رسائلها التي كُرِّمَتْ فما صَوَّبُ الغَمامَ لها رَسِيلَ ؛ وأمتع الممالك بِمِنِّها التي صَحَّتْ
بتدبيره فليس غَيْرَ النَّسِيمِ عَلِيلَ .

وَيُنْهَى ورُودَ المشرفِ الكريمِ فتلقاه المملوكُ حَيِّبًا وارِدًا ، وطبيبًا بإحسانِهِ وللجسدِ
عائِدًا ؛ وفِهِم المملوكُ ما أَنْطوى عليه من الصَّدَقَاتِ التي ما زالتْ في فِهْمِهِ ، والمحبةِ
الصَّادِقَةِ التي ما عَزَبَتْ عنِ علمِهِ ؛ وما تَضَمَّنَ من فصولٍ كانتْ أنْفَعَ من فُصولِ
أَبْقراطِ لمعالجةِ جِسْمِهِ ؛ وأمينَ أَبِقراطِ من بركاتِ كتابِ مولانا الذي طالعَ منه كتابَ
الشِّفاءِ على الحقيقهِ ، والنَّجاةِ من عُروَةِ البأسِ الوثيقهِ ؛ وأذنى ورَقَّتِهِ الحمراءَ لرأسِهِ
تَبْرُكا وإِكْراما وقالَ : نِعَمَ الجُلنَّارةِ المَعوَّذَةُ من الشَّقِيقهِ ، وأَسْتَطَبَّ حُرُوفِها فإنها عن
أَيْدِي الكَرِيمِ والكَرَاماتِ ، ولَمَّ العلامَةَ وتمسَّكَ بالسُّطورِ فإنها من أسبابِ الصَّحَّةِ
والعلاماتِ ؛ ووافقتْ عيادةَ مولانا مبادئَ العافيةِ وآذنتْ بالزيادةِ ، وصلحَ خطُّه
الكريمُ عائدا وما كلُّ خطٍّ يصلحُ للعيادةِ ؛ وما تلكَ الجارحةُ المتألِّمةُ إلا يدُ أنقَلَتْها
مِنْ مولانا فأعيتْ وتألَّمتْ ؛ ثم أعانتْها بركتُهُ هي والقَدَمُ بالحملِ العظيمِ وتقدَّمتْ ؛ وما
بِقِيَّةِ الجوارِحِ إلا عيونٌ كانتْ تنتظرُ لُطْفَ الله تعالى وبركتِهِ وقد قَدِمَتْ ، فشكرا لها
من بركاتِ تَعَمُّ بِها قَبْلَ الجُسومِ أرواحُها ، وأدويةِ قَلْبِيَّةِ تُعالجُ بِها ذواتُ النُّفوسِ
فكيف أشباحُها ؛ لا بَرِحَ جوهرُ كلماتِ مولانا يُؤدِّنُ بالشِّفاءِ من العَرَضِ ، وسِهامِ
أقلامِهِ إذا كتبتْ عائِدَةً أو جائدَةً أصابتِ العَرَضُ وفوقَ العَرَضِ .

وله : تقبَّلَ اللهُ مِنْهُ وفيهِ صالحُ الأدعيهِ ، وملاً بِمُحاسِنِ ذَكَرِهِ ورِيَّهُ الآفاقَ
والأندِيهِ ، وشكرِهابَتِهِ وبركاتِهِ التي تَنْزِلُ بعارِضِ الغَيْثِ قَبْلَ الإِسْتِطارِ وترْفَعُ عارضَ
الألمِ قَبْلَ الأَدويهِ ؛ تقبيلَ معترفٍ بسابقِ النِّعمِ ، مقيمٍ على صِحَّةِ العبوديةِ والولاءِ
في حالَتِي الصَّحَّةِ والسَّقَمِ .

وينهى وُرُودَ مشرفِ مولانا الكريم على يدِ فلان عائداً من جهة العيادة ، وعائداً من جهة الصّلات المعتاده ، ومُفتقداً لاعدم الأولياء في الشدة والرّخاء آفتقاده ، ما كان إلا ريثماً نَشِقَ العليلُ نَسَمَاتِهِ الصّحيحه ، وتناولَ كأسَ ألفاظه الصّريحه ، وإذا بقانون المِزاج قد همَّ باعتداله ، وكتابِ الشفاءِ والنجاةِ قد تسنّت فوائده إقباله ، فتميّز حال الصّحة من المرَض ، وأستعمل جوهرَ الألفاظ فعزم على زواله العَرَض ؛ وبلغ الولدُ فلان المشافهة وكلّ مقاصد مولانا مبتدأة مبتدعة ، والمملوك جوابها وكلّ أجوبته منوِّلةً منوّعه ، شكر الله عوارِفَ، مولانا المتّصله ، ورسل آفتقاده التي منها العائدُ ومنها الصّله .

وله : في جواب كتاب عيادة وارد في يوم عيد على يد من اسمه جمال الدين محمود . شكر الله منبها التي إذا أبدت أعادت ، وإذا جادت أجادت ؛ وإذا كُرت الأفتقاد حلا وإذا تصدّت لمودات القلوب صادت ؛ تقبيل مخلص في ولآئه وأبتهاله ، مُقيم على صحة العهد والحمد في صحته واعتلاله .

وينهى وُرُودَ مشرفة مولانا الكريمة على يد الولد جمال الدين محمود متفقداً على العاده ، مكرراً لعيادة الإحساب وإحسان العيادة ؛ فقابل المملوك بالحمد وإردّها ، وبعوائد الاعتداد عائدها ؛ وفهم ماتضمته من تألم قلب المالك على ضعف المملوك ، وقلقِ خاطره على بدن كبيت العروض منهوك ؛ وأنه كان آبتداً ضعف المملوك فألم ، ثم تلا خبر الصحة فتلا : ولكن الله سَلَم ؛ ثم بلغه أن آلاماً تراجمت ، ومواداً واصلت بعد ما قاطعت ؛ فحملته خواطرُ الإشفاق على على تكرير العيادة ، وارتقابِ فعلات الشفاء المستجاده ؛ جارياً من إحسانه وآفتقاده على أجمل معهود ، باعنا مشرفته

(۱) مراده وتناول أى أوصل المملوك الخ تأمل .

(۲) في الأصول "كئيب" وهو تصعيف من التامع .

وحاملها وكلاهما حسن الحال محمود ؛ فعند ما وصلنا أوصلا كمال العافية ، وحققت
أسبغة البرء الشافية ؛ وما كان المشكو إلا مادة يسيرة وزالت ، وبقيّة ضعف تولّت
بحمد الله وبركة مولانا وما توالّت ؛ وما عيّد المملوك إلا وشفاء الجسد في ازدياد ،
والنفس بالوقت وبالمشرفة في عيدين قائمين بأعياد ؛ لازالت من مولانا إزاء اللخط
حيث دار ، ووُدّه وحمّاه جامعين فضل الجار والدار .

زهر الربيع :

لازال محروس الشيم ، ها طلة سحائبه بالديم ؛ مشكورا بالاني الإنسان والقلم .
المملوك يقبل يده الشريفة مؤديا للواجب ، ويواصل بدعاء صالح أوصاره إنعامه
ضربة لازب .

وينهى إلى كريم علمه ورود مشرفه الذي أبهج الأنفس وضاعف الصبايه ،
وأفنى الصبر عن مجاه وإن كان ما أفناه أيسر صبايه ؛ وأنه علم منه إنعامه وتشوقه
إلى المملوك وإلى سماع أخباره ، وما أبداه من شفقة ألفت من إحسانه وعرفت
من كريم نجاره ؛ وتحققت من شيمه على من ينأى عن باب العالي وداره ، فأنه يحرس
هذه الأخلاق التي هي أرق من الماء الزلال ، والشائل التي تفعل بلطفها فعل
الجريال ؛ والمملوك فوالله لا يخصص شوقه إلى الخدمة العالية ولا يحصره ، ولا يقدر
على وصف ما يسره من الأتواق ويظهره ؛ إنما الاعتماد في ذلك على شاهدي عدل
من خاطره وقلبه ، وهما يغنيان المملوك عن شرح ولآئه بالسنة أعلامه ووجوه كُتبه ؛
وأما السؤال عن أخبار مزاج المملوك فإنه كان في ألم دائم ، وسقيم ملازم ؛ لشدة
المرض ، الذي كاد يحتوى على جوهر جسمه والعرض ؛ فذو ورد كتاب المولى
انتعشت قوته ، وأشدت متته ؛ وصدقت في طلب تناول الغذاء شهوته ؛ وترجى

الشفاء بعد أن كان على شفا التلّف ، وكان له كالطبيب الآسى فى إزالة سرّض
الأسا والأسف . وقد حصلت للملوك مسرتان بكتاب المولى وعافيته ، وفرحتان
بما أهداه إليه من عفو إنعامه ونحو أثر الألم وتعفّيته ، وكل ذلك بسعادته .

ومنه : ورد المشرف العالى لزال قدر مرسله شريفا ، وشرفه الباذخ يجعل
كل شريف مشرّوفا ، وسحاب جوده تُهدى إلى الأولياء من مكارمه تليدا وطريفا ،
وقواضيه تُردّ [طرف] حوادث الأيام عنه مطرّوفا ، وأيديه تبعث لمحبيه تحفا ،
وهيبته تُهدى إلى الأعداء خوفا ، والدهر بخدمة جنابه العالى مشغوفا ، فوقف عليه
وقوف مشتاق إلى مسطّره ، متزّه فى ربيع ألفاظه وحسن أسطّره ، وعرف منه
إحسانا ماقتى يعرفه ، وتفضلا مازال المولى بمثله يُحفّه ، وما أشار إليه من شدة
إيثاره ، لرؤية الملوك وسماع أخباره ، والذى يُنيه أنّ جسده كان قد تضاعف
ضعفه ، حتى أتعب الألسنة وصفه ، فلما وقف من مشرف المولى على خطّ هو
الوشى المنمّم ، وألفاظه هى الرحيق الختم بل الدر المنظم ، وسحره هو محلّ وكل سحر
محترم ، أبلّ الملوك وبردت غلته ، وبرأت علته ، وكان كمن أستوفى نصيبه من
النّصب ، وأخذ قسمة من السّم والوصب ، فسقاه مشرفه الصّحة فى كاس ،
وأفاض عليه من العافية أنخر لباس .

آخر :

وردّ الكتاب فعمّت الأفراح * وأضاء فى ليل الأسا الإصباح !
وأفترّ نغز للزمان بفرحة * وللفظه طربت ربي وبطاح !
وتصوّعت أرواح طيب عرفها * تحيا به الأجسام والأرواح !
وسقى سلاف فصاحة وبلاغة * ما ألمسك عند شميمها ما أراح !

شَكَرَ اللهُ مِنْهُ ، وَأَخْدَمَهُ زَمَنَهُ ، وَمَنَعَهُ مِنَ الْعَيْشِ أَعْضَهُ وَاحْسَنَهُ ، وَشَرَّفَ بِبِقَائِهِ
الدَّهْرَ وَشَفَّ بِمَدْحِهِ أُذُنَهُ .

المملوك يُنْهَى إِلَى عِلْمِهِ وَوُصُولَ مَشْرِفِهِ الَّذِي تَزَهَّتِ الْأَعْيُنُ فِي حُسْنِ مَنَظَرِهِ ،
وَرَانِعِ ثَمَارِ لَفْظِهِ الْبَدِيعِ وَوَشْيِ أَسْطُورِهِ ، وَأَنَّهُ أَسْتَنَشَقَ مِنْ رِيحِهِ أَطْيَبَ نَفْحِهِ ،
وَتَقَمَّصَ مِنْهُ ثَوْبِي دَعَاةٍ وَصِحْحِهِ ، فَشَفَى دَاءَ شَفَّ مِنْهُ بِجِسْمِهِ ، وَزَادَ لُورُودَهُ سُورُهُ
وَزَالَ هَمُّهُ ، وَعَلِمَ إِنْعَامَ الْمَوْلَى الَّذِي لَا يَسْكُ فِيهِ ، وَإِحْسَانَهُ الَّذِي لَا يَحْضُرُهُ لِسَانُ
مَادِحٍ وَلَا يُحْصِيهِ ، وَمَا ذَكَرَهُ مِنَ الْأَلَمِ الْمُلِيمِ بِهِ وَاسْتِغْثَالَ خَاطِرِهِ الْكَرِيمِ لِمَا أَلَمَ
بِجِسْمِهِ ، وَالْمَرَضُ بِسَعَادَةِ الْمَوْلَى قَدْ بَقِيَ مِنْهُ قَلْبُهُ ، وَتَقَلَّصَ بَعْدَ مَا أَمْتَدَّ ظِلُّهُ ، وَالْعَافِيَةُ
تَتَكَلَّمُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى بِرُؤْيَاةٍ مُجَيَّاهِ الْكَرِيمِ وَمَشَاهِدَتِهِ ، وَالْمَثُولِ بَيْنَ يَدَيْهِ الْعَالِيَتَيْنِ
فِي خِدْمَتِهِ .

النوع الخامس عشر (في الدَّم)

ذَمُّ بَخِيلٍ : لِأَحْمَدَ بْنِ يُونُسَ :

كَأَنَّ الْبُخْلَ وَالشُّؤْمَ صَارَا مَعًا فِي سَهْمِهِ ، وَكَأَنَّا قَبِلَ ذَلِكَ فِي قِسْمِهِ ، فَخَازَنَاهَا
بِالْوِرَآئِهِ ، وَاسْتَحَقَّ مَا اسْتَمَلَكَ مِنْهُمَا بِالشَّفْعَةِ ، وَأَشْهَدَ عَلَى حِيَازَتَيْهِمَا أَهْلَ الدِّينِ
وَالْأَمَانَةِ ، حَتَّى خَلَصَا لَهُ مِنْ كُلِّ مَانِعٍ ، وَسَلِمَا لَهُ مِنْ تَبِيعَةِ كُلِّ مُنَازِعٍ ، فَهُوَ لَا يُصَدِّقُ
إِلَّا الْمُحْطِيَا ، وَلَا يُحْسِنُ إِلَّا نَاسِيَا ، وَلَا يُنْفِقُ إِلَّا كَارِهَا ، وَلَا يُنْصِفُ إِلَّا صَاحِرَا .

وفي مثله : وَصَلَ كِتَابُكَ فَرَأَيْتَ أَنَّكَ قَدْ حَلَيْتَهُ بِزَخَارِفِ أَوْصَافِكَ ، وَأَخْلَيْتَهُ مِنْ
حَقَائِقِ إِنْصَافِكَ ، وَأَكْثَرْتَ فِيهِ الدَّعَاوِيَّ عَلَى خَصْمِكَ ، مِنْ غَيْرِ بُرْهَانٍ أُتِيَتْ بِهِ
عَلَى دَعْوَاكَ وَزَعْمِكَ .

ومنه : ولو أراد غير ذلك من الأخلاق السنية ، الشريفة الهنيئة ؛ لأستوحش في سبلها ، ووقع في مضة منها ، ولن يجد من سلفه ولا نفسه دليلاً عليها ، ولا هادياً إليها .

ومنه : لأبي العيناء :

أما بسد ، فلا أعلم للمعروف طريقاً أهدر ولا أوعر من طريقه إليك ، ولا مستودعاً أقل زكاءً ولا أبعد ثمرة خير من مكانه عندك : لأنه يحصل منك في حسب نبي ، ولسان بدي ، ونسب قصي ، وجهل قد ملك طباعك ، فالمعروف لديك ضائع ، وأشكر عندك مهجور ، وإنما غايتك في المعروف [أن] تُحرزه ، وفي وليه أن تكفر به .

ومنه : لمحمد بن الليث :

بكم عَنَ الظلم ، وظهيرت البدع ، وأندفن الحق . وعجز الفاجر ، وظهر الكافر ، وفشيت الآنام ، ونقضت الأحكام ، وأخذت عباد الله خولا ، وأمواله دولا ، ودينه دخلا .

ومنه : لأبي علي البصير :

عدوك منعزل عنك ، وصديقك على وجل منك ؛ إن شاهدته عاقك ، وإن غبت عنه حاقك ؛ نسأله فوق الطاقه ، وترهقه عند الفاقه ؛ وإن اعتذر إليك لم تعذره ، وإن استنصرك لم تنصره ؛ وإن أنعم عليك لم تشكره ؛ ولا يزيدك السن إلا نقصا ، ولا يفيدك الغنى إلا حرصا ؛ تسمو إلى الكبير ، بقدر الصغير ؛ وتسف للتطفيف لالتهفيف ؛ تعترض الناس بالسؤال ، غير محتشم من الإملال ، ولا كاره لأن ينظر إليك بعين الاستقلال ؛ حتى لقد أخرجت الأضغان ، وقبحت الإحسان ؛ وزهدت

في أصطناع المعروف، وإغاثة الملهوف، والنسأ منك بين أسرارِ نُفْسِي، وروايقِ نُحْشِي، وشناعاتِ واردة، ونوادِرِ بارده، وذلك تخلق، وشكرك تخلق .

ومنه : لسعيد بن حميد :

رجلٌ يعنفُ بالنعمِ شنفٌ من قد ساءتُه مجاورتها، ويستخفُّ بحمفها استخفافاً
من لا يخفُّ عليه حمفها، ويقصر في شكرها تقصير من لا يعلم أنَّ الشكرير تبطها، ومن
كانت هذه حاله في اختياره لنفسه، فكيف أرجو حسن اختياره لي؟ ومن كان
في مدة من ابتلاء الله بعيدة ما بين الطرفين لأدري أينفأ بي الأجل إلى أقصاها،
أما يقصر بي في أدناها، فكيف يتسع الصدر للصبر عليه، إنَّ الله لا يخاف الفوت
فهو يمهل، وإنه إن مات لم يخرج من سلطان الله جل وعز إلى سلطان غيره
فيعاجله، وأنا على خوفٍ من إجمال المدهى عن النوع [منافى فأنهيب] حرجاً صدرى،
وعلى ثقة من الشغل في الآخرة بنفسى عن التشفى من أهل عداوتى وترقى، وأحمدُ
الله على المعونة، وأسأله تعجيل روح النعمة، وفسحة العافية .

النوع السادس عشر

(في الأخبار)

قال في "مواد البيان": كُتِبَ الأخبار وإن كانت من الكتب الكثيرة الدوران
في الاستعمال فليست مما يمكن تمثيله، ولا حضر المعاني الواقعة فيه برسوم تستعمل
عليها، نعم ولا أن تقدم له مقدمة تكون توطئة لما بعدها، كما يجري الأمر في سائر
قنون المكاتبات الأخر التي لا تتخلو من مقدمات تحل منها محل الأساس من البنيان،

(١) هذه الزيادة يقتضها المقام .

(٢) مراده الواقعة فيه ولعله مصحف عنه تأمل .

والرأس من الجُئان ؛ لكن المقدمات التي تُوضَعُ في الكتب من شرطها أن تكون مشتقة من نفس معنى الكتاب ، ومُنهي الخبر لا يمكنه أن يستنبط من كل خبر ينهيه مقدمة تكون بساطاله ؛ وإنما يقول : كتبت من موضوع كذا يوم كذا ، والذي أنبهه كذا ؛ بل الذي يلزمه أن يتحداه بطلانها ، ويحجها بجهده ، أن يبين ما يطالع به من الأخبار ؛ ويكشفه ويوضحه ويفصح عنه ، ولا يقف منه إلا عند الشفاء والإقناع لتتقرر صورته في نفس من ينهيه إليه ؛ اللهم إلا أن يكون الخبر مما يوجب الأدب العدول عن لفظه الخاص به ، والإخبار عنه بالفاظ تؤدي معناه ، ولا يهجم على الخبر بما يسوء سماعه ، كأن يكون خبراً يرفعه إلى سلطان عن عبده له قد أُلِّق فيه ما يطع منه ويستفيد مهابته ، أو نحو من ذلك مما يثقل على السلطان النفس منه ، فإنه ينبغي أن يعدل في هذا وأمثال عن التصريح إلى التعريض ، ومن التصحيح إلى التعمير ، وعن التوكيد إلى التورية ، وأن يأتي بالفاظ تدل على معاني ما يروم إبداءه ، ويحصر [] صورة منزهة السطوات وتوقيره عن قرع سمعه بما يكرهه ولا تحوز مقابله به ؛ وأن يقتصد في استعمال الإيجاز والإطناب في المواضع التي تضمن كلا منهما ، فهذه ما يمكن أن يتعرف من رسوم هذا الباب .

قال : ومن نفذ فهمه وخاطرته في الصناعة وتدرّب فيها ، يكتبني بهذه الأمعة ولا يحتاج إلى زيادة عليها .

في الإخبار برُجوع مطر وسيل

من ترسل أبي الحسين بن سعد :

فالماء منه يفيض على العُمران ، بعد أن ضاقت به المغايص والغدران ؛ فأنى على كثير من التلال والرؤابي ، فضلاً عن الرساتيق والقرى ؛ وصار الوادي على اتساع

عَرْضُهُ ، وَأَمْتِدَادِ طُولِهِ ، وَسَعَةِ مَصَبِّهِ ، وَفُسْحَةِ مَغِيْضِهِ ، لَا يَنْبَغِي بِهَيْضَمِهِ ، وَلَا يَقُومُ بِجَمَلِهِ ، فِقَاضٍ مِنْهُ مَا عَطَّلَ الْعُمْرَانُ وَلَسَسَفَ الدُّورُ وَمَحَقَّ الزُّرُوعُ ، فَعَظُمَ بِهِ الْبَلَاءُ ، وَكَثُرَ لَهُ الْجَلَاءُ ، وَشَمِلَ النَّسَادُ ، وَعَظُمَ الْحَرَابُ .

صدر كتاب بإخبار عن الخليفة :

كُتِبَتْ ، وَمَوْلَانَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوْطُدٍ مِنْ خِلَافَتِهِ ، وَتَمَهَّدَ مِنْ دَوْلَتِهِ ، وَعَلُوٌّ مِنْ رَأْيِهِ ، وَنَفَازٍ مِنْ كَلِمَتِهِ ، وَعِزٌّ مِنْ سُلْطَانِهِ ، وَأَرْتَفَاعٍ مِنْ شَانِهِ ، وَنِعْمَ سَابِقَةٌ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ طَاعَتِهِ ، فَالْصِّبَةُ عَنِ أَعْدَائِهِ وَأَهْلِ مَخَالَفَتِهِ ، وَأَسْتِقَامَةٌ مِنْ أَطْرَافِهِ وَتَقْوَرُهُ . وَأَسْتَبَابٍ مِنْ أَحْوَالِهِ زَامُورِهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ حَمْدًا لَا يَقِفُ دُونَ رِضَاهِ ، وَلَا يُحِيطُ بِمِقْدَارِهِ سِوَاهِ .

صدر بإخبار عن الوزير :

كُتِبَتْ ، وَحَضْرَةُ الْوِزَارَةِ السَّامِيَةِ فِي نِعْمٍ مُحْصَبَةٍ الْأَكْثَافِ ، بِعَيْدَةِ الْأَطْرَافِ ، سَادِرَةُ الْوَيْلِ ، سَاحِبَةُ الدَّيْلِ ، وَمَا أَنْظَرُ فِيهِ مِنْ أَمْرِ دَوْلَتِهِ مُنْتَظِمٍ ، وَأُرَاعِيهِ مِنْ أَحْوَالِ رَعِيَّتِهِ مُلْتَمِمْ ، وَقَدْ وَطَّأ اللَّهُ لَهُ أَوْعَارَ السِّيَاسَةِ وَالتَّدْيِيرِ ، وَوَقَّفَهُ عَلَى جَوَادِّ الْمَصْلُحَةِ فِي التَّقْدِيمِ وَالتَّأخِيرِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا يَسْتَقِلُّ بِحَقِّهِ فَيَنْضِيهِ ، وَبِوَاجِبِهِ فَيُؤَدِّيهِ ، وَيَنْتَهِي إِلَيْهِ عِزُّ سُلْطَانِهِ فَيُرِضِيهِ .

صدر بإخبار عن أمير :

كُتِبَتْ ، وَالْأَمِيرُ فِي عُلُوٍّ مِنْ سُلْطَانِهِ ، وَأَرْتَفَاعٍ مِنْ شَانِهِ ، وَظَفِيرُ يُوَاكِبُ الْوَيْتَةَ ، وَنَصِيرُ يُصَاحِبُ دَوْلَتَهُ ، وَوَافِيٌّ عَلَى مَنْ ظَلَّهُ ، وَشَمِلَنِي مِنْ فَضْلِهِ ، سَاسِعٌ لِبَاسِهِ ، وَطَابَتْ أَعْرَاسُهُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ اعْتِرَافًا بِنِعْمَتِهِ ، حَمْدًا يُوجِبُ تَهْمُولَ مَنَّتِهِ ، وَيَسْتَدْعِي الشُّكْرَ عَلَيْهَا ، وَيَقْضِي بَمَزِيدٍ مِنْهَا .

صدر باخبار عن عافية المكتوب عنه :

كُتِبْتُ ، وأنا صالح الحال ، وقد منَّ اللهُ تعالى بالعافية والإفشاء ، والإفالة
والإش^(١) ، وأعاد إلى الصحة بعد نبوها وذهاها ، والسلامة بعد تجعها وإغرابها ،
وأسبل النعمة بعد الإنذار ، والتحذير من الإغترار ، محصماً عما ألمَّ من الآم
عَصَبِ الأيام ، وحسدُ قَدِّ أولى ما كُتِبْتُ به النعم ، وطُرِّز به المفتَح والمختَم ، حمداً
يؤمن من التغير والتبديل ، ويُعيد من الانتقال والتحويل .

أين أبي النعمان ، في الإخبار عن زلزلة حطية وقعت بمدينة قرطبة من الأندلس .
الشيخ الأجل ، الوليُّ الأكرم الأفضل ؛ أبو فلان ، الذي أطرفه اللهُ تعالى
بِعجائب الأخبار ، وأذهب به في سلك الأتباع ومنهج الأدب ، أبقاه اللهُ أخذاً
في سنن الأثر والرياسة ، المخلص في المحض الناصح من الولاء ، ومعرفة
غريب الآثار وتجب الأبناء ، فلان .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله الذي جعل عباده أنواعاً تتلونه وصنوفاً ، وأرسل الآيات
رُزماً تُرسل بالآيات الأثر بغيرها ، والصلوات على سيدنا محمد المصطفى صلاة طيبة
تسبق تاريخاً تشوع تعريفها ، وتلي آية وأصحابه الطاهرين الذين حضروا حروباً
وشهدوا زحواً ، والحمد لله سيدنا الإمام أمير المؤمنين في نصير عزيز يونس مدعوراً
ويؤمن مخوفاً ، مني كُتِبْتُ . كتب الله لكم دعة حافظة وأماناً ، وتسدقاً آيات الله
البينة وبرهاناً . من موضع كذا ، عند ما طرأ علينا ما حل العيون بشأها ، ومنعها ليد
كراهها ، وأخفق الضلوع الحانية وأفاق ممتارين حشاها : وشوأن الله عز وجل

(١) بيض في الأصول لهذا الحرف .

ذَكَرَ عِبَادَهُ إِنْ نَفَعَتِ الذُّكْرَى، وَنَبَّهَهُمْ إِنْ تَنَبَّهُوا وَلَمْ يَأْمَنُوا مِنْهُ كَيْدًا مُبِيرًا وَلَا مَكْرًا،
وَذَلِكَ بَزَلْزَالٍ قَضَى بِهِ عَلَى قُرْطُبَةَ وَبَعْضِ أَعْمَالِهَا، وَمَلَأُ نَفُوسَ سَائِكِيهَا مِنْ رَوْعَاتِهَا
وَأَوْجَاهِهَا، وَحَالَتْ لَذَلِكَ فِي الْخَوْفِ وَالْأَرْتِفَاعِ أَقْبَحَ سَائِلِهَا، حَتَّى نَحْوًا إِلَى الْإِسْتِكَالَةِ
وَالضَّرَاعَةِ، وَأَطَاعَ اللَّهُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلَ ذَلِكَ طَاعَةٌ، وَخَشُوا بَلْ كَانُوا يُوقِنُونَ
أَنَّهَا زَلْزَلَةٌ السَّاعَةِ. وَكَانَ مِنْ عَظِيمِ آثَارِهَا، وَكَرِيهٍ إِيرَادِهَا وَإِسْدَارِهَا، أَنْهَادُ الْقُبَّةِ
الْعَظِيمِ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ صَانَهُ اللَّهُ، وَكَانَتْ قُبَّةً أُسِّسَ عَلَى التَّحْرِيكِ بِنَاوِيهَا، وَدَهَبَ
فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ذِكْرُهَا الْعَاطِرُ وَشَأْرُهَا، وَتَهَلَّأَتْ بِسَبَبِ ذَلِكَ الْمَدْمُ دِيَارًا
كَثِيرَةً، وَحَدَّثَتْ بِهِ حَوَادِثَ مُبِيرَةً. وَأَمَّا تَلَوَاكَةُ مِنْ أَعْمَالِهَا، وَكَانَ فِيهَا مَبْنِيٌّ مِنْ مَبَاكِي
الرُّومِ، فَإِنَّهُ غَادَرَهَا قَانًا صَفْصَفًا، وَقَرَأَ نَفْسَانًا، وَأَضْطَرَّ ذَلِكَ الْخَطَابُ الْفَارِجِ، وَالرِّيحُ
الْقَادِحِ، إِلَى أَنْ نَجَرَ السَّيِّدُ أَبُو إِسْحَاقَ وَكَافَّةُ أَهْلِ قُرْطُبَةَ مِنْ دِيَارِهِمْ، وَفَرُّوا مِنْ
الْمَوْتِ بِأَقْرَابِهِمْ وَأَصْحَابِهِمْ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَدَارَكَ بِالرُّحْمَى، وَكَشَفَ تِلْكَ
الْغَمِّيَّ. جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ صَبَقًا لِقُلُوبِنَا، وَتَوْبَةً عَمَّا سَقَى مِنْ دُنُوبِنَا، وَحَصَصَنَا
مِنْ جُرْمِنَا الْمُورِقِ وَحُوبِنَا، وَأَوْلَانَا وَإِيَّاكُمْ أَمْنَا مِنَ الْغَيْرِ، وَأَزْدَ جَارًا بِمَا ظَهَرَ مِنْ
الْعَبْرِ، وَبِهَلْ كَلَانَا جَمِيلَ الْحَوَادِثِ، فَطِيبَ الْخَبْرَ، بِمَنَّةٍ، وَالسَّلَامُ الطَّيِّبُ الْمُبَارَكُ
وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

من كلام المتأخرين في الإخبار بقدم ناسب إلى نياحة .

من ذلك نسخة كتاب عن نائب الشام إلى كاتل الممالك الإسلامية مُخْبِرًا إِيَّاهُ بِرُؤْيَا

إِلَى دِمَشْقَ، مِنْ إِتْسَاءِ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ بْنِ نُبَاتَةَ . وَهُوَ بَعْدَ الْإِتْقَانِ .

(١) لعله في الخنصر .

(٢) جرى الكاتب في كلامه لغة من يعربها اعراب المقصور على حد قوله :

نعم الفقى عمدت إليه مطبى * في حين جد بنا المسير كلانا

لا زالت آفاقُ الممالكُ مُضيئةً بأنوارِ شمسه ، مَهينةً بأنسِ سعادته وسعادةِ أنسِهِ ،
سَنيةً المقاصد التي قام في كفالتها بنفاسةِ نفسه ، ولا برح يستثمر من خير الدنيا
والآخرة ما قدم صنعه الجميل من غرسه . تقيلاً يُشافه به القلمُ القرطاس ، ويؤدُّ
المملوكُ لو شافه به الخدم ساعياً سعى القلم على الرأس ، وينهى قيامه بوظائف دُعاء
يسير الخلق ، وولاءٍ يدورُ بكواكب الإخلاص إدايةً الفلك ، وحيداً تذهب به
صفحاتُ السنين حيث ذهب وتَسلكُ عقودُ الأفلاك حيث سلك ، وأنه خدم
بهدية العبودية عند وروده إلى دمشق المحروسة لنيابة كانت عناية مولانا سفرة
أصريها ، ومميزة برها ، يوم كذا ، وسعادة مولانا السلطان - خلد الله ملكه - تعلمه
وتعلمه ، والذبت بركات الدولة القاهرة يسايره ويقده ، وتغر المظري سابق نغر
المملوك إلى مشافهة الثرى ويلئمهُ ، والرعية منه آمنة في سربها ، وادعة بظلال
الأبواب الشريفة مع بعدها دعة الصوارم في قُربها ، وباكر المملوك يوم الاثنين
الذي بُوراء فيه : في الخميس من يوم وجيش ، وأنتصب لمهمات على مثلها
في الخدمة يطيب أن يرفع لين العيش ، مجتهداً فيما هو بصدده ، مستمداً من ربه
عز وجل وسعادة سلطانه برشده ، معتداً نعم مولانا فيما يأتي [في] ذلك من أوفى وأوفر
عده ومدده ، والله تعالى يعين المملوك على شكر من مولانا الباطنية والظاهره ،
والغائبة والحاضرة ، والمقيمة والمسافره ، ويصل نفع المملوك بولائه في الدنيا والآخرة ،
ويقيم الرعايا بالأمن في كفالتة التي ما برحت بعيون الأعداء فإذا هم بالساهره .

الأجوبة عن كتب الأخبار

قال في "مواد البيان" : الأخبار على أكثر الأحوال لأجوبة لها ، وإنما هي
مطالعاتُ بأمور يُنهيها الخدام ، وأصحابُ البرد إلى السلاطين ، مما تخرج أوامرهم

إلى الولاية بما تضمنته : مما يقتضيه كل خبر ينهى من سياسة عامة ، أو مصلحة تامة . قال : فاما ما يستعمله الإخوان في المكاتبه بالأخبار التي يكل بعضهم إلى بعض الأخبار بها ، فمنها ما يقتضى الجواب ، ومنها ما لا يقتضيه . قال : وأجوبة ما يقتضى الجواب منها تفتن بحسب آفتنان الأخبار والأغراض التي يجيب المحيب بها ، وهو أيضا مما لا يعبر عنه بقوى جامع ولا برسم رسم كلى ، وإنما يرجع فيه إلى الأمور التي يتبدأ بها ويجاب عنها .

النوع السابع عشر (المداعبة)

قال في "مواد البيان" : ومعاني المداعبات التي يستعملها الإخوان غير متناهية ، والأغراض التي ينظمها المزاح وتعد من طلاقة النفس لا تقف عند قاصيه : لأنها مستملاة من أحوال متباينه ، وماخوذة من أمور غير معينه ، وحضرها في رسوم جامعة يستحيل ، وتمثيلها غير مفيد : لأنه لا تعلق لبعضها ببعض ، ولا نسبة بين الواحد والآخر ، ثم قال : والأحسن بأهل الوداد والصفاء ، والأليق بدوى المخالصة والوفاء ، أن يتزهاوا في المداعبة الدائرة بينهم عن بدىء اللفظ ومفحشه ، ومؤلم الخطاب ومقذعه ، ويكفوا اللسان واليد عن الإنطلاق بما يدل على خفة الأحلام ، والرضا بالرذل من الكلام اللائق بسفهاء العوام ، ويتحرجوا من إرسال قول يبقو وضمة على [مدى الأيام] إذ لا فرق بين جرح اللسان وجرح اليد ، وقد نطق بهذا المثل : لما في ذلك من الترفع عن دنايا الأمور التي لا يتنازل إليها الكرماء ، والتزهد عن المساقط التي لا يستعملها الأدباء ، وصيانة المروءة عما يسئنها ويخدشها ، وتوقيرها

عما يَنْقُصُهَا ، وَالْأَمْنِ مِنَ الْجَوَابِ الَّذِي رُبَّمَا قَدَحَ فِي النَّفْسِ وَأَثَّرَ ، وَأَحْمَى الصَّدْرَ
وَأَوْغَرَ ، وَنَقَلَ عَنِ التَّوَادُدِ إِلَى التَّضَادُّدِ ، وَعَنِ التَّدَانِي إِلَى التَّبَاعُدِ ، وَقَدْ أَشَارَ إِلَى
ذَلِكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ بِقَوْلِهِ مِنْ أَيْبَاتِهِ الْمُنْسُوبَةِ إِلَيْهِ :

فَرُبَّ كَلَامٍ يُمِضُّ الْحَشَا * وَفِيهِ مِنَ الضَّحْكَ مَا يُسْتَطَابُ

مَعَ مُرَاعَاةِ السَّلَامَةِ مِنَ الْمُدَاخَلَةِ الْمُنْطَوِيَّةِ عَلَى الْفِعْلِ ، وَالْمُرَاآةِ الْمَبْنِيَّةِ عَلَى الْمَكْرَبِ ،
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِقَابِلَةً عَلَى الْإِبْتِدَاءِ الْمِضُّ بِالْجَوَابِ الْمَرِيضِ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا لَا تُؤْمَنُ
عَاقِبَتُهُ ، وَلَا تَحْسُنُ عَائِدَتُهُ . قَالَ : وَيَكُونُ الْمُسْتَعْمَلُ فِي هَذَا الْفَنِّ مَا خَفَّ مَوْقِعُهُ ،
وَلَطْفَ مَوْضِعُهُ ، وَهَشَّ لَهُ سَامِعُهُ ، وَتَلَقَّاهُ الْوَارِدُ عَلَيْهِ مُسْتَحْلِيًا لِيَمَارِهِ ، مُسْتَدْعِيًا
لِأَنْظَارِهِ ، وَلَا يُعَدَّلُ بِهِ عَنِ سَمْتِ الصِّدْقِ ، وَطَرِيقِ الْحَقِّ ، وَمَذْهَبِ التَّحَرُّزِ مِنَ
الْمَدَّقِ ، وَيُقْتَصَرُ فِيهِ عَلَى النَّادِرَةِ الْمُسْتَظْرَفَةِ ، وَالنُّكْتَةِ الْمُسْتَظْرَفَةِ ، وَاللُّعْمَةِ الْمُسْتَحْسَنَةِ ،
وَالْفِقْرَةِ الْمُسْتَغْرَبَةِ ، دُونَ الْإِطَالَةِ الْمِئَلَّةِ ، وَلَا يَجْعَلُ الْمَرْحَ غَالِبًا عَلَى الْكَلَامِ ، مُدَاخِلًا
لِجَمِيعِ الْأَقْسَامِ : فَإِنَّ ذَلِكَ يُفْسِدُ مَعَانِيَ الْمَكَاتِبِ ، وَيُجِيلُ نِظَامَ الْمَخَاطَبِ ، وَيَضَعُ
مِنْ مَعْنَاهَا وَإِنْ كَانَ شَرِيفًا ، وَيُؤَخِّمُ لَفْظَهَا وَإِنْ كَانَ لَطِيفًا ، وَيَذْهَبُ بِجِدِّهَا
فِي مَذْهَبِ الْهَزْلِ وَيُمِيلُهُ عَنِ الْقَصْدِ ، وَإِلَى ذَلِكَ يُشِيرُ بَعْضُهُمْ بِقَوْلِهِ :

أَفِدْ طَبْعَكَ الْمَكْدُودَ بِالْحَدِّ رَاحَةً * بَلْهَوٍ وَعَلَّةُ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَرْحِ!

وَلَكِنْ إِذَا أُعْطِيَتْهُ الْمَرْحَ فَلْيَكُنْ * بِمِقْدَارِ مَا يُعْطَى الطَّعَامُ مِنَ الْمَلْحِ!

وَأَنْ يُقْتَصِدَ مَعَ ذَلِكَ . ثُمَّ قَالَ : وَيَنْبَغِي أَنْ يَقْصِدَ إِلَى اسْتِعْمَالِ الدَّعَابَةِ فِي الْمَوَاضِعِ
اللَّائِقَةِ بِهَا ، وَالْأَحْوَالِ الْمَشَابِهَةِ لَهَا ، وَلَا يُودِعَ بَابًا مِنَ الْأَبْوَابِ ، مَا لَا يَحْتَمِلُهُ
مِنْ الْخَطَابِ : فَإِنَّ الْقَصْدَ فِي هَذَا النَّوعِ مِنَ الْمَكَاتِبَاتِ إِنَّمَا هُوَ الْإِعْرَابُ عَنِ
الظَّرْفِ وَالْبَرَاعَةِ ، وَالْإِبَانَةِ عَنِ طَلَاقَةِ النَّفْسِ ، وَالْإِنْسِلَاخُ مِنْ تَعْبِيسِ الْقَدَامَةِ

والجَهَامَة ؛ ثم عَقَّبَ ذلك بأن قال : وَمَنْ وَقَفَ مِنْ ذَلِكَ عِنْدَ الْحَدِّ الْكَافِي ، وَلَزِمَ فِيهِ الْأَدَبَ اللَّائِقَ بِأَهْلِ التَّصَافِي ، دَلَّ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، وَشَهِدَ لِمُسْتَعْمَلِهِ بِإِحْرَازٍ مَا وَصَفْنَاهُ ؛ وَمَنْ تَعَدَّى ذَلِكَ عُدَّ مِنَ الْمُجُونِ وَالْمُلَاعِبَةِ ، وَحُسِبَ مِنْ رَذَالَةِ الطَّبَعِ وَنَذَالَةِ الْخَلِيمِ وَسَفَهَةِ اللِّسَانِ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَا تَلِيْقُ بِالْكَاتِبِينَ الْكِرَامِ ، الَّذِينَ هُمْ خِيَارُ الْأَنَامِ ، وَوَلَاةُ النَّقِضِ وَالْإِبْرَامِ . وَخَسَمَ ذَلِكَ بِأَنْ قَالَ : وَالْكَاتِبُ إِذَا كَانَ مَهِيًّا طَبَعًا لِلْإِنطِبَاعِ بِرِسُومِ الصَّنَاعَةِ وَمُنَاسِبَةِ أَوْضَاعِهَا ، أَغْنَاهُ الْوُقُوفُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ الْمُجَمَّلِ فِي اسْتِعْمَالِ مَا يَقَعُ فِي هَذَا الْبَابِ عَنْ تَمَثِيلِ مَفْصَلٍ . وَلَمْ يَذْكَرْ لَهُ مِثَالًا .

ابن أبي الخصال :

سَيِّدِي وَوَاوَحِدِي الَّذِي أَجَمَّلَ ذِكْرَهُ ، وَأَوَالِي شُكْرِهِ ، لَا زَالَ مَغْنَاكَ رَحِيْبًا ، وَزَمَانُكَ خَصِيْبًا ، وَلَا زِلْتَ تَأْخُذُ لِأَنْحْرَاكِ نَصِيْبًا ، عَبْدُكَ فَلَانَ مُؤَدِّيَهَا يَنْتَجِعُ الْكِرَامَ ، وَيُبَارِي فِي جَرِيهَا الْأَيَّامَ : فَتَارَةَ يَجْمَعُ ، وَأُخْرَى يَفْرَقُ ، وَطُورًا يُغْرِبُ ، وَطُورًا يُشْرِقُ ، وَأُمَّ الْحَضْرَةَ - وَصَلَّ اللَّهُ حِرَاسَتَهَا ، وَأَدَامَ بِهَيْجَتِهَا وَنَفَاسَتَهَا - وَالْمُلُوكَ بِهَا غَضُّ الشَّبَابِ ، أَخْضَرُ الْجُلُبَابِ ، وَإِحْسَانُكَ إِحْسَانُكَ ، وَمَكَانُكَ مِنَ الْمَرْوَةِ مَكَانُكَ ، فَأَوْسَعَهُ قِرَى ، وَأَمْلَأَ عَيْنِيهِ عَلَى الشَّبَعِ كَرِي ، أَسْتَفِيرُ اللَّهَ ، بَلْ أُمَجِّدُهُ تَيْبًا وَعَلْفًا ، وَأَرْكِبُهُ حَزْنَا مِنَ الْأَرْضِ ظَلْفًا ، وَدُونَكَ لَمْ يَقْلَبْ أَرْضَهُ بَيْطَارًا ، وَلَا لِحْنَابِيَّةَ بِهِ جَبَّارًا ، وَجَرَحَهُ جَبَّارًا ، وَعِنْدَهُ كَمَا عَلِمْتَ دَعَاءُ مُبَاحٍ ، وَتَشَاءُ فِي الشُّكْرِ وَصَبَاحٍ ، وَالسَّلَامِ .

(١) الظلف بالتحريك ما غلظ من الارض فلم يؤد [أى لم يظهر] أثرًا . انظر اللسان ج ١١

من كلام المتأخرين :

كتب بعضهم إلى كمال الدين بن الأثير ، وقد جاء إليه في بستانه فلم يجده
ولا وجد من أنصفه .

حضر المملوك البستان ، مستدنياً قطوف الإنعام والإحسان ، وأستمطر سحاب
فضله ، وهز إليه بجذع نخله ؛ فلم تتساقط عليه رطباً جنياً ، فعلم أنه قد جاء شيئاً
قريباً ؛ فثبتت نفسه مع تصاعد الأنفاس ، والطمع ينشده :

* مافي وقوفك ساعة من بأس *

فانطلق حتى أتى القرية مستطعياً أهلها فأبوا أن يضيفوه ، مستعطفاً حاشيته الرقيقة
فأبوا حاشيته أن يستعطفوه ؛ وقال كلٌ منهم : تطالب بالقرى كما تطالب بدنياك !
أرجع حيث شئت هذا فراق بني وبينك ! وعلم أنه لو أقام بها جداراً لما أُعطى
عليه أجراً ؛ ولو حاول قرى لسمع من التوبيخ ما لم يستطع عليه صبراً ؛ فرجع بحفى
حين ؛ بعد مشاق جرعت كاسات الحين ؛ فأين هذه المعاملة مما شيعه عنه من
كريم الخلال ، وكيف تشكو نقص حظ وله كمال الإحسان وإحسان الكمال .

الأجوبة عن رِقَاع المداعبة

قال في "مواد البيان" : ينبغي للجب عن المداعبة أن يشتق من نفس الأبتداء
جواباً مناسباً لها ، وأن يبينه متى أحب الأخذ بالفضل على المسامحة ، وأطراح
المنافسة ، والإغضاء عما يُمض إبقاءً على المودة ، وتحسيناً لقبح الصديق ، وتعوداً
لعادة الحلم والإحتمال ؛ وأن يذهب في الجواب مذهب الاختصار ؛ وإيراد النكت
الرائدة كما في الأبتداء ، على ما تقدم .

(١) كذا في النسخ وهو على لغة يتعابون بكم ملائكة .

الفصل الثامن^(١)

(في إخفاء ما في الكُتُب من السَّرِّ)

وهو مما تَمَسُّ الحاجةُ إليه عند اعتراض معترض من عدو ونحوه يُحوَّلُ بين المكتوبِ عنه والمكتوبِ إليه : من ملكين أو غيرهما حيث لم تُفدِ المَلَطَّفَاتُ لضرر الرِّصْدِ وزيادة الفَحْصِ عن الكُتُبِ الواردةِ من الجانبين ، وهو على نوعين :

النوع الأول

(ما يتعلقُ بالكتابة ، وهو على ضربين)

الضرب الأول

(ما يتعلقُ بالمكتوبِ به)

وذلك بأن يُكْتَبَ بشيء لا يظهر في الحال ، فإذا وصل إلى المكتوبِ إليه فعل فيه فعلا يكونُ مقررا بين المتكاتبين من إلقاء شيء على الكتابة ، أو مسح شيء ، أو عرضُه على النار ونحو ذلك .

وقد ذكروا لذلك طُرُقًا :

منها - أن يُكْتَبَ في الورق بلبنٍ حليبي قد خُلط به نَوْشَادِرٍ فإنه لا تُرى فيه صورةُ الكتابة ، فإذا قُرِبَ من النار ظهرت الكتابة .

ومنها - أن يُكْتَبَ في الورق أيضا بماءِ البَصَلِ المعتصر منه فلا تُرى الكتابةُ فإذا قُرِبَ من النار أيضا ظهرت الكتابة .

(١) أي من الباب الثاني من المقالة الرابعة وهو آخر فصولها فهي ثمانية لاسنة وتقدم في ج ٦ ص ٣٦٥ أنها ستة موافقة للأصول فتنبه .

ومنها - انه يكتب فيما أراد من ورق او غيره بماء قد خلط فيه زاج، فلا تظهر الكتابة، فإذا مسح بماء قد خلط فيه العفص المدقوق، ظهرت الكتابة .

ومنها - أن يكتب في الورق غير المنشئ بالشب المحلول بماء المطر؛ ثم يلقه في الماء أو يمسحه به، فإنه إذا جف ظهرت فيه الكتابة .

ومنها - أن يكتب بمرارة السلحفاة فإن الكتابة بها ترى في الليل ولا ترى في النهار .

ومنها - أن تأخذ الليمون الأسود وعروق الحنظل المقلوة بزيت الزيتون جزأين متساويين وتسحقهما ناعماً، ثم تضيف إليهما دهن صفار البيض وتكتب به على جسد من شئت، فإنه ينبت الشعر مكان الكتابة، وهو من الأسرار العجيبة؛ فإذا أريد إرسال شخص بكتاب إلى مكان بعيد، فعمل به ذلك، فإنه إذا نبت الشعر قرئت الكتابة .

الضرب الثاني

(ما يتعلق بالخط المكتوب)

بأن تكون الكتابة بقلم أصطلح عليه المرسل والمرسل إليه لا يعرفه غيرهما ممن لعله يقف عليه، ويسمى التعمية، وأهل زماننا يعبرون عنه بحل المترجم، وفيه نظر: فإن الترجمة عبارة عن كشف المعنى، ومنه سُمي المعبر لغيره عن لغة لا يعرفها بلغة يعرفها بالترجمان؛ وإليه ينحل لفظ الحل أيضاً؛ إذ المراد من الحل إزالة العقدة فيصير المراد بحل المترجم ترجمة المترجم أو حل الحل، ولو عبر عنه بكشف المعنى لكان أوفق للغرض المطلوب .

ثم مبنى ذلك على قاعدتين :

القاعدة الأولى - كيفية التعمية .

اعلم أن التعمية بالنسبة إلى كل واحد من الناس باعتبار ما يجهره من الخطوط ، فيعمى على العربى في اللغة العربية بالخطوط غير العربية ، كالرومية والبرانية ونحوهما ، إذا كانت حروف تلك اللغة توافق لغة العرب ، أو بقلم مصطلح عليه على وفق حروف العربية ، وكذلك يعمى على غير العربى من الرومى ونحوه ممن يجهر الخط العربى بالقلم العربى ، وعلى ذلك .

ثم للناس في التعمية مذهبان :

المذهب الأول - أن يكتب بالأقلام القديمة التي ليست بمتداولة بين الناس مما لا يعرفه إلا الآحاد ، إذا وافق ذلك القلم اللغة التي تريد الكتابة [بها] .

وقد ذكر ابن الدريهم أن أقل اللغات المغل وهو سبعة عشر حرفاً ، وأطولها الأرمينية ، وهو ستة وثلاثون^(١) حرفاً . ثم قال : والتركي عشرون^(٢) حرفاً ، وكذلك الفارسية إلا أن في الفارسية ثلاثة أحرف ليست في التركي ، وهي الهاء والفاء والداأل . وفي التركي ثلاثة ليست في الفارسية : وهي الصاد والطاء المهملتان والقاف ، والبرانية والسريانية اثنتان وعشرون حرفاً [من أول أبجد إلى آخر قرشت . واليونانية والرومية القديمة أربعة وعشرون^(٣) حرفاً] ولهم قلم آخر ثلاثون حرفاً ، والقبطى اثنتان وثلاثون حرفاً ، وذكر أن جميع الأقلام مقطعة الحروف على اصطلاح أبجد ، خلا العربى والمغلى

(١) في هذا الحصر مخالفة لما تقدم في ج ٣ ص ١٩ من هذا المؤلف فراجعته وحر .

(٢) قد تقدم أنه من أربعة وعشرين إلى ستة وعشرين حرفاً فتنبه .

(٣) زائد في بعض النسخ .

والسرياني فإن حروفها تُوصَل وتُقطَع، وقطع السرياني كالعربي، وأقلام المتقدمين المقررة: كالرومي والفرنجي وغيرهما معلومةٌ لاحاجة إلى التمثيل بشيء منها.

المذهب الثاني - أن يَصْطَلِحَ الإنسانُ مع نفسه على قلم يتكره وحروف يُصَوِّرُهَا، وقد ذكر ابن الدريهم أن الناس اختلفت مقاصدُهم في ذلك:

فمنهم - من يَصْطَلِحُ على إبدال حرفٍ معينٍ بحرفٍ آخرٍ معينٍ حيث وقع في القلم المعروف بالْقَمِي، وهو أنهم جعلوا مكان كل حرف من حروف العربية حرفاً آخر من حروفها، فجعلوا الكاف سيمًا وبالعكس، والألف واوًا وبالعكس، والدال المهملة راءً مهملةً وبالعكس، والسين المهملة عينا مهملةً وبالعكس، والفاء ياءً مشناةً تحتيةً وبالعكس، فيكتب محمد «كطكر» وعلى «سفف» ومسعود «كفسار» وعلى ذلك، وقد نظم بعضهم ذلك في بيتٍ واحد ذكر فيه كل حرف تلو ما يُبدَلُ به، وهو:

كَمْ أَوْ حِطِّ صِلَا لَهُ دَرَّ سَعٌ - فِي زُرْ خَيْشِ غَضِّ مَجِّ تَدَفَّقِ

قال: ومنهم - من يعكس حروف الكلمة فيكتب محمد «دمم» وعلى «يلع».

ومنهم - من يُبدِلُ الحرفَ الأولَ من الكلمة بناييه مطلقاً في سائر الكلام فيكتب محمد أخو على «حمدم حا عويل» إلى غير ذلك من التميزات.

ومنهم - من يُبدِلُ الحروفَ بأعدادها في الجمل، فيكتب محمد أربعون، وثمانية، وأربعون، وأربعة، وتعمل التعمية صفةً محاسبةً.

ومنهم - من يكتب عوض عدد الحرف حروفاً وهو أبلغ في التعمية، فيكتب محمد «لى بو لى اج» لأن اللام والياء بأربعين وهى عدد ماليم الأولى، والباء

والواو بثمانية وهي عدد ما للحاء، واللام والياء أيضا بأربعين وهي عدد ما للميم الثانية، والألف والجم بأربعة وهي عدد ما للدال، فكأنه قال: م ح م د . وإن شاء أتى بغير هذه الحروف مما يتضمن هذه الأعداد .

ومنهم - من يجعل لكل حرف اسم رجل أو غيره .

ومنهم - من يضع الحروف على منازل القمر الثمانية والعشرين على ترتيبها على حروف أبجد : فيجعل الألف للشربين ، والباء للبطين ، والجم للثريا ، وهكذا إلى آخرها ، فيكون بطن الحوت للعين من ضغط . وربما أصطلح على الترتيب على أسماء البلدان أو الفواكه أو الأشجار أو غير ذلك ، أو صور الطير وغيره من الحيوانات ، إلى غير ذلك من ضروب التعمي التي لا يأخذها حصر . وأكثر أهل هذا الفن على أن يرسم الحروف أشكالا يختارها قلمه مقطعة على ترتيب حروف المعجم . والطريق في ذلك أن يثبت حروف المعجم ثم يرتب تحت كل واحد شكلا لا يماثل الآخر ، فكلما جاءه في اللفظ ذلك الحرف كتبه بحيث لا يقع عليه غلط ، ثم يفصل بين كل كلمتين : إما بنقط أو ببياض أو دائرة أو غير ذلك ، وأكثر المتقدمين يجعلون الحرف المشدد بحرفين ، والمتأخرون يجعلونه حرفا واحدا ، وهذه صور حروف مترجم كان قد وصل إلى الأبواب السلطانية من مناصحين في بغداد يقاس عليه

ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص
ه	ظ	لا	س	م	عد	#	نه	مجام	ر	طه	ع	هو	
ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	لاي
د	د	د	د	٢	٤	٥	سجد	سى	لا	د	له	ه	نجم

القاعدة الثانية - حلّ المعنى، وهو مقصودُ الباب ونتيجته .

ويحتاج المتصدّي لذلك مع جوده الحدس وذكاء الفطرة أن يعرف اللغة التي يروم حلّ مترجمها مما وقع به التعمية فيها، ومقدار عدد حروفها، ولا خفاء في أن حروف العربية ثمانية وعشرون حرفاً، ويجب أن يعرف الحروف التي تدخل كل لغة والحروف الممتنعة الوقوع فيها كما تقدم .

ثم المعول عليه، والمنصب القول إليه، فيما هو متعارف في هذه المملكة لغة العرب التي [هي] أشرف اللغات وأبدخها .

والناظر في حلّ مترجمها يحتاج إلى أصلين :

الأصل الأول - معرفة الأُس الذي يترتب عليه الحلّ، والذي تمس إليه الحاجة من ذلك سبعة أمور :

أحدها - أن يعرف مقادير الحروف التي تتركب منها الكلمة .

وَأَعْلَمُ أَنَّ كَلَامَ الْعَرَبِ مِنْهُ مَا يُبْنَى عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ مِثْلَ «ق» مِنَ الْأَمْرِ بِالْوِقَايَةِ، وَ«ع» مِنَ الْأَمْرِ بِالْوَعْيِ؛ وَمِنْهُ مَا يُبْنَى عَلَى حَرْفَيْنِ مِنَ الْأَفْعَالِ مِثْلَ «قُمْ» فِي الْأَمْرِ بِالْقِيَامِ، وَ«كُلْ» فِي الْأَمْرِ بِالْأَكْلِ؛ وَمِنَ الْحُرُوفِ نَحْوُ: مِنْ فِي رَبِّ هَلْ بَلْ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ؛ وَمِنَ الْأَسْمَاءِ لِجِنْيَةِ نَحْوُ: ذِي نَدَا مَنْ كَرَّمَ؛ وَمِنَ الضَّمِيرِ مَعَ حُرُوفِ الْجَزْأِ نَحْوُ: بِكَ لَهُ؛ وَمِنْهُ مَا يُبْنَى عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرَافٍ وَأَرْبَعَةٍ وَنَحْمَسِيَّةٍ فِي الْحُرُوفِ وَالْأَفْعَالِ وَالْأَسْمَاءِ، ثُمَّ تَدْخُلُ فِيهِ أَحْرَافُ الزِّيَادَةِ الْعَشْرَةَ، وَهِيَ «هَوَيْتَ السَّمَانَ» وَثَلَاثَةُ أَحْرَافِ الْأَنْحَاءِ وَهِيَ الْفَاءُ وَبَاءُ الْجَزْأِ وَكَافُ التَّشْبِيهِ

وكأف الخطاب إلى أن تبلغ الكلمة على أصطلاح الكتاب [أربعة] عشر حرفاً ،
كقولك مخاطباً لرجلين [أنشأ] جُنِينَةً : أَفَلِمُسْتَرْهَاتِكَا أَعَدْتُمَاهَا .

قال ابن الدريهم : وليس في كلام العرب كلمة رُبَاعِيَّةُ الأَصْلِ أو نُحَاسِيَّةُ الأَصْلِ
ليس فيها حرف من الحُرُوفِ الذَّلَقِيَّةِ كاللام والنون والواو، والشَفَوِيَّةِ كالفاء والميم
والباء إلا ما شُدَّ مثل «عَسَجَد» من أسماء الذهب .

قال : ونهاية الأسماء العربية قبل الزيادة خمسة ، وشُدَّ (١) مثل عَنَدَلِيْبٍ ، والأفعال
قبل الزيادة أربعة ، وليس في القرآن كلمة نُحَاسِيَّةُ الأَصْلِ سوى الأسماء الأَعْجَمِيَّةِ
مثل إبراهيم ، ولا يمكن أن يتكرر حرف [في] كلمة واحدة أكثر من خمسة كقول القائل
مارأينا [كُكَّا كُكَّا كُكُّم] جمع كُكَّة وهو المركب الكبير مثل عُكَّة وعُكَّك ،
وأربع كافات في قولك وَكَكُفِكِ .

الثاني - أن يعرف الحروف التي لا يُقَارَبُ بعضها بعضاً بمعنى أنها لا تجتمع
في كلمة واحدة .

وَأَعْلَمُ أَنَّ فِي الأَحْرَفِ مَا لا يُقَارَبُ بَعْضُهُ بَعْضاً مَطْلَقاً بِتَقْدِيمٍ وَلا تَأْخِيرٍ كَالثَّاءِ
الْمُنْتَهَةِ ، فَإِنَّهَا لا تُقَارَبُ الذَّالَ الْمُعْجَمَةَ وَالزَّايَ الْمُعْجَمَةَ وَالسِّينَ وَالضَّادَ الْمُهْمَلَتَيْنِ
وَالضَّادَ الْمُعْجَمَةَ ، وَكَذَلِكَ الْجِيمُ لا تُقَارَبُ الطَّاءَ الْمُهْمَلَةَ وَلا الطَّاءَ الْمُعْجَمَةَ وَلا الْغَيْنَ

(١) بيض له في الاصول وقد صححناه من المقام ، ولكن لم نعر على هذا البناء في كتب اللغة ولعله
عامي تأمل .

(٢) بياض في الاصل .

المعجمة ولا القاف ولا الكاف، وما وقع من ذلك في الكلام نحو: نُفَجَّةٌ وَبِرَجَقٍ
 وَجُرْمُوقٍ وَجَوَلَقٍ وَجُلَاهِقٍ وَمَنْجَنِيْقٍ وَجَوُوْقَةٌ وَجَوَسَقٍ وَصَنَّجَقٍ وَسَنَّجَقٍ وَجَرْدَقٍ
 ونحو ذلك فليست عربية: لأنه لا يجتمع في كلام العرب جيم وقاف في كلمة
 واحدة؛ وكذلك الدال المهملة لا تقارن الظاء المعجمة والذال المعجمة لا تقارن
 الزاي المعجمة والصاد والضاد والطاء والظاء، وما وقع في الكلام من ذلك فليس
 عربي، مثل طبرزد فارسي والزُّطُّ نبطي، ولا تقارن السين المهملة الصاد المهملة
 والضاد المعجمة والطاء المعجمة؛ ولا تقارن الصاد المهملة الضاد المعجمة ولا الظاء
 المعجمة؛ ولا تقارن الضاد المعجمة الشين والطاء المعجمتين؛ ولا تقارن الطاء
 المهملة الظاء المعجمة؛ ولا تقارن القاف الغين المعجمة ولا الكاف في كلمة أصلية،
 وشَدَّ نَفَقِ الْغُرَابِ وَنَاقَةَ نَفِيْقٍ؛ ولا تقارن الكاف الخاء المعجمة في كلمة أصلية،
 ولا تقارن الميم الباء الموحدة والفاء في كلمة أصلية إلا في فَمٍ وَأَصْلُهُ فَوَهُ، وأما بِمٍ
 لأحد أوتار العود فليس عربي؛ والحروف الحلقية لا يُقَارَنُ بِعَضُهَا بَعْضًا خَلَا الْهَاءَ
 فَإِنَّهَا تَعْقِبُهَا زَائِدَةٌ، كهاء الضمير وهاء التانيث، وتعقب العين أصلية كالعهد والعهر
 وعهر؛ وليس في كلمة أصلية حرفان حلقيان سوى ما تقدم من الهاء، وقد تعقب
 بواسطة كغيب وعبر؛ أما حَيْهَلٌ فمركبة، ولا يجتمع حرفان من هذه الخمسة:
 وهى الهاء والطاء المهملة (؟) والعين والغين والحاء المعجمة في أول كلمة سوى ما ذكر،
 ولا في أثناء الكلمة إلا الهاء مع الين كهَلَعٌ والهاء مع الغين كَأَهْيَغٌ، والحاء مع الغين
 كَأَخْيَغٌ، والهاء مع الخاء المعجمة في كلمة واحدة وهى هَيْيَخَةٌ؛ ولا تجتمع الهاء

(١) في الأصول العين المهملة وهو غير مستقيم. وفي كتب اللغة ناقة نفيق «أى باعجام الغين» إذا كانت

تبغ مرة بعد مرة.

(٢) لم توجد في كتب اللغة التي بأيدينا.

الأصلية مع الخاء المعجمة ، ولا الخاء المهملة والعين المهملة إلا أن تكون مركبة مثل هر قصع (؟) والحيعة .

الثالث - أن يعرف الحروف التي لا تُقارن بعض الحروف في الكلمات إلا قليلا ، كقارنة السين المهملة للسين المعجمة في شسع والسين مع الزاي كشرز والراء مع اللام كورل .

[وأعلم] أن الحرف الواحد يتكرر في الكلمة الواحدة كثيرا مثل دَهْدَه وتَهْتَه ونَهْنَه وحَصْحَص وحبَّحَب وحمَّحَم وجلَّجَل وخالخال وشَعْشَعَة وزَعَزَع ودَغْدَغ وبَغْبَغ ونَفَع ونَفَعَس وزَعَزَع وغَوَّغَاء وضَحْضاح وخَوَّخ وما أشبه ذلك .

الرابع - أن يعرف ما يجوز تقديمه على غيره من الحروف وما يمتنع ، فالثاء لا تتقدم السين المعجمة ، والذال المهملة لا تتقدم على زاي ولا صادٍ مهملة ولا طاءٍ مهملة بدليل أنهم لما عربوا مَهْنِدز ، أبدلوا الزاي سينا فقالوا مَهْنِدس وهَنْدسة ، والذال المعجمة لا تتقدم الجيم ولا السين المهملة ولا السين المعجمة ولا العين المهملة ، ومن هنا لما عربوا الفألودج من الفارسي قالوا فالوْدَج ، والسين المعجمة لا تتقدمها الزاي المعجمة ولا السين المهملة ولا الصاد المهملة ، والطاء المهملة لا تتقدم الكاف في كلمة أصلية ، والسين المهملة لا تتقدم على الدال المهملة إلا قليلا كسَدَاب^(٢) ، والذال المعجمة لا تتقدم على الدال المهملة إلا قليلا كقولك في الأمر دُدِ الغنم .

(١) في الأصل "على نون" وهو غير مستقيم كما لا يخفى .

(٢) أورده القاموس بالذال المعجمة وتكلم عليه شارحه ثم قال ويوجد في بعض كتب النبات بالذال المهملة .

الخامس - أن يعرف ما لا يقع في أول الكلمات من الحروف كالجيم لا تقع بعدها التاء المثناة فوق ولا الصاد المهملة ولا الضاد المعجمة ولا الغين المعجمة؛ أما الخِصُّ فمعرَّب .

السادس - أن يعرف أنه لا يتكرر حرفٌ في أول كلمة إلا من هذه العشرة الأحرف وهي: الكاف واللام والميم والنون والتاء المثناة فوق والألف والباء الموحدة والواو والقاف والياء المثناة تحت ويجمعها قولك « كلٌّ من تاب وقي » وأقلها وقوعاً كذلك الياء .

السابع - أن يعرف أكثر الحروف دورانا في اللغة، ثم الذي يليه من الحروف في الكثرة إلى أقلها دورانا .

وَأَعْلَمُ أَنَّ كَلَامَ الْعَرَبِ أَكْثَرُ مَا يَقَعُ فِيهِ عَلَى مَا دَلَّ عَلَيْهِ اسْتِقْرَاءُ الْقُرَّاءِ الْكَرِيمِ الْأَلْفُ ثُمَّ اللَّامُ ثُمَّ الْمِيمُ ثُمَّ الْيَاءُ الْمُنْتَاةُ تَحْتُ ثُمَّ الْوَاوُ ثُمَّ النَّوْنُ ثُمَّ الْهَاءُ ثُمَّ الرَّاءُ الْمَهْمَلَةُ ثُمَّ الْفَاءُ ثُمَّ الْقَافُ ثُمَّ الدَّالُ الْمَهْمَلَةُ ثُمَّ الذَّالُ الْمَعْجَمَةُ ثُمَّ اللَّامُ الْفُ الْمُحْمَلَةُ ثُمَّ الْحَاءُ الْمَهْمَلَةُ ثُمَّ الْجِيمُ ثُمَّ الصَّادُ الْمَهْمَلَةُ ثُمَّ الْحَاءُ الْمَعْجَمَةُ ثُمَّ الشَّيْنُ الْمَعْجَمَةُ ثُمَّ الضَّادُ الْمَعْجَمَةُ ثُمَّ الزَّايُ الْمَعْجَمَةُ ثُمَّ التَّاءُ الْمُنْتَاةُ ثُمَّ الطَّاءُ الْمَهْمَلَةُ ثُمَّ الْغَيْنُ الْمَعْجَمَةُ ثُمَّ الظَّاءُ الْمَعْجَمَةُ؛ وَقَدْ جَمَعَ بَعْضُهُمْ أَحْرَفَ الْكَثْرَةِ فِي قَوْلِهِ (اليمونه) وَبَعْضُهُمْ يَجْمَعُهَا فِي قَوْلِهِ (اليوم دن) وَجَمَعَ الْحُرُوفَ الْمَتَوَسِّطَةَ فِي قَوْلِهِ (رغفت بكدس نفتح)^(١) وَجَمَعَ أَحْرَفَ الْقَلَّةِ فِي قَوْلِهِ (طظغ صخذز قش) .

(١) تأمل هذا المثال وما بعده وحررها .

قال ابن الدريهم : وقد يقع في لفظ غير القرآن على خلاف ذلك كما يتعمدون الظم والنثر بغير ألف أو بغير نقط أو بغير عاطل الحروف أو ألفاظ قليلة ، وقد يكون الكلام ألفاظا قلائل لا تستوعب الحروف .

الأصل الثاني - كيفية التوصل بالحدس إلى حل المترجم :

قال ابن الدريهم : إذا أردت حل ما ترجم لك ، فأبدأ أولاً بعدد الحروف ، وكم تكرر كل شكل منها مرة فأنبته أولاً فأولاً . قال : وأول ما استخراج الفاصلة إن كان الذي عمى قد بالغ في التعمية ، يعني بإخفاء الفاصلة في ضمن الحروف ، وذلك أنك تأخذ حرفاً فتظن أن الفاصلة تكون الثاني فتجربه على ما تقر من الكلمات من المقادير على ما تقدم ، فإن وافق وإلا أخذت الثالث ، فإن وافق وإلا الرابع وهكذا حتى يصح لك انفصال الكلمات ، ثم تنظر أكثر الحروف دورانا في الكلام فتقاربه من الترتيب المتقدم في أكثر الحروف دورانا على ما تقدم ، فإذا رأيت حرفاً قد وقع في الكلام أكثر من سائر الحروف فتظن أنه الألف ، ثم الأكثر وقوعاً بعده فتظن أنه اللام ، ويؤيد صحة ظنك أن اللام يدار في أكثر استعمالاته تابعاً للألف ، ثم تنظر إن كان في الكلام حرف مفرد فتظن أنه اللام ألف ، ثم أول ما تلفق من الكلام الثنائية بتقريب حروفها حتى يصح معك شيء منها فتنظر أشكالها وترتيبها عليها ، وتجرى الكلام في الثلاثيات حتى يصح معك شيء منها فترقم نظائرها ، ثم تجرى الكلام في الرباعيات والخماسيات على الوزن المتقدم ، وكل ما أشبهه فأحتمل احتمالين أو ثلاثة أو أكثر تثبته إلى حين يتعين من كلمة أخرى ، فما أنتظم لك من ذلك

فيجد قد تكرر معه هذا الشكل ه أ كثر من كل الأشكال بكثير، فيعلم أنه الألف
 فيرقم عليه في مواضعه، ثم المكرر بعده أ كثر من باقي الأشكال هذا الشكل 3
 فيظن أنه اللام ويحقق ظنه كونه تابعا للألف في سبعة مواضع من الكلام؛ ثم ينظر
 فيجد فيه حرفا واحدا كلمة فيظن أنها اللام ألف؛ ثم يجد الكلمة الثالثة ثنائية
 ثانيها اللام ألف فيمكن أن تكون إحدى هذه: بلا تلا جلا حلا خلا سلا علا
 تلا فلا كلا هلا ولا؛ ثم يجد هذا الشكل د الذي مع اللام ألف قد ورد
 مكررا في أول كلمة أمتنع أن يكون جيا أو حاء أو خاء أو سينا أو عينا أو غينا
 أو هاء فلم يبق معنا سوى بلا تلا فلا كلا ولا؛ ثم يجد الكلمة الخامسة ثنائية
 ثانيها ألف فيمكن أن تكون إحدى هذه با جا دا ذا سا شا ضا فا نا يا،
 ثم يترجح أنها ما أو يا لأن هذا الشكل ٤ قد تكرر أكثر من باقي الحروف
 فيكون إما الميم أو الياء وإن قاربهما النون لكن ما ويا أكثر وقعا في الكلام
 من نا فإنها غريبة الوقوع، ثم رأينا هذا الشكل المتقدم قد تلا الشكل الذي مع
 اللام ألف الذي ظننا أنه أحد هذه ه ب ت ف ك وفي الكلمة الثلاثية
 الكرر أولها ٥ ٦ ٧ فخرنا الحروف مع الميم فظهر منها لفظه
 «ففى» لاغير؛ ثم نظرنا هذا الحرف ٨ فوجدناه وقع في أربعة مواضع في الكلام
 لاغير، فقلنا إنه الفاء: لأن الياء بنسبة هذا الكلام تقع أكثر من ذلك غالبا، فصحح
 معنا أن الكلمة الثالثة «فلا» والكلمة الخامسة «يا» والحرف المفرد «لا»
 والكلمة الخامسة منه هي رايد ذلك أننا وجدنا الكلمة الحادية عشرة قد تكرر
 [فيها] بعد الألف واللام حرفان تلاهما ألف بعده حرف آخر، ولا يمكن أن يتكرر
 حرف في مثل هذا المكان سوى الميم إذا جربته على جميع الحروف، فقلنا: المئات

المَمَّاح المَمَّار المَمَّاس المَمَّاع؛ ورأينا هذا الشكل **ت** الذي هو آخر الكلمة قد تكرر أكثر من باقي الحروف بعد الألف واللام والباء، فبقى أن تكون هذه ر س ت ع لأن الميم قد صح معنا ولم يكن النون فعلمنا على الميم في مواضعه؛ ونظرنا فرأينا هذا الشكل **ت** أول الكلمة الرابعة الثلاثية وقد صح ثانياً اللام وثالثها الميم بخرَّبناها على هذه الحروف فسقطت الراء وبقى أحد هذه: سلم تلم علم؛ ثم نظرنا الكلمة المجارية للممات الممَّاع الممَّاس، فرأينا قبل الألف واللام حرفاً يكون أحد هذه ب ل و: لأن الفاء علمناها؛ ونظرنا هذا الحرف **م** قد تبع الألف واللام قبل الباء، ووجدناه بين البين في كلمة ثلاثية تكون إحدى هذه أبا إذا أسا أنا، بخرَّبنا الكلمة على الباء والذال والسين والنون على أن يكون الحرف الآخر السين فلم يتفق منه لفظ فسقط «سلم» ثم بخرَّبناها على أن تكون العين فحصل منه بعد الحرف الأول البياع؛ ثم على أن تكون تاء فحصل منه الثبات السيات فسقط وبقى أبا أسا أنا؛ ثم نظرنا الكلمة السابعة وهي ثلاثية أولها اللام وثانيها هذا الحرف **م** الذي قبل الباء وثالثها هذا **ت** الدائرين العين والتاء قلنا يقوم منها «لست» وسقط الباء والنون، وإنما لم يقم منه «كسع» لأنه لما سقطت الباء سقطت العين من البياع، فصح أن تلك «السيئات» ونظيرها «الممات» والثلاثية «تلم» وسقط علم، فرقمنا على التاء في مواضعها وعلى السين في مواضعها، فصارت الثلاثية «أسا» فقد صح معنا من الكلمات: «فلا تلمُّ يا لستُ المماتِ لا أسا ففى» وبقى الحرف الذى قبل السيئات؛ ثم نظرنا الكلمة المباشرة الثلاثية فيها ت ي بخرَّبناها على الحروف فظهر منها «حتى» لايشارِكها شيء فعلمنا على الحاء في مواضعها؛ ثم نظرنا كلمة نحاسية قد بقى منها الحرف

الوسط، بخرّبناها على الحروف فقام من ذلك : « حَسَرَات حَسَكَات حَسَنَات »
 فعلمنا أنه حسنات : لأن هذا الشكل **هـ** تكرر أكثر من باقي الحروف بعد
 الألف واللام والياء والتاء، وقد صحّ الميم فأثبتنا النون في موضعها، ثم نظرنا هذا
 الشكل **ل** في أول كلمتين ثلاثيتين وقد صحّ من إحداهما ن ي ومن الأخرى
 ل ي، بخرّبنا الحرف فوجدناه إمّا عينا أو واوا، فيقوم منهما عنى على وبى ولى
 فتعين أن يكون عينا لقلّة الحرف عن مرتبة الواو، ثم نظرنا كلمة سباعية قد بقي
 منها حرف مجهول، بخرّبناها على الحروف فصحت «البيّان» لا يشاركها لفظة أخرى،
 وللحرف هذا الشكل **ح** الذى قبل السيئات فتعيّنت الباء في مواضعها، ثم نظرنا
 كلمة سداسية نالّها حرف مجهول، بخرّبناها فظهر منها «الكتاب»، ثم نظرنا كلمة
 نحاسية قبل التى قبل «هذه» قد بقي حرف الوسط [منها] مجهولا، بخرّبناها على الحروف
 فقام لمحيف لمندف لمصنف فتعيّنت «لمصنف» بسبب سياق الكلام بلفظ
 «الكتاب» ورقمنا على الصاد، ثم نظرنا الكلمة الأخيرة قد بقي منها رابعها مجهولا،
 بخرّبناها على الحروف فصحت «الموصل» وصحّت الكلمة التى بعد لست أنها «أسلو»
 فرقنا على الواو، ثم نظرنا الكلمة الأولى وهى ثنائية أوّلا ص بخرّبناها فصحت
 صد، وإنما كما أنحرناها لقلّة وقع حروفها، ثم علمنا على الدال فوجدنا كلمة ثنائية آخرها
 «د» بخرّبناها على باقي الحروف التى لم تظهر، فقام منها جد حد قد هد، ثم نظرنا
 كلمة ثلاثية فصح أوّلات وآخرها ل وسطها هذا الحرف **ث** الذى قبل الدال
 فى الثنائية، بخرّبناها على الجيم وانحاء والقاف والهاء. فسقطت الهاء وبقى ليجل
 تقل تخل، ونظرنا فرأينا سياق الكلام يدل على أن الكلمة قبل أسا «قد» والثلاثية
 «تقل» فانتظم الكلام «لا تقل قد أسا» ثم نظرنا الكلمة السادسة قد بقي منها

ثانيها مجهولا ، بخرّبناها على باقي الحروف فصحت « عدّولى » ، فرقمنا على الذال في مواضعه ؛ ثم نظرنا الكلمة الثلاثية التي بين « لمصنف » وبين « الكتاب » أولها هذا الشكل D وقد صح منها « ذا » فعلمنا أنها « هذا » ورقمنا على الهاء ؛ ثم نظرنا الكلمة الخماسية التي بين « ففى » وبين « منه » قد بقي رابعها ، بخرّبناها على باقي الحروف فصحت « الوجه » ؛ ثم نظرنا الكلمة السباعية التي قبل الأخيرة وقد بقي منها رابعها مجهولا ، بخرّبناها فظهر منها الدرّيبم ، فتكلم الحلّ وظهر الكلام :

صُدِّعَنِّي فَلَا تَلْمُ يَا عَدُّوْلِي * لَسْتُ أَسْأَلُوهُوَاهُ حَتَّى الْمَمَاتِ

لَا تُقَلِّ قَدْ أَسَا فِي الْوَجْهِ مِنْهُ * حَسَنَاتٌ يَذْهَبْنَ بِالسَّيِّئَاتِ

هذا البيان لمصنّف هذا الكتاب ، عليّ بن الدرّيبم الموصليّ .

وعلى مثل هذا المنوال يجرى الحلّ ؛ ثم أنظر إلى حروف هذا الكلام كيف جاءت أحداً وعشرين حرفاً ، ونقص منه ثمانية لم تُوجد فيه ، فإذا نظرت إلى ما قررت لك من ترتيب وقع الحروف كما جاءت في الكتاب العزيز ، رأيت الثمانية الناقصة هي آخر الترتيب سواء لم يختلط منها شيء بتقديم أو تأخير ، وهذا اتفاق ؛ لأنه قد يقع الحرف قريبا من رُتبته كما تقدم ؛ وكما تقدمت الياء على الميم في هذا الكلام ، والفاء على الميم والنون ، وتقدمت الهاء على الميم أيضا ؛ لكن الأصل معرفة وقع الحروف بالتقريب وتجربة الكلمات ، ومقاربه ما دلّ عليه سياق الكلام .

ولنضرب مثالا آخر : لتتضح أنواع الحلّ .

من الجميع فلم يوافق : لأنه قد تقرر أن اللام تكون تابعة للألف في أكثر المواضع ولم نجده تبعه البتة ، بل وجدنا العكس فعلمنا أن هذا **لج** هو الألف وهذا **لج** هو اللام ، ورقمنا عليهما في مواضعهما فإذا الكلمة الثانية الثلاثية فيها لامان ، بقي حرف آخرها مجهول ، فخرّبناها على الحروف فظهرت الهاء لا يمكن غيرها ، فعلمنا أنها « لله » ورقمنا على الهاء في مواضعها ، ثم وجدنا الكلمة الخماسية قد بقي رابعها مجهولا ، فخرّبناها فظهر الهما ألها الهما ، ووجدنا الحرف قد تكرر أكثر من كل الحروف بعد الألف واللام ، فظننا أنه الميم ، لكنه يحتمل أن يكون النون ، وسقط الباء والجيم فوجدناه في الثنائيات في كلمتين قبل الألف ، فعلمنا أنها « ما » فرقمنا على الميم في مواضعها ، ثم رأينا الميم قد تبعه في الثنائيات حرف يحتمل أن يكون مد مر مس مص مط مع من ، ورأينا الحرف كثير الوقوع ، وقد تكررت ثلاث لفظات ، فعلمنا أنها « من » ورقمنا على النون في مواضعه ، ثم رأينا هذا الشكل **لج** أكثر من غيره وهو قبل الألف واللام وفي أوائل الكلمات فقلنا إنه الواو ، ثم رأينا آخر كلمة قد بقي منها رابعها مجهولا ، فخرّبناها فظهر والبهم والتهم والجهم والدمم والسهم والشهم والفهم واليهم ، ثم وجدنا هذا الحرف **لج** الذي فيها قد جاء قبل حرف في الثنائيات وذلك أكثر ما وقع بعد الألف واللام والميم ، فيحتمل أن يكون الياء ، ووجدنا قد بقي من كلمة هذا الحرف فصحح أن يكون النون وأخرى أولى ، فعلمنا أنها الياء ، فخرّبنا الحرف معها ، فظهر بي ني ، ووجدنا كلمة خماسية هذا الحرف **لج** رابعها وبعد حرف آخر ، فخرّبناها على الياء والفاء فظهر اللبث اللبد اللبس اللبط اللبك اللفت اللفج اللفح اللفظ اللفة ، ثم وجدنا هذا الحرف الآخر **لج** أول كلمة بعده لامان وهاء ، فخرّبناها فظهر منها الحرف الثالث مجهولا ، فخرّبناها فظهر

التَّمَامُ الحَمَامُ الذَّمَامُ الشَّمَامُ الغَمَامُ الكَمَامُ ؛ فرأينا سياق الكلام يدلُّ على أنه «ظَلَّ الغَمَامُ» وتعينت تلك اللفظة والأخرى الفهم والثنايية، فرقمنا على الفاء؛ ثم رأينا الكلمة الثالثة الثلاثية ثانيها لامٍ وآخرها ياءٌ وبعدها «ما ألهمًا» فدل سياق الكلام على أنها «على» فرقمنا على العين، فرأينا الرابعة التي بعد «وآله» قد بقي ثالثها مجهولا؛ بخرَّبناها فظهرت مَعَجَنٌ مَعِدِنٌ فتعين مَعِدِنٌ والثنايية التي بعدها؛ وقيل «علم كل» فرقمنا على الدال في مواضعه ورأينا الكلمة الأولى قد بقي وسطها مجهولا؛ بخرَّبناها وظهرت الحمد الحمد الصمد، فدلَّ سياق الكلام أنها الحمد ؛ لأن بعدها «لله على ما ألهمًا» فرقمنا على الحاء في مواضعها ورأينا الثالث من الرابعة التي بين على وظلَّه، بخرَّبناها فظهرت «الذي» ورأينا الكلمة الخامسة التي بعد «محمد» قد بقي رابعها [مجهولا] ؛ بخرَّبناها فظهرت «الذي» فوجدنا على الحاء في مواضعها ورأينا قد بقي ثالثُ السُدَّاسِيَّةِ التي بعد «من» هذا الشكل وهو الثالثُ رُبَاعِيَّةٌ أولها الألف وثانيها فاءٍ وآخرها حاء، وثاني خماسيةً أولها واو وثالثها هاءٍ وخامسها هاء؛ فتعينت الضاد، فالأولى «الحيوان» والأخرى «الشمس» والأخرى «وصحبه» وتعينت الثنايية التي هي أول البيت الثماني بعد السطر الأول من البيت والتي تليها «صلاة» وتعين السين في السلام؛ فصار «ثم صلاة النبي صلى الله عليه وسلم» وكلما تمرن الإنسان في ذلك ظهر له أسرع بكثرة مباشرة، ثم نسين رابع السُدَّاسِيَّةِ التي بعد أفصح من أنه الضاد، وتعين بسياق الكلام أن بعد الضاد «من» فنطقنا على الفاء فرقمنا على القاف فرأينا مجاريا الثلاثية من رأس السطر في قوله «نطقنا على الحاء» وتعينت الكلمة التي قبل «من حاق» أنها «خير» فكملت الأبيات وظهر أنها :

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَلْهَمَنَا * مِنَ الصَّوَابِ وَعَلَى مَا عَلَّمَنَا
 ثُمَّ صَلَاةُ اللَّهِ وَالسَّلَامُ * عَلَى الَّذِي ظَلَّمَهُ الْغَنَامُ
 مَجْدِ النَّبِيِّ خَيْرٍ مِنْ مَنْ خَلَقَ * أَفْصَحَ مِنْ بِالضَّادِ فِي اللَّفْظِ نَطَقُ
 وَآلِهِ مَعْدِنِ كُلِّ عِلْمٍ * وَصَحْبِهِ أَوْلِيَ النَّهْيِ وَالْفَهْمِ

قلت : وما يلتحق بتعمية الخطِّ المتقدمة الذكر ما حكاه ابنُ شيثٍ في معالمِ
 الكتابة : أنَّ بعضَ الملوك أمر كاتبه أن يكتب عنه كتاباً إلى بعض أتباعه يُطمئنه
 فيه ليقبض عليه عند انتهازِ فرصةٍ له في ذلك ؛ وكان بين الكاتب والمكتوب إليه
 صداقةٌ فكتب الكاتب على ما أمر به من غير خروج عن شيءٍ من رسمه ، إلا أنه
 حين كتب في آخره « إن شاء الله تعالى » جعل على النون صورةً شدة ، فلما قرأه
 المكتوب إليه ، عرف أن ذلك لم يكن سُدًى من الكاتب فأخذ في التأويل والحدس
 فوقع في ذهنه أنه يُشير بذلك إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَتَمَرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾ .
 فأخذ حذره ، واحترز على نفسه ، وبلغ الملكَ احترازه على نفسه فاتهم الكاتب في أنه
 ألحق في الكتاب شيئاً نبه به على قصد الملك ، فأحضره وسأله عن ذلك ، وأمره
 بأن يكتب الكتاب على صورة ما كتب به من غير خروج عن شيءٍ منه ،
 فكتبه ولم يغير شيئاً من رسمه حتى إنه أثبت صورةً الشدة على النون ؛ فلما قرأه
 الملكُ ونظر إلى صورة الشدة أنكرها عليه ، وقال : ما الذي أردتَ بذلك ؟ قال :
 أردتَ قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَتَمَرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾ . فأعجب بذلك وعفا عنه
 لصدقه إياه .

النوع الثاني

(الرموز والإشارات التي لاتعلق لها بالخطّ والكتابة)

وهي التي يعبر عنها أهل المعاني والبيان بالإستعارة بالكناية « بالنون بعد الكاف » .
وقد يعبر عنها بالوحي والإشارة .

ومن غريب ما وقع في ذلك ما حكاه العسكرى في «الصناعتين» : أن رجلا من بني العنبر أسر في بني حنظلة ، وفهم عنهم أنهم يقصدون الغارة على قومه بني العنبر ، فقال لبني حنظلة : إن لي حاجة عند أهلي وأريد رسولا من قومكم أرسله فيها ، فأجابوه إلى ذلك بشرط أن يخاطبه في حاجته بحضورهم ، فأحضروا له رجلا في الليل وقد أوقدت العرب نيرانها ، فأقبل على الذي أتوه به وقال له : أتعقل ؟ قال : إني لعاقل . فقال : أنظر إلى السماء ونجومها ، فنظر ، ثم قال : أنظر إلى نيران العرب ، فنظر ، فقال له : ما أكثر ؟ نجوم السماء أو نيران العرب ؟ فقال : إن كلاً منها لكثير ، قال : إنك إذا لعاقل ، ثم دفع إليه حنظلة وصرة فيها رمل وصرة فيها شوك ، وقال أذهب إلى قومي فادفع إليهم هذه الحنظلة وهاتين الصرتين ، وقل لهم يعروا ناقتي الحمراء ، ويرحلوا جمل الأورق ، وسلوا أخي الأعور يُخبركم الخبر . فقال الحاضرون : ليس في هذا ما ينكر ، أذهب في حاجته ، فذهب إلى بني العنبر ودفع إليهم ذلك وقص عليهم القصة ورجع ، فبعث القوم إلى أخيه الأعور فحضر ، فأخبروه الخبر . فقال إنه يقول : أتاكم بنو حنظلة في عد الشوك والرمل ، وإن نيران العرب تُعاد نجوم السماء ، ويأمركم أن ترحلوا عن الدهناء وانزلوا مكان كذا ، ففعلوا ورحلوا لوقتهم فصبحهم بنو حنظلة فلم يدركوا منهم أحدا .

وفي معنى ذلك ما حكاه المقر الشهابي بن فضل الله في كتابه "التعريف" :
 في الكلام على المكتبة إلى الأدفونش ملك الفرنج بطليطلة من بلاد الأندلس ، كان
 خبيث النية ، سىء المقاصد لأهل الإسلام ، وأنه أرسل مرة إلى الملك الناصر
 محمد بن قلاوون : صاحب الديار المصرية هدية فيها سيف وثوب بندقي وطارقة
 مستطير ، تُشبه النعش كأنه يقول : أقتلك بهذا السيف ، وأكفك في هذا الثوب ،
 وأحمك على هذا النعش . قال : وكان الجواب أن أرسل إليه حبلا أسود وحجرا ،
 أى إنه كلب يرمى بهذا الحجر أو يربط في هذا الحبل .

قلت : ومما وقع من ذلك في زماننا أنه في الدولة الظاهرية «برقوق» وتمرنك
 يومئذ ببلاد العراق يغاور الممالك الشامية لقصد الاستيلاء عليها ورد عليه كتاب من
 الملكة الحلية فيه : أنه وقع بتلك البلاد سيل عظيم ساق جملة من الأسد والتمورة
 والحيات ، وأنه دفع حية عظيمة سعة رأسها بقدر قوس ، وقرئ الكتاب بحضرة
 السلطان ، وحملوا ذلك على ظاهره : من أن المراد حقيقة السيل ، وأنه لقوته ساق
 تلك الحية والسباع وغيرها ، وشاع ذلك بين الكافة من الأمراء وأهل الدولة وسائر
 الرعية ، ومضى الأمر على ذلك ، ثم ظهر أن المقصود بذلك السيل وما فيه
 هو تمرنك وعساكره ، وأنه كنى بالحية العظيمة عنه نفسه ، وبالسباع والحيات
 عن عساكره .

ومن لطيف ما وقع في ذلك أنه ورد على السلطان الملك الناصر «فرج بن برقوق»
 في أواخر دولته كتاب عن صاحب تونس من بلاد المغرب في آخره خطابا للسلطان
 (وعلى إحسانكم المعول ، وبيت الطغرائي في لامية العجم لايتأول) فسألني بعض
 أعيان ديوان الإنشاء عن المراد من ذلك ولم يكن الكتاب متضمنا لغير الوصية

على حجاج المغاربة ، وكان ركب المغاربة قبل تلك الحجّة قد عرض لهم عارضٌ من عرب دَرَبِ الحجاز أجتاحوهم فيه ، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، ونهبوا منهم أموالاً جمّةً ، فعرضتُ ذلك على أبيات اللامية ، فلاح لى أنه يُشير إلى قوله فيها :

فقلتُ أرجوك للجلّى لتنصّرني * وأنتَ تحدّثني في الحادثِ الجللِ

والجلّى بضم الجيم هي الأمر الجليل العظيم ، والجلل بفتح الجيم في اللغة من أسماء الأضداد ، يقع على الشيء الجليل وعلى الشيء الحقير ، كأنه يقول : أنا كنتُ أرجوك للأمور العظام لتنصّرني فيها فحدّثني في هذا الأمر الخسيس ، وهو الأخذُ بنار حجاج بلادى ممن اعتدى عليهم من عرب بلادك : فخاب ظني فيما كنتُ أرجوه فيك ، وأؤمّله منك ، وأشار بقوله لا يتأوّل إلى أنه لا يحلّ الجلل في قول الطغرائي على الشيء الجليل كما قال الصّلاح الصفديّ في شرح اللامية ، بل على الأمر الخسيس : لأنه هو اللائق بالمقام .

وأعلم أنّ مثل هذه الأمور تحتاج إلى قوّة ذكاء واحتسّام قريحة من الذي يقع منه الرمز ، وإلى قوّة حدّس من الذي يحاول إدراك المقصد من تلك [المعامى] كما يقع في الأغاز والأحاجي للغز ، والمتصدى لحلّ ألغازه والجواب عنه ، والله تعالى هو الهادى إلى سبيل الصواب .

المقالة الخامسة

(١)
في الولايات ، وفيها [أربعة] أبواب

الباب الأول

في بيان طبقاتها وما يقع به التفاوت ، وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول

في بيان طبقات الولايات ، وهي على ثلاث طبقات

الطبقة الأولى - الخلافة ، وليا يكتب في ولايتها طريقان : إما عهد من الخليفة الأول ، وإما بيعة من أهل الحل والعقد إن لم يوجد عهد من الخليفة قبله على ماسياتي بيانه إن شاء الله تعالى .

الطبقة الثانية - السلطنة ، وليا يكتب في ولايتها طريقان : أحدهما العهد من الخليفة ، والثاني العهد من السلطان قبله . قال في "التعريف" : أما من قام من الملوك بغير عهد ، فلم بجر العادة أن تكتب له مبايعة .

الطبقة الثالثة - الولايات عن الخلفاء والملوك وما يكتب عن السلطان بالديار المصرية في أقطار المملكة بمصر والشام والمجاز : مما يكتب من ديوان الإنشاء الشريف بالأبواب السلطانية .

وهي على خمسة أنواع :

(١) يابض في الأصل والتصحيح مما تقدم في ج ١ ص ٢٤ من هذا المؤلف .

النوع الأول

(ولايات أرباب السيوف ؛ وهم على ثلاثة أصناف)

الصنف الأول - الثواب من الأمراء وغيرهم من أرباب الوظائف ، وغالب من يكتب له منهم بالبلاد الشامية ومضافاتها ؛ كنواب السلطنة بدمشق وحلب وطرابلس وحمّاء وصفد والكرك ، ومقدمى العسكر بغزة وبيس ، ونواب القلاع بالمدن العظام ذوات القلاع الرفيعة القدر : كالنائب بقلعة دمشق ، والنائب بقلعة حلب ، والنائب بقلعة صفد . أما طرابلس وحمّاء ، فليس بهما قلعة ؛ وكذلك النيابات الصغار المضافة إلى القواعد الكبار : كالقدس الشريف وحمص ومصياف من مضافات دمشق ، وقلعة المسلمين والرحبة والبيرة والرّها وشيزر وعينتاب وبهسنى وملطية وآياس والأبلستين وأذنة وطرسوس من مضافات حلب ، والأذقية وحصن عكار من مضافات طرابلس وما يجرى مجرى ذلك ، على ما سيأتى بيانه مفصلا في مواضعه ؛ إن شاء الله تعالى .

أما ما دونها من النيابات فإن نواب السلطنة بالمملكة يستقلون بالتولية فيها .

قلت : والضابط في ذلك أنّ كلّ نيابة كان نائبها تقدمة ألف فوليتها عن السلطان بمرسوم شريف من ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية ؛ وكل ولاية كان نائبها جندياً أو مقدّم حلقة فوليتها عن نائب السلطنة بالمملكة التي هي مضافة إليها بتوقيع كريم من ديوان الإنشاء بها ؛ وكل نيابة كان نائبها أمير طبخاناة أو عشرة ربما وثى فيها السلطان وربما وثى فيها نائب السلطنة ، إلا أنّ تولية السلطان لنواب الطلخاناة أغلب ، وتولية نواب السلطنة لنواب العشرة أغلب .

أما الديار المصرية فإنه كان يُكْتَبُ فيها أولاً لولاية الوجهين : القبلي والبحري بحراً على ما كان الأمر عليه في زمن الخلفاء الفاطميين ، وكذلك والى الإسكندرية قبل أن تستقر نيابة ، ووالياً الولاية بالوجهين قبل أن يستقر نيابتي ، في جماعة أخرى من أرباب الوظائف : كالنائب الكافل وأتابك الجيوش كاستادار وأمير أخور ومقدم الماليك ووالي مصر والقاهرة ، ثم صارت الكتابة لذوي الوظائف من أرباب السيف قاصرة على النائب الكافل إذا كان موجوداً والنواب المستجدين بالإسكندرية والوجهين : القبلي والبحري ، وبطل ماعداً ذلك مما كان يُكْتَبُ ، وكان المعنى فيه القرب من مقررة السلطان ، والكتابة إنما تقع في الغالب مع البعد : لتكون حجة للتولي على بعد المدى ، ولا ينتقض ذلك بما يُكْتَبُ للخلفاء والملوك في الحضرة ، فإن ذلك من الأمور العامة التي يُخَافُ انتقاضها أو جحودها ، إذ مثل ذلك لا يجوز في الولايات عن السلطان : لأنه متى شاء عزل من ولاة .

الصنف الثاني — ولاية أمراء العربان ، وهؤلاء لاحظ لهم في الكتابة بالولاية بالديار المصرية الآن ؛ وربما يُكْتَبُ لأمرائهم بالمملكة الشامية : كأمر آل فضل ، وأمر آل صرا ، وأمر آل علي ، ومقدم جزم ، وكذلك أمير مكة المشرفة ، وأمر المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، والتحية والإكرام ، والنائب بالينبع من البلاد الحجازية . والمعنى في اختصاص من بعد منهم ما تقدم في الكلام على أرباب السيف مع ضعف شأن عرب الديار المصرية وعدم الإهتمام بأمرهم .

الصنف الثالث — ولاية المتقدمين على الطوائف : كمتدعي التركان ، والأكراد ، والقبيلة بالبلاد الشامية ، وأتابك طائفة الإسماعيلية بقلاع الدعوة ، وحاكم البندق

ونحوهم ؛ وهذه الطوائف ممن يكتب له إلى الآن ؛ أما حاكم البندوق ، فإنه لم يُعهد له كتابةً من ديوان الإنشاء بمصر والشام . على أن المقرّ الشهابي بن فضل الله قد ذكر وصيته في " التعريف " ولعله ممن كان يكتب [له] في زمانه أو قبله ثم ترك ، وإنما يكون ذلك بحسب آعتناء السلطان بشأن البندوق وعدمه كما في لباس الفتوة ، وأنه ربما آعتنى به بعض الملوك فكتب له ثم ترك .

النوع الثاني

(ولاية أرباب الأقاليم ، وهم صنفان)

الصنف الأول

(أرباب الوظائف الدينية ، وهم على ثمانية أضرب)

الضرب الأول — أكبر القضاة بأقطار المملكة : كقضاة القضاة بالحضرة السلطانية بالديار المصرية وثغر الإسكندرية ، وكذلك قضاة القضاة بدمشق وحلب وطرابلس وحمّة وصفد والكرك . وقضاة العسكر بالديار المصرية ؛ أما القضاة بالنيابات الصغار المضافات إلى دمشق وحلب ونحوهما فولايتهن إلى قضاة القضاة بها ، وقضاة العسكر بدمشق وحلب وما في معناهما إلى التراب بنلك الممالك .

الضرب الثاني — المفتون بدار العدل بالديار المصرية ؛ أما المفتون بدار العدل بالممالك الشامية فولايتهن إلى نائبها .

الضرب الثالث - أكابر المحتسبين : كمحتسبي مصر والقاهرة ، أما الممالك الشامية فلا يولى فيها إلا نوابها .

الضرب الرابع - أكابر المدرسين في عامة العلوم بأماكن مخصوصة : كالزاوية الخشائية بالجامع العتيق بمصر ، والمدرسة الصلاحية بترية الإمام الشافعي بالقرافة ، ونحو ذلك بأقطار المملكة من مدرسي الفقه والحديث والتفسير وغير ذلك من العلوم الدينية .

الضرب الخامس - أكابر الخطباء بجوامع مخصوصة بأقطار المملكة : بجامع الناصري بقلعة الجبل ، والجامع الأموي بالشام ونحوهما .

الضرب السادس - وكلاء بيت المال بالديار المصرية وغيرها .

الضرب السابع - المتحدثون على الوظائف المعتمدة : كقباة الأشراف ، ومشايخ الشيوخ ، فما كان بالديار المصرية فولايته من السلطان ، وتوقيعه من ديوان الإنشاء ، وما كان منها بالممالك الشامية فولايته إلى نواب السلطنة بها .

الضرب الثامن - المتحدثون على جهات البر العامة المصلحة : كنظر الأعباس وأنظار البيارستانات ونحوها : فما كان بالديار المصرية : كنظر الأعباس والبيارستان المصوري وما أشبه ذلك فتوليته إلى نوابها ، ما لم يكن لها ناظر خاص فيكون ذلك مختصاً به .

(١) لعله فتوليه من السلطان ، وتوقيعه من ديوان الإنشاء ، وما كان منها بالممالك الشامية فتوليه الخ

كالإيجني تأمل .

وأما الإِستيفاء ، فكأستيفاء الصُّحبة ، وأستيفاء الدَّولة ، وأستيفاء الخِصِّص ، ونحو ذلك . ولا حَظَّ لغير النُّظَّار من دَواوين الأموال بالممالك الشامية : من صاحب ديوانٍ ولا شاهدٍ ولا مستوفٍ ، في الكتابة بالولاية من ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية ، بل ولايتها من نواب الممالك الشامية بتواقيع من دَواوين الإنشاء بها .

الضرب الثاني - دَواوينُ الجُيُوش بالديار المصرية وغيرها من الممالك الشامية . وأربابُ الخِدم بها لا يخرجون عن ناظرٍ ، وصاحبِ ديوانٍ ، وشاهدٍ ، ومستوفٍ .

والذين يُؤلَّون عن السلطان منهم [و] تُكْتَبُ تَواقيعُهُم من ديوان الإنشاء الشريف ناظرُ الجيش بالأبواب السلطانية ، وناظرُ الجيش بدمشق ، وناظرُ الجيش بحلب ، وناظرُ الجيش بطرابلس ، وناظرُ الجيش بحماة ، وناظرُ الجيش بصفد ، وناظرُ الجيش بغزة ، وناظرُ الجيش بسيس ، وناظرُ الجيش بالكرك ، وصاحبُ ديوان الجيش بالأبواب السلطانية ، والشهود ، والمستوفون بها ، أما من عدا هؤلاء : من نُظَّار الجيش وأصحابِ الدَواوين والشهود بالممالك الشامية ، فولايتهم إلى نواب السلطنة بها .

الضرب الثالث - دَواوينُ الإنشاء ، وأربابُ الخِدم بها لا يخرجون عن كاتبٍ سرٍّ ، وكاتبِ دَسْتٍ ، وكاتبِ دَرَج .

والذين يُؤلَّون عن السلطان من كُتَّاب هذه الدَواوين وتُكْتَبُ تَواقيعُهُم من ديوان الإنشاء السلطانيِّ صاحبُ ديوانِ الإنشاء بالأبواب السلطانية ، وصاحبُ ديوانِ الإنشاء بدمشق ، وصاحبُ ديوانِ المكاتب بحلب ، وصاحبُ ديوانِ المكاتبات

بطرأبلس ، وصاحب ديوان المكتبات بحمّة ، وصاحب ديوان المكتبات
بصفد ، وكاتب الدرّج بسيس ، وكاتب الدرّج بغزة ، وكاتب الدرّج بالكرك ،
وكاتب الدرّج بالإسكندرية ، وكاتب الدّست وكاتب الدرّج بالأبواب السلطانية ،
أما كُتّاب الدّست وكُتّاب الدرّج بالممالك الشامية فإلى نوابها بتوقيع من دواوين
الإنشاء بها .

النوع الثالث

(ولاياتُ أربابِ الوظائفِ الصّناعيةِ)

كالأطباء ، والكحّالين ، والجرائحية ، ومن جرى مجراهم من سائر أربابِ الوظائفِ
التي هي من تيمّة نظام الملك ، فما كان منها بالأبوابِ السلطانية فولايته عن السلطان
بتوقيع من ديوان الإنشاء السلطاني ، وما كان منها بالممالك الشامية فولايته إلى
نواب السلطنة بها .

النوع الرابع

(ولاياتُ زعماءِ أهلِ الذّمة . وهي ضربان)

الضرب الأول - ولايةُ بطارقة النصارى من العاقبة والملكانية^(١) .

الضرب الثاني - ولايةُ رئيسِ اليهود الحاكم على طوائفهم .

(١) لم ينص على من له توليتهما .

المسوق الخامس

(ما لا يتصل بطائفة ولا يمارج تحت نوع)

بمقتضى الأمر ^{الذي} يكتب فيها أكثر فرد فرد : إما ابتداءً ، وإما بانتهاء
 من ما يبيده من ولايته ^{بشيء} ، فإما : فائس ، أو فاضل ، أو ناظر ، وثالث ، أو غير ذلك
 من الإيضاح كذا

فقد ورد في المسألة في بعض المصنفين بالملك النافية مما يخص
 ملكه بغيره من الأمانة إذا كانت الوظيفة وضعية المنزل وأمر كذا ، الذي عننا
 كما في كتاب السلطة ما يخص توليته بالسلطان إذا كان في جهة النائب
 وأمره في ذلك منصوصاً إذا كان نظام الملكة مما يلا وأمر ما مضى به .

الفصل الثاني

من الباب الأول من المقالة الخامسة

(في بيان ما تجب على الكاتب مراعاته في كتابة الولايات على سبيل الإجمال)

قال الشيخ شهاب الدين محمد الحلبي رحمه الله في "محسن التوسل" : تجب على الكاتب أن يراعى في ذلك أموراً .

منها - براعة الاستهلال بذكر الرتبة ، أو الحال ، أو قدر النعمة ، أو لقب صاحب الولاية ، أو اسمه ، بحيث لا يكون المطلع اجتراباً من هذه الأحوال ، ولا بعيداً منها ، ولا مبيناً لها ، ثم يستصحب ما يناسب الفرص ويوافق القصد من أول الخطبة إلى آخرها .

ومنها - أن يراعى المناسبة وما تقتضيه الحال : فلا يعطى أحداً فوق منته ، ولا يصفه بأكثر مما يراه من مثله ، ويراعى أيضاً مقدار النعمة والرتبة فيكون وصف المنة بما على مقدار ذلك .

ومنها - أن لا يصف المتولي بما ^(١) [يكون] فيه تعرض بتم المزول [وتنبص له] ^(١) ، فإن ذلك مما يؤخر الصدور ، ويؤرب الضمان في القلوب ويدل على ضعف الآراء في اختيار الأهل ، مع إمكان وصف الثاني بما يحصل به المتشبه من غير تعرض بالأهل .

ومنها - أن يختصر الكلام والمعاني فإنه مما يسمع ويذبح ، ولا يترك في ذلك بعبارة ولا ضيق وقت ، فإن جمال الكلام منته ، واليسر يظهر في القليل والكثير .

(١) الزيادة من "حسن التوسل" ص ١١٠ .

قلت : ومنها أن يَحْرِصَ الكاتبُ على أن تكون نهاية السجعة الأولى في السطر الأول أو الثاني ولا يُؤخَّرُها عن ذلك . ومما كان يراعى في ذلك أن تكون الخطبة من أولها إلى آخرها على روى واحد في السجع ، وكذلك الدعاء في أول صغار التواقيع والمراسيم المتداولة بلفظ « رُسم » بخلاف ما بعد ذلك إلى آخر ما يكتب ، فإنه يتفق فيه روى السجعتين والثلاث فما حولها ، ثم يخالف رويها إلى غيره ؛ ولا يكلف الكاتب الإتيان بجميعها على روى واحد ؛ وعلى ذلك كانت طريقة نحول الكتاب بالدولة التركية ، كالقاضي محي الدين بن عبد الظاهر ، والشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، والمقر الشهابي بن فضل الله ، ومن عاصرهم إلا في القليل النادر ؛ فإنه ربما وقع لبعضهم مخالفة روى الخطبة ؛ وإلى هذا قد جنح غالب كتاب ديوان الإنشاء في زماننا ومألوا إليه : لما في التزام الروى الواحد في جميع الخطبة من التكلف وعسر التلقيق على من يتعاناها .

ثم الكلام فيما يكتب في الولاية قد يكون جميعه بلفظ الغيبة ؛ مثل أن يقال : عهد إليه بكذا ، أو قلده كذا ، أو فوض إليه كذا ، أو أن يستقر في كذا ، ونحو ذلك ، ثم يقال : وأمره بكذا ، أو ونحن نوصيه بكذا ، أو فعله بكذا ، وما أشبه ذلك ؛ وقد يكون جميعه بلفظ الخطاب ، مثل أن يقال : وقد عهد إليك بكذا ، أو قلده كذا ، أو فوض إليك كذا ثم يقال : ونحن نوصيك بكذا ، أو فعليك بكذا ، ونحوه ؛ وقد يصدر بلفظ الغيبة ثم يلتفت منها إلى الخطاب ؛ وقد يصدر بلفظ الخطاب ثم يلتفت منه إلى الغيبة بحسب ما يؤثره الكاتب وتؤدي إليه بلاغته مما ستقف على تنويعه في خلال كلامهم في أصناف الولايات الآتية في هذا الكتاب ، إن شاء الله تعالى .

الفصل الثالث

من الباب الأول من المقالة الخامسة
(في بيان ما يقع به التفاوت في رتب الولايات ، وذلك من سبعة أوجه)

الوجه الأول

(الألقاب ، وهي على ثلاثة أنواع)

النوع الأول

(ألقاب الخلفاء)

وسبيلها الاختصار دون البسط ، آكتفاء بما هو ظاهر من أبهة الخلافة ، وعلو مقام الإمامة ، إذ هي الزعامة العظمى ، والرتبة التي هي أعلى الرتب وأسمى .

وهي صنفان :

الصنف الأول - ألقاب الخلفاء أنفسهم ، وغاية ما ينعت به الإمام وأمير المؤمنين .

الصنف الثاني - ألقاب أولياء العهد بالخلافة ، وألقابهم نحو السيد الجليل وذخيرة الدين ، ونحو ذلك على ماسياتي بيانه في عهود الخلفاء عن الخلفاء .

النوع الثاني

(ألقاب الملوك ، وهي صنفان أيضا)

الصنف الأول - ألقاب السلطان نفسه ، والكاتب تارة يتدئونها بالسلطان ، وتارة يتدئونها بالمقام ، ولكل منهما نعوت تخصه ، وسياتي الكلام على ذلك مستوفى في الكلام على عهود الملوك عن الخلفاء ، إن شاء الله تعالى .

الصف الثاني - ألقاب أولياء العهد بالملك ، والملوك المنفردين بولاية صغار
البلاد عن السلطان الأعظم ، وهي لا تُفتح إلا بالمقام ليس إلا ، ولها نعتٌ تخصها
يأتي الكلام عليها في الكلام على عهدهم أيضا .

النسب الثالث

(ألقاب ذوي الولايات الصادرات عن السلطان : من أرباب

الوظائف الواقعة في هذه المملكة)

وقد تقدم في الكلام على الألقاب في مقدمة الكتاب أن أصول الألقاب
المستعملة في ذلك خمسة ألقاب هي الترتيب : وهي المقرء ثم الجناب ، ثم المجلس ،
ثم مجلس مضافا : كمجلس الأمير ، ومجلس القاضي ، ومجلس الشيخ ، ومجلس
الصدر ، ثم الأقتصار على الشافعي ، وحذف المضاف : كالأمير والقاضي والشيخ
والصدر ، ويلحق بذلك أهل الدمة الحاضرة ، وحضرة الشيخ ، والشيخ مجزئا
عن حضرة ، وتقدم في الفصل الأول من هذا الباب أن أرباب الولايات خمسة
أنواع : أرباب السيوف ، وأرباب الأقلام ، وأرباب الوظائف الصناعية ، وزعماء
أهل الدمة ، ومن لا يخص بطائفة ليخدمهم ، وجميع هذه الأنواع على اختلاف
أصنافهم لا يخرجون عن الألقاب المتقدمة ، وقد تقدم الكلام على هذه الألقاب
ونوعيتها لمن يكتب عن أبواب الشريعة السلطانية من أرباب الوظائف ، مستوفى
في المكاتبات ، إلا أنه قد يوفى عن السلطان من لم يوهل للكتابة عنده ، كما كثر
أرباب الوظائف من جملة الأقلام وغيرهم ، فأصبح إلى تعريف مراتب الألقاب
لكل نوع من أرباب الولايات .

فأما أربابُ السُّيوفِ ، فأعلى القابيم المقترة رأداً ما يجلس الأئمة ثم الأئمة ثمها
عن مجلس .

وأما أرباب الوظائف الصناعاتية ، فأعلى القابيم المجلس رأداً ما يجلس الصدر
ثم الصدر مجرداً عن مجلس .

وأما من لا ينحصر بطائفة لصغره ، فيقتدر زيد على لقب التصريف وهو فلا زال الله
إن عظم وإلا اقتصر على اسمه خاصة .

وأما زعماء أهل الأمة ، فأعلى القابيم المظفرة ثم مظفرة الشيخ ثم الشيخ ثمها
عن حضرة .

وأعلم أن كل من كانت له مكاتبة عن أبواب السلطنة من أرباب الشرف
والأقلام وغيرهم ، فلهب ولايته ونعوتها كما في مكاتبة غيره رأياً في أمور شرف
المرتبة ذكر اسمه العلم واسمته إلى السلطان كما في صرخة وأسماء وأسماء
إن كان ممن ينسب إليه بوابها بغيرها ثم إلا في مكاتبة الأئمة الأئمة
الدعاء من أول المكاتبة إلى ما بعد اسمه والنسبة إلى السلطان في الرتبة كما في
مكاتبته : أئمة الله تعالى أنصار المفقير الكريم ، فله يدعي في حقها النسبة إلى
السلطان - إن كانت - بأمر الله تعالى أنصاره ، كذلك في العرف

وإن كانت مكاتبته تمتنع بغير الدعاء : كسنة في هذه المكاتبة رجع ذلك
يدعى له في الولاية عقب الاسم والنسبة إلى السلطان ، كما في
في مكاتبته في بحر الألقاب ، كما كان من أرباب الأئمة الأئمة
هذه المكاتبة إلى المجلس العالي أو المجلس الصغير ، كما في الأئمة الأئمة
سعادته ، وأدام الله رفعة ، ونحو ذلك ، وإن لم تكن له مكاتبة عن أرباب السلطنة

كُتِبَ لَهُ فِي الْوَلَايَةِ مَا يُنَاسِبُهُ مِنَ اللَّقَبِ وَالنُّعُوتِ ، ثُمَّ يَذُكُرُ اسْمَهُ وَالِدَعَاءُ لَهُ إِنْ كَانَ مُسْتَحِقًّا لِلدَّعَاءِ ، وَسِيَّاتِي لِقَبِّ كُلِّ ذِي وِلَايَةٍ مِنَ الْأَنْوَاعِ الْخَمْسَةِ الْمَتَقَدِّمَةِ الَّتِي ذُكِرَتْ وَنَعْوَتُهُ عِنْدَ ذِكْرِ وِلَايَتِهِ فِيمَا بَعْدُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ثم للألقاب في الولايات محالان :

أحدهما - الطَّوْرَةُ . وَيُفْتَضَّرُ فِيهَا عَلَى اللَّقَبِ : مِنَ الْمَقْرَأِ أَوِ الْجَنَابِ أَوِ الْمَجْلِسِ أَوِ مَجْلِسٍ مُضَافًا وَمَا بَعْدَهُ مِنَ النُّعُوتِ إِلَى اللَّقَبِ الْمُمَيِّزِ لِلوِظِيفَةِ كَالْأَمِيرِيِّ وَالْقَضَائِيِّ وَنَحْوَهُمَا ، ثُمَّ يَذُكُرُ لِقَبَّهُ الْخَاصُّ بِهِ وَهُوَ الْفُلَانِيُّ أَوْ فُلَانُ الدِّينِ ، ثُمَّ يَذُكُرُ اسْمَهُ وَآنْتِسَابَهُ إِلَى السُّلْطَانِ إِنْ كَانَ ، عَلَى مَاسِيَّاتِي بَيَانُهُ مَفْصَلًا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الثاني - فِي أَثْنَاءِ الْوِلَايَةِ . وَهُنَاكَ تَسْتَوْفِي النُّعُوتَ وَيُؤْتِي بِمَا فِي الطَّوْرَةِ فِي ضَمْنِهِ إِلَّا أَنَّهُ يُجْعَلُ لِقَبِّ التَّعْرِيفِ - وَهُوَ الْفُلَانِيُّ أَوْ فُلَانُ الدِّينِ - بَيْنَ النُّعُوتِ الْمَفْرُودَةِ وَالْمُرَكَّبَةِ فَاصِلًا بَيْنَهُمَا .

الوجه الثاني

(أَلْفَاظُ إِسْنَادِ الْوِلَايَةِ إِلَى صَاحِبِ الْوِظِيفَةِ ، وَلَهَا سِتُّ مَرَاتِبَ)

الأولى - لَفْظُ الْعَهْدِ ، مِثْلُ أَنْ يُقَالَ : أَنْ يُعْهَدَ إِلَيْهِ ، وَهِيَ خَاصَّةٌ بِالْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ .

الثانية - لَفْظُ التَّقْلِيدِ ، مِثْلُ أَنْ يُقَالَ : أَنْ يُقَلَّدَ كَذَا ، وَيَكُونُ مَعَ الْمَقْرَأِ الْكَرِيمِ وَالْجَنَابِ الْكَرِيمِ .

الثالثة - لَفْظُ التَّنْوِيضِ ، مِثْلُ أَنْ يُقَالَ : أَنْ يُفَوَّضَ إِلَيْهِ كَذَا ، وَيَخْتَصُّ بِالْجَنَابِ لِأَرْبَابِ السُّيُوفِ ، وَكَذَلِكَ الْجَنَابُ وَالْمَجْلِسُ الْعَالِي لِأَرْبَابِ الْأَقْلَامِ .

قلت : وُكِّبَ زماننا يستعملونها مع المقر أيضا ، ولا يستعملون لفظ يُقَلَّدُ في التقاليد لتوهمهم الإكتفاء بلفظ تقليد عنها ، ولم يعلموا أن يُقَلَّدُ فوق يُفَوِّضُ كما تقدم . على أن المقر الشهابي بن فضل الله قد صرح بذلك في "التعريف" كما سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى .

الرابعة — لفظ الإستقرار والإستمرار ، مثل أن يقال أنت يستقر في كذا ، أو يستمر في كذا . ولفظ يستقر مختص بالمستجد ، ولفظ يستمر مختص بالمستقر ، ويكونان مع المجلس السامى بالياء ، والمجلس السامى بغير ياء لأرباب السيوف والأقلام وغيرهم ، أما المجلس العالى فإن كانت مكاتبته تفتح بالدعاء ، مثل : أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى كائب السلطنة بالكرك ، فإنه يقال فيه أن يفوض إليه ، وإن كانت مكاتبته تفتح بصدرت هذه المكاتبه كائب القدس ونحوه ، فإنه يقال فيه أن يستقر .

الخامسة — لفظ الترتيب ، مثل أن يقال : أن يرتب في كذا ، ويكون مع مجلس مضافا ، مثل مجلس الأمير ومجلس القاضى ونحوهما ، وربما استعملت مع السامى بغير ياء .

السادسة — لفظ التقدم ، مثل أن يقال أن يقدم فلان على الطائفة الفلانية ونحو ذلك .

قلت : وهاتان المرتبتان أعني السادسة والخامسة قد ذكرهما المقر الشهابي بن فضل الله في "التعريف" فقال : وقد يقال أن يرتب وأن يقدم . وهما موجودتان في كتابة معاصريه بمصر والشام ، أما كُتِّبَ زماننا فقد رفضوهما جملةً وأضربوا عن استعمالهما بكل حال ، وأكتفوا عنهما بالمرتبة الرابعة وهي لفظ الإستقرار ،

(١) أى لفظه " يفوض " .

والواجب إثباتها لتفاوت ما بين المراتب ، على أن ^١ استعمال لفظ ^٢ يرتب موجود في كلامهم بكثرة ، ولفظ يقدم لم يستعملوا إلا في الترتيب اليسير ، والله أعلم . ودماء
 الصلاة على النبي في الآية وفي أثناء الكلام على حد واحد .

الرجوع إلى الفاش

الركعة الثالثة وهي رابعة إلى أربع مراتب

الركعة الأولى - الافتتاح بالخطبة ، هدية بيعة ، أو صلوات ما عهدت ما يتصور ذلك
 في القديس واليهود على ما نسب القديم ، أو بالحمد لله ، ويقع الابتداء به في الشهر
 رابع ، هذا الركعتي العهد أو البيعة بجماعة غير ما عليه استعمال أهل زماننا ، وكذلك
 في الصلاة لأرباب البيوت والأقلام ، والمراسيم المتكررة لأرباب البيوت ، والتراتيق
 بفتح لأرباب الأقاليم .

الركعة الثانية - الافتتاح بآيات حمد الله ، ويقع الابتداء به في الركعة الثانية
 من أرباب القباب المتكررة من أصحاب البيوت ، والركعة الثانية من أرباب التواريخ
 من أصحاب الأقاليم .

الركعة الثالثة - الافتتاح بآيات التوحيد ، ويقع الافتتاح به في الركعة
 الثالثة من أرباب التوقيف والتأشير من غير أن يكون في الركعات .

في ركعة - كما في استعمال من الافتتاح بما عهدت فإن كان أحد الركعات
 كركعة أو ركعتين أو ركعة ، فإنه بعد يوم أو ليلة من أيام شهر الله في الشهر
 في كل ركعة ركعتين وترك على ما سيأتي بعد أن يوضحه إن شاء الله تعالى
 وقد كان ذلك استعمالاً في صلاة الأرباب البيوت والأقلام وغيرها .

الربيع - سنة الرابع

(تعداد التصديقات في الألفية أوردت في سنة 1400 هـ)

تعد تلك في "التعريف" في الألفاظ من "المعاني" في الألفاظ
التعريف "تعد في الألفاظ" في الألفاظ "تعد في الألفاظ" في الألفاظ
في الكلام على "تعد في الألفاظ" في الألفاظ "تعد في الألفاظ" في الألفاظ

الربيع - سنة 1400 هـ

(تعداد التصديقات في الألفية أوردت في سنة 1400 هـ)

الربيع الألفاظ - في الألفاظ "تعد في الألفاظ" في الألفاظ
ولا تعد في الألفاظ "تعد في الألفاظ" في الألفاظ

الربيع الألفاظ - في الألفاظ "تعد في الألفاظ" في الألفاظ
في الألفاظ "تعد في الألفاظ" في الألفاظ

الربيع الألفاظ - في الألفاظ "تعد في الألفاظ" في الألفاظ
في الألفاظ "تعد في الألفاظ" في الألفاظ

تم تعداد الألفاظ في الألفاظ "تعد في الألفاظ" في الألفاظ
في الألفاظ "تعد في الألفاظ" في الألفاظ

(تعداد الألفاظ في الألفية أوردت في سنة 1400 هـ)

الوجه السادس

(طول الكلام وقصره ، فكُلُّما عظمت الوظيفة وارتفع قدر صاحبها
كان الكلام فيها أبسط)

قال في "حسن التوسل" : ويحسن أن يكون الكلام في التقاليد منقسماً أربعة
أقسام متقاربة المقادير؛ فالرُّبُّعُ الأوَّلُ في الخطبة؛ والرُّبُّعُ الثَّانِي في ذكر موقع الإنعام
في حق المقلِّد ، وذكر الرتبة وتَفخيم أمرها ؛ والرُّبُّعُ الثَّالِثُ في أوصاف المولى ،
وذكر ما يناسب تلك الرتبة ويناسب حاله من عدل وسياسة ومهابة وبعْدِ صِيَتِ
وسُمتة وشجاعة إن كان نائباً ، ووصف الرأي والعدل وحسن التدبير والمعرفة بوجوه
الأموال ، وعمارة البلاد ، وصلاح الأحوال ، وما يناسب ذلك إن كان وزيراً ،
وكذلك في كلِّ رتبة بحسبها ؛ والرُّبُّعُ الرَّابِعُ في الوصايا .

قال في "التعريف" : والذي أختاره اختصاراً مقدار التحميدة [التي]
في الخطبة والخطب مطلقاً وإطالة ما بعد ذلك ؛ والإطناب في الوصايا [اللهم]
إلا لمن جَلَّ قدره [وعظم أمره]^(٢) فإن الأولى الأقتصار في الوصايا على أهمِّ الجُمَلِيَّاتِ ،
ويعتذر في الأقتصار بما يُعرف من فضله ، ويُعلم من علمه ، ويوثق به من تجربته
ومن هذا ومثله . قال : والكاتب في هذا [كَلِّه] بحسب ما يراه ، ولكلِّ واقعة
مقال يليق بها ، ولملبس كلِّ رجل قدر معروف لا يليق به غيره ؛ وفي هذا غنى لمن
عرَّف ، وكفاية لمن عَلم ؛ على أن المقرَّ الشهابي تابع في ذلك القاضي « محيي الدين
آبن عبد الظاهر » رحمه الله ، فإنك إذا تأملت تقاليدَه وتواقيعه ، وجدتها كلها

(١) في حسن التوسل ص ١١٠ «المقلد» وهي هنا .

(٢) الزيادة من التعريف ص ٨٨ .

كذلك ، ولكل وجه ظاهر ، فإن المطول للخطبة لا يُخْلِيا من براعة الاستهلال ،
المناسبة للحال ، والمقصر لها مراعٍ لزيادة الإطناب في الوصف .

قلت : ولا يخفى أن ما ذكرناه في التقاليد يجرى مثله في العهود الجريها على موجبها
من مؤل ومؤل .

أما إذا كانت الولاية بيعة فإنه يجعل موضع الوصايا ذكر التزام الخليفة البر
والإحسان للخلق ، ووعد النظر في أمور الرعية ، وصلاح أحوالهم ، وذكر التحليف
للخليفة ، وأوله وللسلطان إن كان معه سلطان قام بعقد البيعة له على الوفاء بالعهد
والدخول تحت الطاعة . قال في "حسن التوسل" : والأمر الجارى في ذلك على
العادة معروف لكنه قد تقع أشياء خارجة عن العادة فيحتاج الكاتب فيها إلى حسن
التصرف على ما يقتضيه الحال ، وذكر من ذلك تقليداً أنشأه لملكك سيس ، وتقليداً
كتبه بالفتوة ، وسيأتي ذكر ذلك مع ما شاكاه في مواضعه إن شاء الله تعالى .

الوجه السابع

(قطع الورق)

وأعلم أن الولايات من ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية بجملتها يتمم قطع
الورق فيها في خمسة مقادير لا يتعداها :

أحدها — قطع البغدادى الكامل ، وهو مختص بالبيعات والعهود مطلقاً على
أى الافتتاحات كان .

الباب الثاني

من المقالة الخامسة في البيعات، وفيه فصلان

الفصل الأول

(في معناها)

البيعات جمع بيعة، وهي مصدرُ بايعَ فلانٌ الخليفةَ يُبايعه مُبايعَةً، ومعناها المعاقدةُ والمُعاهدةُ، وهي مُشبهةٌ بالبيع الحقيقيِّ. قال أبو السَّعادات بنُ الأنير في نهايته في غريب الحديث: كأنَّ كلَّ واحدٍ منهما باعَ ما عنده من صاحبه وأعطاه خالصةً نفسه وطاعته ودخيلةً أمره. ويقال: بايعه، وأعطاه صَفْفةً يده، والأصلُ في ذلك أنه كان من عادةِ العربِ أنه إذا تبايعَ اثنانِ صَفَقَ أحدهما بيده على يدِ صاحبه.

وقد عَظَّم اللهُ تعالى شأنَ البيعةِ وحَدَّرَ من نكثِها بقوله خطاباً للنبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. وأمر بمبايعة المؤمنين في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِبْنَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. وبايع النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم الصحابةَ رضوانُ اللهُ عليهم بيعتين.

(١) ليس مراده المصدر الصناعي كما لا يخفى والأوضح "وهي أسم مصدر لبايع" الخ تأمل.

الفصل الثاني

(في ذكر تنوع البيعات ، وهي نوعان)

النوع الأول

(بيعات الخلفاء ، وفيها سبعة مقاصد)

المقصد الأول

(في أصل مشروعيتها)

فالأصل في ذلك بعد الإجماع ما ثبت في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها " أنه لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة ، فقالوا : منّا أميرٌ ومنكم أميرٌ ، فذهب إليهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح ، فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر ، وكان عمر يقول : ما أردتُ بذلك إلا أني قد هيأتُ كلاماً أعجبتُ أن لا يبلغه أبو بكر ، ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس . فقال في كلامه : نحنُ الأمراءُ وأنتمُ الوزراءُ . فقال الحباب بن المنذر : لا والله لا نفعل ! منّا أميرٌ ومنكم أميرٌ . فقال أبو بكر : لا وليكنا الأمراءُ وأنتمُ الوزراءُ . فبايعوا عمر أو أبا عبيدة . فقال عمر : بل نبايعك فانت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ عمر بيده فبايعه وبايع الناسُ . "

وهذه أولُ بيعةٍ بالخلافة كانت في الإسلام ، ولكن لم يُنقل أنه رضي الله عنه كتبت له مبايعةً بذلك ، ولعل ذلك لأن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا إذا بايعوا لا يتحدثون البيعة بعد صدورها ، بخلاف ما بعد ذلك .

المقصود الثاني

(في بيان أسباب البيعة الموجبة لأخذها على الرعية)

وهي خمسة أسباب :

السبب الأول - موت الخليفة المنتصب من غير عهد بالخلافة لأحد بعده ، كما في قصة الصديق المتقدمة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، أو تركها شورى في جماعة معينة ، كما فعل عمر رضي الله عنه عند وفاته حيث تركها شورى في ستة : علي بن أبي طالب ، والزبير بن العوام ، وعثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة ، وسعد بن أبي وقاص ، رضي الله عنهم .

السبب الثاني - خلع الخليفة المنتصب لموجب يقتضى الخلع ، فتحتاج الأمة [إلى] مبايعة إمام يقوم بأمرها ، ويتحمل أعبائها .

السبب الثالث - أن يتوهم الخليفة خروج ناحية من النواحي عن الطاعة فيوجه إليهم من يأخذ البيعة له عليهم : لينقادوا لأمره ، ويدخلوا تحت طاعته .

السبب الرابع - أن تؤخذ البيعة للخليفة المعهود إليه بعد وفاة العاهد ، كما كانت الخلفاء الفاطميون تفعل في خلافتهم بمصر ، وكانوا يسمون البيعة سجلاً كما كانوا يسمون غيرها بذلك .

السبب الخامس - أن يأخذ الخليفة المنتصب البيعة على الناس لولي عهد بالخلافة بأن يكون خليفة بعده إمضاء لعهد ، كما فعل معاوية رضي الله عنه في أخذه البيعة لولده يزيد .

المقصود الثالث

(في بيان ما يجبُ على الكاتب مراعاته في كتابة البيعة)

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْكَاتِبِ أَنْ يُرَاعِيَ فِي كِتَابَةِ الْبَيْعَةِ أُمُورًا :

منها - أن يأتى في بَرَاةِ الْإِسْتِهْلَالِ بِمَا يَتَبَيَّنُ لَهُ مِنْ أَسْمِ الْخَلِيفَةِ أَوْ لِقَبِهِ كَفَلَانِ الدِّينِ ، أَوْ لِقَبِ الْخِلَافَةِ : كَالْمَتَوَكَّلِ أَوِ الْمُسْتَكْفِيِّ ، أَوْ مَقْتَضَى الْحَالِ الْمَوْجِبِ لِلْبَيْعَةِ مِنْ مَوْتٍ أَوْ خَلْعٍ وَنَحْوَهُمَا ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى .

ومنها - أن يَنْبَغَ عَلَى شَرَفِ رُتْبَةِ الْخِلَافَةِ وَعُلُوِّ قَدْرِهَا وَرِفْعَةِ شَأْنِهَا ، وَأَنَّهَا الْغَايَةُ الَّتِي لَا تُفَوِّقُهَا ، وَالدرْجَةُ الَّتِي لَا يَبْعُدُهَا ، وَأَنَّ كُلَّ رُتْبَةٍ دُونَ رُتْبَتِهَا ، وَكُلُّ مَنْصِبٍ فَرَعٌ عَنْ مَنْصِبِهَا .

ومنها - أن يَنْبَغَ عَلَى مَسِيسِ الْحَاجَةِ إِلَى الْإِمَامِ ، وَدِعَايَةِ الضَّرُورَةِ إِلَيْهِ ، وَأَنَّهُ لَا يَسْتَقِيمُ أَمْرُ الْوُجُودِ وَحَالُ الرِّعْيَةِ إِلَّا بِهِ ، ضَرُورَةً وَجُوبٍ نَصَبِ الْإِمَامِ بِالْإِجْمَاعِ ، وَإِنْ شَدَّ عَنْهُ الْأَصْمُ نَخَالَفَ ذَلِكَ .

ومنها - أن يُشِيرَ إِلَى أَنَّ صَاحِبَ الْبَيْعَةِ آسْتَوْعَبَ شُرُوطَ الْإِمَامَةِ وَأَجْتَمَعَتْ فِيهِ ، وَيُصِفُهُ مِنْهَا بِمَا يَعْزُّ وَجُودَهُ ، وَيُتَمَدَّحُ بِحَصُولِهِ : كَالْعِلْمِ وَالشَّجَاعَةِ وَالرَّأْيِ وَالْكَفَايَةِ ، بِخِلَافِ مَا لَا يَعْزُّ وَجُودَهُ وَلَا يُتَمَدَّحُ بِهِ وَإِنْ كَانَ مِنَ الشُّرُوطِ : كَالْحُرِّيَّةِ وَالذُّكُورَةِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ، فَإِنَّ الْوَصْفَ بِذَلِكَ لَا وَجْهَ لَهُ .

ومنها - أن يَنْبَغَ عَلَى أَفْضَلِيَّةِ صَاحِبِ الْبَيْعَةِ وَتَقَدُّمِهِ فِي الْفَضْلِ وَآسْتِيفَاءِ الشُّرُوطِ عَلَى غَيْرِهِ : لِيُخْرَجَ مِنَ الْخِلَافِ فِي جَوَازِ تَوَلِّيَةِ الْمَفْضُولِ مَعَ وَجُودِ الْفَاضِلِ .

ومنها - أن ينبّه على أن المختارين لصاحب البيعة ممن يُعتبر اختياره من أهل الحلّ والعقد : من العلماء والرؤساء ووجوه الناس الذين يتيسر حضورهم على الوجه المعتبر .

ومنها - أن ينبّه على تعيين المختارين للبيعة ، إن كان الإمام الأول نصّ عليهم ، إذ لا يصحّ الاختيار [من] غير من نصّ عليه ، كما لا يصحّ إلا تقليد من عهد إليه .

ومنها - أن ينبّه على جريان عقد البيعة من المختارين ، ضرورة أنه إن انفرد شخص بشروط الإمامة في وقته لم يصّر إماما بمجرد ذلك .

ومنها - أن ينبّه على سبب خلع الخليفة الأول إن كانت البيعة مترتبة على خلع ، إذ لا يصحّ خلع الإمام القائم بلا سبب .

ومنها - أن ينبّه على قبول صاحب البيعة العقد وإجابته إليه إذ لا بد من قبوله .

ومنها - أن ينبّه على أن القبول وقع منه بالاختيار : لأنه لا يصحّ الإيجاب على قبولها ، اللهم إلا إن كان بحيث لا يصلح للإمامة غيره فإنه يجبر عليها بلا خلاف .

ومنها - أن ينبّه على وقوع الشهادة على البيعة ، خروجاً من الخلاف في أنه هل يُشترط الإشهاد على البيعة أم لا ؟ .

ومنها - أن ينبّه على أنها لم تقترن ببيعة في الحال ولا مسبوقه بأخرى ، إذ لا يجوز نصب إمامين في وقت واحد وإن تباعد إقليهما ، خلافاً للأستاذ أبي إسحاق الأسفراييني حيث جوز نصب إمامين في إقليمين .

ومنها - أن ينبّه على أنه بمجرد البيعة تجب الطاعة والالتقاد إليه ، ويجب على كافة الأمة تفويض الأمور العامة إليه ، وطاعته فيما وافق حكم الشرع وإن كان جائراً .

ومنها — أن يعزى في الخليفة الميت ويبنى بالمستقر إن كانت البيعة مبنية على موت خليفة؛ وأن يبين سبب خلع الخليفة الأول إن كانت مرتبة على خلع .
أما التعزية والتهنئة بموت الأول، فعليه جرى عامة الكتاب؛ إلا أنه يختص في عرفهم بما إذا كان الخليفة الأول شديد القرب من الثاني؛ كأبيه وأخيه وابن عمه .

وكان الأولون يتعانون ذلك في خطاب الخلفاء بالتهنئة بالخلافة بعد أقاربهم، وقد روى أن عطاء بن أبي سفيان دخل على يزيد بن معاوية فهأه بالخلافة وعزاه في أبيه فقال :

رُزيتَ بأمر المؤمنين خليفة الله، وأُعطيتَ خلافة الله؛ قضى معاوية نخبه، فغفر الله ذنبه؛ ووليتَ الرياسه، وكنتَ أحقُّ بالسياسه؛ فاحتسب عند الله جليل الرزية، وأشكره على جزيل العطيء؛ وعظم الله في معاوية أجره، وأحسن على الخلافة عونك .

وتعرضت أعرابية للنصور في طريق مكة بعد وفاة أبي العباس السفاح، فقالت :
يا أمير المؤمنين احتسب الصبر، وقدم الشكر؛ فقد أجزل الله لك الثواب في الحالين، وأعظم عليك المنة في الحادثين؛ سلبك خليفة الله، وأفادك خلافة الله؛ فسلم فيما سلبك، وأشكر فيما منحك؛ وتجاوز الله عن أمير المؤمنين، وخارلك فيما ملكك من أمر الدنيا والدين .

وأما التعريف بسبب الخلع، فلأنه لا يصح خلع الإمام بغير موجب للخلع .^(١)

ومنها — أن يشير إلى ذكر السلطان القائم بالبيعة إن كان القائم بها سلطاناً على ما استقرت عليه قاعدة الكتاب في ذلك .

(١) سبق التنبيه على هذا في الصفحة قبل .

ومنها — أن ينبّه على أن من استُحلف في البيعة من وجوه الدولة وأعيان المملكة إن جرى حلفٌ، ويذكر صفة حلفهم وما ألتموه من الأيمان المؤكدة، والمواثيق المغلظة .

المقصود الرابع

(في بيان مواضع الخلافة التي يستدعى الحال كتابة المبايعات فيها)

وهي أربعة أمور :

أحدها — موت الخليفة المتقدم عن غير عهد لخليفة بعده ، وهو موضوعها الأصلي الذي عليه بُنيت .

الثاني — أن يعهد الخليفة إلى خليفة بعده ، ثم يموت العاهد ويستقر المعهود إليه بالخلافة بالعهد بعده ، فتؤخذ البيعة العامة على الرعية ، إظهاراً لوقوع الإجماع على خلافته ، والاتفاق على إمامته .

الثالث — أن تؤخذ البيعة للخليفة بحضور ولايته ، ثم تُنفذ الكتب إلى الأعمال لأخذ البيعة على أهلها ، فيأخذ كل صاحب عملٍ له البيعة على أهل عمله .

الرابع — أن يعرض للخليفة خللٌ في حال خلافته : من ظهور مخالفٍ أو خروجٍ خارجيٍّ ، فيحتاج إلى تجديد البيعة له حيث وقع الخلاف .

ولكل من هذه الأحوال ضربٌ من الكتابة يُحتاج فيه إلى بيان السبب الموجب لأخذ تلك البيعة .

المقصد الخامس

(في بيان صورة ما يُكْتَبُ في بَيْعَاتِ الخلفاء، وفيها أربعة مذاهب)

المذهب الأول

(أن تُفْتَحَ المبايعةُ بلفظ « تَبَايعَ فلانا أمير المؤمنين »)

خطاباً لمن تُوخَذُ عليه البيعة)

ويذكر ما يقع عليه نطق المبايعة، ويأتي بما سَحَّ من أمر البيعة، ثم يذكر الخلفاء عليها، وعلى ذلك جرى مصطلح كتاب خلفاء بني أمية، ثم خلفاء بني العباس بعدهم بيعة آية.

وأتم الله له تقدم في المقصد الأول من هذا الفصل أنه لم يُنْقَلْ أنه كُتِبَ للمسلمين بأمر الله ولا أن ولي الخلافة بعده من الصعوبة من غير عهد بيعة، وإنما كانت خلافة بني أمية، وآل الأئمة إلى عبد الملك بن مروان، وأقام الحجاج أبا بكر بن خلف عن راية العراق، وأخذ في أخذ البيعة لعبد الملك بالبراق، رتب أيماناً على من قُتِلَ على الخلف بالله تعالى والطلاق والنسيان والأيمان المُخْرِجات، يُخَلَفُ بها على البيعة، ما استبرأت بين الفسهاء بأيمان البيعة، وأُطْرِدَ أحرها في الدولة العباسية بعد ذلك، وجرى مصطلحهم في ذلك على هذا الأسلوب.

وهذه نسخة من نسخة، ذكرها أبو الحسين بن عساق المسائي في كتابه

« غرر البلاغة »

تَبَايعَ عبد الله أمير المؤمنين فلانا بيعة طَوْحَ فلانا أمير المؤمنين وإيثاراً وإعلاناً

وإسراراً، وإظهاراً وإخفاءً، ومنحةً من أقل، ومنحةً من غير أقل، وميثاب من غير

تهديل . ووقار من غير تأويل ؛ وأعتراف بما فيها من آجتاع الشمل ، وأتصال
الحبل ؛ وانتظام الأمور ، وصلاح الجمهور ؛ وحسن الدماء ، وسكون الدهماء ؛
وسعادة الخاصة والعامة ، وحسن العائدة على أهل الملة والذمة - على أن عبد الله فلانا
أمير المؤمنين عبد الله ، الذي أصطفاه ؛ وخلفته الذي جعل طاعته جارية بالحق ،
وموجبة على الخلق ؛ وموردة لهم موارد الأمن ، وعاقدة لهم معاهد اليمين ؛ وولايته
مؤذنة لهم بحمائل الصنع ، ومؤدية بهم إلى جزيل النفع ؛ وإمامته الإمامة التي أقرن بها
الخير والبركة ، والمصلحة العامة المشتركة ؛ وأمل فيها قمع الملحد الجاحد ، ورد الجائر
الحائد ؛ ووقم العاصي الخاليع . وعطف الغازي المنازع - وعلى أنك ولي أوليائه ،
وعدو أعدائه : من كل داخل في الجملة ، وخارج عن المسلة ، وحائد عن الدعوه .
ومتمسك بما يذليه ، عن إخلاص من رأيك ، وحقيقة من وفائك ؛ لا تقض
ولا تنكث ولا تخلف ولا توارى ولا تخادع ، ولا تداحي ولا تُخاتل ؛ علانيتك مثل
نينك ، وقولك مثل طويتك - وعلى أن لا ترجع عن شيء من حقوق هذه البيعة
وشرائطها على مر الأيام وتطاولها ، وتغير الأحوال وتقلبها ، واختلاف الأزمان
وتقلبها - على أنك في كل ذلك من أهل الملة الإسلامية ودعاتها ، وأعاون الدولة
العباسية ورعاتها ؛ لا يدخل قولك مواربة ولا مداهنة ، ولا تعترضه مغالطة
ولا تتعقبه مخالفه ؛ ولا تحيس به أمانه ، ولا تغله خيانه ؛ حتى لقي الله تعالى مفياً
على أمرك ، وفياً بعهدك ؛ إذ كان مباعاً ولاة الأمور وخلفاء الله تعالى في الأرض
﴿ إِنَّمَا يُبَايِعُ اللَّهُ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى
بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنْ أَيْدِيهِمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ ﴾ .

عليك بهذه البيعة - التي أعطيت بها صفعة يدك ، وأصفيت فيها سريرة قلبك ؛
وألزمت القيام بها ما طال عمرك ، وأمدت

إِنَّ سَهْدَ اللَّهِ كَأَنَّ

مَسْئُولًا ، وَمَا أَخَذَهُ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَحَمَلَةَ عَرْشِهِ مِنْ أَيْمَانٍ مَغْلُظَةٍ
وَعُهُودٍ مُؤَكَّدَةٍ ، وَمَوَائِقَ مَشَدَّدَةٍ ، عَلَىٰ أَنْكَ تَسْمَعُ وَتُصْنَعِي ، وَتُطِيعُ وَلَا تَعْصِي ،
وَتَعْتَدِلُ وَلَا تَمِيلُ ، وَتَسْتَقِيمُ وَلَا تَحِيدُ ، وَتَفِي وَلَا تَغْدِرُ ، وَتَثْبُتُ وَلَا تُتَغَيَّرُ ، فَتِي
زَلَّتْ عَنْ هَذِهِ الْمَحَجَّةِ حَاقِرًا لِأَمَانَتِكَ ، وَرَافِعًا لِذِيانَتِكَ ، فَحَدَّثَ اللَّهُ تَعَالَىٰ رَبُّوبِيَّتَهُ ،
وَأَزَدَتْهُ وَحْدَانِيَّتَهُ ، وَقَطَعَتْ عِصْمَةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَدَدَتْهَا ، وَرَمَيْتَ
طَاعَتَهُ وَرَاءَ ظَهْرِكَ وَنَبَذْتَهَا ، وَأَقَيْتَ اللَّهُ يَوْمَ الْحَشْرِ إِلَيْهِ ، وَالْعَرَضَ عَلَيْهِ ، مُخَالَفًا
لِأَمْرِهِ ، وَخَائِنًا لِعَهْدِهِ ، وَمَقِيًّا عَلَىٰ الْإِنْكَارِ لَهُ ، وَمُصِرًّا عَلَىٰ الْإِشْرَاقِ بِهِ ، وَكُلُّ مَا حَلَّلَهُ
اللَّهُ لَكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكَ ، وَكُلُّ مَا تَمَلَّكَ يَوْمَ رُجُوعِكَ عَنْ ذَلِكَ ، وَأَرْتَجِعُكَ مَا أَعْطَيْتَهُ
فِي قَوْلِكَ : مِنْ مَالٍ مُوجُودٍ وَمَذْخُورٍ ، وَمَصْنُوعٍ وَمَضْرُوبٍ ، وَسَارِجٍ وَمَرْبُوطٍ ،
وَسَائِمٍ وَمَعْقُولٍ ، وَارِضٍ وَضَّيْعَةٍ ، وَعَقَّارٍ وَعُقُودَةٍ ، وَمَمْلُوكٍ وَأَمَةٍ ، صَدَقَةٌ عَلَىٰ
الْمَسَاكِينِ ، مُحَرَّمَةٌ عَلَىٰ مَرَّةِ السِّنِينَ ، وَكُلُّ أَمْرَاءٍ لَكَ تَمَلَّكَ شَعْرَهَا وَبَشَرَهَا ، وَأُخْرَىٰ
تَتَرَوُّجُهَا بَعْدَهَا ، طَالِقٌ ثَلَاثًا بَتَانًا ، طَلَّاقُ الْحَرَجِ وَالسُّنَّةِ لِارْجَعَةِ فِيهِ وَلَا مَشْيُوبَةٍ ،
وَعَلَيْكَ الْحُجُّ إِلَىٰ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ الَّذِي بِمَكَّةَ ثَلَاثِينَ دَفْعَةً حَاسِرًا حَافِيًا ، رَاجِلًا
مَاتِيًّا ، نَذْرًا لِأَزْمَا ، وَوَعْدًا صَادِقًا ، لَا يَبْرُئُكَ مِنْهَا إِلَّا الْقَضَاءُ لَهَا ، وَالْوَفَاءُ بِهَا ،
وَلَا قَبِيلَ اللَّهِ مِنْكَ تَوْبَةٌ وَلَا رَجْعَةٌ ، وَخَذَلْتَ يَوْمَ الْإِسْتِنْصَارِ بِحَوْلِهِ ، وَأَسْلَمْتَ عِنْدَ
الْإِعْتِصَامِ بِحَمَلِهِ ، وَهَذِهِ الْيَمِينُ قَوْلُكَ قَلْتَهَا قَوْلًا فَصِيحًا ، وَسَرَدْتَهَا سَرْدًا صَحِيحًا ،
وَأَخْلَصْتَ فِيهَا سِرَّكَ إِخْلَاصًا مُبِينًا ، وَصَدَقْتَ فِيهَا عَزْمَكَ صِدْقًا يَقِينًا ، وَالنِّيَّةُ فِيهَا
نِيَّةُ فُلَانٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ دُونَ نَيْتِكَ ، وَالطَّوْبَةُ [فِيهَا طَوْبَتُهُ] دُونَ طَوْبَتِكَ ، وَأَشْهَدُ
اللَّهُ عَلَىٰ نَفْسِكَ ذَلِكَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ، يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ عَلَيْهَا حَافِظًا وَرَقِيبًا .



وهذه نسخة بيعة أخرى من هذا الأسلوب ، أوردها ابن حمدون في تذكروته ، وربما وافق فيها بعض ألفاظ البيعة السابقة ، وهي :

تُبَاعُ الإمام أمير المؤمنين فلانا ببيعة طوع وإيثار ، واعتقاد وإضمار ، وإعلان وإسرار ، وإخلاص من طويتك ، وصديق من نيتك ، وأنشراح صدرك وصحة عزيمتك ، طائعا غير مكره ، ومُنقادا غير مُجبر ، مُقرا بفضلها ، مُذعنا بحقها ، معترفا ببركتها ، ومعتدا بحسن عائدتها ، وعالما بما فيها وفي توكيدها من صلاح الكافة ، واجتماع الكلمة [من] الخاصة والعامة ، ولم الشعث ، وأمن العواقب ، وسكون الدهماء ، وعز الأولياء ، وقمع الأعداء - على أن فلانا عبد الله وخليفته ، المفترض طاعته ، والواجب على الأمة إقامته وولايته ، اللازم لهم القيام بحقه ، والوفاء بعهده ، لا تُسك فيه ، ولا ترتاب به ، ولا تُداهن في أمره ولا تميل . وأنك ولي وليه ، وعدو عدوه : من خاص وعم ، وقريب وبعيد ، وحاضر وغائب ، متمسك في بيعته بوفاء العهد ، وذمة العقد ، سريرتك مثل علانيتك ، وظاهرك فيه وفق باطنك - على أن أعطيت الله هذه البيعة من نفسك ، وتوكيدك إياها في عُنُقك ، لفلان أمير المؤمنين عن سلامة من قلبك ، وأستقامة من عزمك ، وأستمرار من هواك ورأيك - على أن لا تتأول عليه فيها ، ولا تسعى في تقض شيء منها ، ولا تقعد عن نصره في الرخاء والشدة ، ولا تدع النصر له في كل حال راهنة وحادثة ، حتى تلقى الله مؤذنا بها ، مؤذيا للأمانة فيها ، إذ كان الذين يُبايعون ولاة الأمر ، وخلفاء الله في الأرض ﴿ إِمَّا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَتْ فَمَأَ سِيكُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ .

عليك بهذه البيعة - التي طَوَّقَتْهَا عُنُقُكَ ، وَبَسَطْتَ لَهَا يَدَكَ ، وَأَعْطَيْتَ بِهَا صَفَّتِكَ ، وَمَا شَرِطَ عَلَيْكَ فِيهَا : مِنْ وِفَاءٍ وَمُؤَالَاةٍ ، وَنُصْحٍ وَمَشَايِعَةٍ ، وَطَائِبَةٍ وَمَوَانِقَةٍ وَأَجْتِهَادٍ وَمَتَابَعَةٍ - عَهْدُ اللَّهِ إِنَّ عَهْدَ اللَّهِ كَانَ مَسْئُولًا . وَمَا أَخَذَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَعَلَى مَنْ أَخَذَ مِنْ عِبَادِهِ ، وَكَيْدَاتِ مَوَائِقِهِ وَمُحْكَمَاتِ عُهُودِهِ ؛ وَعَلَى أَنْ نَتَمَسَّكَ بِهَا وَلَا نُتَبَدَّلَ ، وَتَسْتَقِيمَ وَلَا تَمِيلَ ؛ وَإِنْ نَكثْتَ هَذِهِ الْبَيْعَةَ أَوْ بَدَّلْتَ شَرْطًا مِنْ شُرُوطِهَا ، أَوْ عَفَّيْتَ رِشْمًا مِنْ رُسُومِهَا ، أَوْ غَيَّرْتَ حُكْمًا مِنْ أَحْكَامِهَا ؛ مَعْلِنًا أَوْ مُسِرًّا أَوْ مُخْتَلًا أَوْ مُتَاوَلًا ؛ أَوْ زَعَتَ عَنِ السَّبِيلِ الَّتِي يُسَلِّكُهَا مِنْ لِيُحَقِّرَ الْأَمَانَةَ ، وَلَا يَسْتَحِيلَ الْغَدْرَ وَالْحِيَانَةَ ؛ وَلَا يَسْتَجِيزُ حَلَّ الْعُقُودِ ، فَكُلِّ مَا تَمْلِكُهُ مِنْ عَيْنٍ أَوْ وَرِقٍ أَوْ آتِيَةٍ ، أَوْ عَقَارٍ أَوْ سَائِمَةٍ ، أَوْ زَرْعٍ ، أَوْ صَرَعٍ ؛ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صُنُوفِ الْأَمْلاكِ الْمَعْتَدَةِ ، وَالْأَمْوَالِ الْمُنْدَحَرَةِ ؛ صَدَقَةً عَلَى الْمَسَاكِينِ ، مُحَرَّمٌ عَلَيْكَ أَنْ تَرْجِعَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى شَيْءٍ مِنْ مَالِكَ بِحِيلَةٍ مِنَ الْحَيْلِ ، عَلَى وَجْهِ مِنَ الْوَجُوهِ ، وَسَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ ؛ أَوْ تَخْرُجَ مِنْ تَخَارِجِ الْأَيْمَانِ ؛ وَكُلُّ مَا تَعْتَدُهُ فِي بَقِيَّةِ عَمْرِكَ مِنْ مَالٍ يَقِلُّ خَطَرُهُ أَوْ يَجَلُّ فَتَلِكُ سَبِيلُهُ إِلَى أَنْ تَتَوَفَّاكَ مَيِّتًا أَوْ يَأْتِيكَ أَجَلُكَ ؛ وَكُلُّ أَمْرٍ لَكَ الْيَوْمَ ^(١) ؛ وَأُخْرَى تَتَرَوَّجُهَا بَعْدَهَا مَذَّةً بِقَائِكَ طَالِقًا ثَلَاثًا بَتَاءً - طَلَّاقَ الْحَرَجِ وَالسُّنَّةَ لَامْتَنَرِيَّةً فِيهِ وَلَا رَجْعَةَ ؛ وَعَلَيْكَ الْمَشْيُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ثَلَاثِينَ حَافِيًا ، حَاسِرًا (أَجْلًا) لَا يَرْضَى اللَّهُ مِنْكَ إِلَّا بِالْوَفَاءِ بِهَا ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْكَ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا ؛ وَحَذْلِكَ يَوْمَ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ ؛ وَرَأْيِكَ مِنْ حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ ، وَأَجْحَاكَ إِلَى حَرْبِكَ وَقُوَّتِكَ ، وَإِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِذَلِكَ شَهِيدٌ ، وَكَهْنٌ بِهِ شَهِيدًا .

(١) فِي الْأَسْوَلِ "رَبِّي مَلِكٌ لَكَ الْيَوْمَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ" .



وهذه نسخة أخرى من هذا الأسلوب ، أوردها أبو الحسين الصابي في "غرر البلاغة" وهي :

تُبَايِعُ أميرَ المؤمنين بِقُوَّةٍ من بَصِيرَتِكَ ، وَصِحَّةٍ من سِرِّيَتِكَ ، وَصَفَاءٍ من عَقِيدَتِكَ ، وَصِدْقٍ من عَزِيمَتِكَ ، عَلَى الرِّضَا [به] وَالْوَفَاءَ لَهُ ، وَالْإِخْلَاصَ فِي طَاعَتِهِ ، وَالْإِجْتِهَادَ فِي مُنَاصَحَتِهِ ، وَعَقْدَ النِّيَّةِ عَلَى مَوَالَاتِهِ ، وَبَدَلَ القُدْرَةِ فِي مَمَالَاتِهِ ، وَأَنْ تَكُونَ لِأَنْصَارِهِ عَوْنًا ، وَلِأَوْلِيَائِهِ حِزْبًا ، وَلِأَعْدَائِهِ حَرْبًا ، عَارِفِينَ بِمَا فِي ذَلِكَ من الحَظِّ ، وَمَعْتَرِفِينَ بِمَا يَلْزَمُ فِيهِ من الحَقِّ ، وَمَحَافِظِينَ عَلَى مَا حَرَسَ المِلَّةَ الإِسْلَامِيَّةَ ، وَالدَّوْلَةَ العَبَّاسِيَّةَ ، ثَبَّتَ اللهُ قَوَاعِدَهَا ، وَأَحْكَمَ مَعَاقِدَهَا ، وَزَادَهَا أَسْتِمْرَارًا عَلَى مَرِّ الدُّهُورِ ، وَأَسْتِقْرَارًا عَلَى كَرِّ العُصُورِ ، وَعِزًّا عَلَى تَقَلُّبِ الأُمُورِ ، وَأَشْتِدَادًا عَلَى تَغَلُّبِ المَقْدُورِ ، فَإِنْ خَالَفتُ ذَلِكَ مُسِرًّا أَوْ مُعَلِنًا ، وَحُلْتُ عَنْهُ مُظْهِرًا أَوْ مُبْطِنًا ، وَحَلَلْتُ عَقُودَهُ نَاكثًا أَوْ نَاقِضًا ، وَتَأَوَّلْتُ فِيهِ مُحَاوِلًا لِلخُرُوجِ مِنْهُ ، وَأَسْتَنْثَيْتُ عَلَيْهِ طَالِبًا لِلرَّجُوعِ عَنْهُ ، فَبِرَأْيِي اللهُ مِنْ حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ ، وَسَلْبِي مَا وَهَبَ مِنْ فَضْلِهِ وَنِعْمَتِهِ ، وَمَنْعِي مَا وَعَدَ مِنْ رَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ ، وَخَلَّانِي مِنْ يَدَيْهِ ، يَوْمَ الفَرَجِ الأَكْبَرِ لَدَيْهِ ، وَحَنَثَ كُلَّ يَمِينٍ حَلَفَهَا المُسْلِمُونَ عَلَى قَدِيمِ الأَيَّامِ وَحَدِيثِهَا ، وَالتَّنَاهَى فِي تَأْكِيدِهَا وَتَشْدِيدِهَا ، وَأَعْرَوْهَا مِنْ لِبَاسِ الشُّبْهِ ، وَأَخْلَوْهَا مِنْ دَوَاعِي المَخَانَةِ ، وَهَذِهِ الِيمِينُ يَمِينِي : أوردتها على صِدْقٍ من يَمِينِي .

وَصِحَّةٍ من عَزِيمَتِي ، وَأَتَّفَاقٍ من سَرِّي وَعَلَانِيَتِي ، وَسَرَدْتُهَا سَرْدًا مُتَتَابِعًا مِنْ غَيْرِ فِصْلٍ ، وَتَلَفَّظْتُ بِهَا تَلَفُّظًا مِنْ غَيْرِ قِطْعٍ ، وَالنِّيَّةُ فِيهَا نِيَّةُ فُلَانٍ : عَلَى حُضُورِ مَنْهٍ وَغَيْبٍ ، وَبُعْدٍ وَقُرْبٍ ، وَأَشْهَدُ اللهُ تَعَالَى بِمَا عَقَدْتُهُ عَلَى نَفْسِي مِنْهَا ، وَكَفَى اللهُ بِاللهِ شَهِيدًا عَلَى مَنْ أَشْهَدَهُ ، وَحَسِيْبًا عَلَى مَنْ آجَرَ عَلَى إِخْفَارِ عَهْدِهِ ، وَنَقْضِ عَقْدِهِ .

قلت : فإن كان من تؤخذ عليه المبايعة آئين ، أتى في المبايعة بصيغة التثنية ، أو ثلاثة فأكثر ، أتى بصيغة الجمع . ولم أقف على كيفية وضعهم لذلك في الكتابة ، والذي يظهر أن المبايعة كانت تكتب على الصورة المتقدمة ، ثم يكتب المبايعون خطوطهم بصُدورها عنهم ، كما يفعل الآن في تحليف من يخلف من الأمراء وغيرهم من أرباب الوظائف بالمملكة المصرية والممالك الشامية ، أو يُشهد عليهم في آخر البيعة بمعاقبتهم عليها ورضاهم بها ونحو ذلك .

المذهب الثاني

(مما يكتب في بيعات الخلفاء)

أن تُفتَح المبايعة بلفظ « من عبد الله ووليّه فلان أبي فلان الإمام الفلاني » إلى أهل دولته ، ونحو ذلك ^(١) بالسّلام عليهم ، ويُؤتى بما سَنَح من الكلام ، ثم يُقال : أمّا بعد . فالحمد لله ، ويؤتى على وصفه بشريف المناقب ، وأستحقاقه للخلافة ، وأستجماعه لشروطها ، وما يجرى هذا المجرى ، ثم ينحصر في سلك البيعة ، ويذكر القائم بأخذها على الناس من سلطان أو وزير عظيم أو نحو ذلك ، ويذكر من أمر ولاية الخليفة ما فيه أستجلاب قلوب الرعية والأخذ بنحو اطهرهم وما ينحصر في هذا السلك .

وهذه نسخة بيعة من هذا الأسلوب ، لوليّ عهد بعد موت العاهد ، كتبت بها لبعض خلفاء الفاطميين ، ليس فيها تعرض لذكر الوزير القائم بها ، وهي :

(١) لعله ونحو ذلك ويتبع ذلك الخ تأمل .

من عبد الله ووليه «أبي فلان فلان بن فلان» الإمام الفلاني، بأمر الله تعالى أمير المؤمنين، إلى من يضمه نطاق الدولة العلوية : من أمراءها وأعيانها، وكبرائها وأولياءها، على آتساع شعوبهم، وعساكرها على اختلاف ضروبهم، وقبائل عربها القيسية واليمانية، وكافة من تشمله أقطارها من أجناس الرعيه : الأمير منهم والمأمور، والمشهور منهم والمغمور، والأسود والأحمر، والأصغر والأكبر، وفقهم الله وبارك فيهم .

سلام عليكم، فإن أمير المؤمنين محمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، ويسأله أن يصلي على محمد خاتم النبيين، وسيد المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين، الأئمة المهديين، وسلم تسليما .

أما بعد، فالحمد لله مولى المنّ الحسيم، ومبدي الطول العميم، ومايح جزيل الأجر بالصبر العظيم، مفيد النعم المتشعبة الفنون، ومدني المهج المتعالية لتناول المنون، ومبيد الأعمار ومفنيها، وناثر الأموات ومحييها، والفتاح إذا استغلت الأبواب، والقائل : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ الذي لا يغير ملكه مرور الغير، ولا يصرف سلطانه تصرف القدر، ولا يدرك قدمه وأزليته، ولا ينفد بقاءه وسرمديته، مسلم الأنام للحمام، ومضحي الأنفس بسهام الإخترام، وموريد البشر من المنية منهلًا ما يرسوا في رنقه يكرعون، ولتره المشرق يتجرعون، ومعزز ذلك بقوله : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُم بِالشَّرِّ وَاخْتَرْتُمُونَا فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ .

والحمد لله الذي نصب الأنبياء لمرأشده أعلاما، وحفظ بيعتهم من الحق والهدى نظاما، وجعل نبوة جدنا محمد صلى الله عليه وسلم لنبواتهم ختامًا، وعضد بوصيه أينا

امير المؤمنين علي بن أبي طالب كلاً للدين وإماماً ، واستخلص من ذرتيها أئمة هادين إتقاناً لصنعتيه وإحكاماً ، وأدام الحجّة على الأمم بأن أقام لكل زمان منهم إماماً ، وعاقب بين أنوار الإمامة فإذا انقبض نور أنبسط نور ، وتابع ظهور بدوره ليشرق طالع إثر غارب يغور ، رحمة شاملة للعالمين ، وحكمة تامة حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ؛ ولم يُخل نبياً مع ما شرفه [به] من تناول وحيه وتلقّيه ، ولا عصم إماماً مع اختصاصه بفروع منصب الإمامة وترقيته ، من لقاء المنية ، ووداع الأمانة ؛ بل أجل لكل منهم أجلاً مكتوباً ، وفصح له أمداً محصوراً ؛ سوباً ؛ لا يصرفه عن وصوله فضيله ، ولا يصل إلى تجاوزه بقوة ولا حيله ؛ قدرة محكمة الأسباب ، وعبرة واضحة لأولي الألباب ؛ وقضية أوضحها فرقانه الذي أقرّ بإعجازه الجاحدون ، إذ يقول مخاطباً لبيه : ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان من فهم الخالدون ﴾ .

والحمد لله الذي منّح أمير المؤمنين من خصائص الإمامة وأنوارها ، وحاز له من ذخائرها وأودعه من أسرارها ، ما خوله فاحرثاها ، وأصار له شرف ميراثها ؛ وجعله القائم بحقه ، والمرشد لخلقها ؛ والمأخى بهداه ليلاً من الضلال بهما ، والحاوي بخلافته مجداً لا يزال ثناؤه عظيماً : ﴿ ذلك الفضل من الله وكفى بالله علماً ﴾ .

يحمده أمير المؤمنين على أن أوضح بابائه الأئمة سبل الحقائق ، فأصبحوا خلفاء الخالق وأئمة الخلائق ؛ وخوله ما اختصهم به من الإمامة ، ورنعه بها إلى أشمخ منازي العلا وأرفع مواطن الكرامة ؛ ويستمدّه شكراً يوازي النعم التي أثبتت [له] على سرير الخلافة وسرها قدماً ، وصبراً يوازن الفجعة التي قل لها فيض المدامع دماً .

ويسأله أنت يصلي على جنته يومئذ ففتى بوجده شرح الإفساد . وخصه
 باجتهاده من قال عن أبيه وسماه رسول الله صلى الله عليه وآله . التوحيد . ودانت
 لمعجزاته الأمم وقد دعاها وهو المصدق الوحيه ولم يزل يبذلها في سريته وبيته .
 حريصا على اظهار دينه بيده ولسانه وقلبه . حتى استأثر به دقيقتاه . وبذل من الدنيا
 شرب جواره وعوضه . وأصابه فيه الغم . حتى بصر وبشره وأمن دين الله وأتمره .
 وعلى أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إمام الأنبياء وأبي الأئمة . وقادوة
 السعداء . وسيد الشهداء . وعاضدة الذين صدقوا المشركين . ومن ثم لم يزل
 ذبه شديدا الإيقار . حسبي الله عيسى . وعلى الله الأئمة من بعدهم .
 أيقظوا القلوب بآياتهم من السنة . وأدغم من الله فيهم .
 بتعبيدهم الأئمة .

ورب الإمام الغلام لميز الله أمير المؤمنين كان . وأيضا له شرفه الله واستخلصه .
 وأفرده بإمامة نفسه وخصه . ويقضي إليه أمر جلالته . وحيه سبحانه .
 الطمخ دون غيره . ولا يفتا . فله معق . وقد وعظ . وعمل . وفعله في من وفرضه .
 الأعداء لم يظفوا .
 عن أشياخ الملا . وأبنته في عهد أئمة القاد . وخصه على منسفة أئمة القاد .
 أمه . ووفر على ما يعطى عنه الله تعالى .
 إلا احتملها . ولا روية إلا عرقها في إرشاد خلقه وأعملها .
 وأستكمل الأنفاس المصدرة . بأحسن الله له الإختيار .
 والزلفى بسكنى دار القرار .
 فليس مع أبائه الأئمة الإظهار .
 مستوجبا بتعبه أصل بصوابه .

Marfat.com

... ..
... ..
... ..
... ..
... ..

... ..
... ..
... ..
... ..

... ..
... ..
... ..

... ..

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

الذين هم خير البرية

والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

والسلام على من لا نبي بعده

والسلام على من لا نبي بعده

والسلام

والسلام على من لا نبي بعده

والسلام على من لا نبي بعده

والسلام

والسلام على من لا نبي بعده

في يوم مجازاته ، وسيدته وعفته فإبراهيم من النعم المظية من ذلك لطف الله في إيمانه
 من إنشاء والله ذو الفضل العظيم .

عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، قوله الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ إِذَا أُتُوا بِالْحَسَنَاتِ قَالُوا هَذَا الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ فَوَجَّهْنَا بِنُورِهِمْ سُبْحَانَ رَبِّنَا أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتٍ أَنْ يَسْمَعُوا قَوْلَ اللَّهِ وَرَبِّهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .
 وهذا الحديث يدل على أن الصالحين إذا عملوا الصالحات ، فإن الله سبحانه وتعالى يوجههم بنوره ،
 ويكشف لهم ما كانوا يعملون من الصالحات ، ويكشف لهم ما كانوا يعملون من السيئات ،
 وهذا هو معنى قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ إِذَا أُتُوا بِالْحَسَنَاتِ قَالُوا هَذَا الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ فَوَجَّهْنَا بِنُورِهِمْ سُبْحَانَ رَبِّنَا أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتٍ أَنْ يَسْمَعُوا قَوْلَ اللَّهِ وَرَبِّهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .
 وهذا الحديث يدل على أن الصالحين إذا عملوا الصالحات ، فإن الله سبحانه وتعالى يوجههم بنوره ،
 ويكشف لهم ما كانوا يعملون من الصالحات ، ويكشف لهم ما كانوا يعملون من السيئات ،
 وهذا هو معنى قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ إِذَا أُتُوا بِالْحَسَنَاتِ قَالُوا هَذَا الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ فَوَجَّهْنَا بِنُورِهِمْ سُبْحَانَ رَبِّنَا أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتٍ أَنْ يَسْمَعُوا قَوْلَ اللَّهِ وَرَبِّهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

وإن الحق إن خفي حيناً فلا بدّ فإلا من الإبدار وأندس النور ، وإن الشمس
 توارت بأحجاب فما أوشك عودتها إلى البروج والظهور ، وإن حسن العبد إلى أن
 يبلغ الكتاب أجله يؤمن من تدلية الشيطان بالنور . قال الله عز وجل في كتابه
 الذي هدانا به : ﴿ وَإِنْ تَصِبُوا وَلَمْ تَشْكُرُوا لَأَوْبَقْنَا آلَكُمْ مِنْ ذَلِكَ مِنْ عَذَابِ الْأَوْبِقِينَ ﴾ .

وإن الله تعالى لرافته عن أبدعه من خلقه وأنشأه ، وأسبغ عليه نوراً
 الدار على ما أراده عز وجل وشأه ، لا يخل الأرض ، من نور استغنى به شمسي
 في الليل البهيم ، ولا يدع الأمة بلا إمام يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ،
 فهو جل وعلا عدل من أن يجعل بعيد الإيمان من حلي الإمامة عطلا ، أو يترك

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الحمد لله رب العالمین والصلوة والسلام علی من لا نبي بعده

الحمد لله رب العالمین والصلوة والسلام علی من لا نبي بعده

والصلاة والسلام علی من لا نبي بعده

والصلاة والسلام علی من لا نبي بعده

والصلاة والسلام علی من لا نبي بعده

والصلاة والسلام علی من لا نبي بعده

والصلاة والسلام علی من لا نبي بعده

والصلاة والسلام علی من لا نبي بعده

والصلاة والسلام علی من لا نبي بعده

والصلاة والسلام علی من لا نبي بعده

والصلاة والسلام علی من لا نبي بعده

والصلاة والسلام علی من لا نبي بعده

والصلاة والسلام علی من لا نبي بعده

والصلاة والسلام علی من لا نبي بعده

والصلاة والسلام علی من لا نبي بعده

والصلاة والسلام علی من لا نبي بعده

والصلاة والسلام علی من لا نبي بعده

والصلاة والسلام علی من لا نبي بعده

والصلاة والسلام علی من لا نبي بعده

والصلاة والسلام علی من لا نبي بعده

والصلاة والسلام علی من لا نبي بعده

والصلاة والسلام علی من لا نبي بعده

والصلاة والسلام علی من لا نبي بعده

والصلاة والسلام علی من لا نبي بعده

والصلاة والسلام علی من لا نبي بعده

والصلاة والسلام علی من لا نبي بعده

والصلاة والسلام علی من لا نبي بعده

الأمير الواضع الحلي ، وتساوى في علمه الشافعي والولي ، وعلم هو ما منحني الله به
 أمر المؤمنين من الإمامه ، وأزاله عن العقول من ضباب متكاثف وعمامة ، وشمله
 به من فضله ورائته ، ونصبه فيه من مناصب خلافتها التي أبدقا بوليته ووزيره ،
 وعصدها بصفيته وظهيره ، السيد الأجل أبي الفتح ياقب الحافظي الذي جعله الله
 على أعتابه بدولة أمير المؤمنين من أوضح الشواهد والدلائل ، وعرف به عن مملكته
 عهد نور الصدوق والغوائل ، وأقام منه لمنهج الخلافة مخلصا جمع فيه أمساب
 المناسبات والنضائل ، وأيده بالتوفيق في قوله رفيعه فاروق على الأوج والأوائل ،
 ودلت سيرته الفاضلة على أنه قد عمّر ما بين الله وبينه ، وعكست سنته السادة أن كل
 مدح لا يبلغ ثناءه وكل وصف لا يقع إلا ذمّه ، والله يشعب نفسه بحسبه وإدبته ،
 ويفتح لأمر المؤمنين مشرق الأرض وسفاريها على بيته ، وهذا الحق أن الإسلام
 قد أحدث له قوة وتمكين ، أن ذكر الإيمان قد ازدادوا إيمانا وأسبغوا رايه
 فيجب تلويحها في الكسب والتمسك في زنده منتشرة في دورك ، طيبة شريفة
 مجتهدين له في خدمة القائلين بهج إسمائه ، فله بين اليه مناصحة تحطيك عند الله
 سبحانه ، فاعلم بشرط التيمنة الأثر في غير أئمة المر يتكلم في فعلهم ، ويقع
 الإجماع بينهم ، ولكن على أي حال من الله ، كان يكره ما في من الصفات متجاوزا
 كرمها ، وبالكافة ربوا ربه ، وعلى الأخص بطرق شريفة ، والله يفتح من السور
 عالم بأية تزيده ، ويبلغ في أمر منكم إن شاء الله ، من روي من الدنيا
 ما يستخلص الضائر ، ويسبغ من الإنعام ما يقتضي نقاء السرائر ، وأمر الله
 يسأل الله أن يعرفكم بركة إمامته ، وأن يخلصكم ، وأن يجعلها منافع بلوغ المطالب ،
 كافلة لكافكم بسعادة المبادئ والمواقف ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(۱) هذا متعلق إذ قد بين كما لا يخفى .

التمويل الشخصي

1. مقدمة

2. أهداف

3. أهمية

4. أنواع

5. خاتمة

1. مقدمة

التمويل الشخصي هو...

هو...

هو...

هو...

هو...

هو...

هو...

هو...

هو...

هو...

هو...

هو...

هو...

هو...

هو...

هو...

Handwritten text in Urdu script, appearing to be a list or a series of entries. The text is very faint and difficult to read, but it seems to contain several lines of text, possibly organized in a table or list format. Some words are partially legible, such as "کتاب" (book) and "تاریخ" (history).



وهذه نسخة بيعة كتبت بها أبو المطرف بن عميرة الأندلسي بأخذ البيعة من أهل
شاطبة من الأندلس لأبي جعفر المستنصر بالله العباسي ، قام بقضاءها أبو عبد الله
محمد بن يوسف بن هود صاحب الأندلس ، ثم أخذ البيعة بعد ذلك عليهم لنفسه ،
وأن يكون أبنة ولي عهده بعده ، ونهى :

الحمد لله الذي جعل الأرض قراراً ، وأرسل السماء مدراراً ، وبخبر ليلاً ونهاراً ،
وقدر أجلاً وأعماراً ، وخلق الخلق أطواراً ، وجعل لهم إرادة واختياراً ، وأوجد لهم
تفكيراً واختياراً ، وعاهدهم برحمته صفاراً وركاراً .

نحمده حمد من يرجو له وقاراً ، وينبأ من عانده استنكاراً ، وأملد في آياته سعادةً
وأغتراراً ، وصلى الله على سيدنا محمد الشريف نجار ، السامي نهاراً ، ورفيع الليل
شريعته للأمة ساراً ، وأظفأ رسالته للشرك ناراً ، حتى علا الإسلام بغداداً ، وعثر
جأراً وداراً ، وأذعن الكفر اضطراباً ، وأستسدم ذلةً وصفاراً ، فقصي وقتاً
البيضة أنواراً ، وعمها بدعوتهم أجداداً وأنواراً ، وارحبت لولاة نبيهم بسدر صفاراً
وأثماراً ، بفزاء الله أفضل ما نرى نبياً مختاراً ، ورسولاً اجتهاداً أخصاصاً وإيماناً ،
صلى الله عليه وعلى آله الطيبين آثاراً ، وأخباراً ، وعلى أعيان الكرام مهراجراً ،
وأخباراً ، صلاة نوالها إعلاناً وإسراراً ، ونرجو بها مغفرة ربنا إنه كان غفاراً .

أما بعد ، فإن المستأثر بالأمم ، اللطيف بالأنام ، أخصهم برحمته من غير
أن يسطروهم إلى الجاور والدار ، ورسولهم ، أخصهم بالفضل والفضل بالفضل .

المحدود ، بلغ الوقت المحدود ، وطلعت بياض العدل الرايات السود ، تحتها سادات
 الناس ، وناذرة موقف العباس ، وشهب اليوم العباس ، ونجيب البيت الكريم من
 بني العباس ، فأعادوا إلى الأمر رونقه ، ونفوا عن الصنوبر رنقه ، وحموا حرم
 المسلمين ، وأحيوا سنة ابن عمهم سيده المرسلين ، فأصبحت الأمور مضبوطة ،
 والثغور محوطة ، والسبل آمنة ، والرعية في ظلي العدل والأمن ساكنة ، وكان الناس
 قبلهم قد ركبوا الصعب والدلول ، وامتطوا الحزن والشهول ، فوثقوا منهم بطاعتهم ،
 واستحاثوهم على بركاتهم ، ذلك بأمرهم الرمز منها واحداً على القطب ، لارماً به الزاد
 المشرف ، ووجبت له الأمانة الأوتار ، لا سيما من الأثر المنولة ، وقد أتوا
 بالثغور ، وثقوا من قسده كل ، وشهدوا من حلال الصالح والأمر بالعدل ،
 إليها ، فكيف لا يكون في سنة من هذا التكليف المستند إلى الآثار الثمينة ،
 الداعية في أفساح المصباح المرعية ، في سلف من الأئمة المهتدين ، آباء أمير المؤمنين
 وسلفه رب العالمين ، ابن عم سيدنا وسيد المرسلين ، صلوات الله عليهم أجمعين .

لما دعا الناس بالملكة الفلانية فلما دعا الله إلى حجهم القوية ، واستقرت المطامير ،
 بحمد الله ، سجدت أمير المؤمنين ، محمد بن الإسلام ، بحمد الأئمة ، في حرم
 الإسلام ، فخر بركته سرور ، سرور ، لم يترك على الله تعالى أمير المسلمين أبو عبد الله
 محمد بن يوسف بن شاد ، أسعد الله أيامه ، وبصر أعلامه ، وقدم لذلك شوحداً
 المقام الكريم ، متمراً عن ساعد التصميم ، ماضياً على الهول مضاء الحسام
 القاضب ، فاضياً لأمر الله ورضاه على غاية هذا الغاضب ، مالت إليه الأجياد ،
 رانقات عليه البلاد ، فانتظمتها مدينة مدينته ، وجعل التوفيق على الله سبحانه شريعة
 مديعة وذريعة مديعة ، وتقدم - أيده الله - بأشد اليد على كعبه وعلى أهل الملّة
 قاطبة لله ثم بأمر الله سيدنا ومولانا الخليفة (ع) المسترشد بالله أي جعفر

أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه وعلى آله الخلفاء الراشدين ؛ وكان له في ذلك المرامُ
 السَّعِيدِ ، وَالْمَقَامُ الْحَمِيدِ ، وَالْقَدَمُ ^(١)الَّذِي رَضِيَ إِبْدَاءَهُ وَإِعَادَتَهُ الْمُبْدِئِ الْمُعِيدِ ، وَخَاطَبَ
 الدِّيْوَانَ الْعَزِيزِ النَّبَوِيِّ - خَلَّدَ اللَّهُ شَرَفَهُ - مُتَضَرِّعًا لَوْسَائِلِ خِدْمَتِهِ ، مُتَعَرِّضًا لِعَوَاطِفِ
 رَحْمَتِهِ ، وَبَعَثَ رَسُولَهُ عَلِيًّا أَصْدَقَ رَجَاءٍ فِي الْقَبُولِ ، وَأَثْبَتَ أَمَلٍ فِي الْإِسْعَافِ
 بِالْمَأْمُولِ ، وَأَثْنَاءَ هَذِهِ الْإِرَادَةِ الْقَوِيْمَةِ ، وَالسَّعَادَةِ الْكَرِيمَةِ ، تَمَازُضَ أَهْلِ الْبِلَادِ
 فِي تَوْثِيقِ عَقْدِهِمْ لِلسُّلْطَانِ فَلَانِ الْمَشَارِإِلَيْهِ الَّذِي هُوَ حُكْمٌ مِنْ أَحْكَامِ الْإِجْتِمَاعِ
 الْمُنْعَقِدِ ، وَأَصْلٌ أَفْضَى إِلَيْهِ نَظَرُ النَّاطِرِ وَأَجْتِهَادُ الْمُجْتَهِدِ ، إِذْ أَجَالُوا الْأَمْرَ فِيمَا يَزِيدُهُ
 وَثَاقَهُ ، وَيَكْسُو وَجْهَهُ عَلَيَّ الْأَيَّامِ بَشْرًا وَطَلَّاقَهُ ؛ وَيَحْمِلُ الْقُلُوبَ مَطْمِئِنَّةً بِرُسُوحِهِ
 فِي الْأَعْقَابِ ، وَثُبُوتَهُ عَلَيَّ الْأَحْقَابِ ؛ فَلَمْ يَرَوْا رَأْيَا أَسَدًا ، وَلَا عَمَلًا أَحْصَفَ وَأَشَدَّ
 مِنْ أَنْ يَطْلُبُوهُ بِعَقْدِ الْبَيْعَةِ لِأَبْنِهِ الْوَائِقِ بِاللَّهِ الْمُعْتَصِمِ بِهِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ مُجَاهِدِ الدِّينِ ،
 سَيْفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، عَلِيًّا أَنْ يَكُونَ وَلِيًّا عَهْدِهِمْ مُدَّةَ وَالِدِهِ مَدَّ اللَّهُ فِي حَيَاتِهِ ،
 وَأَمِيرُهُمْ عِنْدَ الْأَجَلِ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْ مُوَافَاتِهِ ؛ فَامْضَى لَهُمْ ذَلِكَ مِنْ اتِّفَاقِهِمْ ، وَأُثْبِتُوا
 عَلَيَّ مَاشِرَتَهُ بَيْعَتُهُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ؛ وَبَعْدَ ذَلِكَ أَتَى صَوْلَةُ الْإِسْلَامِ ، وَصِلَةُ دَارِ
 السَّلَامِ ؛ وَوَرَدَ رَسُولٌ مَثَابَةَ الْجَلَالِ ، وَنِيَابَةَ الرَّسَالَةِ ؛ وَمُتَرَمِّمٌ الْمَلَائِكِ ، وَمُعْتَصِمٌ
 الْمَمَالِكِ ؛ وَمَعَهُ الْكِتَابُ الَّذِي هُوَ نَصٌّ أَغْنَى عَنِ الْقِيَاسِ ، بَلْ هُوَ نُورٌ يَمِشِي بِهِ
 فِي النَّاسِ ؛ وَأَدَّى إِلَى السُّلْطَانِ فَلَانِ الْمَشَارِإِلَيْهِ مِنْ تَشْرِيفِ الدِّيْوَانِ الْعَزِيزِ النَّبَوِيِّ
 مَا وَسَّمَهُ مِنَ الْفَخَارِ بِأَجَلٍّ وَسَمِيهِ ، وَقَلَدَهُ السَّيْفَ الصَّارِمَ وَسَمَّاهُ بِاسْمِهِ ، فَتَلَاقَى السِّيفَانِ
 الْمَضْرُوبُ وَالضَّارِبُ ، وَأَشْتَبَدَ الْوَصْفَانِ الْمَاضِي وَالْقَاضِي ؛ وَبَرَزَتْ تِلْكَ الْخَلْعُ
 فَابْيَضَّ وَجْهُ الْإِسْلَامِ مِنْ سَوَادِهَا ، وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَكَادَتْ الْمَنَارُ تُسْمِعُ إِلَيْهِ نَسْرَتًا
 مِنْ أَعْوَادِهَا ؛ وَغَرَّتْ ، وَصَايَا الْإِمَامِ ، عَلَيَّ الْأَنْامِ ؛ فَعَلِمُوا أَنَّهُمَا مِنْ تَرَاثِ الرَّسَالَةِ ،

(١) ذكر القدم لأنه بمعنى السبق تأمل .

وقالوا : كَافِلُ الإِسْلَامِ جَنَّةَ لَهُ بِهَذَا الصَّمْعِ الغَرِيبِ حُكْمَ الكَفَالَةِ ، وَسَمِعُوا مِنْ التَّقَدُّمِ بِإِنصَافِهِمْ ، وَالتَّهَمُّ بِوَأَسَاطِمِهِمْ وَأَطْرَافِهِمْ ، بِجَمَلٍ غَفَرُوا لَهَا الجِبَاهَةَ جُودًا بِالجَهْدِ ، وَسَجَدُوا لِلشُّكْرِ وَالْحَمْدِ ، فَادْرَكُوا مِنْ بَرَكَةِ المَشَاهِدِ أَثْبَتَ شَرِيفٍ وَأَبْقَاهُ ، وَرَأَوْا حَقِيقَةَ مَا كَادَتِ الأَوْدَامُ تُرَوِّقُ عَنْ مَرْقَاهِ ، وَأَزْدَادُوا بِقِينًا بِفَضْلِ مَا عَارَوْا إِلَيْهِ ، وَرَأَوْا عِيَانًا مُرَّيْنًا مَا بَايَعُوا عَلَيْهِ ، فَتَوَافَتُ طَوَائِفُهُمُ المَتَّبِعَةُ ، وَجَمَاهِيرُهُمُ المَجْمُوعَةُ ، بِإِدَارَةٍ إِلَى المَرَامِيِّ الشَّرِيفِ ، وَبِنَاءٍ عَلَى وَصَايَا عَهْدِ الخَلِيفَةِ ، أَنْ يُجَدِّدُوا البَيْعَةَ لِجَاهِدِ الدِّينِ ، سِيفِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ ، تَوَلَّى اللهُ عَضُدَهُ ، وَوَلَّيْتَهُ الوَائِقَ بِاللَّهِ المَعْتَصِمَ بِهِ أَنهَضَهُ اللهُ بِسِرِّهِ بَعْدَهُ ، وَلَمْ تَعُدْ أَنْ تَكُونَ الزِّيَادَةُ الطَّارِئَةُ شَرْطًا فِي تَقْرِيرِ الإِسْرَةِ المَوْدَاةِ وَإِثَابَتِهَا ، أَوْ جَارِيَةِ بَحْرَى السَّنَنِ الَّتِي يُؤَسِّسُ المَصْلَى بِالإِعَادَةِ عِنْدَ فِرَاقِهَا ، فَاعَادُوا بَيْعَتَهُ أَداءً لِلقَرِيبَةِ وَرَجَاءً لِلقَضِيئَةِ ، وَأَسْتَدُّوا إِلَى الإِشَارَاتِ الجَلِيلَةِ ، بَعْدَ الإِسْتِخَارَاتِ الطَّوِيلَةِ ، وَرَأَوْا أَنْ يَأْخُذُوا بِهَا عَادَةَ البَيْعَاتِ العِبَاسِيَّةِ ، وَاتَّخَذُوا حُكْمَ الأَصْلِ دَرِيئًا فِي الإِلْحَاقَاتِ القِيَاسِيَّةِ ، وَابْتَعُوا عَلَى التَّذَكُّرِ بَيْعَةَ أَكْثَرِهَا بِالعُنُودِ المَسْتَحْفَظَةِ ، وَوَقَّعُوهَا بِالأَيْمَانِ المَعْتَمَلَةِ ، وَبَادَرُوا بِهَا نِدَاءً مُنَادِيهِمْ ، وَأَعْطَوْا عَلَى الإِصْفَاقِ بِهَا صَفْقَةً أَيْدِيهِمْ .

وَمَا أَتَى ذَلِكَ إِلَى المَدِّ مِنْ أَهْلِ فِلَانَةَ وَجِهَاتِهَا ، رَأَوْا أَنْ يُجَانِبَ مِنْ سَبْقِهِ . وَيَصْدُقُوا النِّيَّةَ مَعَ نَيْلِ صَدَقَةٍ ، وَيَعْقِدُوا مَا عَقَدُوهُ عَلَى مَا صَحَّحَ بِهِ البَهْدُ الشَّرِيفُ ، وَيَنْظُرُ فِي مَحْضَرِ مَنْهُمْ العُلَمَاءُ وَالصُّلَمَاءُ . وَالأَجْنَادُ وَالأُزْرَاءُ وَالفُقَهَاءُ ، وَالكَافَّةُ عَلَى تَسَابُهِمْ فِي المَرَاتِبِ ، وَتَفَاوُثِهِمْ فِي المَنَاصِبِ ، وَأَخْتِلَافِهِمْ فِي المَوَاطِنِ وَالمَكَاسِبِ ، فَأَمَضُوا بِهَا بَيْعَةَ كَرِيمَةَ المَقَاصِدِ ، سَلِيمَةَ المَعَاوِدِ ، عَهْدَهَا بِكُمْ ، وَعَقْدَهَا بِمَنْ ، وَمَوْجِبُهَا طَاعَةً وَسَمْعًا ، وَالتَّقِيدَ بِهَا سُنَّةً وَشَرْعًا ، وَيَعْمُرُونَ بِهَا أَسْرَارَهُمْ ، وَيَقْنُونَ عَلَيْهَا أَعْيَانَهُمْ ، وَيَبْسُتُونَ بِهَا فِي عُسْرٍ وَيُسْرٍ ، وَرَيْحٍ وَخُسْرٍ ، رَضِيقٍ وَرَفَاهِيَةٍ ، وَحَبَّةٍ

وكرهية ، تبرعوا بذلك كله طوعا ، وأستوفوه فضلا فضلا ونوعا نوعا ، وعاهدوا عليها
الذى يعلم السر وأخفى ، وأضمرُوا منها على ما أبرَّ على الظاهر وأوفى ، وتقبلوا من
الوفاء به ما وصف الله به خليله إذ قال : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ ، وأنتموا بالله الذى
لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم ، وبما أخذت على أنبيائه الكرام من
العهود المؤكدة ، والمواثيق المشددة ، على أنهم إن حادوا عن هذه السبيل ، وأنقادوا
لداعى التحريف والتبديل ، فهم برآء من حول الله وقوته إلى حولهم وقوتهم ،
تاركون ذمته الوافية لذمتهم ، والأيمان كلها لازمة لهم على مذهب إمام دار الهجرة ،
وطلاق كل امرأة فى ملك كل واحد منهم لازم لهم ثلاثا ، وأيضا امرأة تزوجها
فى البلاد الفلانية فطلاقها لازم له ، كلما تزوج واحدة منهن واحدة خرجت طالقا
ثلاثا ، وعلى كل واحد منهم المشى إلى بيت الله الحرام على قدميه ، محرما من منزله
بحجة كفارة لأجزئ عن حجة الإسلام ، وعبيدهم وأرقاؤهم عتقاء لآحقون بأحرر
المساكين ، جميع أموالهم عينا وعرضا ، حيوانا وأرضا ، وسائر ما يحويه المملك
كلا وبعضا ، صدقة لبيت مال المسلمين ، حاشى عشرة دنانير ، كل ذلك على أشد
مذاهب الفتوى ، وألزمها لكلمة التقوى ، وأبعدتها من مخالفة الهوى والظاهر
الفتوى ، أرادوا بذلك رضا الخلافة الفلانية والفلانية (بقى السلطنة) للسلطان
وولده المأخوذ لها البيعة بعد بيعته ، وأشهدوا الله على أنفسهم ، وكفى بذلك التزاما
والتزاما ، وشذا لما أمر به وإحكاما : ﴿ مَنْ نَكَهَ فَإِنَّمَا يَفْعَلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾
﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ . وهم يرفعون دعواتهم إلى الله تعالى وأستجدوا له
ويسألونه عصمة وكفاية أفتاحا وأختاما ، اللهم إنا قد أفتدنا بهذا العهد العبد
وأهتاما ، وقضينا حقه إكالا وإتماما ، وأسألنا وجهك الكريم إسلاما ، وفرفنا
من حيره وبركته نساء ودواما ، وأكلانا بعينك حركة وسكونا ويقظة ومناما :

﴿ هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلتَّقِيْنَ إِمَامًا ﴾ إِنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ
مَنْهَى الرِّغْبَاتِ ، وَمَجِيبُ الدَّعَوَاتِ ، وَإِلَهُ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ .



وهذه نسخة بيعة مرتبة على موت خليفة، أنشأها على هذه الطريقة لموافقها
رأى كتاب الزمان في آفتاح عهود الملوك عن الخلفاء بالحمد لله كما سيأتي بيانه
في موضعه إن شاء الله تعالى ، وتعرضت فيها إلى قيام سلطان بعقدها : لمطابقة
ذلك لحال الزمان ، وهي :

الحمد لله الذي جعل الأمة المحمدية أبدخ الأمم شرفاً ، وأكرمها إنجازاً وأفضلها
سلفاً ، وجعل رتبة الخلافة أعلى الرتب رتبة وأعزها كنفاً ، وخص الشجرة الطيبة
من قريش بأن جعل منهم الأئمة الخلفاء ، وآثر الأسرة العباسية منها بذلك ، دعوة
سبقت من ابن عمهم المصطفى ، وحفظ بهم نظامها على الدوام فجعل ممن سلف
منهم خلفاً .

نحمده على أن هباً من مقدمات الرشد ما طاب الزمان به وصفاً ، وجدد من رسوم
الإمامة بخير إمام مآدرس منها وعفا ، وأقام للمسلمين إماماً تآرج الجور بنشره فأصبح
الوجود بعرفه معترفاً .

ونشأ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مخلص تمسك بعهدتها فوفى ،
وأعطاها صفة يده للبايعية فلا يبغى عنها مصرفاً ، وأن محمداً عبده ورسوله الذي
تدارك الله به العالم بعد أن أشفى فشفاً ، ونسخت آية دينه الأديان وجلاً بشرعته
المدية من ظلمة الجاهل سدفاً ، ويجعل مبايعه مبايعاً لله يأخذه بالنكث ويوفيه أجره
على الوفاء ، صلى الله عليه وعلى آله الأطهار وعترته الشرفاء ، ورضى الله عن أصحابه

الذين ليس منهم من عاهد الله فغدر ولا واد في الله بخفا، خصوصاً من جاء بالصدق
 وصدق به فكان له قرابة وصفوّة الصفا، والمرجوع إليه في البيعة يوم السقيفة
 بعدما أشرأت نحوها نفوس كادت تذوب عليها أسفا، والقائم في قتال أهل الردة
 من بني حنيفة حتى استقاموا على الحنيفة السمحة حنفا. ومن استحال ذلك الخلافة
 في يده غربا فكان أفيده عبقرى قام بأمرها فكفى، وعمت فتوحه الأمصار وحلت
 إليه أموالها فلم يمسكها إقتارا ولم يبدر فيها سرفا. ومن كان فضله أسهم الإختيار
 من بين أصحاب الشورى هدفا، وجمع الناس في القران على صحيفة واحدة وكانت
 قبل ذلك صحفا. ومن سرى إليه سر: "أما ترى أن تكون منى بمنزلة هارون
 من موسى" فغدا يجتر من ذيل الفخار حجفا، وأستول على المكالم من كل جانب
 فحاز أطرافها طرفا طرفا، وعلى سائر الخلفاء الراشدين بعدهم ممن سلك سبيل الحق
 ولطريق الهدى أقتنى، صلاة ورضوانا يذهبان الداء العضال من وطامة القدر
 ويجلبان الشفا، ويرفعان قدر صاحبهما في الدنيا ويؤنان متطهما من جنات
 لنعيم عرفا.

أما بعد، فإن عمدة الإمامة لمن يقوم بأمر الأمة واجب بالإجماع، مستندة لأقوى
 دليل تنقطع دون نفضه الأطلاع، وتنبؤ عن سماع ما يخالفه الأسماع، إذ العبادة
 مجبولون على التباين والتغاير، مطبوعون على التحالف والتناحر، [مضطربون،
 إلى المساوئ والتجاور، منتقرون إلى التعاضد والتوازر] ^(١) فلا بد من ذي بصيرة
 من التظام، ويحملهم على التناصف في التسامح والتحاكم، ويقوم بتسوية الخصام
 المحارم عن الأتهاك، ويحفظ الاسباب عن الاختلاط والإشبهاء، ويمنع بفضة

(١) زائد في بعض النسخ.

الإسلام فيمنع أن تطرق ، ويصون الثغور أن يتوصل إليها أو يتطرق : ليعز الإسلام داراً ، ويطمئن المستخفي ليلاً ويأمن السارب نهاراً ، ويذب عن الحرم فتحترم ، ويذود عن المنكرات فلا تفسى بل تضلم ، ويجهز الحيوش فتتك العدو ، وتغير على بلاد الكفر فتمنعهم القرار والهدوء ، ويرغم أنف الفئسة الباغية ويقمعها ، ويدغم الطائفة المتبدعة ويردعها ، ويأخذ أموال بيت المال بحققها فيطأوع ، وبصرفها إلى مستحقها فلا ينارع - لأجرم اعتبر للقيام بها أكل الشروط وأتم الصفات ، وأكرم الشيم وأحسن السمات .

وكان السيد الأعظم الإمام النبوي - سليل الخلافة ، وولي الإمامه ، أبو فلان فلان العباسي المتوكل على الله « مثلاً » أمير المؤمنين ، سلك الله تعالى به جدد آباءه الراشدين ، هو الذي جمع شروطها فوقها ، وأحاط منها بصفات الكمال وأستوفأها ، ورامت به أدنى مراتبها فبلغت إلى أغياها ، وتصور معاليمها فرقى إلى أعلاها ، وأخذ بها فكان صورتها ومعناها - وكانت الإمامة قد تأتت ممن يقوم بأعبائها ، وعزت خطبها لقله أكتافها ، فلم تلف لها بعلا يكون لها قريناً ، ولا كفتاً تحطبه يكون لديها مكينا ، إلا الإمام القلان المشار إليه ، فدعته خطبها وهي بيت عرسه :
 (ورأودته التي هوي بيتها عن نفسه) فأجاب خطبها ، ولي دعوتها - لتحققه رغبتها إليه ، وعلمه بوجوب إجابتها عليه ، إذ هو شبلها الناشئ بغاها ، وغيتها المستمطر من سخاها ، بل هو أسدها المصور ، وقطب فلكها الذي عليه تدور ، ومعقنها الأمتع الحصين ، وعقدتها الأنفس الثمين ، وفارسها الأروع وليتها الشهير ، وابن نجدتها الساقطة منه على الخير ، وتلادها العالم بأحوالها ، والجدير بمعرفة أقوالها وأفعالها ، وترجمانها المتكلم بلسانها ، وعالمها المنقن في أفنانها ، وطيبها العارف بظنها ، ومنجدها الكاشف لكأها

وحيث بلغت من القصد سؤلها، ونالت بالإجابة منه مأمولها، وحرم على غيره أن يسومها لذلك تلويحا، أو يعرج على خطبتها تعريضا وتصريحا، أحتاجت إلى ولي يوجب عقدها، وشهود تحفظ عهدها، فعندها قام السلطان الأعظم الملك الفلاني (بالألقاب السلطانية إلى آخرها) خلد الله سلطانه، ونصر جنوده وجيوشه وأعدائه، فانتصب لها وليا، وأقام يفكر في أمرها مليا، فلم يجد أحق بها منه فتجنب عضائها، فلم تكن تصلح إلا له ولم يكن يصلح إلا لها، فجمع أهل الحل والعقد، المعتزبين للأعبار والعارفين بالنقد: من القضاة والعلماء، وأهل الخير والصلاح، وأرباب الرأي والنصحاء، فاستشارهم في ذلك فصوبوه، ولم يروا العُدول عنه إلى غيره بوجه من الوجوه، فاستخار الله تعالى وبايعه، فتبعه أهل الإختيار فبايعوا، وأتقأوا حكمه وطأوعوا، فقابل عقدها بالقبول بحضرة من القضاة والشهود فلزمت، ومضى حكمها على الصحة وأبرمت. ولما تم عقدها، وطلع بصبح اليمين سعدها، أتمس المقام الشريف السلطاني الملكي الفلاني المشار إليه أعلى الله شرف سلطانه ورفع محاه، وقرن بالتوفيق في كل أمر عقده وحله، أن يناله عهدها الوفي، ويرد منها مآرد الصفي: ليرفع بذلك عن أهل الدين حجابا، ويزداد من البيت النبوي قربا، فتعرض لنفحاتها من مقراتها، وتطلب بركاتها من مظناتها، ورغب إلى أمير المؤمنين، وابن عم سيد المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، أن يجد له بعهد السلطنة الشريفة عقدا، ويأخذ له على أهل البيعة بذلك عهدا، ويستحلفهم على الوفاء لها بما عاهدوا، والوقوف عند ما بايعوا عليه وعاقبوا: ليقترن السعدان فيعم نوءهما، ويجمع النيران فيبهر ضوءهما، فلبأ تلبية راغب، وأجاب إجابة مطلوب وإن كان هو الطالب، وعهد إليه في كل ما تقتضيه أحكام إمامته في الأمة عموما وشيوعا، وفوض له حكم الممالك الإسلامية جميعا، وجعل إليه أمر السلطنة المعظمة بكل

نَظَافٍ ، وَأَلْقَى إِلَيْهِ مَقَالِيدَهَا وَصَرَّفَهُ فِيهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَأَقَامَهُ فِي الْأُمَّةِ لِعَهْدِ الْخِلاَفَةِ
وَصِيَّامًا ، وَجَعَلَهُ لِلْإِمَامَةِ بِتَفْوِيضِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ وَوَلِيًّا ، وَنَشَرَ عَلَيْهِ لُؤَاءَ الْمُلْكِ وَقَلَدَهُ سَيْفَهُ
الْعَضْبَ ، وَأَلْبَسَهُ الْخِلْعَةَ السُّودَاءَ فَابْيَضَّ مِنْ سَوَادِهَا وَجْهَ الشَّرْقِ وَالغَرْبِ ،
وَكَتَبَ لَهُ بِذَلِكَ عَهْدًا كَتَبَتْ عُدُوهُ ، وَزَادَ شَرَفَهُ وَضَاعَفَ سُمُوهُ ، وَطُوَلِبَ أَهْلُ
الْبَيْعَةِ بِالتَّوَشُّيقِ عَلَى الْبَيْعَتَيْنِ بِالْأَيْمَانِ فَادْعَعُوا ، وَاسْتَحْلِفُوا عَلَى الْوَفَاءِ فَبَالغُوا
فِي الْأَيْمَانِ وَأَمَعَنُوا ، وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ، بَعْدَ أَنْ أَشْهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ
فِي أَسْرَارِهِمْ وَإِعْلَانِهِمْ ، وَأَعْطَوْا الْمَوَاضِقَ الْمَغْلُظَةَ الْمَشْدُودَةَ ، وَحَافُوا بِالْأَيْمَانِ
الْمُؤَكَّدَةِ الْمُعَقَّدَةِ ، عَلَى أَنْهَمْ إِنْ أَعْرَضُوا عَنْ ذَلِكَ ، أَوْ أَدْبَرُوا ، وَبَدَّلُوا فِيهِ أَوْ غَيَّرُوا ،
أَوْ عَرَّجُوا عَنْ مَبْدِئِهِ أَوْ حَادَوْا ، أَوْ تَقَصَّصُوا مِنْهُ أَوْ زَادُوا ، فَكُلُّ مَنْهُمْ بَرِيءٌ مِنْ حَوْلِ
أَذَى وَقُوَّتِهِ إِلَى حَوْلِ نَفْسِهِ وَقُوَّتِهِ ، وَخَارِجٌ مِنْ ذِمَّتِهِ الْحَصِينَةِ إِلَى ذِمَّتِهِ ، وَكُلُّ أَمْرَاءٍ
فِي نِكَاحِهِ أَوْ بَرِّوَجْهِهَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ فَهِيَ طَالِقٌ ثَلَاثًا بَتَاتًا ، وَكُلُّمَا رَاجِعُهَا فَهِيَ طَالِقٌ
طَالِقًا لَا يَقْتَضِي إِقَامَةَ وَلَا ثَبَاتًا ، وَكُلُّ مَمْلُوكٍ فِي مِلْكِهِ أَوْ يَمْلِكُهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ حُرٌّ
لَا حَقَّ بِأَسْرَارِ الْمُسْلِمِينَ ، وَكُلُّ مَا مَلَكَهُ أَوْ يَمْلِكُهُ مِنْ جَمَادٍ وَحَيَوَانٍ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ
لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ، وَعَالِيهِ الْحَجُّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ، وَالْوُقُوفُ بِعَرَفَةَ وَسَائِرِ الْمَشَاعِرِ
الْعِظَامِ بِحُرْمًا مِنْ ذَوِيئِهِ أَهْلِهِ مَاشِيًا حَاسِرًا عَنْ رَأْسِهِ وَإِنْ كَانَ بِهِ أَذَى حَافِيًا ،
بِأَنِّي بِذَلِكَ فِي ثَلَاثِينَ حَجَّةً مُتَابِعَةً عَلَى التَّمَامِ ، لَا تُخْرِئُهُ وَاحِدَةٌ مِنْهَا عَنْ حَجَّةِ الْإِسْلَامِ ،
وَإِسْدَاءُ مِائَةِ بَدَنَةٍ لِلْبَيْتِ الْعَتِيقِ كُلِّ سَنَةٍ عَلَى الدَّوَامِ ، وَعَلَيْهِ صَوْمُ جَمِيعِ الدَّهْرِ إِلَّا
الْمُنْهَى عَنْهُ مِنَ الْأَيَّامِ ، وَأَنْ يُفْلِكَ أَلْفَ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ مِنْ أَسْرِ الْكُفْرِ فِي كُلِّ عَامٍ ،
يَمِينُ كُلِّ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ عَلَى نِيَّةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - وَسُلْطَانِ الْمُسْلِمِينَ ، فِي سِرِّهِ وَجَهْرِهِ
وَأَوْرَائِهِ وَأَخْرَجَهُ ، لِأَنِّي لَمْ أَصْلَفْ فِي ذَلِكَ فِي بَاطِنِ الْأَمْرِ وَلَا فِي ظَاهِرِهِ ، لَا يُورَى
فِي ذَلِكَ وَلَا يَسْتَنَى ، وَلَا يَتَأَوَّلُ وَلَا يَسْتَفْتَى ، وَلَا يَسْعَى فِي تَقْضَائِهَا ، وَلَا يَخَالَفُ فِيهَا

ولا في بعضها، متى جَنَحَ إلى شيءٍ من ذلك كان آثماً، وما تقدم من تعقيد الأيمان له لازماً؛ لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، ولا يجزيه عن ذلك كفارة أملاً؛ كل ذلك على أشد المذاهب بالتخصيص، وأبداً عن التساهل والترخيص؛ وأمضوها بيعة ميمونه، باليمن مبتدأةً بالنجح مقرينه، وأشهدوا عليهم بذلك من حضر مجلس العقد من الأئمة الأعلام، والشهود والحكام، وجعلوا الله تعالى على ما يقولون وكلاءً، فأستحق عليهم الوفاء بقوله عزت قدرته: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَفُضُّوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ . وهم يرغبون إلى الله تعالى أن يضاعف لهم بحسن نيتهم الأجور، ويلجئون إليه أن يجعل أئمتهم ممن أشار تعالى إليه بقوله: ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ . إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة بيعة مرتبة على خلع خليفة، أنشأها على هذه الطريقة أيضاً، وتعرضت فيها لذكر السلطان القائم بها على ما تقدم في البيعة المرتبة على موت خليفة، وهي:

الحمد لله الذي جعل بينت الخلافة مثابة للناس وأماناً، وأقام سور الإمامة برعاية الأنام وحضناً، وشدها بالعصاة القرشية أزواً وشاد منها بالعصبة الباسية أركاناً، وأغاث الخلق بإمام هدى حسن سيره وصفا سريرة فراق صورة ورق معنى، وجمع قلوبهم عليه فلم يستنكف عن الاتياد إليه أعلى ولا أدنى، وبيع جلبابها ممن شغل غيرها فلم يعرها نظراً ولم يصنع لها أذناً، وصرف وجهها ممن أساء فيها تصرفاً فلم يرفع بها رأساً ولم يعمر لها معنى .

فحمده على نعم حلت للنفوس حين حلت ، ومن جلت الخطوب حين جلت ،
ومسار سرت إلى القلوب فسرت ، ومبار أقرت العيون فقورت ، وعورف أمت
الخلقة فتوانت وما ولت ، وقدم صدق ثبت إن شاء الله في الخلافة فما ترزلت
ولا زلت .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تكون لنا من ذلك الشكوك
كائنه ، وليهاوى الشبه دارته ، وللقاصد الجميلة حاربه ، ولسنة الزرع والأرتياب
طاويه ، وأن مهدي عبده ورسوله الذي نصح الأمة إذ بلغ فشفى عليها ، وأوردها
من مآهل الرشد ما أطفأ وهجها وبرد غليلها ، وأوضع لهم مناهج الحق ودعاهم إليها ،
وأبان لهم سبيل الهداية : ﴿ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا
يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ صلى الله عليه وعلى آله أئمة الخير وخير الأئمة ، ورضي عن أصحابه أولياء
العدل وعدول الأئمة ، صلاة ورضوانا بعلم سائرهم ، ويشملان أولهم وآخرهم ، سيما
الصديقين الغائبين بأعلى الرتبين صدقا وتصديقا ، والحائز قصب السبق في النصيلتين
عليهما وتحقيقا ، ومن عدل الأنصار إليه عن سعد بن عبادة بعد ما أجمعوا على تقديمه ،
وبادر المهاجرون إلى بيعة أعرافا بتفضيله وتكريمه ، والفاروق الشديد في الله بأسا
واللين في الله جانبا ، والمؤيد للخلافة حقا والمؤدى للإمامة واجبا ، والقائم في نصرته
الدين بحق القيام حتى عمّت فتوحه الأمصار مشارق ومغاربها ، وأطاعته العناصر
الأربعة : إذ كان لله طائعا ومن الله خائفا وإلى الله راغبا . وذى النورين المعول
عليه من بين سائر أصحاب الشورى تنويرها بسدره ، والمخصوص بالاختيار تفخيما
لأمره ؛ من حصر في بيته فلم يمنعه ذلك عن تلاوة كتاب الله وذكره ، وشاهد
سيف قاتليه عيانا فقابل فتكاتها بحملى صبره . وأبي الحسن الذي أعرض عن
الخلافة حين سئلها ، وأستغنى منها بعد ما اضطرت إليها وقيلها ، وكشف له عن حقيقة

الدنيا فما أمَّ قِبَلَهَا بَقْلُهُ وَلَا وُلَىٰ وَجْهَهُ قِبَلَهَا، وَصَرَّحَ بِمَقَاطِعِهَا بِقَوْلِهِ: « يَا صَفْرَاءُ
شُرَىٰ غَيْرِي يَا بَيْضَاءُ غَيْرِي غَيْرِي » لَمَّا وَصَلَهَا مِنْ وَصَلَتِهَا ؛ وَسَائِرِ الْخُلَفَاءِ
الرَّاشِدِينَ بَعْدَهُمْ ، النَّاهِجِينَ نَهَجَهُمْ وَالْوَارِدِينَ وَرَدَّهُمْ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ لِلْإِمَامَةِ شُرُوطًا يَجِبُ اعْتِبَارُهَا فِي الْإِمَامَةِ ، وَلَوَازِمَ لَا يَغْتَفِرُ قَوَائِمُهَا
فِي الْإِبْتِدَاءِ وَلَا فِي الدَّوَامِ ، وَأَوْصَافًا يَتَعَيَّنُ بِعَمَلِهَا . وَأَدَابًا لَا يَسَعُ إِهْمَالُهَا ؛ مِنْ
أَهْمِهَا الْعَدَالَةُ الَّتِي مَلَكَهَا التَّقْوَىٰ ، وَأَسَاسُهَا مِرَاقِبَةُ اللَّهِ تَعَالَىٰ فِي السِّرِّ وَالنَّجْوَىٰ ؛
وَمِمَّا تَقَعُ أَهْلِيَّةُ لِمُصَاحِبِهَا فَيُجَلُّ ، وَتَمِيلُ النُّفُوسُ إِلَيْهَا فَلَا تَمَلُّ ؛ فَهِيَ الْمَلَكَةُ الدَّاعِيَةُ
إِلَىٰ تَرْكِ الْجَبَائِرِ وَأَجْتِنَائِهَا ، وَالرَّاحِجَةُ عَنِ الْإِصْرَارِ عَلَى الصَّغَائِرِ وَأَرْيَاكِيَّاتِهَا ؛ وَالْبَاعِثَةُ
عَلَىٰ مُخَالَفَةِ النَّفْسِ وَنَهْيِهَا عَنِ الشَّبَهَاتِ ، وَالصَّارِفَةُ عَنِ أَنْتِهَاجِ حُرْمَاتِ اللَّهِ الَّتِي هِيَ
أَعْظَمُ الْحُرْمَاتِ ؛ وَالْمَوْجِبَةُ لِلتَّعَطُّفِ عَنِ الْحَاكِمِ ، وَالْحَامِلَةُ عَلَى تَجَنُّبِ الظُّلَامَاتِ وَرَدِّ
الْمُظَالِمِ . وَالشَّجَاعَةُ الَّتِي بِهَا حِمَايَةُ الْبَيْضَةِ وَالذَّبُّ عَنْهَا ، وَالِاسْتِغْنَاءُ بِالغَزْوِ عَلَى نِكَابَةِ
الطَّائِفَةِ الْكَافِرَةِ وَالغَضُّ مِنْهَا ؛ وَالقُوَّةُ بِالشُّوْكَةِ عَلَى تَنْمِيدِ الْأَرَامِرِ وَإِمضَائِهَا ، وَإِقَامَةُ
الْحُدُودِ وَأَسْتِيفَائِهَا ، وَنَشْرُ كَلِمَةِ الْحَقِّ وَإِعْلَانُهَا ، وَدَحْضُ كَلِمَةِ الْبَاطِلِ وَإِخْفَائِهَا ،
وَقَطْعُ مَادَّةِ الْفَسَادِ وَحَسْمُ أَدْوَانِهَا ، وَالرَّأْيُ الْمُوَدِّيُّ إِلَى السِّيَاسَةِ وَحُسْنُ التَّسْدِيرِ ،
وَالْمُغْنَىٰ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمَاكِنِ عَنِ مَزِيدِ الْحَسَدِ وَالْقَسْمِيرِ ؛ وَالْمَعِينُ فِي خُدْعِ الْحَرْبِ
وَمُكَايَدِهِ ، وَالْمُسَيْفُ فِي مَصَادِرِ كُلِّ أَمْرٍ وَمَوَارِدِهِ .

هَذَا وَقَدْ جَعَلَنَا اللَّهُ أُمَّةً وَسَطًا ، وَوَعَظَّنَا بِمَنْ سَلَفَ مِنَ الْأُمَّمِ مِنْ تَمَرِّدٍ وَعَتَا
أَوْ نَجْبٍ وَسَطًا ؛ وَعَصَمَ أُمَّتَنَا أَنْ تَجْتَمَعَ عَلَى الضَّلَالِ ، وَصَانَ جَمْعَنَا عَنِ الْخَطْلِ
فِي الْفِعَالِ وَالْمَقَالِ ؛ وَنَدَبَنَا إِلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَسَوَّغَ لِأُمَّتِنَا
الْأَجْتِهَادَ فِي النَّوَازِلِ وَالْأَحْكَامِ فَاجْتِهَادَهُمْ لَا يُنْكَرُ ، خُصُوصًا فِي شَأْنِ الْإِمَامَةِ الَّتِي هِيَ

أكد أسباب المعالم الدينية وأقربها ، وأرق المناصب الدنيوية وأغلاها ، وأعز
الرتب رتبة وأغلاها ، وأحقها بالنظر في أمرها وأولها . وكان القائم بأمر المسلمين
الآن فلان بن فلان الفلاني ممن حاد عن الصراط المستقيم . وسلك غير المهج القويم ،
ومال عن سنن الخلفاء الراشدين فأدركه الزلل . وتارف المائمه فعاد بالخلل . فعاش
في الأرض فسادا ، ومخالفة الرشد عنادا . ومال إلى الفحى اعتقادا ، وأسلم إلى الهوى
قيادا . قد انتقل عن طور الخلافة ، وعزير الإنافة ، إلى طور العامة فأنصف
بصفاتهم ، وأتسم بسمايتهم . فنكر بحب عليه إنكاره . قد أشره ، وصديق سوء يتدين
عليه إبعاده قد وازره وظاعسه . إن سلك فسيل الشهية والارتباب ، أوقعت أضرارا
تخافها غير الصواب ، فبهرت على شهبواته ، منعكف على لذاته ، متشاغل عن أمر
الأمة بأمر بيده وبناته ، الجهن رأس ماله ، رعدم الرأي رئيسه في أقواله وأقواله ،
قد قنع من الخلافة بأشبهاء ورخصي من الإمامة بتسبيها . وظن أن السوداء في لبس
السواد ذال إلى الخلف ، ووهم أن الفاطم العمد تقطع النظر عن السيف .

ولما أطلع الناس من هذه المنكرات ، وعرفوه بهذه السيئات ، وتحققوا فيه
هذه الوضعات . فنجروا في استبداله . وأجمعوا على خلعهم ورؤاه ، فلبسوا بالباطل سلطان
الأعظم الملك الفلاني (بالانصباب السلطانية إلى آخرها) نصره بجهنمه ، ورضي
جاءه . وأرضف على عداة الله حوده ، ففرضوا أمرهم في ذلك إليه ، وألقوا
شتمهم عليه ، بجمع أهل الخل والعمد منهم . ثم تصدروا يوم الله ورؤاه حده
باعتباروا الله تعالى وخطعه من رؤاه . ونخرجوا من بيته . واستأجروا عن صاحبه
وغيره من خلافه . فجزية السيد من القرواب . وطوروا حكم إماميه ، كطى السجل
للكتاب . وعب . ثم حسد الشلع . وأطوى حده على البيت والقطع . أتمس الناس
إماما يقوم بأمر الإمامة فيربها ، يجمع شروطها ويستوفيها ، فلم يجدوا لها اهلا ،

ولا يها أحق وأولى ، وأوفى بها وأملى ، من السيد الأعظم الإمام النبوي سليل
 الخلافة ، وولي الإمامة أبي فلان فلان السبسي الطائع لله « مثلا » أمير المؤمنين .
 لازال شرفه باذخا ، وعمرينه الشريف شامخا ، وعهد ولايته لعهد كل ولاية ناسخا ،
 فساموه بيعتها فلي ، وشاموا برقه لولايتها فأجاب وما تآبى ؛ بلما منه بأذنها تبيدت
 عليه ، وأنحصرت فيه فلم تجد أعلى منه فتعدل إليه ؛ إذ هو ابن نجدتها ، وفارس
 نجدتها ، ومزيل نعمتها ، وكاشف كربتها ؛ ومجلى غياها ، ومجسد عواقبها ، وموضح
 مذهبها ؛ وحاكمها المكين ، بل رشيدها الأمين ؛ فنهض المقام الشريف السلطاني
 الملكي الفلاني المشار إليه : قرن الله مقاصده الشريفة بالنجاح ، وأعماله الصالحة
 بالفلاح ؛ وبدر إلى بيعته فبايع ، وأتم به من حضر من أهل الحل والعقد فتابع ،
 وقابل عقدها بالقبول فمضى ، ولزم حكمها وأتقضى ؛ وأتصل ذلك بسائر الرعيصة
 فانقادوا ، وعلموا صوابه فمشوا على سننه وما حادوا ؛ وشاع خبر ذلك في الأمصار ،
 وطارت به مخلقات البشائر إلى سائر الأقطار ؛ فتعرفوا منه اليمن فسارعوا إلى آتتاله ،
 وتحققوا صحته وثباته بعد اضطرابه واعتلاله ؛ وأستعدوا من نقص يصيبه بعد تمامه
 لهذا الخليفة وكاله ؛ فعندها أبانت الخلافة العباسية عن طيب عنصرها ، وجميل
 وفائها وكريم مظهرها ؛ وجادت بجزيل الأمتنان ، وتلا لسان كرمها الوفي على وليها
 الصادق : ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾ ثم يتقدمه بالسلطان الشريفة عهدا ،
 وطوق جيده بتفويضها إليه عقدا ؛ وجعله وجسيه في الدين ، ووليده في أمر
 الساميين ؛ وقلده أمر المالك الإسلامية وألقى إليه مقاليدها ، وملكه ملكها ؛
 له مواعيدها ؛ وعقد له لواءها ونشر على أعلامها . وصارت فيها إلى الإجماع
 وفوض إليه أحكامها ؛ وألبسه الخلع السوداء فكانت لسودده شعارا ، وأسبغ عليه
 رداءها فكان له دنارا ؛ وكتب له العهد فسقى المعاهد سوب البراءة ، ولجج الأنام

بذكره فاطمات العباد والبلاد ، وعند ماتم هذا الفصل ، وتقرر هذا الأصل ،
وأُست الرعايا بما آتاهم الله من فضله فرحين ، وبنعمته مستبشرين ، طروب
أهل البيعة بما يحملهم على الوفاء ، ويمنع بيعتهم من التكدر بعد الصفاء ، من توثيق
عقدها بقرينة إيمانها ، والإقامة على الطاعة لخليفتها وسنناتها ، فادروا إلى ذلك
سرعين ، وإلى داعية مطبوعين ، وبالغوا في الموائمين وأكثروها ، وشهدوا
في الأيمان ، وعقدوها ، وأقسموا بالله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ، عالم
سائر الأعمى وما تخفى الصدور في البدء والإعادة ، على الوفاء لها والموالاة ، والنصح
والنصاف ، والمراعاة والمشايعة ، والطاعة والتابعة ، بأذن من والاهما ، ويعادون
من عاداهما ، لا يتعدون عن مناصرتها عند المأم منة ، ولا يرقبون في عداوتها
إلا ولا ذمها ، يبارون في ذلك على سنن الدوام والاستمرار ، والثبوت والذموم
والاستمرار ، على أن من يأمر من ذلك شرطا أو نفيا له رأسا ، أو حاد عن
طريقه أو غير حكا ، أو سلك في ذلك غير سبيل الأمانة ، أو استعمل الغسر
وأظهر الخيانة ، أو سب أو سب أو سب أو سب ، أو سب أو سب أو سب ، أو سب أو سب ،
وقد برئ من حول أمر المؤمنين ، وقوته الواقية ، وركنه الشديد وذمته الوافية ، إلى
حول نفسه وقوته ، وركنه وذمته ، وكل أسراة في عصمته لأن أولئك قبيحا مائة
حياته ، طالوا ثلاثا بصرح لفظ لا يتوقف على نيته ، ولا يفرض فيه من سنة ولا بدعة
ولا رجعة مبد ولا سببه ، وكل من ملك في يده أو يملكه في قبضة غيره من ذكر
أو أنى من أسرار المسلمين ، وكل من هو على ملكه أو يملكه في قبضة غيره من
أسراة من بني أو عرسان ، وبنو المفسدين والمساكين ، وعليه الخرج إلى بيت الله
الحرام ثلاثين تحة ثلاثين تحة راجلا حافيا حارسا ، لا يقبل منه غير الوفاء بها
بأمانة ولا ظاهر ، وإشدا مائة بدنة في كل تحة منها في عسرتة ويُسرتة ، لأجزئة

وأحدٌ منها عن حجة الإسلام ومُتمرتة ، وصومُ الدهر خلا المنهي عنه من أيام
 السَّه ، وصلاةُ ألف ركعة في كل ليلة لا يُباح له دُونَ أدائها شَمُض ولا سِنَّه ،
 لا يقبلُ الله منه صرفًا ولا عدلاً ، ولا يُؤجر على شيءٍ من ذلك قولًا ولا فعلًا ، متى
 رَفَع في ذلك أو استثنى ، أو تأوَّل أو استثنى ، كان الحنثُ عليه عَاقِبًا ، وله إلى دار
 البوار قائدًا ، معتيدًا في ذلك أحدُ المذاهب في سَنِّهِ وعَلايَتِهِ ، على نيةِ المستحبِّ
 به دُونَ نِيَّتِهِ ، وأمضوها بيعةً بحكمة المَباني نَبِسة القِرَاط ، كريمة المَساعي بحيلةِ
 المقاصد ، طيبة الجَنَى بجائلة العوائد ، قاطعة البراهين ظاهرة الشواهد ، وأشهدوا
 على أنفسهم بذلك من حضر مجلسِ عهدنا العَقد من عُضوة الإسلام وعَمانته ، وأمة
 الدين وفقهائه ، بعد أن أشهدوا الله عليهم وكفى بالله شهيدًا ، وكفى به شامِتًا
 خَصِيًا : ﴿ قَمِنَ نَكَتٌ فَإِنَّمَا يَكُفُّ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَسِيءَ تَوَيْدًا
 أَبْرَأَ نَفْسِهِ ﴾ . والله تعالى يجعل انتظامهم من أدنى إلى أعلى . ومن يسرى إلى ترويض
 ويحقق لهم عين استخافه عليهم وعدده الصادق بقواد تعالوا : ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ
 آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفْنَا الَّذِينَ مِنْ
 قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ فِيهِمْ الَّذِينَ الَّذِينَ ارْتَضَى اللَّهُ لِيُؤْتِيَهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ خَوْفَهُمْ أَمْنًا ﴾ .
 إن شاء الله تعالى .

المذهب الرابع

(١) ما يُكْتَبُ فِي بَيْعَاتِ الْخُلَفَاءِ أَنْ يَفْتَحَ الْبَيْعَةَ بِلَفْظٍ : هَذِهِ بَيْعَةٌ ،
وَيَصِفُهَا وَيَذَكِّرُ مَا يَنْبَغُ ، ثُمَّ يَعْزِي بِالْخَلِيفَةِ الْمَيَّتِ ، وَيَهَيِّئُ بِالْخَلِيفَةِ الْمُسْتَقْرَ ،
وَيَذَكِّرُ فِي حَقِّ كُلِّ مِنْهُمَا مَا يَلِيقُ بِهِ مِنَ الْوَصْفِ عَلَى نَحْوِ مَا تَقَدَّمَ)

وهذه نسخة بَيْعَةِ أَنْشَأَهَا الْمُقَرَّرُ الشَّهَابِيُّ بْنُ فَضْلِ اللَّهِ ، عَلَى مَا رَأَيْتَهُ فِي " الْجَوَاهِرِ
الْمَلَقَطَةِ " المجموعَةِ مِنْ كَلَامِهِ : لِلْإِمَامِ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ « أَبِي الْعَبَّاسِ » « أَحْمَدُ بْنُ
أَبِي الرَّبِيعِ سُلَيْمَانَ » [المستكفي بالله] أَمَّا الْإِمَامُ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ ، بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ .
وَذَكَرَ الْقَاضِي تَقِيُّ الدِّينِ بْنُ نَاطِرِ الْجَيْشِ فِي " دُسْتُورِهِ " أَنَّهُ إِنَّمَا عَمِلَهَا تَجْرِبَةً
لِحَاطَرِهِ ، وَهِيَ مُرْتَبَةٌ عَلَى مَوْتِ خَلِيفَةٍ .

ونصها بعد البسملة الشريفة :

زَإِنَّ الدِّينَ يَبَايَعُونَكَ إِنَّمَا يَبَايَعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ
عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (٢) .

هَذِهِ بَيْعَةُ رِضْوَانٍ وَبَيْعَةُ إِحْسَانٍ ، وَبَيْعَةُ رِضَا تَشْبِهُهَا الْجَمَاعَةُ وَتَشْهَدُ عَلَيْهَا
الرَّحْمَنُ ، بَيْعَةُ إِزْمٍ طَائِعًا الْعُنُقِ ، وَتُحَوِّمُ بِشَائِرِهَا عَلَى الْأَفْقِ ، وَتَحْمِلُ أَنْبَاءَهَا الْبَرَارِي
وَالْبِحَارُ مَشْجَرَةَ الطَّرِيقِ ، بَيْعَةُ تَصَالُحٍ لِإِنْسَابِ الْأُمَّةِ ، وَتُكْتَبُ بِسَبَبِهَا النِّعَمُ ، وَتُؤَافَفُ
بِهَا الْأَسْبَابُ وَتَجْعَلُ بَيْنَهُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ، بَيْنَهُ تَجْرِي بِهَا الرَّفَاقُ ، وَتَتَرَاخَمُ رُؤُوسُهُمْ .

(١) كذا في تاريخ أبي الندا. وابن لياس والعباد أيضا ووقع في ج ٣ ص ٢٦٥ من هذا المؤلف. أن لقبه

المستقيم والصواب ما هنا .

(٢) أي امتثالاً لفكره .

الكواكب على حوض المجرة للوفاق ؛ بيعة سعيدة ميمونه ، بيعة شريفة بها السلامة
 في الدين والدنيا مضمونه ؛ بيعة صحيحة شرعية ، بيعة ملحوظة مرعية ؛ بيعة تسابق
 إليها كل نية وتطوع كل طوية ، وتجمع عليها أشات البرية ؛ بيعة يستهل بها الغمام ،
 ويتهل البدر التمام ؛ بيعة متفق على الإجماع عليها ، والاجتماع لبسط الأيدي إليها ؛
 انعقد عليها الإجماع ، وانعدت صحتها بمن سمع لله وأطاع ، وبذل في تمامها كل
 أمرى ما استطاع ، وحصل عليها اتفاق الأبصار والأسماع ، ووصل بها الحق إلى
 مستحقه وأقر الخصم وأنقطع النزاع ؛ وتضمنها كتاب كريم يشهد المقربون ،
 ويتلقاه الأئمة الأقربون .

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ﴿ : ذلك من
 فضل الله علينا وعلى الناس ﴾ . وإلينا والله الحمد وإلى بنى العباس . أجمع على هذه
 البيعة أرباب العقد والحل ، وأصحاب الكلام فيما قل وجل ؛ وولاة الأمور
 والأحكام ، وأرباب المناصب والحكام ؛ وحملة العلم والأعلام ، وحملة السيف
 والأقلام ، وأكابر بني عبد مناف ، ومن أخفض قدره وأناف ؛ وسروات قريش
 وجوه بنى هاشم والبقية الطاهرة من بنى العباس ، وخامسة الأئمة وعامة الناس ؛
 بيعة ترضى بالحرمين خيامها ، وتحقق على المأزمين أعلامها ، وتعرف عرفات
 ببركاتها وتعرف بمنى أيامها ؛ ويؤمن عليها يوم الحج الأكبر ، وتؤمن ما بين الركن والمقام
 والمنبر ؛ ولا يتغنى بها إلا وجه الله الكريم ، وفضله العميم ؛ لم يبق صاحب سنجي
 ولا علم ، ولا ضارب بسيف ولا كاتب بقلم ؛ ولا ربي حكم ولا قضاء ، ولا من
 يرجع إليه في اتفاق ولا إمضاء ؛ ولا إمام مسجد ولا خطيب ، ولا دوقنيا يسأل

(١) لعله ترى بالحرمين تأمل .

(٢) في الأصل سيف وهي تصحيف

فُجِيبَ ، وَلَا مَنْ بَيْنَ جَنَّتِي الْمَسَاجِدِ وَلَا مَنْ تَضُمُّهُمْ اجْنِحَةُ الْمَحَارِبِ ، وَلَا مَنْ
يَحْتَدِي فِي رَأْيٍ فُيُخْطِئُ أَوْ يُصِيبُ ، وَلَا مُتَحَدِّثٌ بِحَدِيثٍ ، وَلَا مُتَكَلِّمٌ بِقَدِيمٍ وَحَدِيثٍ ،
وَلَا مَعْرُوفٌ بِدِينٍ وَصَلَاحٍ ، وَلَا فُرْسَانٌ حَرْبٍ وَكِفَاحٍ ، وَلَا رَاشِقٌ بِسِهَامٍ وَلَا طَاعِنٌ
بِرِمَاحٍ ، وَلَا ضَارِبٌ بِصَفَاحٍ ، وَلَا سَاجِعٌ عَلَى قَدَمٍ وَلَا طَائِرٌ بَغِيرَ جَنَاحٍ ، وَلَا مُخَالِطٌ
لِلنَّاسِ وَلَا قَاعِدٌ فِي عُزْلِهِ ، وَلَا جَمْعٌ كَثْرَةٌ وَلَا قِلَّةٌ ، وَلَا مَنْ يَسْتَقِيلُ بِالْحَوْزَاءِ لِبَوَائِهِ ،
وَلَا يَقِلُّ فَوْقَ الْفِرْقَدِ ثَوَاوَهُ ، وَلَا بَادٍ وَلَا حَاضِرٌ ، وَلَا مُقِيمٌ وَلَا سَائِرٌ ، وَلَا أَوَّلٌ وَلَا آخِرٌ ،
وَلَا مُسِرٌّ فِي بَاطِنٍ وَلَا مُعَلَّنٌ فِي ظَاهِرٍ ، وَلَا عَرَبٌ وَلَا نَجْمٌ ، وَلَا رَاعِي لِبَلٍ وَلَا غَنَمٌ ،
وَلَا صَاحِبٌ أَنَاةٍ وَلَا إِبْدَارٍ ، وَلَا سَاكِنٌ فِي حَضْرٍ وَبَادِيَةٍ بِدَارٍ ، وَلَا صَاحِبٌ عَمْدٍ
وَلَا جِدَارٍ ، وَلَا مُلَجَّجٌ فِي الْبِحَارِ الزَّاحِرَةِ وَالْبَرَارِيِّ الْقِفَارِ ، وَلَا مَنْ يَتَوَقَّلُ صَهَوَاتِ
الْحَيْلِ ، وَلَا مَنْ يُسِيلُ عَلَى الْعَبَاجَةِ الذَّيْلِ ، وَلَا مَنْ تَطَّلَعَ عَلَيْهِ شَمْسُ النَّهَارِ وَنُجُومُ
اللَّيْلِ ، وَلَا مَنْ تُظَلُّهُ السَّمَاءُ وَتُقَلِّهُ الْأَرْضُ ، وَلَا مَنْ تُدَلُّ عَلَيْهِ الْأَسْمَاءُ عَلَى اخْتِلَافِهَا
وَتَرْتَفِعُ دَرَجَاتُ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ ، حَتَّى آمَنَ بِهَذِهِ الْبَيْعَةِ وَأَمَنَ عَلَيْهَا ، وَمَنْ اللَّهُ عَلَيْهَا
وَهَدَاهُ إِلَيْهَا ، وَأَقْرَبَهَا وَصَدَّقَ ، وَغَضَّ لَهَا بَصْرَهُ خَاشِعًا وَأَطْرَقَ ، وَمَدَّ إِلَيْهَا يَدَهُ
بِالْمُبَايَعَةِ ، وَمُعْتَقِدَهُ بِالْمُتَابَعَةِ ، رَضِيَ بِهَا وَأَرْضَاهَا ، وَأَجَازَ حُكْمَهَا عَلَى نَفْسِهِ وَأَمْضَاهَا ،
وَدَخَلَ تَحْتَ طَاعَتِهَا وَعَمِلَ بِمُقْتَضَاهَا : ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

والحمد لله الذي نصب الحاكم ليحكم بين عباده وهو أحكم الحاكمين ، والحمد لله
الذي أخذ حق آل بيت نبيه من أيدي الظالمين ، والحمد لله رب العالمين ، ثم الحمد لله
رب العالمين ، ثم الحمد لله رب العالمين ، والحمد لله رب العالمين .

وإنه لما استأثر الله بعبيده سليمان أبي الربيع الإمام المستكفي بالله أمير المؤمنين
- كرم الله مثواه - وعوضه عن دار السلام بدار السلام ، ونقله فزكي بدنه عن

شهادة السلام بشهادة الإسلام؛ حيث آثره ربه بقربه، ومهد لجنبه، وأقدمه على ما أقدمه من يرجوه لعمله وكسبه، وخار له في جواره رقيقا، وجعل له على صالح سلفه طريقا؛ وأنزله ﴿ مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴾ . الله أكبر ليومه لولا مخلّقه كادت تضيق الأرض بما رحبت، وتجزى كل نفس بما كسبت؛ وتنتى كل سريرة بما أدخرت وما خبت؛ لقد اضطرم سعي، إلا أنه في الجوانح، لقد اضطرب منبر وسرير، لولا خلّقه الصالح، لقد اضطرب مأمور وأمر، لولا الفكر بعده في عاقبة المصالح؛ لقد غاضت البحار، لقد غابت الأنوار، لقد غالب البذور ما يلحق الأهلّة من المحاق ويذكر البدر من السرار؛ نسفت الجبال نسفا، وخبت مصابيح النجوم وكادت تطفى: ﴿ وجاء ربك والملك صفا صفا ﴾ . لقد جمعت الدنيا أطرافها وأزمت على المسير، وجمعت الأمة لهول المصير، وزاغت يوم موته الأبصار: ﴿ إن ربهم بهم يومئذ لخبير ﴾ . وبقيت الأبواب حيارى، ووقفت تارة تصدق وتارة تتماهى؛ لا تعرف قرارا، ولا على الأرض استقرارا: ﴿ إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ﴾ .

ولم يكن في النسب العباسي ولا في جميع من في الوجود، لافر البيت المسترشدي ولا في غيره من بيوت الخلفاء من بقايا آباء لهم وجدود، ولا من تلده أخرى اللبان وهي عاقرة غير وأود؛ سنّ تسلّم إليه أمة محمد صلى الله عليه وسلم عقدا ثباتها، وسرّ مطوياتها؛ إلا واحد وأين ذلك الواحد؟ هو والله من الحضرة استحقاق ميراث آباءه الأطهار، ووراث أجداده ولا شيء هو إلا ما أشتمل عليه رداء الليل والنهار؛ ودور آين المتشاكل بقدرته، ورواد الإمام الذاهب لصلبه؛ الجمع على أنه في الأنام،

فرد الأيام، وواحد وهكذا في الوجود الإمام، وأنه الحائز لما زُرت عليه جُوبُ
المشارك والمغارب، والفائز بملك ما بين الشارق والغارب، الراقى في صفيح السماء
هذه الذروة المنيفة، الباقي بعد الأئمة الماضين رضى الله عنهم ونعم الخليفة، المجتمع
فيه شروط الإمامة، المتضع لله وهو من بيت لا يزال الملك فيهم إلى يوم القيامة،
الذى تصفح السحاب نائله، والذي لا يغره عاذره ولا يغيره عاذله، والذي :

تَعُودَ بَسَطَ الكَفِّ حَتَّى لَوْ أَنَّهُ * شَآهَا لَقَبِضَ لَمْ تُطْفِئِهِ أَنَامِلُهُ

والذى :

لَا هُوَ فِي الدُّنْيَا مُضِيعٌ نِصْبِيَّةٍ * وَلَا وَرِقٌ الدُّنْيَا عَنِ الدِّينِ شَاغِلُهُ

والذى ما ارتقى صهوة المنبر بحضرة سلطان زمانه إلا قال ناصره وقام قائمه،
ولا قعد على سرير الخلافة إلا وعرف بأنه ما خاب مستكفيه ولا غاب حاكمه،
نائب الله في أرضه، والقائم بمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفته وابن عمه،
وتابع عمله الصالح ووارث علمه، سيدنا ومولانا عبد الله ووليه «أحمد أبو العباس»
الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين، أيد الله تعالى ببقائه الدين، وطوق بسيفه [رقاب]
الملاحدين، وكبت تحت يوائه المعتدين، وكتب له النصر إلى يوم الدين، وكف
بجهاده طوائف المنفذين، وأعاد به الأرض ممن لا يدين يدين، وأعاد بمدله أيام
آبائه الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين، الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون،
وعليه كانوا يعملون، وأنصر أنصاره، وقدر اقتداره، وأسكن في قلوب الرعية سكينته
ووقاره، ومكن له في الوجود وجمع له أقطاره .

ولما انتقل إلى الله ذلك السيد ولحق بدار الحق أسلافه، ونقل إلى سرير الجنة
عن سرير الخلافة، وخللا العصر من إمام يمسك ما بقى من نهاره، وخليفة يغالب

مُرَبَّدًا اللَّيْلَ بِأَنْوَارِهِ ، وَوَارِثٍ بِنِيِّ بَمَثَلِهِ وَمِثْلِ أَبِيهِ أَسْتَفْنَى الْوُجُودَ بِحَدِّ ابْنِ عَمِّهِ خَاتِمِ
الْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ نَبِيِّ مَقْتَبٍ عَلَى آثَارِهِ ؛ وَنَسِيَ وَلَمْ يَعْهَدْ فَلَمْ يَبْقَ إِذْ لَمْ
يُوجَدْ النَّصُّ إِلَّا الْإِجْمَاعُ ، وَعَلَيْهِ كَانَتْ الْخِلَافَةُ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِلا زِيَاعٍ ، أَقْتَضَتِ الْمَصْلِحَةُ الْجَامِعَةَ عَقَدَ مَجْلِسٍ كُلِّ طَرْفٍ بِهِ مَعْقُودٌ ، وَعَقَدَ بَيْعَةَ
عَلَيْهَا اللَّهُ وَالْمَلَائِكَةُ شُهُودٌ ، وَجُمِعَ النَّاسُ لَهُ ﴿ ذَلِكَ يَوْمَ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ
يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴾ . فَحَضَرَ مَنْ لَمْ يُعْبَأْ بَعْدَهُ مِنْ تَخَلُّفٍ ، وَلَمْ يَرَبَّأْ مَعَهُ وَقَدْ مَدَّ يَدَهُ طَائِعًا
مِنْ مَدَّهَا وَقَدْ تَكَلَّفَ ، وَاجْتَسَعُوا عَلَى رَأْيٍ وَاحِدٍ وَاسْتَخَارُوا اللَّهَ تَعَالَى فِيهِ نَحَارًا ،
وَنَاهَبِكَ بِذَلِكَ مِنْ مُخْتَارٍ ؛ وَأَخَذَتْ بَيْنَ يَدَيْهَا الْإِيمَانَ ، وَبُسَّتْ بِهَا الْإِيمَانَ ؛
وَتَعَطَّى عَلَيْهَا الْمَوَاقِفَ ، وَتَعَرَّضَ أَمَانُهَا عَلَى كُلِّ فَرِيقٍ ؛ حَتَّى تَقْلُدَ كُلُّ مَنْ حَضَرَ
فِي عُنُقِهِ هَذِهِ الْأَمَانَةَ ، وَحَطَّ يَدَهُ عَلَى الْمَصْحُوفِ الْكَرِيمِ وَحَلَفَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَأَتَمَّ
إِيمَانَهُ ؛ وَلَمْ يَقْطَعْ وَلَمْ يَسْتَنْ وَلَمْ يَتَرَدَّدْ ؛ وَمَنْ قَطَعَ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ أَعَادَ وَجَدَّ ؛ وَقَدْ
قِيلَ لِمَنْ حَلَفَ أَنْ النِّيَّةَ فِي يَمِينِهِ نِيَّةٌ مِنْ عُقِدَتِ هَذِهِ الْبَيْعَةِ لَهُ وَنِيَّةٌ مِنْ سَلَفٍ لَهُ ،
وَتَدْتَمُّ بِالْوَفَاءِ فِي ذِمَّتِهِ وَتَكْفَلُهُ ؛ عَلَى عَادَةِ إِيْمَانِ الْبَيْعَةِ بِشُرُوطِهَا وَأَحْكَامِهَا الْمُرَدَّةِ ،
وَأَقْسَامِهَا الْمَوْكُودَةِ ؛ بَانَ يَبْدُلُ لِهَذَا الْإِمَامِ الْمَفْتَرِضَةَ طَاعَتَهُ الطَّاعَةَ ، وَلَا يُفَارِقُ الْجُمْهُورَ
وَلَا يُظْهِرُ عَنِ الْجَمَاعَةِ انْتِبَاجَهُ ؛ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا تَضَمَّتْهُ نُسْخَةُ الْإِيمَانِ الْمَكْتُوبِ
فِيهَا أَسْمَاءٌ مِنْ حَلَفَ عَلَيْهَا مِمَّا هُوَ مَكْتُوبٌ بِحُطُوطٍ مِنْ يَكْتُبُ مِنْهُمْ ، وَخَطُوطٍ
الْعُدُولِ الثَّقَاتِ عَمَّنْ لَمْ يَكْتُبْ وَأَذَنُوا لِمَنْ يَكْتُبُ عَنْهُمْ ؛ سَعَسَبَ مَا يَشْهَدُ بِهِ مِنْهُمْ
عَلَى بَعْضٍ ، وَيَتَصَادَقُ عَلَيْهِ أَهْلُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ؛ بَيْعَةٌ تَمَّ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَمَامُهَا .
وَعَمَّ بِالصُّوبِ الْفَدَقِ عَمَامُهَا ؛ ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ﴾ . وَوَهَبَ
لَنَا الْحَسَنَ ؛ ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَافِي عَبْدَهُ ، الْوَاقِفِ وَعَدَّهُ ، الْمُوَافِقِ لِمَنْ يُضَاعَفُ عَلَى كُلِّ

مَوْهَبَةٌ حَمْدُهُ ، ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعْمٍ يَرْغَبُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَزْدِيادِهَا ، وَيَرْهَبُ إِلَّا أَنْ يِقَاتِلَ أَعْدَاءَ اللَّهِ بِأَمْدَادِهَا ، وَيَرَأُبُ بِهَا مَا آثَرْنَا أَيْرُمًا لِيَكُ (۴) مَابَانَ مِنْ مُبَايِنَةِ أُسْدَادِهَا .

نَحْمَدُهُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ كَلِمَةٌ لَا تَمَلُّ مِنْ تَرْدَادِهَا ، وَلَا تَبْخَلُ بِمَا يُفَوِّقُ السَّهَامَ مِنْ مَدَادِهَا ، وَلَا تَنْظَلُ إِلَّا عَلَى مَا يُوْجِبُ كَثْرَةَ أَعْدَادِهَا ، وَتَيْسِرُ إِقْرَارَ عَلَى أَوْرَادِهَا ، وَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَسَدَّهُ لِأَشْرِيكَ لَهُ شَهَادَةٌ بِتَقَايُسِ دَمِّ الشُّهَدَاءِ وَمَدُّ مَدَادِهَا ، وَتَنْفَسُ طَرَرُ الشَّيْبَانِ وَغُرُرُ السَّحَابِ عَلَى آسْتِمَادِهَا ، وَتَتَحَانَسُ رُقُومَهَا الْمَدَائِبَةَ وَمَا تَلَبَّسَهُ الدَّوْلَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ مِنْ شِعَارِهَا ، وَالْبِلَالِي مِنْ ذَنَارِهَا ، وَالْأَعْدَاءُ مِنْ حِدَادِهَا ، وَتَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى بَعَاثَةِ آلِهِ مَنْ سَلَ مِنْ أَبْنَائِهَا وَمَنْ سَلَفَ مِنْ أَجْدَادِهَا ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

وَبَعْدُ . فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِمَا أُكْسِبَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ مِيرَاثِ النَّبَوَةِ ، مَا كَانَ لِحَدِّهِ ، وَوَهَبَهُ مِنَ الْمَلِكِ السُّلَيْمَانِيِّ عَنْ أَبِيهِ مَا لَا يُبْغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ، وَعَلَّمَهُ مَنْطِقَ الظُّهْرِ بِمَا تَحْمَلُهُ ، حَمَائِمَ الْإِطْلَاقِيِّ مِنْ نَبَاتِ الْبِيَانِ ، وَخَرَلَهُ مِنَ الْبَرِيدِ عَلَى مُتُونِ الْخَيْلِ مَا سَفَرَ مِنَ الرِّيحِ لِسُلَيْمَانَ ، وَأَتَاهُ مِنْ خَاتِمِ الْأَنْبِيَاءِ مَا أَمَدَّهُ بِهِ أَبُوهُ سُلَيْمَانٌ وَتَصَرَّفَ ، وَأَعْطَاهُ مِنَ الذَّخَائِرِ مَا أَطَاعَهُ بِهِ كُلُّ مَخْلُوقٍ وَلَمْ يَتَخَلَّفْ ، وَجَعَلَ لَهُ مِنْ لِبَاسِ بَنِي الْعَبَّاسِ مَا يَنْبَغِي لَهُ سِوَادُهُ بِسُودِ الْأَبْدَانِ ، وَيَنْقُضُ عَلَى كُلِّ الْهَدْبِ مَا فَضَّلَ عَنْ سُودِيَاءِ الْقَلْبِ وَسِوَادِ الْبَصْرِ مِنَ السَّوَادِ ، وَيَمُدُّ ظِلَّهُ عَلَى الْأَرْضِ فَكُلُّ مَكَانٍ حَالَهُ دَارُ مُلْكٍ وَكُلُّ مَدِينَةٍ بَغْدَادُ ، وَهُوَ فِي لَيْسَانِ السَّجَادِ ، وَفِي نَهَارِهِ الْعَسْكَرِيُّ وَفِي كَرَمِهِ جَعْفَرِيُّ الْجَوَادِ سَيِّدِ الْإِبْتِهَالِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِي تَوْفِيقِهِ ، وَالْأَتَمَّاجِ بِمَا يُغْضُ كُلَّ عَدُوِّ بَرِيْقِهِ ، وَيَبْدَأُ يَوْمَ هَذِهِ الْمُبَايَعَةِ بِأَعْوَابِ الْأَهَمِّ مِنْ مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ ، وَصَالِحِ الْأَعْمَالِ مَا يَنْحَلُّ

به الإمام، ويُقدِّمُ التقوى أمانه، ويقرنُ عليها أحكامه، ويتبعُ الشرعَ الشريفَ ويقفُ عنده ويوقِفُ الناسَ، ومن لا يجملُ أمره طائعا على العينِ حملةً بالسيفِ غضبا على الرأسِ؛ ويعجلُ أميرُ المؤمنين بما يشفي به النفوسَ، ويزيل به كَيْدَ الشيطانِ إنه يئوسُ، ويأخذُ بقلوبِ الرعايا وهو غنى عن هذا ولكن يسوسُ؛ وأميرُ المؤمنين يُشهد الله وخليقته عليه أنه أقر كلَّ أمرٍ من ولاةِ الأمور الإسلامية على حاله، وأستمر به في مَقيله تحت كنفِ ظلاله؛ على اختلاف طبقاتِ ولاةِ الأمور، وتفرُّقهم في الممالك والثغور؛ براً وبحراً، سهلاً ووعراً، وشرقاً وغرباً، وبعدا وقرباً؛ وكلَّ جليلٍ وحقيرٍ، وقليلٍ وكثيرٍ؛ وصغيرٍ وكبيرٍ، ومليكٍ ومملوكٍ وأميرٍ، وجندٍ يبرق له سيفٌ شهيرٌ، وريحٌ طيرٍ؛ ومن مع هؤلاء من وزراء وقضاةٍ وكتّابٍ، ومن له يدٌ تبقى في إنشاءٍ وتحقيقِ حسابٍ؛ ومن يتحدثُ في بريدٍ وخراجٍ، ومن يُحتاجُ إليه ومن لا يُحتاجُ؛ ومن في الدروس والمدارس والربط والزوايا والخوانق، ومن له أعظمُ التعلقات وأدنى الصلائق؛ وسائرُ أبوابِ المراتبِ، وأصحابِ الرواتبِ؛ ومن له في مال الله رزقٌ مقسومٌ، وحقٌّ مجهولٌ أو معلومٌ؛ وأستمرارُ كلِّ أمرٍ على ما هو عليه، حتى يستخير الله ويتبين له ما بين يديه؛ فما زاد تأهيله، زاد تفضيله؛ وإلا فأمرُ المؤمنين لا يريد سوى وجهِ الله، ولا يُحايي أحداً في دينٍ، ولا يُحامي [عن] أحدٍ في حقٍّ؛ فإن المحاماة في الحقِّ مداجاةٌ على المسلمين، وكلُّ ما هو مستعمرٌ إلى الآن، مستقرٌّ على حكمِ الله مما فهمه الله له وفهمه سليمانٌ لا يغيرُ أميرُ المؤمنين في ذلك ولا في بعضه، معتبرٌ مستمرٌّ بما شكر الله على نعمه وهكذا يُجازى من شكر، ولا يكدر على أحدٍ مورداً نزه الله به نعمة الصافية عن الكدر؛ ولا يتأولُ في ذلك متأولٌ ولا من بخر النعمة أو كفر، ولا يتعائل متعائلٌ فإن أمير المؤمنين يعودُ بالله ويعيدُ أيامه من الغير؛ وأمرُ أمير المؤمنين - على الله أمره -

أَنْ يُعْلَنَ الْخُطْبَاءُ بِذِكْرِهِ وَذَكَرِ سُلْطَانَ زَمَانِهِ عَلَى الْمَنَابِرِ فِي الْآفَاقِ، وَأَنْ تُضْرَبَ
بِاسْمِهِمَا النُّقُودُ الْمُتَعَامَلُ بِهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَيُتَّبَعُ بِالدُّعَاءِ لَهَا عَطْفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ،
وَيُصْرَحَ مِنْهُ بِمَا يُشْرَقُ بِهِ وَجْهُ الدَّرْهِمِ وَالذَّنْبَارِ، وَتُبَاهَى بِهِ الْمَنَابِرُ وَدَوْرُ الضَّرْبِ :
هَاتِيكَ تَرْفَعُ أَسْمَهُمَا عَلَى أَسْرَةِ مُهُودِهَا، وَهَذِهِ عَلَى أَسَارِيرِ نُقُودِهَا، وَهَذِهِ تَقَامُ بِسَبَبِهَا
الصَّلَاةُ، وَتَلْكَ تُدَامُ بِهَا الصَّلَاتُ، وَكِلَاهُمَا تُسْتَمَالُ بِهِ الْقُلُوبُ، وَلَا يُلَامُ عَلَى مَا تَعْبَهُ
الْآذَانُ وَتُوعِيهِ الْجُيُوبُ، وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا مَنْ تُحَدِّقُ بِجَوَارِهِ الْأَحْدَاقُ، وَتَمِيلُ إِلَيْهِ
الْأَعْنَاقُ، وَتُبْلَغُ بِهِ الْمَقَاصِدُ، وَيَقْوَى بِهِمَا الْمُعَاوِدُ، وَكِلَاهُمَا أَمْرُهُ مَطَاعٌ، مِنْ خَيْرِ
نَزَاعٍ، وَإِذَا لَمَعَتْ أَزِمَةُ الْخُطْبِ طَارَ لِلذَّهَبِ سُعَاعٌ، وَلَوْلَاهُمَا مَا أَجْتَمَعَ جَمْعٌ
وَلَا أَنْضَمَّ، وَلَا عَرَفَ الْأَنَامُ بِمَنْ تَأْتَمُّ، فَانْخَطَبَ وَالذَّهَبُ مَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ، وَبِهِمَا
يَذُكَّرُ اللَّهُ قِبَاءً الْمَسَاجِدِ، وَلَوْلَا الْأَعْمَالُ، مَا بَدَلَتْ الْأَمْوَالُ، وَلَوْلَا الْأَمْوَالُ، مَا وُلِّتْ
الْأَعْمَالُ، وَلَا أَجَلَ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ هَذِهِ النَّسْبَةِ، قِيلَ إِنَّ الْمَلِكَ لَهُ السَّكَّةُ وَالْخُطْبَةُ، وَقَدْ
أَسْمَعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي هَذَا الْجَمْعِ الْمُشْهُودِ مَا يَتَنَاقَلُهُ كُلُّ خَطِيبٍ، وَيَتَدَاوَلُهُ كُلُّ بَعِيدٍ
وَقَرِيبٍ، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِأَوَامِرٍ وَنَهَى عَنِ نَوَاهٍ وَهُوَ رَقِيبٌ، وَتَسْتَفْزَعُ الْأَوْلِيَاءُ لَهَا
السَّجَايَا، وَتَتَضَرَّعُ الْخُطْبَاءُ فِيهَا بِنُغُوتِ الْوَصَايَا، وَتَتَكَلَّمُ بِهَا الْمَزَايَا، وَتَتَكَلَّمُ بِهَا الْوَاعِظُ
وَيُخْرِجُ مِنَ الْمَشَايخِ الْخَبَايَا مِنَ الزَّوَايَا، وَتَسْمُرُ بِهَا السُّمَارُ وَيَتَرْتَمُ الْحَادِي وَالْمَلَّاحُ،
وَيُرُوقُ شَجَرُهَا فِي اللَّيْلِ الْمُقْمِرِ وَيُرْقَمُ عَلَى جَنْبِ الصَّبَاحِ، تَبْعَطَّرُ بِهَا مَكَّةُ بِطَعْمِهَا
وَنَحْيَا بِحَدِيثِهَا قُبَاهُ، وَيَلْقَنَهَا كُلُّ أَبٍ فَهَمَّ آئِنُهُ وَيَسْأَلُ كُلُّ أَبْنٍ أَنْ يُجِيبَ أَبَاهُ، وَهُوَ
لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ رُشْدٌ وَعَلَيْكُمْ بَيْنُهُ، وَإِلَيْكُمْ مَادَعَاكُمْ بِهِ إِلَى سَبِيلِ
رَبِّهِ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْخَسَنَةِ، وَالْأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْكُمْ الطَّاعَةُ وَالْوَلَا قِيَامُ أَرْعَايَا بِهَا
مَا قِيلَ اللَّهُ أَعْمَالُهَا، وَلَا أَمْسَكَ بِهَا الْبَحْرُ وَدَحَا الْأَرْضُ وَأَرْسَى جِبَالُهَا، وَلَا أَنْفَقَتِ.

(١) كذا ضبط في بعض النسخ ولعل الصواب قيام، أرقوام . تأمل .

الآراء على من يستحق وجاءت إليه الخلافة تجزأ أضيالها ، وأخذها دون بني أبيه
ولم تكن تصلح إلا له ولم يكن يصلح إلا لها ، وقد كفاكم أمير المؤمنين السؤال بما
فتح لكم من أبواب الأرزاق ، وأسباب الارتفاق ، وأحسن لكم على وفاقكم وعلمكم
مكارم الأخلاق ، وأجراكم على عوائدكم ولم يمسك خشية الإملاق ، ولم يسق على
أمر المؤمنين إلا أن يسير فيكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويعمل
بما ينتفع به من يحيى - أطال الله بقاء أمير المؤمنين - من بعده ، ويزيد على كل
من تقدم ، ويقوم فروض الحج والجهاد ، ويقيم الرعايا بعدله الشامل في مهاد ،
وأمر المؤمنين يقم على عباده موسم الحج في كل عام ، ويشمل سكان الحرمين
الشرفين وسدنة بيت الله الحرام ، ويهون السبيل على عادته ويرجو أن يعود إلى
حاله الأول في سائر الأيام ، ويتدفق في هذين المشجعين بحره الزاخر ويرسل إلى
ثانما بيت المقدس ساكب الغمام ، ويقوم بقوة قبور الأنبياء - صلوات الله
عليهم - أين كانوا وأكثرهم في الشام ، والجمع والجماعات هر فيكم على قديم سنتها
وقوم سنتها ، وسترأ في أيام أمير المؤمنين بن أنصم إليه ، وما يتسلمه من بلاد
الكوفة ويسلم على يديه .

وأما الجهاد ، فيكتمر بأجتهاد القائم عن أمير المؤمنين بأمره ، المنقذ عنده جميع
ما وراء سريره ، وأمير المؤمنين قد وكل إليه - خلد الله سلطانه - عهد الأيام ، وقدم
سيفه الرابع برأفة لیسد واجبه عن الأعداء [وإلا] سل تساه عليهم في الإسلام ،
ويؤكد أمير المؤمنين في ارتجاع ما غلب عليه العدا ، وانتزاع [مما] يسلم من بلاد
الإسلام فإنه حقه وإن طان عليه المسد ، وقد فشم العوسية بأن يراى غزو العدو
المخدر برأ وبجرا ، ولا يكف عن يفتة به منهم قلا وأصرا ، ولا يفك أغلالا
ولا إصرا ، ولا ينك يرسل عليهم في البحر غير يانا ، وفي البر من الخيل عقبان ، يعحل

فيهما كل فارس صقرا ، ويحیی الممالك من يحوز أطرافها بإقدام ، ويتخول أكنافها
الأقدام ، وينظر في مصالح القلاع والحصون والثغور ، وما يحتاج إليه من آلات
القتال ، وما يحتاج به الأعداء ويعجز عنه المحتال ، وأمّهات الممالك التي هي مرابط
البنود ، ومرابض الأسود ، والجنح المدود ، ويتتدأ أحوالهم بالعرض ، بما لهم
من خيل تعقد [بالعجاج] ما بين السماء والأرض ، وما لهم من زرد مصون ، وبيض
سما ذائب ذهب فكانت كأنها بيض مكنون ، وسيوف قواريب ، ورماح لكثرة
طعنها من الدماء خواصيب ، وسهام ترابيل القسي وتفاريها فدهن حين سبارف
وتزجير الفوس زجيرة مفاصيب .

وهذه بحملة أراد أمير المؤمنين بها تطيب قلوبكم ، وإطالة ذليل التذويل
على مظلومكم ، وإقامة أموالكم وأعراضكم في حمية الألباح الشرع المصنوع
وتحريم الإفسان إليكم على مقنار ما يخفى عليكم وينظرون .

وأما بقرنيات الأمور ، فقد علمتم بأن لي من تقلة من أمير المؤمنين غني عن كل
مسألة الذكوى ، وحق لا يشغل بطلب شره وكراها وفي أمانة الأمور ورعانا
الجمهور ، ومن هو مساندة محله ، ومداة أسسه ، وساك من هو معشر الأعيان
من بنيها ، وأنتم على تباينة مقاديركم ورواية أمير المؤمنين من خولكم وأنتم وهم
تسايتكم إلا من أتعرف أمير المؤمنين وتشي في ما تشي الله في خلقه ، وينظر
ما هو عليه ويسير بسيرة النبي في مساندة في خلقه ، وتكلمكم سواء في الخلق عند
أمير المؤمنين وله عليكم أمانة التصحيح ، وإبادة الطاعة بسيرته صويحه ، وقد دخل
كل منكم في كنفه أمير المؤمنين تحت أمانته وإيمانه ببعثته ، وألزم دياره
في خلقه ، ولستعمل كل منكم في الوفاء ، أصبح به عليا ، وتبين أوقى بما نهد
عليه الله فسيروا به أبرا عاليا .

هذا قول أمير المؤمنين ، وعلى هذا عهد إليه وبه يعهد ، وما سوى هذا فهو جُور
لا يشهد به عليه ولا يشهد ، وهو يعمل في ذلك كله ما تُحمد عاقبته من الأعمال ،
ويجمل منه ما يصلح به الحال والمآل ، وأمير المؤمنين يستغفر الله على كل حال ،
ويستعيد بالله من الإهمال ، ويختتم أمير المؤمنين قوله بما أمر الله به من العدل
والإحسان ، ويحمد الله وهو من الخلق «أحمد» وقد آتاه الله مآك سليمان ، والله تعالى
متع أمير المؤمنين بما وهبه ، ويملكه أقطار الأرض وأورثه بعد العمر الطويل
عقبه ، ولا يزال على أسرة العلياء تُعوده ، ولباس الخلافة به أبهة الجلالة كأنه مامات
منصوره ولا زوى مهديه ولا ذهب رشيد^(١) .

المقصد السادس

(فيما يكتب في آخر البيعة)

إذا انتهى إلى آخر البيعة ، شرع في كتابة الحوام على ما تقدم ، فيكتب :
« إن شاء الله تعالى » ثم يكتب التاريخ ، ثم الذي يقتضيه قياس العهود أنه يكتب
المستند عن الطريقة فيكتب : « بإذن العالي المولوي الإمامي النبوي المتوكلي »
مثلا - أعلاه الله تعالى » وكان الخليفة الذي عُقدت له البيعة هو الذي أُذن
في كتابتها .

قلت : ولو أسقط المستند في البيعات فلا حرج لخلاف العهود : لأنها مصادر
عن مؤل وهو العاهد ، فحسن إضافة المستند إليه ، بخلاف البيعة فإنها كتب المستند
عن أهل الحل والعقد كما تقدم . ويكتفى في المستند بنص بكاتبه سُطوطهم في آخر

(١) هذه المعادة من قلم القاضي الفاضل ليست لامية حلال بلاغته ولا متسرلة بجلايب فصاحت فهي
تجربة لم تقع ومسودة لم تصحح كما أشار إليه ابن ناظر الجيوش فإتبه .

البيعة كما سيأتي ، ثم بعد كتابة المسند - إن كُتِبَ - تَكْتَبُ الحمدُ والصلاةُ على النبي - صلى الله عليه وسلم - والحسبة ، على ما تقدم في الكلام على الفواتح والخواتم في مقدمة الكتاب .

ثم يَكْتُبُ مَنْ بايع من أهل الحِلِّ والعقد والشهود على البيعة .

فأما من تَوَلَّى عقبة البيعة من أهل الحِلِّ والعقد فيكتب : « بايعته على ذلك ، وكتب فلان بن فلان » ويدعو في خلال ذلك قبل اسمه بما يناسب : مثل أن يقال « بايعته على ذلك قدس الله خلافتَه ، أو « زاد الله في شرفه » أو « زاد الله في اعتلته » وما أشبه ذلك .

وأما المنهرد على البيعة فالواجب أن يكتب كل منهم : « حضرت جربان عقد الائمة المذكورة وكتب فلان بن فلان » كما يكتب الشاهد بجربان عند الكناح ونحوه ، ولا بأس أن يدعى في رسم شهادته قبل كتابة اسمه بما يناسب : مثل « قرنها الله تعالى بالخير أو بالهدى » أو « عرفى الله مسلمين بركتها » وما أشبه ذلك .

المقصود السابع

(في قَطْعِ الورق الذي تكتب به البيعة ، والقيد الذي تكتب به)

وكيفية كتابتها ، وصورة وضعها)

وأعلم أن البيعات لم تكن مدة وفاة الأستعمال لفتنة وقوعها ، فلم يكن لما قطع ورق ، ولا تصير برمتها فتن ، ولكنه يؤخذ فيها بالقياس وعموم الأنداز .

فإنما قطع ورقه ، وما تقدم في الكلام على مقادير قطع الورق ، نقلنا عن محمد بن عمرو المدائني في كتاب « القلابة والدمار » أن قطع بغدادى الكامل للخلفاء والملوك ، ومقتضى

ذلك أن البيعات تُكتب فيه ، وهو قياس ما ذكره القتر الشهابي بن فضل الله في "التعريف" من أن للعهد قطع البغدادي الكامل على ماسياتي ذكره .

قلت : لكن مياتي في الكلام على عهد الخلفاء أنها الآن قد صارت تُكتب في قطع الشامي الكامل ، وبندهما في العرض والطول بون كبير على ما تقدم بيانه في الكلام على قطع الورق ، وحينئذ فينبغي أن تكون كتابة البيعات في قطع الشامي مناسبة لما تُكتب فيه عهد الخلفاء الآن .

وأما القلم الذي يُكتب به فيحسب الورق الذي يُكتب فيه : فإن كُتبت البيعة في قطع البغدادي ، كانت الكتابة بقلم مخمصر الطومار إذ هو المناسب له ؛ وإن كُتبت في قطع الشامي ، كانت الكتابة بقلم الثلث الثقيل إذ هو المناسب له .

وأما كيفية الكتابة بصورة وضعها ، فقياس ما هو متداول في كتابة العهود وغيرها . أنه يتبدأ بكتابة الطرة في أول الدرّج بالقلم الذي تُكتب به البيعة سطورا متلاصقة لا خلوة بينها ، ممتدة في عرض الدرّج من أوله إلى آخره من غير هاش . ثم إن كانت الكتابة في قطع البغدادي الكامل ، جرى فيه على القاعدة المتداولة في عهود الملوك عن الخلفاء على ماسياتي ذكره ، ويترك بعد الوصل الذي فيه الطرة ستة أوصال بياضا من غير كتابة : لتصل بوصل الطرة سبعة أوصال ؛ ثم يكتب البسملة في أول الوصل الثامن بحيث تكون أعلى ألفاته تكاد تلتحق بالوصل الذي قبله بهامش عمريض عن يمينه قدر أربعة أصابع أو خمسة مطوئا ، ثم يكتب تحت البسملة سطرا من أول البيعة ملاصقا لها ؛ ثم ينحلي مكان بيت العلامة قدر شهر جريا على قاعدة العهود وإن لم تكن علامة تُكتب ، كما ينحلي بيت العلامة في بعض المكاتبات ولا يكتب فيه شيء ؛ ثم يكتب السطر الثاني تحت بيت العلامة على

سُمَّتِ السُّطْرُ الَّذِي تَحْتَ الْبِسْمَلَةِ فِي بَقِيَّةِ الْوَصْلِ الَّذِي فِيهِ الْبِسْمَلَةُ ؛ وَيُحْرَصُ أَنْ تَكُونَ نِهَآيَةُ السَّجْعَةِ الْأُولَى فِي أَثْنَاءِ السُّطْرِ الْأَوَّلِ أَوْ الثَّانِي ؛ ثُمَّ يَسْتَرْسَلُ فِي كِتَابَةِ بَقِيَّةِ الْبَيْعَةِ وَيَجْعَلُ بَيْنَ كُلِّ سَطْرَيْنِ قَدْرَ رُبْعِ ذِرَاعِ بَذْرَاعِ الْقُمَاشِ كَمَا سَيَأْتِي فِي الْعَهْدِ ؛ وَيَسْتَضْحِبُ ذَلِكَ إِلَى آخِرِ الْبَيْعَةِ ، فَإِذَا أَتَيْتُ إِلَى آخِرِهَا كَتَبَ "إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى" ثُمَّ التَّارِيخَ ، ثُمَّ الْمُسْتَنْدَ ، ثُمَّ الْحَمْدَةَ وَالصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالْحَسْبَةَ ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ بَيَانَهُ فِي الْفَوَاحِشِ وَالْحَوَاتِمِ فِي مَقْدَمَةِ الْكِتَابِ ؛ ثُمَّ يَكْتُبُ مِنْ بَايَعٍ مِنْ أَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ خُطُوطَهُمْ ، ثُمَّ الشَّهَادَةَ عَلَى الْبَيْعَةِ بَعْدَهُمْ . وَإِنْ كَانَتِ الْكِتَابَةُ فِي الْقَطْعِ الشَّامِيِّ ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَنْقُصَ عَدَدُ أَوْصَالِ الْبِيَاضِ الَّذِي بَيْنَ الطَّرَةِ وَالْبِسْمَلَةِ وَصَلِينَ فَتَكُونُ نَحْمَسَةً ، وَيَنْقُصُ الْهَامِشُ فَيَكُونُ قَدْرَ ثَلَاثَةِ أَصَابِعٍ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ قَانُونُ الْكِتَابَةِ .

وهذه صورة وضعه في الورق ممثلاً لها بالطرّة التي أنشأها لذلك ، والبيعة الثانية من البيعتين اللتين أنشأتهما

بياض بأعلى الدرج بقدر أصبع

هذه بيعة ميمونه ، باليمن مبتدأة بالسعد مقرونه ؛ لمولانا السيد الجليل الإمام النبوي المتوكل على الله أبي عبد الله محمد أمير المؤمنين ، ابن الإمام المعتضد بالله أبي الفتح أبي بكر العباسي : زاد الله تعالى شرفه علواً ، ونخاره سُمُوّاً . قام بعقدها السلطان السيد الأعظم ، والشاهنشاه المعظم ، الملك الظاهر أبو سعيد رقوق ، خلد الله تعالى سلطانه ، وبصر جيوشه وأعوانه ؛ يجمع من أهل الحلّ والعقد ، والأعيان والنقد : من القضاة والعلماء والأمرأء ، ووجوه الناس والوزراء والصلحاء والنصحاء ؛ وإمائتها على السداد ، والتججج والرشاد .

على ما شرح فيه

بأعلى الدرج بقدر أصبع

بياض ستة أوصال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هاشم الحمد لله الذي جعل بيت الخلافة مثابة للناس وأمنا وأقام

بيت الصلاة

تقدير شبر

سُورَ الْإِمَامَةِ وَقَايَةَ لِلْأَنْامِ وَحِصْنًا ؛ وَشَدَّ مِنْهَا بِالْعَصَابَةِ

تقدير ربع ذراع

الْقُرَيْشِيَّةِ أَزْرًا وَشَادَ مِنْهَا بِالْعَصْبَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ رُكْنًا . وَأَعَاثَ

تقدير ربع ذراع

الخلق بإمام هدى حسن سيرة ووصفا سريرة فراق صورة ورق معنى .

ثم يأتي على الكلام إلى آخر البيعة على هذا النمط إلى أن ينتهي إلى

قوله : والله تعالى يجعل أنتقلهم من أدنى إلى أعلى ومن يسرى إلى يسرى

ويحقق لهم بمن استخلفه عليهم وعده الصادق بقوله تعالى : ﴿ وَوَعَدَ اللَّهُ

الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْفِنَهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخَفَّ

فامش

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَيُمْكِنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ

خَوْفِهِمْ أَمْنًا .

إن شاء الله تعالى

كتب في الثاني من جمادى الأولى سنة

سنة إحدى وتسعين وسبعائة

بإذن العالی انمولوی الإمامی النبوی لتوکی

أَعْلَانَهُ اللَّهُ تَعَالَى

الحمد لله وسنّه ، وصالواته علی سیدنا محمد وآله وصحبه وسلامه

حسبنا الله ونعم الوكيل

بایعته علی ذلك	بایعته علی ذلك	بایعته علی ذلك
زاد الله تعالی فی آعلانه	زاد الله تعالی فی شرفه	قدس الله تعالی خلافته
وكتب	وكتب	وكتب
فلان بن فلان	فلان بن فلان	فلان بن فلان

صورة خط الماریعین
الخليفة من أهل الجبل والحمد

حضرت	حضرت	حضرت
جرّيان عقد	جرّيان عقد	جرّيان عقد
البيعة المذكورة	البيعة المذكورة	البيعة المذكورة
عرّف الله المسلمين	قرنها الله تعالى	قرنها الله تعالى
بركتها	بالسداد	باليمن والبركة
وكتب	وكتب	وكتب
فلان بن فلان	فلان بن فلان	فلان بن فلان

عروة غلط المشهور

النوع الثاني

(من البيعات ، بيعات الملوك)

وأعلم أنّ المقرّ الشهابي بن فضل الله قد ذكر في "التعريف" : أنّ من قام من الملوك بغير عهد من قبله لم تجر العادة بأن تكتب لهم مبايعة ، وكأنّه يريد اصطلاح بلاد المشرق والديار المصرية ، أما بلاد المغرب فقد جرت عادة مصطلحهم بكتابة البيعات لملوكهم ، وذلك أنه ليس عندهم خليفة يدينون له ، يتقلّدون الملك بالعهد منه . بل جلّهم أو كلّهم يدعى الخلافة فهم يكتبون البيعات لهذا المعنى .

وهذه نسخة بيعة من هذا النوع ، كتبت بها للسلطان أبي عبد الله محمد بن السلطان أبي الحجاج بن نصر بن الأحمر الأنصاري ، صاحب حمراء غرناطة من الأندلس ، مفتحة بخطبة على قاعدتهم في بيعات الخلفاء على ما تقدم ذكره ، وربما تكرّر الحمد فيها دلالة على عظم النعمة . من إنشاء الوزير أبي عبد الله محمد بن الخطيب صاحب ديوان إنشائه ، على ما رأيته في ديوان ترسله ، وهي :

الحمد لله الذي جلَّ شأننا، وعزَّ سلطاننا، وأقام على ربوبيته الواجبة في كلِّ شيء خلقه برهاننا، الواجب الوجود ضرورةً إذ كان وجود ما سواه إمكاناً؛ الحى القيوم حياةً أبديةً سرمديَّةً منزَّهة عن الأبداء والانتها [فلا تعرف وقتاً ولا تستدعى زماناً؛ العليم الذي يعلم السرَّ وأخفى^(١)] فلا يعزب عن علمه مثقال ذرَّة في الأرض ولا في السماء إلاَّ أحاط بها علماً وأدركها عياناً؛ القدير الذي ألقى الموجودات كلها إلى عظمته يد الخضوع استسلاماً له وإذعاناً. المرید الذي بمشيئته تصريف الأقدار، واختلاف الليل والنهار، فإن منع منع عدلاً وإن منع منع إحساناً؛ شهيد نداول الملوك بدوام ملكه ودلَّ حدوث ما سواه على قدمه، وأثبت السنَّة الحى والجماد على مواهبه وقسمه، وفاض على عوالم السماء والأرض بحر جوده العميم النوال من قبل السؤال وكرمه، وإن من شيء إلاَّ يسبح بحمده ويثني على نعمه سرا وإعلاناً، فهو الله الذى لا إله إلاَّ هو ليس فى الوجود إلاَّ فعله، ألا له الخلق والأمر وإليه يرجع الأمر كله، وسِع الأكوان على تباينها فضله، وقدر المواهب والمقاسم عدله، منعا ومنحا وزيادة ونقصانا .

والحمد لله الذى بيده الإختراع والإنشاء، مالك الملك يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، سبق فى مكنون غيبه القضاء، وخفيت عن خلقه الأسباب وعميت عليهم الأنباء، وعجزت عقولهم أن تدرك منها كنهها أو تكشف منها بياناً .

والحمد لله الذى رفع قبة السماء ما اتخذ لها عمادا، وجعل الأرض فراشا ومهادا، وخلق الجبال الراسية أوتادا، ورتب أوضاعها أجناسا متفاضلة، وأنواعا متباينة متقابلة : حيوانا ونباتا وجمادا، وأقام فيها على حكمة الإبداع دلائل باهرة الشعاع

(١) الزيادة من ربحانة الكتاب لابن الخطيب (ص، ٤٨ ج ١) .

وأشهادا ، وجعل الليل والنهار خلفةً والشمس والقمر حُسبانا . وقدر السياسة
سياجا لعالم الإنسان يضمُّ منه ما أنتشر ، ويَطْوِي من تعدّيه ما نشر ، ويجمِّله على
الآداب التي تُرشدُه إذا ضلَّ وتُقيمه إذا عثر ، وتجبرُه على أن يلتزم السنن ويتبع
الأثر ، لطفًا منه شملَ البشر وحنانًا .

ولما عمّر الأرض بهذا الجنس الذي فضله وشرفه ، وهب له العقل الذي تفكّر
به في حكمه حتى عرّفه ، وبما يجب لرؤيته الواجبة وصفه ، جعلهم درجاتٍ
بعضها فوق بعض فقرا وغنى وطاعة وعصيانا . وأختار منهم سفرة الوحي وحملة
الآيات ، وأرسل فيهم الرسل بالمعجزات ، وعرفهم بما كلفهم من الأعمال
المفترضات : ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ .
يوم اعتبار الأعمال واعتبار الحسنات ، ونصب العدل والمجازاة في يوم العرض عليه
قسطاسًا وميزانًا .

نحمده وله الحمد في الأولى والآخرة ، ونُثني على مواهبه الجمّة وآلائه الوافره ،
ونمد يد الضراعة ، في موقف الرجاء والطاعة ، إلى المزيد من منته الهامية الهامره ،
ونسأله دوام لطفه الخافية وعصمه الظاهره ، وأتصال نعمه التي لا تزال تتعرفها
مثنى ووحدانًا . ونشهد أنه الله الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له . [شهادة
نجدها في المعاد عتده واقبه ، ووسيلة للأعمال الصالحة إليه راقبه ، وذخيرة صالحة
باقيه ، ونورا يسعى بين أيدينا ويكون على الرضا والقبول فينا عنوانًا ^(۱)] . ونشهد أن
سيدنا ومولانا محمدًا النبي العربي القرشي الهاشمي عبده ورسوله الذي أصطفاه
وأختاره ، ورفع بين النبيين والمرسلين مقداره ، وطهر قلبه وقُدس أسراره ، وبلغه

(۱) الزيادة من ریحانة الکتاب ص ۴۹ .

من رِضاهِ آخِيَارِهِ ، وَأَعْطَاهِ لِيَوَاءِ الشَّفَاعَةِ يَقْفُو آدَمَ وَمَنْ بَعْدَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الْكِرَامِ
 آثَارَهُ ، وَجَعَلَهُ أَقْرَبَ الرُّسُلِ مَكَانَةً وَأَرْفَعَهُمْ مَكَانًا . رَسُولُ الرَّحْمَةِ ، وَنُورُ الظُّلْمَةِ ،
 وَإِمَامُ الرُّسُلِ الْأَيْمَّةِ ، الَّذِي جَمَعَ لَهُ بَيْنَ مَرْيَةِ السَّبْقِ وَمَرْيَةِ التَّمِيمَةِ ، وَجَعَلَ طَاعَتَهُ
 مِنَ الْعَذَابِ الْمَقِيمِ أَمَانًا . صَاحِبُ الشَّفَاعَةِ الَّتِي تُوَمَّلُ ، وَالْوَسِيلَةُ الَّتِي إِلَى اللَّهِ بِهَا
 يُتَوَسَّلُ ، وَالدرَجَةُ الَّتِي لَمْ يُؤْتَهَا الْمَلِكُ الْمُقَرَّبُ وَلَا النَّبِيُّ الْمُرْسَلُ ، وَالرَّتَبَةُ الَّتِي لَمْ يُعْطِهَا
 اللَّهُ سِوَاهُ إِنْسَانًا . انْتَخَبَهُ مِنْ أَشْرَفِ الْعَرَبِ أُمًّا وَأَبَا ، وَأَزَكَى الْبَرِيَّةِ طِينَةً وَأَرْفَعَهَا
 نَسَبًا ، وَابْتَعَثَهُ إِلَى كَافَّةِ الْخَلْقِ عَجْمًا وَعَرَبًا ، وَمَلَأَ بُنُورَ دَعْوَتِهِ الْبَسِيطَةَ جَنُوبًا وَشَمَالًا
 وَمَشْرِقًا وَمَغْرِبًا ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ الْجِنُّ نَسًا سَمِعْتَهُ وَقَالُوا (إِنَّا سَمِعْنَا
 قُرْآنًا عَجَبًا) . تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَتَبْيَانًا . فَصَدَعَ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَمْرٍ مِنْ آخْتَارِ ذَاتِهِ الطَّاهِرَةَ وَأَصْطَفَاهَا ، وَأَدَّى أَمَانَةَ اللَّهِ وَوَفَّاهَا ،
 وَرَأَى الْخَلَائِقَ عَلَى شَفَى الْمَتَالِفِ فَتَلَّاهَا ، وَتَبَعَ أَدْوَاءَ الضَّلَالِ فَشَفَّاهَا ، وَمَحَا مَعَالِمَ
 الْجَهْلِ وَعَقَّاهَا ، وَشَادَ لِلْخَلْقِ فِي الْحَقِّ بُنْيَانًا . مُؤَيَّدًا بِالْمُعْجِزَاتِ الَّتِي حُجِّجَها تَقَبُّلُ
 وَتُسْلَمُ : فَمَنْ جَذَعَ لِفِرَاقِهِ يَتَأَلَّمُ ، وَجَمَادٍ بِصِدْقِ نُبُوَّتِهِ يَتَكَلَّمُ ، وَجَيْشٍ شَكَا الظَّمَا
 فَفَجَّرَ لَدَيْهِ الْمَعِينِ مِنْهُ بَنَانًا . وَأَيُّ مُعْجِزَةٍ كَكِتَابِ اللَّهِ الَّذِي لَا تَنْقِضِي عَجَائِبُهُ ،
 فَهُوَ الِّيمُ وَالْعُلُومُ النَّافِعَةُ كُلُّهَا مَدَانِيهِ ، وَأَفْقُ الْحَقِّ الَّذِي تَهْدِي فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
 كَوَاكِبُهُ ، وَالْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ الَّتِي أَصْبَحَتْ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ فُرْقَانًا . فَأَشْرَقَتْ الْأَرْضُ
 بِنُورِ رَبِّهَا وَأَيَاتِهِ ، وَتَمَّتْ كَلِمَةُ اللَّهِ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ، وَبَلَغَ مُلْكُ أُمَّتِهِ
 مَا زَوَى لَهُ مِنْ أَقْطَارِ الْمَعْمُورِ وَجِهَاتِهِ ، حَتَّى عَمَّرَ مِنْ أَكْثَافِ الْبَسِيطَةِ ، وَأَرِيافِ
 الْبِحَارِ الْمَحِيطَةِ ، وَهَادَا وَكُثْبَانًا . وَنَقَلَتْ كُنُوزَ كَسْرَى بِعِزِّ دَعْوَتِهِ الْغَالِبَةِ ، وَظَفِرَتْ
 بِفَلَجِ الْخِصَامِ أَيْدِي عِزَائِمِهَا الْمُطَالِبَةِ ، وَأَصْبَحَ إِيوَانُ فَارِسَ مَجْرِّ رِمَاحِ الْعَرَبِ
 الْعَارِيَةِ ، وَقَذَفَتْ جُنُودَ قِصَرٍ مِنْ ذَوَائِلِهَا بِالشُّهْبِ النَّاقِبَةِ ، حَتَّى فَرَّ عَنْ مَدْرَتِهِ الطَّيِّبَةِ

آثبا بالصَّفقة الخائبه، وخلصت إلى فسطاطِ مصر بكتائبها المتعاقبه، فلا تسمع
الآذانُ في إقامتهم إلا إقامةً وأذانا . ولا دليلَ أظهر من هذا القطر الأندلسيِّ
الغريب الذي خلصت إليه سيوفُها أثباج البحار، على بُعد المراحل ونزوح الديار،
وتكاثف العمالات واختلاف الأمصار، ومقطع العمارة بأقصى الشمال ومحط السفار،
طلعت عليه كلمة الله طلوعَ النهار، وأستوطنته قبائل العرب الأحرار، وأرغمت فيه
أنوف الكفار، ضراباً في سبيل الله وطعانا .

ولما استقام الدين، وتمَّ معالم الإيمان الرسول الأمين، وظهر الحق المبين،
وراق من وجه الملة الحنيفية السمحة الجين، وأخذ المسالك والمآخذ الإفصاح
والتبيين، وتقررت المستندات المعتمدات سنةً وقرآنا، أشعره الوحي بالرحلة
عن هذه الدار، والانتقال إلى نخل الكرامة ودار القرار، وخيره الملك فاختار الرفيق
الأعلى موقفاً إلى كرم الاختيار، [و] وجد صحبه رضى الله عنهم في الاستخلاف بعده
والإيثار حججا مشرقة الأنوار، أطلقت بالحق يداً وأنطقت بالصدق لسانا .
صلى الله عليه وعلى آله وصحابه، وأسرت الطاهرة وعصابته، وأنصاره وأصحابه
وقرآته، الذين كانوا في معاضدته إخوانا، وعلى إعلاء إمرة الحق أعوانا . نجوم
الملة وأقمارها، وغيوثها الهامية وبجاريها، وسيوف الله التي لا تنبو سفارها، وأعلام
الهدى التي لا تبلى آثارها، ودعائم الدين التي رفعت منه على البر والتقوى أركاناً .

وحياً لله وجوه حتى الأنصار بالنعيم والنصره، أولى البأس عند الحفيظة سالماً
عند القدره، الراضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير ويذموا برسول الله صلى الله
عليه وسلم فنعمت المنقبة والأثره، الحائزون بيعة الرضوان فضلاً من الله ورضواناً .
ووزراؤه وظهراؤه في كل أمر، وخالصته يوم أحد وبدر، لم يزالوا صدراً في كل

قَلْبٍ وَقَلْبًا فِي كُلِّ صَدْرٍ ، يَصَلُونَ دُونَهُ كُلِّ جَمْرٍ ، وَيَفْدُونَهُ بِنَفْسِهِمْ فِي كُلِّ سِرٍّ
وَجَهْرٍ ، وَيَعْمَلُونَ فِي إِعْلَاءِ دِينِهِ بِيَضًا عِضَابًا وَسُمْرًا لِدَانَا . صَلَاةٌ لَا تَزَالُ سَحَابًا
تُرَاهُ ، وَتَحِيَّةٌ دَائِمَةٌ مَسْتَمِرَّةٌ ، مَا لَهَجَتْ الْأَلْسُنُ بِثَنَائِهِمْ ، وَرَقَفَتِ الْمَفَاخِرُ عَلَى عَلِيَّائِهِمْ ،
وَتَعَلَّمَتِ الْمَوَاهِبُ مِنَ آلِهِمْ ، وَقَصُرَتِ الْحَامِدُ عَلَى مُسْمِيَاتِهِمْ وَأَسْمَائِهِمْ ، وَكَانَ
حُبُّهُمْ عَلَى الْفَوْزِ بِالْجَنَّةِ ضَمَانًا .

وَنَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ لِهَذَا الْأَمْرِ النَّصْرِي الَّذِي سَبَّبَهُ بِسَبَبِهِمْ مَوْصُولٌ ، وَهَمٌّ لِفُرُوعِهِ
السَّامِيَةِ أَصُولٌ ، فَيَالَهَا مِنْ نُصُولٍ خَلَقَتْهَا نُصُولٌ ، أَنْجَزَتْ وَعَدَّ النَّصْرُ وَهُوَ مَمْتُوْلٌ ،
وَأُحْيَتْ رُبُوعَ الْإِيمَانِ رَمَى طُلُوقٌ ، نَصْرًا عَزِيزًا وَفَتْحًا مَبِينًا ، وَتَأْيِيدًا عَلَى أَعْدَائِكَ
وَتَحْكِيمًا ، وَمُلْكًا يَبْقَى فِي الْأَعْقَابِ وَأَعْقَابِ الْأَعْقَابِ وَسُلْطَانًا . وَأَعِنَّا اللَّهُمَّ عَلَى
مَا أُرِجِبَتْ لَدُنْكَ مِنْ مَفْرُوضِ الطَّاعَةِ ، وَتَأْدِيَةِ الْحَقِّ بِجَهْدِ الْإِسْتِطَاعَةِ ، وَأَعِصْمْنَا
بِإِيَالَتِهِ الْعَادِلَةِ مِنَ الْإِضَاعَةِ ، وَأَحْمِلْنَا مِنْ مَرَضَاتِهِ عَلَى سَنَنِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ ، وَاجْعَلْهَا
كَلِمَةً بَاقِيَةً إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ ﴿ وَأَعْفُ عَنَّا وَآغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا ﴾ .

أَمَّا بِمَنْدَ مَا أَفْتَحَ بِهِ مِنْ تَحْمِيدِ اللَّهِ وَتَمْجِيدِهِ ، وَالشَّاءِ الَّذِي تَتَعَطَّرُ الْأَنْدِيَّةُ بِتَرْدِيدِهِ ،
فَيُؤْتِي مِنَ الْمَشْهُورِ الَّذِي يَنْضُدُّهُ الْوَجُودُ وَيُؤَيِّدُهُ ، وَالْمَعْلُومِ الَّذِي هُوَ كَالشَّمْسِ ضَلَّ
مَنْ يَنْكُرُ أَوْ يَنْسِيهِ ، وَالذَّائِعِ بِكُلِّ قَطْرٍ تَرْوِيهِ رُؤَاةُ الْأَنْبِيَاءِ وَتُسْنِدُهُ ؛ مَا عَلَيْهِ هَذَا
الْمُلْكُ النَّصْرِيُّ بِشَرِّهِ ، وَالْإِنْفِصَارِيُّ الْمُتَمَتِّعُ ؛ الَّذِي يُصِيبُ شَاكِلَةَ الْحَقِّ إِذَا رَمَى ،
وَيَعْمُ الْعِبَادَ وَالْبِلَادَ غَيْرُهُ مَهْمَا هُمَا ؛ مِنْ أَصَالَةِ الْأَعْرَاقِ ، وَكَرَمِ الْأَخْلَاقِ ؛
وَالْفَضْلِ الْبَاهِرِ الْإِشْرَاقِ ، وَالْجَاهِدِ الَّذِي هُوَ سَمَرُ الرَّكْبِ وَحَدِيثُ الرَّفَاقِ ؛ وَأَنَّ قَوْمَهُ
الْمُلُوكَ الْكِرَامَ إِنْ فُوحُوا بِسَبَبِ دَكْرُوا سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ وَمَجْدَهُ ، أَوْ كَوَثُرُوا بِعَدَدِ غَلْبُوا
بِاللَّهِ وَحَدَّهُ ، أَوْ اسْتَنْصَرُوا فَزَجْرًا شَدَّهُ ، وَاسْتَظْهَرُوا مِنْ [عِزِّهِمْ] الْمَوْهُوبِ ،

وصبرهم على الخطوب ، بكلِّ عَدَدٍ وَعُدَّةٍ ، دارهم الثغرُ الأقصى ونِعْمَتِ الدَّارِ ،
 وشِعَارُهُمْ « لا غَالِبَ إِلَّا اللهُ » ونَمِّ شِعَارِهِمْ زُهَادٌ إِذَا ذُكِرَ الدِّينُ ، أَسْوَدٌ إِذَا حَمِيَتْ
 الميادين ، جبالٌ إِذَا زَحَفَتِ الصُّفُوفُ ، بُدُورٌ إِذَا أَظْلَمَتِ الرَّحُوفُ ، غِيُوثٌ إِذَا
 مَنَعَ المَعْرُوفُ ، أَفْرَادٌ إِذَا ذُكِرَتِ الأُلُوفُ ، إِنَّ بُوَيُعُوا فَاَلْمَلَائِكَةُ وَفُودٌ [وَحَمَلَةُ العِلْمِ]^(١)
 وَحَمَلَةُ السَّلَاحِ شُهُودٌ ، وَإِنْ وَلَدُوا فَالسُّيُوفُ تَمَامٌ وَالسُّرُوجُ مَهُودٌ ، وَإِنْ أَضْحَرُوا
 لِلْعَدُوِّ فَالظَّلَالُ بُنُودٌ ، وَجُنُودُ السَّبْعِ الطَّبَاقِ جُنُودٌ ، وَإِنْ أَظْلَمَ اللَّيْلُ أَسْهَرُوا جُفُونَهُمْ
 فِي حَيَاةِ المَسْلَمِينَ وَالجُّفُونَ رُقُودٌ .

وَإِنَّ هَذَا القُطْرَ الَّذِي آتَى سَبِيلَ الفَتْحِ الأَوَّلِ إِلَى نَاحِيَتِهِ ، وَأُجِلَتْ قِدَاحُ
 الفُوزِ بِالدَّعْوَةِ الخَنيفَةِ عَلَى الأَقْطَارِ فَأَخَذَ الإِسْلَامُ بِنَاصِيَتِهِ ، كَانَ مِنْ فَتْحِهِ الأَوَّلِ
 مَا قَدَّ عُلِمَ ، حَسَبَ مَا سَطَّرَ وَرَسَمَ ، وَإِنَّ مُوسَى بنَ نُصَيْرِ وَفَتَاهُ ، حَلَّ مِنْ فُرْضَةِ مَجَازِهِ
 مَحَلَّ مُوسَى وَفَتَاهُ ، وَحَلَّ الإِسْلَامُ مِنْهُ دَارَ قَرَارِهِ ، وَخِطَّةَ خَلِيقَةِ بَارْتِيَادٍ وَأَخْتِيَارِهِ ،
 وَبَلَدًا لِأُبْحَصَى خَيْرِهِ ، وَلَا يَفْضُلُهُ شَيْءٌ مِنَ المَزِيَّةِ مَا عَدَا الحَرَمِينَ غَيْرُهُ ، وَأَمْتَدَّتْ
 الأَيَّامُ حَتَّى تَأْتَسَّ العَدُوُّ لِرُوعَتِهِ ، وَخَفَّ عَلَيْهِ مَا كَانَ مِنْ صَرَعَتِهِ ، وَقَدَحَ فَأُورِي ،
 وَأَعْضَلَ دَأْوَهُ وَأَسْتَشْرَى ، وَصَارَتِ الصُّغْرَى الَّتِي كَانَتْ الكُبْرَى ، فَلَوْلَا أَنَّ اللهَ عَمَدَ
 النَّبِيِّينَ مِنْهُمُ بِالعُمْدَةِ الوَثِيقَةِ ، حُمَاةَ الحَقِيقَةِ ، وَأُئِمَّةَ الخَلِيقَةِ ، وَسُلَالَةَ مَفْتَحِي الإِمَامَةِ
 وَمَفْتَحِي الحَدِيقَةِ ، لِأَجْهَازِ النُّصُلِ ، وَأَجْنُثَ مِنَ الدِّينِ الفُرْعُ وَالأَصْلِ ، لَكُنَّ مِنْهُمْ
 أَنْتَدَبُوا إِلَى إِمْسَاكِ الدِّينِ بِهَا أَنْتَدَابًا ، وَوَصَلُوا للإِسْلَامِ أَسْبَابًا ، وَتَنَاولَهَا مِنْهُمْ صَقْرُ
 قَيْسِ الخَزْرَجِ ، ذُو الحُسَامِ المُضَرِّجِ ، وَالثَّنَاءُ المُوَرِّجِ ، أَبُو عَبْدِ اللهِ الغَالِبِ بِاللهِ مُحَمَّدُ
 بَنِ يُوْسُفِ بْنِ نَصْرٍ أَمِيرِ المَسْلَمِينَ ، المُنْتَدَبُ لِإِقَامَةِ سَنَةِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ ، قُدْوَةُ المُلُوكِ
 المَجَاهِدِينَ : نَضَّرَ اللهُ وَجْهَهُ وَتَقَبَّلَ جِهَادَهُ ، وَشَكَرَ دِفَاعَهُ عَنِ حَوْزَةِ الإِسْلَامِ

(١) من ربحانة الكتاب .

[وَجَلَادَهُ ، فَأَقْشَعَتِ الظُّلْمَةَ ، وَتَمَاسَكَتِ الأُمَّةُ ، وَكَفَّ العَدُوُّ وَأَقْصَرَ ، وَرَأَى
الإسلامُ بِمَنِ اسْتَنْصَرَ ، وَاسْتَبْصَرَ فِي الطَّاعَةِ] ^(١) مِنْ اسْتَبْصَرَ ، وَهَبَّتْ بِنَصْرِ اللَّهِ
العَزَائِمُ ، وَكَثُرَتْ عَلَى العَدُوِّ المَهْزَائِمُ ، وَتَوَارَتْهَا مُلْكُهَا وَلَدَا عَنْ أَب ، مُسْتَنْدِينَ
إِلَى عَدْلٍ وَبَذَلَ وَبَسَالَةَ وَجَلَالَهَ وَحَسَبَ ، تَتَضَّحُ فِي أَفْقِ الجَلَالِ نَجْمٌ سِيرِهِمْ هَادِيَةٌ
للسَّائِرِينَ ، وَتَفَرَّقَ مِنْ سَطَوَاتِهِمْ فِي اللَّهِ أَسْوَدُ العَرِينِ ، إِلَى أَنْ قَامَ بِالأَمْرِ وَسُطَى
سِلْكَهُمْ ، وَبَرَكَتُهُ مُلْكُهُمْ ، الخَلِيفَةُ الوَاجِبُ الطَّاعَةَ بِالْحَقِّ عَلَى الخَلْقِ ، الشَّهِيرُ
الجَلَالَةُ وَالبَسَالَةُ فِي الغَرْبِ وَالشَّرْقِ ، أَمِيرُ المُسْلِمِينَ بِوَجِبِ الحَقِّ ؛ سَاحِبُ أذْيَالِ
العَفَافِ وَالتَّطَاهَرِ ، السَّعِيدُ الإِيَالَةَ وَالإِمَارَةَ ، البَعِيدُ الغَارَةَ ، مَنْ دَعَرَ العَدُوَّ لِبَاسِ
حَسَامِهِ ، وَذُخِرَ الفَتْحُ المُنِيِّ لِأَيَّامِهِ ؛ صَدْرُ المُلُوكِ المُجَاهِدِينَ ، وَكَبِيرُ الخُلَفَاءِ العَادِلِينَ ،
البَعِيدُ المَدَى فِي حِمَايَةِ الدِّينِ ؛ السَّعِيدُ الشَّهِيدُ ، أَبُو الوَلِيدِ ، ابْنُ المَوْلَى الهَمَامِ الأَوْحَدِ ،
الرَّفِيعُ المَمَجَّدُ ؛ الطَّاهِرُ الظَّاهِرُ الأَعْلَى ، الرَّئِيسُ الكَبِيرُ الجَلِيلُ المَقْدَسُ الأَرْضِيُّ ؛
« أَبِي سَعِيدٍ » ابْنُ أَبِي الوَلِيدِ ، بِنِ نَصْرٍ . فَاحِيَا رَحِمَهُ اللَّهُ مَعَالِمَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ،
وَجَلَى بِنُورِ عَدْلِهِ غِيَاهِبَ الذُّجْنَةِ ؛ وَأَعَزَّ الإِسْلَامَ وَحَمَاهُ ، وَرَمَى تُغْرَةَ الكُفْرِ فَاضْمَاهُ ؛
قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ الطَّيِّبَ ، وَسَقَى لِحَدَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ الغَمَامَ الصَّيِّبَ ؛ وَأَوْرَثَ المُلُوكَ
الجِهَادِيَّ مِنْ وَلَدِهِ خَيْرَ مَلِكٍ قُبِلَتْ مِنْهُ كَفٌّ . وَاسْتَدَارَ بِهِ مَوَكِبٌ لِلجِهَادِ مُلْتَفٌّ ؛
وَشَمَّخَ بِخِدْمَتِهِ أَنْفَ ، وَسَمَّا إِلَى مَشَاهِدَتِهِ طَرْفَ ، وَتَأَرَّجَ مِنْ ذِكْرِهِ عَرَفَ ، وَجَرَى
إِلَى بَابِهِ حَرْفَ ؛ مَوْلَانَا المَلِكُ الهَمَامُ ، الخَلِيفَةُ الإِمَامُ ؛ مِنْ أَشْرَقَ بِنُورِ إِيَالَتِهِ الإِسْلَامَ ،
وَتَشَرَّفَتْ بِوَجُودِهِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ ؛ بَدَرُ المُلُوكِ وَشَمْسُهُ ، وَسِرُّ الزَّمَانِ الَّذِي قَصُرَ عَنْ
يَوْمِهِ أَمْسُهُ ؛ الَّذِي أَشْتَهَرَ عَدْلُهُ ، وَبَهَرَ مَضْلُهُ ، وَظَهَرَتْ عَلَيْهِ عِنَايَةُ رَبِّهِ ، وَكَانَ
الخَضُوعَ لَهُ فِي سَأَمِهِ وَحَرْبِهِ ؛ مَوْلَانَا أَمِيرُ المُسْلِمِينَ ، وَقُدُوةُ المُلُوكِ المُجَاهِدِينَ وَالأُمَّةِ

(١) الزيادة عن ربحانة الكتاب لأبي الخطيب وهي لازمة لاستقامة الكلام .

العارفين ؛ السعيد ؛ الشهيد ؛ الطاهر ؛ الظاهر ؛ الأوحُدُ الهمام ، الخليفة الإمام
(أبو الحجَّاج) رفع الله درجته في أوليائه ، وحشَّره مع الذين أنعم عليهم من أنبيائه
وشُهداءه ؛ فوضَّحت المسالكُ وبانت ، وأشرقَت المعاهدُ وأزدانت ؛ وشَمِل الصَّبغُ
الإلهيُّ واللطف الخفيُّ أقطارَ هذه الأمة حيث كانت . ولما اختار الله له
ما عنده ، وبلغ الأمد الذي قدره سبحانه لحياته وحده ؛ وقبضه إليه مستغفراً لذنبه ،
مطمئناً في الحالة التي أقرب ما يكون العبدُ فيها من ربه ؛ كما تأهب للشهادة
[فاختار] مكانها وزمانها ، وطهر بالصوم نفسه التي كرم الله شأنها ، وطيب روحها
وريجانها ؛ فوقعت آراءُ أرباب الشورى التي تصحُّ الإمامة باتفاقها ، وتتعقد بعقد
ميثاقها : من أعلام العلم بقاعدة [ملكه] غرناطة حرسها الله تعالى التي غيرها لها تبع ،
وحماة الإسلام الذين في آرائهم للدين والدنيا منتفع ؛ وخلصان الثقات ، ووجوه
الطبقات ، على مبايعة وارث ملكه بحقه ، الحائز في ميدان الكمال وإحراز مال الإمامة
من الشروط والخلال خصل سبقه ؛ كبير ولده ، وسابق أمده ؛ ووارث ملكه ،
ووسطى سلكه ؛ وعماد فسطاطه ، وبدر الهالة من بساطه ؛ مولانا قمر العلياء ، ودرة
الخلفاء ، وفرع الشجرة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء ؛ الذي ظهرت عليه مخايل
الملك ناشئاً ووليداً ، وأستشعرت الأقطارُ به وهو في المهدي أماناً وتمهيداً ؛ وأستشرف
الدين الخفيف فأتلع جيداً ، وأستأنف شباباً جديداً ؛ ناصر الحق ، وغياث الخلق ؛
الذي تميز بالسكينة والوقار ، والحياء المنسدل الأستار ، والبسالة المرهوبة الشفارة ؛
والجود المنسكب الأمطار ، والعدل المشرق الأنوار ، وجمع الله فيه شروط الملك
والإختيار ، مولانا ، وعمدة ديننا ودُنيانا ؛ السلطان الفاضل ، والإمام البادل ؛ والهمام
الباسل ، الكريم الشامل ؛ شمس الملك وبدره ، وعين الزمان وصدوره ؛ أمير المسلمين ،
وقرة عين المؤمنين ، أبو عبد الله : وصل الله أسباب سعده ، كما حلَّت أجياد

المنابر بالدعاء لمجده ، وجعل جنود السماء من جنده ، ونصره بنصره العزيز فما النصر إلا من عنده ، ورأوا أن قد ظفرت بالعروة الوثقى أيديهم ، وأمن في ظل الله رايحهم وغاديتهم ، ودلت على حُسن الخواتم مباديتهم ، فتبادروا وأنثأوا ، وتختروا في ملايس الأمن واختالوا ، وهبوا إلى بيعته تطيرهم أجنحة السرور ، ويعين أنطلاق وجوههم بأنسراح الصدور ، واجتمع منهم طوائف الخاصة والجمهور : ما بين الشريف والمشروف ، والرؤساء أولى المنصب المعروف ، وحملة العلم وحملة السيوف ، والأمناء ومن لديهم من الألوف ، وسائر الكافة أولى البدار لمثلها والخوف ، ففقدوا له البيعة الوثيقة الأساس ، السعيدة بفضل الله على الناس ، البرى عهدتها من الارتباب والالتباس ، الحائرة شروط الكمال ، الماحية بنور البيان ظلم الإشكال ، الضمينة حسن العقبي ونجح المال ، على ما بويح عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن له من الصحابة والآل ، وعلى السمع والطاعة ، وملازمة السنة والجماعة ، فأيدتهم في السلم والحرب رداء ليد ، وطاعتهم إليه خالصة في يومه رذاه ، وأنوارهم دفتة في عالي الشدة والرخاء ، وعقودهم محفوظة على تداول السراء والضراء ، أشهدوا عليها الله وكفى بالله شهيدا ، وأعطوا صفقات إيمانهم تثبتا للوفاء بها وتأكيذا ، وجعلوا منها في أعناقهم ميثاقا وثيقا وعهدا شديدا ، والله عز وجل يقول : (فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ مَا يَبْتَدِئُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَدْرَى بِمَا نَاهِي اللَّهُ فِيسُوتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) . ومن أصدق من الله وعدا أو وعيدا . وهم قد بسطوا أيديهم يستأون رحمة الله بالإخلاص والإتابة . وصرفوا وجوههم إلى من أمرهم بالدعاء ورددتم بالإجابة ، يسألونه خير ما يقضيه ، والسبر على ما يشي به .

اللهم بآبك عند نقاب الأحوال عرفنا ، ومن بحر نعدك العزيمة أعرفنا ، وعقوك ستر من غير بنا كل ما آجرتنا وأوتفنا ، ومن فضلك أغينتنا ، وبعينك التي

لا تَنَامُ حُرْسَتَنَا وَحِمِيَّتَنَا [فَانصُرْ حِينًا وَأَرْحَمِ مِيَّتَنَا^(١)] وَأَوْزِعْنَا شُكْرَ مَا أَوْلَيْتَنَا؛ وَأَجْعَلْ لَدَى الْخَيْرِ وَالْخَيْرَةِ فِيمَا إِلَيْهِ هَدَيْتَنَا .

اللَّهُمَّ إِنَّ قَطْرَنَا مِنْ مَادَّةِ الْإِسْلَامِ بَعِيدٌ ، وَقَدْ أَحْدَقَ بِنَا بَحْرُ زَانِحٍ وَعَدُوٌّ شَدِيدٌ ، وَفِينَا أَيْمٌ وَضَعِيفٌ وَهَرَمٌ وَوَيْدٌ [وَأَنْتَ مَوْلَانَا وَنَحْنُ عَبِيدُ .

اللَّهُمَّ مَنْ بَايَعَنَا فِي هَذَا الْعَقْدِ^(١) فَاسْعِدْنَا بِمُبَايَعَتِهِ وَطَاعَتِهِ ، وَكُنْ لَهُ حَيْثُ لَا يَكُونُ لِنَفْسِهِ بَعْدَ اسْتِنْفَادِ جُهِدِهِ فِي التَّحْفِظِ وَاسْتِطَاعَتِهِ ؛ وَكُفِّ عَنْهُ كَمَفِّ عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِ كُلَّمَا هَبَّتْ بِهِ رِيَّاحُ طَمَاعَتِهِ ؛ يَا مَنْ يُفْرِدُهُ الْعَبْدُ بِضِرَاعَتِهِ ، وَيُعَوِّذُ بِحِفْظِهِ مِنْ إِضَاعَتِهِ .

اللَّهُمَّ أَدْعِنَا حَقَّهُ فَإِنَّا لَا نَقْوَى عَلَى إِدَائِهِ ، وَتَوَلَّ عَنَّا شُكْرَ مَا أَحْدَثَنَا مِنْ سِيرَتِهِ وَسِيرَةِ آبَائِهِ ، وَأَحْمِلْهُ مِنْ تَوْفِيقِكَ عَلَى سَوَائِهِ .

اللَّهُمَّ إِنَّا إِلَيْهِ نَاطِرُونَ ، وَعَنْ أَمْرِهِ صَادِرُونَ ، وَإِلْإِنْجَازِ وَعْدِكَ فِي نَصْرٍ مِنْ يَنْصُرُكَ مَنْتَظِرُونَ ؛ فَاعِنَهُ عَلَى مَا قَلَّدْتَهُ ، وَأَنْجِزْ لِدِينِنَا عَلَى يَدَيْهِ مَا وَعَدْتَهُ ؛ فَمَا فَقَدَ شَيْئًا مِنْ وَجَدِكَ ، وَلَا غَابَ مِنْ قَصْدِكَ ، وَلَا ضَلَّ مِنْ اعْتِمَادِكَ ، آمِينَ آمِينَ يَا رَبَّ السَّالِمِينَ .

وكتب الملائكة المذكورون أسماءهم بخطوط أيديهم في هذا الكتاب ، شاهدة عليهم بما ألتموه دنيا ودينًا ، وسلَّكوا [منه] سبيلًا مبينًا ؛ وذلك في الثاني والعشرين لشوال من عام خمس وخمسين وسبعائة .

قلت : وقد أخبر آخر هذه البيعة بأن المبايعين للسلطان تُوخِدُ خُطُوطُ أيديهم في كتاب البيعة شاهدة عليهم بما بايعوا عليه . والظاهر أن كتابة البيعة عندنا هم كما في مكاتباتهم في طومار واحد كبير متغايق الشطور ، وأنه ليس له طرة بأعلان كما في كتابة المصريين .

(١) الزيادة عن ربحانة الكتاب لابن الخطيب .

الباب الثالث

من المقالة الخامسة في العهود، وفيه فصلان

الفصل الأول

(في معنى العهد)

العهد لفظ مشترك يقع في اللغة على ستة معانٍ :

أحدها - الأمان . ومنه قوله تعالى : ﴿ فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ﴾

الثاني - اليمين . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ﴾ .

الثالث - الحفظ . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : " حُسْنُ الْعَهْدِ مِنْ الْإِيمَانِ " .

الرابع - الذمة . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم " لَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ وَلَا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ " .

الخامس - الزمان . ومنه قولهم : " كَانَ ذَلِكَ عَلَىٰ عَهْدِ فَلانٍ " .

السادس - الوصية . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ قَنَسِيٍّ ﴾ وهو المراد هنا .

قال الجوهري : ومنه اشتق العهد الذي يكتب للولاية^(١) .

(١) بهاءش الاصل هنا حاشية نصها «ولهم سابع» وهو قولهم في الدعاء للملك بعد موته : سق الله عهده

برحمته أي مكانه المدفون فيه يسق بالرحمة . فصح أن يطلق عن الزمان والمكان .

الفصل الثاني

(في بيان أنواع العهود ، وهي ثلاثة أنواع)

النوع الأول

(عهود الخلفاء عن الخلفاء ، ويتعلق النظر به من ثمانية أوجه)

الوجه الأول

(في أصل مشروعيتها)

والأصل في ذلك ما ثبت في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، أنه قيل لعمر عند موته "ألا تعهد؟" فقال: أتحمّل أمركم حياً وميتاً؟ إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني، [يعني أبا بكر] (١) : وإن أترك فقد ترك من هو خير مني رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأثبت استخلاف أبي بكر رضي الله عنه بذلك ، مشيراً إلى ما روى : "أنه لما أشدّ بأبي بكر الصديق رضي الله عنه الوجع ، أرسل إلى عليّ وعثمان ورجال من المهاجرين والأنصار ، فقال : قد حضر ما ترون ، ولا بد من قائم بأمركم ، فإن شئتم استخرتكم لأنفسكم ، وإن شئتم استخرت لكم . قالوا : بل اخترنا ، فأمر عثمان فكتب عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه (عليّ ماسياتي ذكره) - فقال عمر : لا أطيق القيام بأمر الناس - فقال أبو بكر ها تواسيني ! وتهدده فانقاد عمر ، ثم دخل عليه طلحة فعاتبه عليّ استخلاف عمر . فقال : إن عمر والله خير لكم وأنتم شر له ، والله لو وليتكم لجعلت أنفك في قفاك ، ورفعت نفسك فوق قدرها حتى يكون الله هو الذي يضعها . أتيتني وقد وكفت عينك ، تريد أن تفتني عن ديني

(١) الزيادة من صحيح مسلم (ج ٢ ص ٨٠) .

وتردني عن رأيي، قم لأقام الله رجلك، والله لئن بلغني أنك غمضته وذكرته بسوء لألحقنك بمحضات قنة حيث كنتم تسقون ولا تروون، وترعون ولا تسبعون، وأنتم بذلك يجحون راضون، فقام طلحة فخرج .

قال العسكري : المحضات جمع حمضة ضرب من النبت ، والقنة أعلى الجبل .

قال الماوردي : وكان استخلاف أبي بكر رضي الله عنه عمر باتفاق من الصحابة من غير نكير فكان إجماعا .

وقد عهد عمر رضي الله عنه إلى ستة ، وهم عثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وتركها شورى بينهم ، فدخلوا فيها وهم أعيان العصر وأشرف الصحابة رضوان الله عليهم .

الوجه الثاني

(في معنى الاستخلاف)

قال البغوي رحمه الله في كتابه " التهذيب " في الفقه : الاستخلاف أن يجعله خليفة في حياته ثم يخلفه بعده . قال : ولو أوصى بالإمامة فوجهان : لأنه يخرج بالموت عن الولاية فلا يصح منه تولية الغير . وأستشكل الرافي رحمه الله هذا التوجيه بكل وصية ، وبأن ما ذكره من جعله خليفة بعده : إن أريد به استنابته فلا يكون ذلك عهدا إليه بالإمامة . وإن أريد جعله إماما في الحال ، فهو : إما خلع نفس العاهد ، وإما اجتماع إمامين في وقت واحد . وإن أريد جعله خليفة أو إماما بعد موته فهو الوصية من غير فرق .

(١) أي وأصحهما عنده عدم الجواز . بدليل التعليل .

قلت : وهذا جنوحٌ من الرافعي رحمه الله إلى صحّة الخلافة بالوصية أيضا ،
(١) كما تصح بالاستخلاف .

الوجه الثالث

(فيما يجب على الكاتب مراعاته)

وأعلم أنه يجب على الكاتب أن يُراعى في كتابة العهد بالخلافة أموراً :

منها - براعة الاستهلال بذكر ما يتفق له : من معنى الخلافة والإمامة
وأشتقاقيهما ، وحال الولاية ، ولقب العاهد والمعهود إليه ، ولقب الخلافة ، إلى غير
ذلك مما سبق بيانه في الكلام على البيعات .

ومنها - أن ينبّه على شرف رتبة الخلافة ، وعلوّ قدرها ، ورفع شأنها ، وميسر
الحاجة إلى الإمام ، ودعاية الضرورة إليه ، ونحو ذلك مما سبق في البيعات أيضا .

ومنها - أن ينبّه على اجتماع شروط الإمامة في المعهود إليه من حين صدور
العهد بها من العاهد ، فقد قال الماوردي : إنه تُعتبر شروط الإمامة في المعهود
إليه من وقت العهد ، حتى لو كان المعهود إليه صغيراً أو فاسقاً وقت العهد ، وبالغاً
[عدلاً] عند الموت ، لم تصح خلافته حتى يستأنف أهل الاختيار بيعته ، قال
الرافعي رحمه الله : وقد يتوقف في هذا . قال النووي رحمه الله في "الروضة" :
لا يتوقف . والصواب ما قاله الماوردي .

ومنها - أن ينبّه على اجتهاد العاهد وتروى نظره في حقيقة المعهود إليه : فقد
قال الماوردي : وإذا أراد الإمام أن يعهد بالإمامة ، فعليه أن يُجهِد رأيه في الأحق
بها ، والأقوم بشروطها ؛ فإذا تعيّن له الاجتهاد في أحد ، عهد إليه .

(١) في الأصول كما لا تصح الخ والظاهر أن « لا » زائدة من النسخ تأمل .

ومنها - أن يُشير إلى تقدم الاستخارة على العهد ، وأن استخارته أدته إلى المعهود إليه ، فإن الاستخارة أمر مطلوب في كل أمر ، خصوصاً أمر المسلمين وعموم الولاية عليهم ، فإن اختيار الله للخلق خير من اختيارهم لأنفسهم ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

ومنها - أن ينبه على أن عهده إليه بعد مشورة أهل الاختيار ومراجعتهم في ذلك ، وتصويبهم له ، خروجاً من الخلاف . فقد حكى الرافعي رحمه الله وجهين فيما إذا كان المعهود إليه أجنبياً من العاهد ليس بولد ولا والد : هل يجوز أن ينفرد بعقد البيعة له وتفويض العهد إليه ولا يستشير فيه أحداً؟ أصحهما الجواز: لأن العهد إلى عمر رضي الله عنه لم يُوقف على رضا الصحابة رضوان الله عليهم ، ولأن الإمام أحق بها ، فكان اختياره فيها أمضى ، وقوله فيها أنفذ .

وحكى الماوردي في جواز أفراد العاهد بالبيعة فيما إذا كان المعهود إليه والد أو ولداً ثلاثة مذاهب :

أحدها - ما اقتصر الرافعي رحمه الله على نسبه إلى الماوردي ، ومقتضى كلامه ترجيحه : أنه يجوز الأفراد بعقدها للولد والوالد جميعاً : لأنه أمير للأمة نافذ الأمر لهم وعليهم ، فغلب حكم المنصب على حكم النسب ، ولم يجعل للثمة طريقاً على أمانته ، ولا سبيلاً إلى معارضته .

والثاني - أنه لا يجوز أفرادها لولد ولا والد حتى يُشاور فيه أهل الاختيار فيرونه أهلاً لها ، فيصح منه حينئذ عقد البيعة : لأن ذلك [منه] تزكية [له] تجرى مجرى الشهادة ، وتقليده على الأمة مجرى مجرى الحكم ، والشهادة والحكم ممتنعان من الولد والوالد للثمة ، لما جُبل عليه من الميل إليهما .

والثالث - أنه يجوز أن ينفرد بعقد البيعة لوأده دون ولده : لأنَّ الطبع إلى الولد أميل ؛ فأما عقدها لأخيه وغيره من الأقارب والمناسيين فكعقدها للأجانب في جواز الأنفراد بها .

ومنها - أن ينبه على العلم بحياة المعهود إليه ووجوده إن كان غائبا . فقد قال الماوردي : إنه لو عهد إلى غائب مجهول الحياة لم يصحَّ عهده ، وإن كان معلوم الحياة صح ، ويكون موقوفا على قدومه .

ومنها - أن ينبه على أن المعهود إليه منصوص عليه بمفرده ، أو وقع العهد سُورِي في جماعة وأفضت الخلافة إلى واحدٍ منهم بإخراج الباقي أنفُسهم منها ، أو اختيار أهل الحُلِّ والعقد أحدهم : إذ يجوز للخليفة أن يعهد إلى اثنين فأكثر من غير تقديم البعض على البعض ؛ ويختار أهل الاختيار بعد موته واحداً ممن عهد إليه : فإنَّ عمر ابن الخطاب رضي الله عنه جعلها سُورِي في ستة ، فقال : الأمر إلى علي وبازائه الزبير بن العوام ؛ وإلى عثمان وبازائه عبد الرحمن بن عوف ؛ وإلى طلحة وبازائه سعد بن أبي وقاص . فلما توفى عمر رضي الله عنه ، جعل الزبير أمره إلى علي ، وجعل طلحة أمره إلى عثمان ، وجعل سعد أمره إلى عبد الرحمن بن عوف ؛ فخرج منها ثلاثة ، وبقيت سُورِي في عثمان وعلي ؛ ثم بايع علي عثمان . والمعنى في السُورِي أنه لا يجوز أن تجعل الإمامة بعد العاهد في غير المعهود إليهم .

ومنها - أن ينبه على عدد المعهود إليهم وترتيبهم إن كان قد وُثِّقَ بالخلافة في أكثر من واحد . إذ يجوز أن يعهد إلى اثنين فأكثر على الترتيب ، فلو رتب

(١) أي بعد أن أخرج عبد الرحمن منها نفسه . وفي كتاب الاستقام السلطانية للسيد محمد باقر الخليلي

بعد الستة في هؤلاء الثلاثة وخرج منها أولئك الثلاثة ثم بعد الثلاثة في اثنين علي وعثمان .

لم يُجْزَ : لأنَّ الخلافة لا تستقرُّ إلا بعد موت المستخلف . وكذا لو قال : جعلته ولىَّ عهدٍ إذا أفضيت الخلافة إلى لم يُجْزَ : لأنه ليس في الحال بخليفة ، فلم يصحَّ عهده بالخلافة .

ومنها - أن يُنبه على قبول المعهود إليه العهد ، فإنه إذا عيود الإمام بالخلافة إلى من يصحُّ العهد إليه على الشروط المعتبرة فيه ، كان العهد موقوفاً على قبول المعهود إليه : فإن قبل صحَّ العهد وإلا فلا ، حتى لو امتنع من القبول بوسع غيره . والعبرة في زمن القبول بما بين عهد العاهد وموته على الأصح ، تنتقل عنه الإمامة إلى المعهود إليه مستقرّة بالقبول المتقدم . وقيل : إنما يكون القبول بعد موت العاهد : لأنه الوقت الذي يصحُّ فيه نظر المعهود إليه .

ومنها - أن يُورد من وصايا العاهد للمعهود إليه ما يليق به . وقد ذكر المساوردي أن الذي يلزمه من أمور الأئمة عشرة أشياء :

أحدها - حفظ الدين على أصوله المستقرّة ، وما أجمع عليه سلف الأئمة ، وأنه إن تجمَّ بتدعٍ أو زاعجٍ أو شبهة عنه ، أوضح له الجحيم ، وبين له الصواب ، وأخذ به ما يلزمه من الحقوق والحجود : ليكون الدين محروساً من الخلل ، والأئمة بمنزلة من الرّلل .

الثاني - تنفيذ الأحكام بين المتشاجرِين ، وقطع الخصام بين المناجس ، حتى تجمَّ النصفة ولا تعدى ظالم ولا يفسد مظلوم .

الثالث - حماية الرعية والأرباب من المظالم - وإعزاز الناس في المعاش .
ويعتبرها في الأئمة كما ين من أمرهم بنفسه أو حاله .

الرابع - إقامة الحدود لتضمن محارم الله تعالى عن الإتهام ، وتحفظ حقوق عباده من الإتلاف والإستهلاك .

الخامس - تحصين الثغور بالعدة المانعة ، والقوة الدافعة ، حتى لا يظفر الأعداء بفرصة يتمهكون بها محرماً ، أو يسفكون فيها لمسلم أو عاهد دماً .

السادس - جهاد من باند الإسلام بعد الدعوة حتى يسلم أو يدخل في الذمة : ليقام بحق الله تعالى في إظهاره على الدين كله .

السابع - جباية التمسك والصدقات على ما أوجبه الشرع نصاً واجتهاداً من غير حيف ولا عسف .

الثامن - تقدير العطاء وما يستحق في بيت المال من غير سرف ولا تفتير ، ودفعه في وقت لا تقديم فيه ولا تأخير .

التاسع - استكفاء الأمناء ، وتقليد النضباء ، فيما يفوضه [إليهم من الأعمال] ويكله إليهم من الأموال : لتكون الأعمال بالكفاءة مضبوطة ، والأموال بالأمانة محفوظة .

العاشر - أن يباشر بنفسه مشاركة الأمور وتصفح الأحوال : لينهض سياسة الأمة ، بعناية الملة ؛ ولا يقول على التفويض تساعلاً بلذة أو عبادة ، فقد يخون الأمين وينشئ الناصح . وقد قال تعالى : ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ . فلم يقتصر الله

(١) يطلق الغزاة على الغنمة والفراج والمراد هنا الثاني .

(٢) الريادة من "الأحكام" .

تعالى على التفويض دون المباشرة ، بل أسره بمباشرة الحكم بين الخلق بنفسه .
وقد قال صلى الله عليه وسلم : « كَلِمَةُ رَاجٍ وَكَلِمَةُ مَسْئُولٍ عَنْ رَعِيَّتِهِ » والله در
محمد بن يزيد وزير المأمون ، حيث قال مخاطباً له :

مَنْ كَانَ حَارِسَ دُنْيَا إِيَّاهُ قَيْنٌ * أَنْ لَا يَأْمَ وَكُلَّ النَّاسِ نُؤَامُ!

وَكَيْفَ تَرْقُدُ عَيْنَا مَنْ تَضَيَّفَهُ * هَمَّانِ مِنْ أَمْرِهِ : حَلٌّ وَإِبْرَامُ!

وحيث فيجب على الكاتب أن يضمن هذه الأمور العشرة في وصايا المعهود
إليه . وقد ذكر المقر الشهابي بن فضل الله في " التعريف " في وصية ولي العهد
بالخلافة ومن في معناه من الملوك وولاية عهدهم هذه الأمور ممتزجة بأمور أخرى
من مهمات الملك وحسن تديره وسياسته .

قلت : إنما يحسن إيراد هذا كله في وصايا ولاية العهد إذا كان الأمر على ما كانت
الخلافة عليه أولاً من عموم التصرف ، أما الآن فالواجب أن يقتصر في وصاياهم
على حسن التأني في العهد بالسلطنة لمن يقوم بأعبائها ، وأن يكون ماتقداً مختصاً
وصايا الملوك في العهود عن الخلفاء .

الوجه الرابع

(فيما يكتب في الطرة ، وهو تلخيص ما يتصمته العهد)

وهذه نسخة طرة أنشأتها لينسج على منوالها ، وهي :

هذا عهد إمامي قد علت جدوده ، وزاد في الارتقاء في العلياء صعوده ، وفصلت
الجواهر قلائده ونظمت بنفيس الدر عقوده . من عهد الله ووليّه الإمام المتوكل

على الله أبي عبد الله محمد بن الإمام المعتضد بالله أبي الفتح أبي بكر، بالخلافة
المقدسة، لولده السيد الجليل، ذخيرة الدين، وولي عهد المسلمين، أبي الفضل
العباس : بلغه الله فيه غاية الأمل، وأقربه عين الأمة كما أقربه عين أمير المؤمنين
وقد فعل على ما شرحه في .

الوجه الخامس

(فيما يكتب لأولياء العهد من الألقاب)

[وهو] كما سيأتي في الطريقة الثانية من المذهب الأول مما يكتب في متن
العهد من كلام المقر الشهابي بن فضل الله في " التعريف " أنه يقال فيه : الأمير
السيد الجليل، ذخيرة الدين، وولي عهد المسلمين، أبي فلان فلان . وفي المذهب
الثالث فيما كتب به المستشرق بن المستكني ما يؤيده، وقد تقدم أنه لا يقع
في ألقابهم إطناب، ولا تعدد ألقاب، فليقتصر على ذلك أو ما يشابهه .

الوجه السادس

(فيما يكتب في متن العهد ، وفيه ثلاثة مذاهب)

المذهب الأول

(أن يفتتح العهد بعد الإسملة بالنظ « هذا »)

مثل : « هذا ما عهد به فلان لفلان » أو « هذا عهد من فلان لفلان » أو « هذا
كتاب آكتبه فلان لفلان » ونحو ذلك .

وللكتاب فيه طريقتان :

الطريقة الأولى (طريقة المتقدمين)

وهي أن لا ياتي بخطبة في أثناء العهد ، ولا يتعرض إلى ذكر أوصاف المعهود إليه والثناء عليه ، أو يتعرض لذلك باختصار ، ثم يأتي بالوصايا ، ثم يختمه بالسلام أو بالدعاء أو بغير ذلك مما يناسب . وعلى ذلك كانت عهد السلف من الصحابة والتابعين فمن بعدهم ، أتباعاً للصديق رضي الله عنه فيما كتب به لعمر بن الخطاب ، كما تقدمت الإشارة إليه في الاستشهاد .

ونسخته فيما رواه البيهقي في " السنن " وأقتصر عليه الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي في " حسن التوسل " .

« هذا ما عهد أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة : إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فإن بر وعدل فذلك ظني به ، وإن بدل أو غير فلا علم لي بالغيب ، والخير أردت بكم ، ولكل أمرئ ما آكتسب من الإثم : ﴿ وَسِعِلْمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ » .

وذكر أبو هلال العسكري في كتابه " الأوائل " عن المدائني أنه حين دعا عثمان ابن عفان رضي الله عنه لكتابة العهد بالخلافة بعده قال : آكتب « هذا ما عهد أبو بكر بن أبي حنيفة في آخر عهده بالدنيا [نازحاً عنها] وأول عهده بالآخرة داخلاً فيها حيث يتوب الفاجر ، ويؤمن الكافر ، ويصدق الكاذب ، ويعرف بالظالم أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وقد استخلف » .^(١) وشبهه بشيء فكتب عثمان : « عمر بن الخطاب » . فلما أفاق ، قال : آكتبت شيئاً ؟ قال نعم محمراً

(١) الزيادة من كتاب الامامة والسياسة لابن قتيبة .

ابن الخطاب . قال : « رَحِمَكَ اللهُ ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ كَتَبْتَ نَفْسَكَ لَكُنْتَ أَهْلًا لَهَا .
 آكُتِبُ قَدْ اسْتَخْلَفَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَرَضِيَهُ لَكُمْ ، فَإِنَّ عَدْلَ فَذَلِكَ ظَنِّي بِهِ وَرَأْيِي
 فِيهِ ، وَإِنْ بَدَلَ فَاكُلْ نَفْسِي مَا كَسَبْتُ وَعَلَيْهَا مَا آكُتَبْتُ ، وَالْحَسِيرُ أُرِدْتُ ، وَلَا
 أَعْلَمُ الْغَيْبَ . » (١) وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ . » .

وعلى هذه الطريقة كُتِبَ عهدُ عمر بن عبد العزيز بالخلافة عن سليمان بن
 عبد الملك ، ثم من بعده إلى أخيه يزيد بن عبد الملك .

وهذه نسخة فيما ذكره ابن قتيبة في تاريخ الخلفاء :

هذا ما عهد به عبد الله سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين وخليفة المسلمين .
 عهد أنه يشهد لله عز وجل بالربوبية والوحدانية ، وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله
 عليه وسلم ، بعثه إلى محسبي عبادته بشيرا ، وإلى مذنبهم نذيرا . وأن الجنة والنار
 مخلوقتان حقا : خلق الجنة رحمة وجزاء لمن أطاعه ، والنار عقوبة وجزاء لمن عصاه ،
 وأوجب العفو جودا وكرما لمن عفا عنه . وأن سليمان مقرر على نفسه بما يعلم الله
 من ذنوبه ، وبما تعلمه نفسه من معصية ربه ، ^(١) موجبا على نفسه استحقاق ما خلق
 من النعمة ، راجيا لنفسه ما خلق من الرحمة ووعد من العفو والمغفرة ، وأن المقادير
 كلها خيرها وشرها مقسورة بإرادته ، ^(٢) مكوّنة بتكوينه ، وأنه الهادي فلا مغوي
 ولا مضل لمن هداه وخلقته رحمته ، وأنه يفتن الميت في قبره بالسؤال عن دينه
 ونبيه الذي أرسل إلى أمته ، لا منجي لمن خرج من الدنيا إلى الآخرة من هذه
 المسألة إلا لمن استنناه عز وجل في علمه . وسليمان يسأل الله الكريم بواسع
 فضله ، وعظيم منته ، الثبات على ما أسر وأعلن من معرفة حقه وحق نبيه منذ

(١) كما في الأسر بالنصب وكذلك وقع في كتاب الامامة والسياسة لابن قتيبة .

(٢) في كتاب الامام والسياسة لابن قتيبة «خيرها وشرها من الله وأنه هو الهادي الخ» .

مَسْأَلَةٌ رُسُلُهُ ، وَالْحِجَاةُ مِنْ هَوَالِ فِتْنَةِ قَاتِلَيْهِ . رِشْوَةٌ أَنْ الْإِيْزَانَ يَوْمَ النِّيَامَةِ حَقٌّ
 يَقِيْنُ ، يَزِيْدُ سَيِّئَاتِ الْمُسِيْئِيْنَ ، وَحَسَنَاتِ الْحَسَنِيْنَ ، لِيُرَى عِبَادَهُ مِنْ عَظِيْمِ قُدْرَتِهِ ،
 مَا أَرَادَهُ مِنَ [الْخَيْرِ] لِعِبَادِهِ بِمَا لَمْ يَكُوْنُوْا يَسْتَبْرِئُوْنَ . وَأَنَّ مِنْ ثَقَلَتْ مَوَازِيْنُنَا
 فَأَوْلِيْكَ هُمُ الْمُنْجِحُوْنَ ، وَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِيْنُهُ يَوْمَئِذٍ فَأَوْلِيْكَ هُمُ الْخَاسِرُوْنَ . وَأَنَّ
 حَوْضَ مُحَمَّدٍ رَسُوْلِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْمَشْرِقِ وَالْمَوْقِفِ لِلْعَرْضِ حَقٌّ ، وَأَنَّ
 عِدَّةَ آيَاتِهِ كُنُجُومِ السَّمَاءِ ، مِنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا ، وَسَلِيْمَانَ يَسْأَلُ اللَّهُ بِوِاسِعِ
 رَحْمَتِهِ أَنْ لَا يُرَدَّهُ مِنْ حَوْضِ نَبِيِّهِ عَطْشَانَ . وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ
 نَبِيِّنَا ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ بَعْدَهُمَا حَيْثُ الْخَيْرُ وَفِيْمَنْ الْخَيْرُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَأَنَّ هَذِهِ الشَّهَادَةَ كُلَّهَا
 الْمَذْكُورَةَ فِي عَهْدِهِ هَذَا يَعْلَمُهَا اللَّهُ مِنْ سِرِّهِ وَإِعْلَانِهِ وَعَقْدِ ضَمِيرِهِ ، وَأَنَّهُ بِهَا عَبْدٌ رَبِّهِ
 فِي سَالِفِ أَيَّامِهِ وَمَاضِي عُمْرِهِ ، وَعَلَيْهَا أَتَاهُ يَقِيْنُ رَبُّهُ ، وَتَوَفَّاهُ أَجَلُهُ ، وَعَلَيْهَا يُبْعَثُ بَعْدَ
 مَوْتِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَأَنَّ سَلِيْمَانَ كَانَتْ لَهُ بَيْنَ هَذِهِ الشَّهَادَةِ بَلَايَا وَسَيِّئَاتٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ
 عَنْهَا تَحِيْدٌ وَلَا بُدٌّ ، جَرَى بِهَا الْمَقْدُورُ مِنَ الرَّبِّ النَّافِذِ إِلَى إِتْمَامِ مَا حَدَّ ، فَإِنْ يَعْفُ
 وَيَصْفَحُ فَذَلِكَ مَا عُرِفَ مِنْهُ قَدِيْمًا وَنُسِبَ إِلَيْهِ عَدِيْمًا ، وَتِلْكَ صِفَتُهُ الَّتِي وَصَفَ
 بِهَا نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ الْعَمَادِيْقِ . وَكَلَامُهُ النَّاطِقِيْ ، وَإِنْ يُعَاقِبُ وَيُنْقِمُ فِيهَا قَدَمَتْ يَدَاؤُهُ
 وَمَا اللَّهُ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيْدِ . وَأَنَّ سَلِيْمَانَ يُخْرِجُ عَلِيٌّ مِنْ قُرْأَنِ عَهْدِهِ هَذَا وَسَمِعَ مَا فِيهِ مِنْ
 حِكْمَةٍ أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَيْهِ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، بِاللَّهِ الْعَظِيْمِ ، وَتَمَيُّزِ سِوَاهِ الْكَرِيْمِ ، وَأَنْ يَدْعَ
 الْإِحْنَ الْمُضْغَنَةَ ، وَيَأْخُذَ بِالْمَكَارِمِ الْمُدْجَنَةِ ، وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ إِلَى اللَّهِ بِالضَّمِيرِ النَّصْرِيِّ
 وَالذُّعَاءِ الصَّحِيْحِ ، وَالصَّبْرِ الصَّامِعِ ، بِسْمَلِهِ الْعَفْوِ عَنِّي ، الْمَغْفِرِ لِي بِرَأْسِهِ مِنَ
 فِرْعَوِيٍّ وَالْمَسْأَلَةِ فِي قَبْرِي ، لَعَلَّ الْوُدُودَ ، أَنْ يَجْعَلَ مِنْكُمْ نُجَابَ الدَّعْوَةِ بِمَا سَنَّ اللَّهُ عَلَيَّ

(١) في كتاب الامامة والسياسة « لم يكن له عنها عيوض ولا دونها مقصر بالقدر السابق والعلم النافذ في محكم الوحي فان يعف » الخ .

من صفحته يعود به إن شاء الله ، وأنّ وفي عهد سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين ،
 وصاحب أمره بعد موته ، في جنّته ورعيته وخاصته وعامته ، وكلّ من استخلفني
 الله عليه ، واسترعاي النظر فيه ، الرجل الصالح «عمر بن عبد العزيز» بن مروان
 ابن عيسى . لما بلّغني من بطن أمه وظاهيره ، ورجوت الله بذلك [وأردت]
 رضاه ورحمته إن شاء الله . ثم من بعده أسلم إلى يزيد بن عبد الملك بن مروان
 إن بن بعده ، فإني ما رأيت منه إلا خيراً ، وأطلقت له على مكروه ، وصغار ولدى
 وكبارهم إلى عمر ، إذ رجوت أن لا يألوهم رشداً وصلاحاً ، والله خليفتي عليهم وعلى
 جماعة المؤمنين والمسلمين وهو أرحم الراحمين ، وأفرءوا عهدي عليكم بالسلام ورحمة
 الله . ومن أبي أمري هذا أو خالفه عهدي هذا ، وأرجو أن لا يخالفه أحد من أمة
 محمد . فبشر نبالاً مفضل يستخيبه ، فإن أعتب ، وإلا فإني لمن صاحب (؟) عهدي فهم
 بالسيف ، والسيف والقتل القتل ، وانهم مستوجبون لهم ، وهم شرية ملتحمون ، والله
 المستعان ، ولا حول ، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

تم ذلك والخبر لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله .

بسم الله

وهذا نسخ من ذلك كتب المأمون العباسي عهد من بن موسى العلوي (المعروف

بالرومي) بالتأليف بعده .

وهذه نسخة مما ذكر صاحبها في مقدمته :

هذا كتاب كتبه عبد الله بن عمارون الرشيد أمير المؤمنين بهيمة ، لعلي بن موسى بن

جعفر وزير عهده .

(١) في كتاب الإمامة والبيعة ، لا فالسيف والخطان ، وفي واضحة .

أما بعد، فإن الله عز وجل أصطفى الإسلام ديناً، وأصطفى له من عباده رُسُلًا
 دالين عليه، وهادين إليه، يبشرونهم بأخريهم، ويصدقنهم بماضيهم؛ حتى أتت
 نبوة الله إلى محمد صلى الله عليه وسلم على فترة من الرُّسل، ودروس من العلم، وانقطاع
 من الوحي، وأقتراب من الساعة؛ فحتم الله به النبوة وجعله شاهداً لهم، ومهيماً
 عليهم؛ وأنزل عليه كتابه العزيز الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ
 تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾. فأحل وحرم، ووعد وأوعد؛ وحذر وأثمر، وأمر به
 ونهى عنه؛ لتكون له الحجمة البالغة على خلقه: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَحَيْثُ مَا
 مِنْ حَى عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. فبلغ عن الله رسالته، ودعا إلى سبيله بما
 أمره به من الحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، ثم بالجهاد والغلظة
 حتى قبضه الله إليه، وأختار له ما عنده محلي الله عليه؛ فلما أنهضت النبوة وحتم
 الله بمحمد صلى الله عليه وسلم الوحي والرسالة، جعل نورا للدين، ونظاما أمر
 المسلمين، بالولاية وإتمامها وعزها، والقيام بحق الله فيها بالطاعة التي تُقام بها
 فرائض الله وحدوده، وشرائع الإسلام وسننه، ويجاهد بها عدوه. فعمل خلفاء الله
 طاعته فيما استخفهم وأسترعاهم من دينه وعباده، وعلى المسلمين طاعة خلفائهم
 ومعاونتهم على إقامة حق الله وعدله، وإمّن السبل وحقن الدماء، وصالح ذات
 البين، وجمع الالفة؛ وفي إخلال ذلك اضطراب حمل المسلمين واختلالهم،
 واختلاف منبهم، وقهر دينهم، وأستعلاء عدوهم، وتفرق الكلمة، وخسران الدنيا
 والآخرة. فحق على من استخلفه الله في أرضه، وأتمنه على خلقه [أولاً] أن يرضى
 رضا الله وطاعته ويعد [ل] فيما الله واقفه عليه، وسأله عنه، ويحكم بالحق ويسمى
 بالعدل فيما حمّاه الله وقلده؛ فإن الله عز وجل يقول لنبيه داود عليه السلام:

(١) لعل الجار والمجرور في المحلين زائد من فلم الناصح.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حَيَاتِكُمْ فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ . وقال عز وجل : ﴿قَوِّمُوا لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ وَأَجْمَعُوا عَلَيْكُمْ شُرَكَاءَ كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ .
 وبأما أن عمر بن الخطاب قال : « لو ضاعت نخلة بخائب القرية لتخوفت أن يسألني الله عنها » . وأيم الله إن المسئول عن خاصة نفسه ، الموقوف على عمله ، فيما بين الله وبينه ، لم تعرض لأمر كبير ، وعلى خطر عظيم ، فكيف بالمسئول عن رعاية الأمة ، وبالله الثقة ، وإليه المَفْرَع والرغبة في التوفيق مع العظمة ، والتسديد والهداية إلى ما فيه ثبوت الحجّة ، والفوز من الله بالرضوان والرحمة . وأنظر الأئمة لنفسه ، وأنصحهم في دينه وعباده وخلافته في أرضه ، من عمل بطاعة الله وكتابه وسنة نبيه عليه السلام في مدة أيامه ، وأجته وأجهد رأيه ونظره فيمن يوليه عهداً ، ويختاره لإمامة المسلمين ورياستهم بعده ، وينصبه علماً لهم ، ومفزعاً في جمع ألفتهم ، ولم شعيتهم ، وحقن دمايتهم ، والأمن بإذن الله من فرقهم ، وفساد ذات بينهم واختلافهم ، ورفع ترغيب الشيطان وكيدهم عنهم ، فإن الله عز وجل جعل العهد بالخلافة من تمام أمر الإسلام وكمال وعزّه وصالح أهله ، وألم خلفاءه من توكيده لمن يختارونه له من بعدهم ما عظمت به النعمة ، وشملت منه العافية ، ونقض الله بذلك من أهل الشقاق والعداوة والسعي في الفرقة والرفض للفتنة ، ولم يزل أمير المؤمنين منذ قضت إليه الخلافة فاختبر بشاعة مداقها ، وثقل مجملها وشدة مشورتها ، وما يجب على من تقلدها من ارتباط طاعة الله ومراقبته فيما حمّله منها ، فأُنصِبَ

(١) في المسألة : من ١٥ « المرئفحة الميم الحبل » .

(٢) التي تركها لسبب في الناس ، فمن ألسان الرفض أن يطرد الرجل عنه والله إلى حيث يهوى فإذا لغت لها عنها وتركها .

(٣) بعد ناظراً فيها بما يقتضيه منصبها وما يجب الخ وبه يستفهم الكلام بعد تأمل .

بدنه، وأسهر عينه، وأطال فكره فيما فيه عمر الدنيا، ووقع المشركين، وإصلاح
 الأمة، ونشر العدل، وإقامة الكتاب والسنة، ومنعه ذلك من الخفض والأمة بهي
 العيش: علما بما الله سائله عنه، ومحبة أن يلقي الله ما يحبه في دينه وعبادته، ومختارا
 أولوية عهده، ورعاية الأمة من بعده، أفضل من يتدار عليه في دينه وورعه وعلمه،
 وأرجاهم بقيام بأمر الله وحقه، مناجيا لله بالاستخارة في ذلك، ويسأله إلهامه ما فيه
 رضاه وطاعته في ليله ونهاره، ومعملا في طلبه وألمايه من أهل بيته من ولد عبد الله
 ابن العباس وعلي بن أبي طالب فكره ونظره، ومقتصرا من علم حاله ومدته منهم علي
 علمه، وبالغا في المسألة عن خفي عليه أمره جهده وطاقته، حتى استقصى أمورهم
 بعرفته، وأبتلى أخبارهم مشاهدته، وكشف ما عندهم مسألة، فكلمات خيرة بعد
 استخارته لله وإجهاده نفسه في قضاء حقه وبلاده، من البيتين جميعا «علي بن
 موسى بن جعفر» بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: لما رأى
 [من] فضله البارع، وعلمه الناصح، وورعه الظاهر، وزهده الخالص، وتخلية من
 الدنيا، وتسامي من الناس، وقد استبان له ما لم تزل الأخبار عليه متواطئة، والألسن
 عليه متفقة والكلمة فيه جامعة، ولما لم يزل يعرفه به من الفضل يا غيا وإشياء
 وحداثا ومكتهلا، فقد له بالعقد والخلافة إيثارا لله والدين، ونظرا للمسلمين، وطابا
 لسلامة وثبات الحجة والنجاة في اليوم الذي يقوم الناس فيه لرب العالمين.

وهذا أمير المؤمنين ولده، وأهل بيته، وخاصة، وقدرته، وحسنه، وإيمانه
 تسريعين مسرورين، عالمين بإيثار أمير المؤمنين طاعة الله على الدين من أولادهم
 ممن هم أشبهك به رجحا وأقرب قرابة، وتسماه «الرجح» إنه كلك رضيا عند
 أمير المؤمنين.

فبايَسُوا مَعَشَرَ بَيْتِ امِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ بِالْمَدِينَةِ الْمَحْرُوسَةِ مِنْ قُوَّادِهِ وَجُنْدِهِ ، وَعَامَّةِ
 الْمَسَاهِينِ « الرِّضِيِّ » مِنْ بَعْدِهِ ، عَلَى اسْمِ اللَّهِ وَبِرَكَتِهِ وَحُسْنِ قَضَائِهِ لِدِينِهِ وَعِبَادِهِ ،
 بِيَعَّةٍ مَيْسُوطَةٍ إِلَيْهَا أَيْدِيكُمْ ، مَنْشِرِحَةً لَهَا صُدُورُكُمْ ، عَالِمِينَ بِمَا أَرَادَ امِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
 بِهَا ، وَأَتْرَاطَاعَةَ اللَّهِ وَالنَّظَرَ لِنَفْسِهِ وَلَكُمْ فِيهَا ، شَاكِرِينَ لِلَّهِ عَلَى مَا أَلْهَمَ امِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 مِنْ نَصَائِحِهِ فِي رِعَايَتِكُمْ ، وَحِرْصِهِ عَلَى رُشْدِكُمْ وَصَلَاحِكُمْ ، رَاجِينَ عَائِدَهُ فِي ذَلِكَ
 فِي جَمْعِ أَلْفَتِكُمْ ، وَحَقْنِ دِمَائِكُمْ ، وَلَمْ تَسْعَيْكُمْ ، وَسَدِّ ثُغُورِكُمْ ، وَقُوَّةِ دِينِكُمْ ، وَرَغْمِ
 عَدُوِّكُمْ ، وَأَسْتِقَامَةِ أُمُورِكُمْ . وَسَارِعُوا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ امِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنَّهُ الْأَمْرُ
 إِنْ سَارَعْتُمْ إِلَيْهِ ، وَجَاهَدْتُمْ اللَّهَ عَلَيْهِ ، عَرَفْتُمْ الْحِظَّ فِيهِ . إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وعلى هذه الطريقة كتبت الوزير أبو حفص بن برد عهد الناصر لدين الله
 عبيد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر العاصري ، عن المؤيد بالله هشام بن الحكم
 الأمري ، الخليفة بالأندلس . وهذه نسخته :

هذا ما عهد هشام المؤيد بالله أمير المؤمنين إلى الناس عامه ، وعاهد الله عليه
 من نفسه الخاتمة وأعطى به صفة يمينه بيعة تامة ، بدأ أنت أنعم النظر وأطال
 الاستشارة وأهتد ما جعل الله إليه من الإمامة ، وعصب به من أمر المؤمنين ، وأتقى
 قول الله وما أنزل من رفاق نزول القضاء بما لا يضر فرب ، وخشى إن فجم فتوم
 ما لا يضر من قول من يضر به ، ولم يبق طلبة الأمة عامها تأوى إليه ، وإنما تعطين
 إليه ما لا يضره ، بل يرضى به ، وكان شرطاً عاماً عن أداء الحق إليها ،
 وتخشى من عدو من أمرها ، فرب من غيرها من مستحق أن يسأله هذا الأمر
 من غير أن يسأله ، بل يرضى به ، وأما به ، وهذا به رعيته ،

بعد أطراح الهوى والتحرى للحق ، والتزلف إلى الله جل جلاله بما يرضيه .
 وبعد أن قطع الأواصر ، وأسخط الأقارب ، فلم يجد أحداً أهدر أن يوليّه عهداً ،
 ويفوض إليه الخلافة بعده : لفضل نفسه ، وكرم خيمته ، وشرف مرتبته ، وعلو
 منصبه ، مع ثقاه وعفافه ، ومعرفة حزمه وتقواته ، من المأمورين العيب ، الناصح
 الجيب «أبي المطرف عبد الرحمن بن المنصور» أبي عامر محمد بن أبي عامر وفقه
 الله ، إذ كان أمير المؤمنين - أيد الله - ابتلاء واختبره ، ونظر في شأنه واعتبره ؛
 فرآه مسارعاً في الخيرات ، سابقاً في الحلبات ، مستولياً على الغايات ، جامعاً للمراتب ؛
 ومن كان المنصور أباه ، والمظفر أخاه ؛ فلا تخروا أن يبلغ من سبيل البر مداه ،
 ويحوى من خلال الخير ما حواه ؛ مع أن أمير المؤمنين - أيد الله - بما طالعه من
 مكنون العلم ، ووعاه من مخزون الأثر ؛ يرى أن يكون ولي عهد القحطاني الذي
 حدث عنه عبد الله بن عمرو بن العاص وأبو هريرة : أن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال : « لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من شيطان يهوى الناس سببه » فلما
 استوى له الإختيار ، وتقايلت عنده فيه الآثار ؛ لم يجد منه مداه ، ولا إله فيه
 معديلاً ، صرح إليه في تدبير الأمور في حياته ، وفوض إليه الخلافة بعده ، فإنه ،
 راضياً مجتهداً ، وأمضى أمير المؤمنين مسأله وإجازة أئمة ، ولم يشترط فيه شيئاً ؛
 ولا إختياراً ، وأعطى على الوفاء به في سره وعلوه ، وأمر أن يفتقد من بعده من بعده
 وذمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وديم الخليفة الإمام بن أبي طالب من بعده ؛
 أن لا يسئل ، ولا يخير ، ولا يحول ، ولا يبدل ، ولا يغير ، ولا يبدل ، ولا يغير ،
 (وكفى بالله شهيداً) ، وأشهد من أولهم الحسين بن علي بن أبي طالب ،
 القول والفعل ، بتمسك من ولي عهد المأمورين الذي أهدر من بعده من بعده
 وفنسه الله ، وقوله ما قلده ، وإلزامة نفسه بالقرابة ، والتمسك من بعده من بعده

سنة ثمان وتسعين وثلثمائة . وكتب الوزراء والقضاة وسائر الناس شهاداتهم بخطوط أيديهم بذلك .

الطريقة الثانية

(طريقة المتأخرين من الكتاب)

أن يأتي بالتحديد في أثناء العهد . ويأتي من ألقاب ولى العهد بما يناسب على الاختصار . وعليها أقصر المتر الشهابي بن فضل الله في "التعريف" فقال : وأعلم أن عهود الخلفاء عن الخلفاءم تجر عادة من سلف من الكتاب أن يستفتحها إلا بما يذكر . وهو :

« هذا ما عهد به [عبد الله ووليه فلان أبو فلان الإمام الفلاني أمير المؤمنين ، عهد إلى ولده ، أو [إلى] أخيه الأمير السيد الجليل ، ذخيرة الدين ، وولى عهد المسلمين أبي فلان فلان ، أيده الله بالتمكين ، وأمدّه بالنصر المبين ، وأقر به عين أمير المؤمنين » . ثم يوفق كل كاتب بعد هذا على قدر نفسه ، ثم يقول :

« أما بعد ، فإن أمير المؤمنين محمد بن عبد الله الذي لا إله إلا هو ، وبصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم » . ويخطب في ذلك خطبة يكثر فيها العجائب ويتشبه به إلى سبعة ثم يأتي بعد ذلك بما يناسب من القول : يصفه لذكر الذي شهد يوم بدر ، ويصف اليهود إليه بما يليق من الصفات الجليلة . ثم يرد : وعهد إليه وتلقاه بمسألة جميع ما هو مقدر له من صلاح الأمة أو صلاح الملوك ، بعد أن استمد الله تعالى في ذلك ، وما كان له بدبر ذلك وتبرئ فيه فركه وخاطره . ويستدبر أهل الرأي والظن غير أن قوله به بأسور الألف وتصحاح

الانبياء والدين» ومن هذا ومثله ؛ ثم يقال : «إنَّ المعهودَ إليه قَبْلَ ذلك منه» ويأتى في ذلك بما يليق من محاسن العبارة وأحاسن الكلام .

قلت : ولم أظفر بنسخة عهدِ عليّ هذا الأسلوب الذي ذكره المقرُّ الشَّهابي ؛ وقد أنشأت عهداً على الطريقة التي أشار إليها ، امتحاناً للخاطر : لأنَّ يكونَ عن الإمام المتوكل عليّ الله أبي عبد الله محمد بن المعتضد أبي الفتح أبي بكر ، خليفة العصر . لولده العباس : ليكونَ أموداً ما يُنسخ عليّ منواله .

ومن غريب الإتيان أني أنشأت في شهر ربيعٍ إحداهما رسالةً أُهدانا للخاطر كما تقدم ، وضممتها لهذا الكتاب وتصادى الحائلُ عليّ ذلك ، لأنَّ من قرأ الله تعالى الإلهام المتوكل به قدس الله تعالى روحه به في سنة ثمان وثمانين ، فأجمع أهل السُّلَّة والمقد على مبايعته ، باللائحة ؛ فأبرعه وحقق الله تعالى بالقرآن على أن من أنشأ العهد باسمه في الزمن السابق ؛ ثم دسَّي ، فاجباً إلى الله أن يبرأ من الشريرين في مستهلِّ شهر ذي القعدة الحرام سنة أربع وثمانمائة ، ففرغ من كتابة العهد في آخره ، وهو مُصنَّع له مظهر الأتباع به ؛ وأجاز عليه الجائزة السنة . ثم أنشأ به رسالةً وضمته إياها وأورعتُ بجزائره العمالية تَمَرُّنا الله بطول بناه

وهذه نسخته :

هذا عهدُ سعيد الطالع ميمون الطائر ، مباركهُ الأول جميل الأوصاف سعيداً ، تشهد به حضراتُ الأملاك ، وترقُّه كَفُّ الثريا بأقلام القبول في شطآنه ، وتباهي به ملوك الأرض ملائكة السماء وتُسرى بنسبه القبول من أركان قدسها بكل ناحية علما ، وتطلُّع به سعادة الجدد من مبارك العدل في كل أُنقُب نجا ، وترقص من فرحها الأنهار فتنتقطها شمس النهار بذهب الأصيل على صفحات الآس ؛ عهد به

عبدُ الله وولِيه أبو عبد الله محمدُ المتوَكِّلُ على الله أميرُ المؤمنين إلى ولده السيد
الجليل عُدَّة الدين وذخيرته ، وصَفِيَّ أمير المؤمنين من ولده وخيرته ، المستعين بالله
أبي الفضل العباس بلغ الله فيه أمير المؤمنين غاية الأمل ، وأقربه عين الخلافة
العباسية كما أقربه عين أبيه وقد فعل .

أما بعدُ ، فالحمدُ لله حافظِ نظام الإسلام وواصلِ سببه ، ورافِعِ بيتِ الخلافة
ومادِّ طُنْبِهِ ، وناظِمِ عقدِ الإمامةِ المعظمةِ في سلكِ بني العباس وجاعِلِها كلمةً باقيةً
في عقبه .

والحمدُ لله الذي عدَّ أمرَ الأمةِ منهم بأعظَمِهم خطراً ، وأرفعِهم قدراً ،
وأرجحِهم عقلاً وأرسخِهم صدراً ، وأجزلم رأياً وأسلمِهم فكراً .

والحمدُ لله الذي أقرَّ عينَ أمير المؤمنين بخيرِ وليٍّ وأفضلِ ولدٍ ، وشدَّ أزره بأكرم
سيدٍ وأعزَّ سندٍ ، وصرفَ اختياره إلى من إذا قام بالأمر بعده قيل هذا الشُّبْلُ
من ذلك الأسد .

والحمدُ لله الذي جمعَ الآراءَ على اختيارِ العاهد فما قلَّوه ولا رفضوه ، وجبلَ
القلوبَ على حُبِّ المعهود إليه فلم يروا العدولَ عنه إلى غيره بوجه من الوجوه .

والحمدُ لله الذي جدَّدَ للرعيةِ نعمةً مع بقاءِ النعمةِ الأولى ، وأقامَ لأمرِ الأئمةِ من
بني عمِّ نبيِّه المصطفى الأولى بذلك فالأولى ، وأختارَ لعهدِ المسلمين من سبقَتْ إليه
في الأزلِ إرادتهُ فأصبحَ في النفوسِ معظماً وفي القلوبِ مقبولاً .

والحمدُ لله الذي أضحكَ الخلافةَ العباسيةَ بوجودِ عباسها ، وأطابَ بذكره رباها
فتعطرَ الوجودُ بطيبِ أنفاسِها ، ورفعَ قدره بالعهدِ إليه إلى أعلى رتبةٍ منيفه ،

وخصه بمشاركة جده العباس في الاسم والكنية ففاز بما لم يفز به قبله منهم ست (١) وأربعون خليفه .

والحمد لله الذي أوجب على الكافة طاعة أولي الأمر من الأئمة ، وألزمهم الدخول في بيعة الإمام والالتقاد إليه ولو كان عبدا أسود فكيف بمن أجمع على سؤده الأئمة ، وأوضح السبيل في التعريف بمقام الآل والعترة النبوية (فلا يكن أمركم عليكم عمه) .

يحمده أمير المؤمنين على ما منحه من طيب أرومة سميت أصلا وزكت فرعا ، وحباه من شرف تحيد راق نظرا وشاق سمعا ، ووصله به من نعم آثرت نفاعا وأثرت نفاعا ، ويشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يتوارثونها كالخليفة كابرًا عن كابر ، ويوصى بها أبدا الأول منهم الآخر ، ويؤذن قيامهم بنصرتها أنهم معدن جوهرها النفيس ونظام عقدها الفاخر ، ويشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ، الذي خص عمه العباس بكريم الحباء وشريف الإنافة ، ونبه على بقاء الأمر في بيده بقوي ضل من أظهر عناده أو أضمر خلافه ، حيث أسر إليه : "ألا أبترك يا عم بي ختم النبوة وبولدك تحتم الخلافه" صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تم بركتها الولد والوالد ، ويشمل معروفها المعهود إليه ويعرف شرفها العاهد ، ويعترف بفضلها المقر ولا يسع إنكارها الجاحد ، مانوه بذكر الخلافة العباسية على أعواد المنابر ، وخفقت الرايات السود على عساكر المواقب ومواقب العساكر ، وسلم تسليما كثيرا .

(١) ذكر اسم العدد على حد ما أنشده الفراء .

أبوك خليفة ولدته أخرى * وأنت خليفة ذلك الكمال

هذا وكل راجع مسؤل عن رعيته ، وكل أمرئ محمول على نيته ، مخبر بظاهره
 عن جميل ما أكنه في صدره وما أمره في طويته ؛ والإمام منصوب للقيام بأمر الله
 تعالى في عبادته ، مأمور بالنصيحة لهم جهده طاقته وطاقته آجتهاده ، مطلوب بالنظر
 في مصالحهم في حاضر وقتهم ومستقبله وبدء أمرهم ومعادته ؛ ومن ثم اختلفت آراء
 الخلفاء الراشدين في العهد بالخلافة وتباينت مقاصدهم ، وتنوعت اختياراتهم بحسب
 الاجتهاد واختلفت مواردهم ؛ فعهد الصديق إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
 متبنا ، وتركها عمر شوري في ستة وقال : « اتحمل أمركم حيا وميتا ! » وأتى
 رضي الله عنه لكل من المذهبيين بما أذعن له الحضم وسلم ، فقال : « إن أهد فقد
 عهد من هو خير مني وبكر ، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني رسول الله صلى
 الله عليه وسلم » فأخذ الخلفاء في ذلك بسنتهما ، ومشوا فيه على طريقتهما ؛ فمن
 راعى عن العهد وراعى فيه ، وعاهد إلى بعيد منه وآخر إلى ابنه أو أخيه ؛ كل
 منهم بحسب ما يردى إليه آجتهاده ، وتقوى عليه عزيمته ويترجح لديه آعتاده .

ولما كان أمير المؤمنين - أحسن الله مآبه - قد نور الله عين بصيرته ، وخصه
 بطهارة سيره وصفاء سيرته ؛ وآناه الله الملك والحكمه ، وأقامه لمصالح الرعية وصلاح
 أمر الأمة ؛ وعلمه مما يشاء فكان له من علم الفراسة أوفر قسم ، وأصطفاه على
 أهل عصره وزاده بسطة في العلم والجسم ؛ فلا يعزم أمرا إلا كان رشادا ، ولا يعتمد
 فعلا إلا ظهر سدادا ؛ ولا يرتى رأيا إلا ألقى صوابا ، ولا يشير بشيء إلا أحدث
 آثاره بداية ونهاية واستصحابا ؛ ومع ذلك فقد بلا الناس وخبرهم ، وعلم بالتجربة
 حالهم وخبرهم . وأطلع بحسن النظر على خفايا أمورهم ، وما به مصلحة خاصتهم
 وجمهورهم ؛ وترجع عنده جانب العهد على جانب الإهمال ، ورأى المبادرة إليه أولى
 من الإهمال ؛ ولم يزل يروى فكرته ، ويعمل رويته ؛ فيمن يصلح لهذا الأمر

بعده ، وينهض بأعبائه الثميلة وحده ، ويتبع فيه سبله ويسلك طرائقه ، ويقتفى في السيرة الحسنة أثره ويتشيم في السدل بوارقه ، ويثبيل على الأمر بحكيمته ويقطع النظر عما سواه ، ويتفرغ له من كل شاغلٍ فلا يخطئه بما عداه .

وقد علم أن الأحقَّ بأن يكون لها سابقا من كان بها خليقا ، والأولى بأن يكون لها قرينا من كان بوصلها حقيقا ، والأجدر أن يكون لديها مكيئا من اتخذ معها يداً وإلى مرضاتها طريقا ، والأليق بمنصبها الشريف من كان بمنزلها مليا ، والأحرى بمكانها الرفيع من كان بمقصودها وفيا ، والأوفق لمقامها العالي من كان خيرا مقاما وأحسن نديا ، وكان ولده السيد الأجل أبو الفضل المشار إليه هو الذي وجهت الخلافة وجهها إلى قبلته ، وبالفتى في طلبه وألمت في خطبته ، على أنه قد أرضع بلبانها وربى في حجرها ، وانتسب إليها بالبؤرة فضمته إلى صدرها ، وكيف لا انتسبت بجباله ، وتتعلق بأذياله ، وتطمع في قرابه ، وتتعالى في حبه ، وتميل إلى أسده ، وتراوده عن نفسه ، وهو كنفؤها المستجمع لشرائطها المتصّف بصفاتنا ، وتسيبها السامى إلى أعاليها الراقى على شرفاتها ، إذ هو يشبهها النائي في آجائها ، بل أسدها الحامى لحماها ، وجيرها الوافى بذمامها ، وفارسها المقدم في حلبة سباقها ووارثها الحائز لجميع سهامها ، وحاكمها الطامع لأمرها ، ورشيدها المأمون على سرها ، وناصرها القسام بواجبها ، ومهديا الهادى إلى أفضل مذاها ؟ قد التحف من الخلافة بردياتها ، ويسكن من القلوب في سويدائها ، وتوسمت الأفانق تقويض الأمر إليه بعد أسسه فظهر الخلق في أرجائها ، وأتبع سيرة أبيه في المعروف ، وآتفى أثره في الكرم ، وتشبهه به في العفة (ومن يشابهه أبه فما ظلم) وتقبل الله دعاء أبيه فوهب له من الدنيا ما أراد وأجاب نداءه فيه فمكّن له في الأرض وآتاه الحكيم صبيا ، فاسترجع ، الله يكره حينئذ للمسلمين وليّ عندهم ، واليا على أمرهم في كلهم وحظهم ، مشتغلا بالأمر في قرابه وبسده ،

مُعِينًا لِأَبِيهِ فِي حَيَاتِهِ خَلِيفَةً لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ؛ وَأَنْ يَصْرَحَ لَهُ بِالِاسْتِخْلَافِ وَيُوضِّحَ ،
وَيَتَلَوَّ عَلَيْهِ بِلِسَانِ التَّفْوِيضِ (١) أَخْلَفَنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ) .

وَأَقْتَضَتْ شَفَقَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَرَأْفَتُهُ ، وَرِفْقُهُ بِالْأُمَّةِ وَرَحْمَتُهُ ؛ أَنْ يَنْصِبَ لَهُمْ
وَلِيَّ عَهْدٍ يَكُونُ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ مَتَّصِفًا ، وَمِنْ بَحْرِهِ الْكَرِيمِ مُتَّعِرِفًا ، وَمِنْ ثَمَارِ مَعْرُوفِهِ
الْمَعْرُوفِ مَقْتَضِفًا ؛ وَلَمَنْهَلِهِ الْعَدْبُ وَإِرْدَاءُ ، وَعَلَى بَيْتِهِ الشَّرِيفِ وَسَائِرِ الْأُمَّةِ بِالْخَيْرِ
عَائِدًا ؛ فَلَمْ يَجِدْ مَنْ هُوَ مُسْتَكْمَلٌ لْجَمِيعِهَا ، مُسْتَوْعِبٌ لِأُصُولِهَا وَفُرُوعِهَا ؛ وَهُوَ بِمَطْلُوبِهَا
أَمْلِي ، وَعَلَى قُلُوبِ الرِّعِيَّةِ أَحْلَى ؛ وَلِلْغَلِيلِ أَشْفَى ، وَبِالْعَهْدِ الْجَمِيلِ أَوْفَى ؛ مِنْ وَلَدِهِ
الْمُشَارِإِلَيْهِ . فَاسْتَشَارَ فِي ذَلِكَ أَهْلَ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ مِنْ قُضَاتِهِ وَعُلَمَائِهِ ، وَأَمْرَائِهِ
وَوُزَرَائِهِ ، وَخَاصَّتَهُ وَذَوِيهِ ، وَأَقَارِبَهُ وَبَنِيهِ ، وَأَعْيَانَ أَهْلِ الْعَصْرِ وَعَامَّتَهُ ، وَجُمْهُورِهِ
وَكَافَّةً ؛ فَرَأَوْهُ صَوَابًا ، وَلَمْ يَعْرِهُمْ فِيهِ ظَنَّةٌ وَلَا مُسْتَرَابًا ، وَلَا وَجَدَ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَى بَابِ
غَيْرِهِ طَرِيقًا وَلَا إِلَى طَرِيقِ غَيْرِهِ بَابًا ؛ فَاسْتَخَارَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ فَأَقْبَلَ خَاطِرَهُ الشَّرِيفُ
عَلَيْهِ ، وَكَرَّرَ الِاسْتِخَارَةَ فَلَمْ يَجِدْ عَنْهُ مَحِيدًا إِلَّا إِلَيْهِ .

فَلَمَّا رَأَى أَنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ قَدْ آتَقَدَّ عَلَيْهِ الْإِجْمَاعُ قَوْلًا وَفِعْلًا ، وَعُدِمَ فِيهِ الْمَخَالِفُ
بَلْ لَمْ يَكُنْ أَصْلًا ؛ حَمِدَ اللَّهُ تَعَالَى وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَسَأَلَ التَّوْفِيقَ وَرَغِبَ إِلَيْهِ ؛ وَجَدَّ
الِاسْتِخَارَةَ وَعَهْدَ إِلَيْهِ بِأَمْرِ الْأُمَّةِ ، وَقَلَّدَهُ مَا هُوَ مُتَقَلِّدُهُ مِنَ الْخِلَافَةِ الْمُقَدَّسَةِ بَعْدَهُ
عَلَى عَادَةٍ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْخُلَفَاءِ الْمَاضِينَ ، وَقَاعِدَةٍ مَنْ سَلَفَ مِنَ الْأُئِمَّةِ الْمُهْدِيِّينَ ؛
وَفَوْضَ إِلَيْهِ مَا هُوَ مِنْ أَحْكَامِهَا وَلَوَازِمِهَا ، وَأُصُولِهَا وَمَعَالِمِهَا . مِنْ عَهْدٍ وَوَصَايَاهُ ،
وَعَزْلِ وَوَلَايَاهُ ؛ وَتَفْوِيضٍ وَتَقْلِيدٍ ، وَأَنْتِرَاجٍ وَتَخْلِيدٍ ؛ وَتَفْرِيقٍ وَجَمْعٍ ، وَإِعْطَاءٍ
وَمَنْعٍ ، وَوَصْلِ وَقَطْعٍ ؛ وَصِلَةَ وَإِدْرَارٍ ، وَتَقْلِيلٍ وَإِنْكَارٍ ؛ جُزْئِيًّا وَكُلِّيًّا ، وَخَفِيًّا

(١) اضطره السجع إلى نصب المرفوع .

وجليها، ودانها وقاصيها، وطائعا وعاصيها، تفويضا شرعيا، تاما مرضيا، جامعا
 لأحكام الولاية جمعا يعم كل نطاق، ويسرى حكمه في جميع الآفاق، ويدخل تحتها
 سائر الأقاليم والأمصاير على الإطلاق، لا يغير حكمه، ولا ينجي رسمه، ولا يطيش
 سهمه، ولا يافل نجمه .

قبل العهد إليه - أعلى الله مقامه - ذلك بمحض من القضاة والحكام، والعلماء
 الأعلام، ولزم حكمه وأنبرم، وكتب في سجلات الأفلاك وأرسم، وحملت رسائله
 مع برد السحاب فطافت به على سائر الأمم، وهو - أبقاه الله - مع ما طبعت عليه
 طباعه السليمه، وجبليت عليه سجاياه الشريفه وأخلاقه الكريمه، قد تلقى عن
 أمير المؤمنين من شريف الآداب ما غدى به في مهده، وتلقف منه من حسن
 الأدوات ما يرويه بالسند عن أبيه وجده، مما أنطبع في صفاء ذهنه الصقيل
 وانتقش في فهمه، واختلط من حال طفولته بدمه ولحمه وعظمه، حتى صار طبعا
 نائيا، وخلقا على ممر الزمان باقيا، واجتمع لديه الغريزي فكان أصلا ثابتا، وفرعا
 على ذلك الأصل القوي ثابتا، لكن أمير المؤمنين يوصيه تبركا، ويشرح له ما يكون
 به - إن شاء الله - متمسكا، والمرء إلى الأمر بالخير مندوب، ووصية الرجل لبنيه
 مطلوبة فقد قال تعالى: ﴿ووصى بها إبراهيم بنبيه ويعقوب﴾ .

فعليك بمراقبة الله تعالى فمن راقب الله نجى، و [اجعل] التقوى رأس مالك :
 ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا﴾ وألجا إلى الحق فقد فاز من إلى الحق لجا، وكتاب الله
 هو الحبل المتين، والكتاب المبين، والمنهج القويم، والسبيل الواضح والصرائط
 المستقيم، فتمسك منه بالعروة الوثقى، وأسلك طريقته المثلى وأهد بهديه فلا تضل
 ولا تشقى، وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم عليك بالإقتداء بأفعالها الواضحة،
 والإصغاء لآثار أقوالها الشارحة، عالما بأن الكتاب والسنة أخوان لا يفترقان،

ومُتَلَا زِمَانٍ بِحُبْلِ التَّبَائِنِ لَا يَعْتَبِقَانِ ۚ وَالْبِلَادَ وَالرَّعَايَا خُطُومًا بَنَظْرِكَ مَا اسْتَطَعْتَ ۚ
 وَتَثَبَّتْ فِي كُلِّ قَطْعٍ وَوَصَلَتْ فُتَتْ مَسْئُولٌ عَنْ كُلِّ مَا وَصَلَتْ وَقَطَعْتَ ۚ وَالْآلَ
 وَالْعِثْرَةَ النَّبَوِيَّةَ فَذِيهَا حَقَّ التَّرَابَةَ مَكَ وَهُوَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي
 أَشْرَقَتْ بِهِ ۚ وَأَعْلَمَ أَنَّكَ إِذَا أَكْرَمْتَ أَحَدًا مِنْهُمْ فَإِنَّمَا أَكْرَمْتَهُ بِسَبَبِهِ ۚ وَأَتَّبِعْ فِي السَّيْرَةِ
 سَيْرَةَ آبَائِكَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ لَا تَزِغْ عَنْهَا ۚ وَلَا تَعْمَلْ إِلَّا بِهَا وَبِمَا هُوَ - إِنْ
 اسْتَطَعْتَ - خَيْرٌ مِنْهَا ۚ وَأَقِفْ فِي الْمَعْرُوفِ آثَارَهُمُ الْمُقَدَّسَةَ لِتَحْوِي مِنَ الْمَأْثِرِ مَا حَوَّوْا ۚ
 وَأَحْذِ حَذْوَهُمْ فِي طَرِيقِهِمُ الْمُبَارَكَةِ وَأَبْنِ الْمَجْدَ كَمَا بَنَوْا ۚ وَأُحْيِ مِنَ الْعَمَلِ سُنَّةَ سَلَاكِ
 الْمُسْتَطَفِّينَ الْأَخْيَارِ ۚ وَأَحْرِصْ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْأُمَّةِ الَّذِينَ يُظَلِّمُهُمُ اللَّهُ تَحْتَ عَرْشِهِ ۚ
 ﴿يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ الْعَذَابُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ ۚ
 وَأَسْلِفِ خَيْرًا تَذَكُّرُ بِهِ عَلَى مَمَرِ اللَّيَالِي ۚ وَبِنَتِظْمِ ذِكْرِهِ فِي عُقُودِ الْأَيَّامِ كَمَا تَنْتَظِمُ فِي السَّلَاكِ
 اللَّائِلِي ۚ وَلِيَكُنْ قَصْدُكَ وَجَهَ اللَّهِ لِيَكُونَ فِي نُصْرَتِكَ فَإِنَّ مَنْ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى فِي نُصْرَتِهِ
 لَا يُبَالِي ۚ وَتَعَلَّمْ حَقَّ الْيَقِينِ أَنَّ حَسَنَةَ الْإِمَامِ تُضَاعَفُ بِحَسَبِ مَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا مِنْ
 الْمَصَالِحِ أَوْ تَجَادُدُ بِسَبَبِهَا ۚ وَسَيِّئَتُهُ كَذَلِكَ مِنْ سَنِّ سَيِّئَةٍ كَانَ عَلَيْهِ إِثْمُهَا وَإِثْمٌ مِنْ
 عَمَلِ بِهَا ۚ وَتَدْرُغْ مَعَ الْحَقِّ كَيْفَ دَارَ وَمِلْ مَعَهُ حَيْثُ مَالٌ ۚ وَأَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ
 مَا بَدَّلَ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ
 مِنْ وَالٍ ۚ وَلَا تُخْطِرُ بِيَاكُ أَنْ هَذَا الْأَمْرُ آتَيْهِ إِلَيْكَ بِقُوَّةٍ ۚ أَوْ يَغْفِرْكَ مَا قَدِمْنَا مِنْ
 الشَّاءِ عَلَيْكَ فَالْتَأَثَّرْ بِالْمَدْحِ يُحْمَلُ بِالْمُرُوءَةِ ۚ وَلَا تَتَكَلَّمْ عَلَى نَسَبِكَ فَمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ أَدْخَلَهُ
 الْجَنَّةَ وَلَوْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا ۚ وَمَنْ عَصَاهُ أَدْخَلَهُ النَّارَ وَلَوْ كَانَ هَاشِمِيًّا قُرَشِيًّا ۚ وَاسْتَنْصِرْ
 اللَّهَ يَنْصُرْكَ وَاسْتَعِزْ بِهِ يَكُنْ لَكَ عَوْنًا وَظَهِيرًا ۚ وَاسْتَهْدِهِ يَهْدِكَ ۚ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًّا
 وَنَصِيرًا ۚ وَكُنْ [مِنْ] اللَّهِ خَائِمًا وَمِنْ مَكْرِهِ مِنَ الْمُشْتَقِينَ ۚ فَإِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ
 يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقِينَ ۚ

هنا عهد أمير المؤمنين إليك ، ووصيته ثملي عليك ، ﴿ وَذَكَرَ فَإِنَّ اللَّهَ كَرَّمَ
تَفَعَّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ والله تعالى يبلغه منك أملاً ، ويحقق فيك علماً ويزكي بك عملاً ،
والأعياد على الخط المقتدس الإمامي استوكلي - أعلاه الله تعالى - أعلاه ، حاشا فيه
إن شاء الله تعالى

المسند في السان

﴿ أَنَّهُ يَفْتَحُ الدُّعَاءَ بِهَذِهِ الرِّسَالَةِ بِلَفْظٍ « مِنْ فُلَانٍ إِلَى فُلَانٍ » ، فَمَا يُكْتَبُ فِي الْمُنَاجَاتِ
مِمَّا يَأْتِي فِيهَا مِنْ رِوَايَاتِي بِمَا تَقَرَّرَ فِيهَا مِنْ تَقْسِيمِ الْحَالِ مِنْ ذِكْرِ الْإِلَهِيَّةِ
وَالْحُكْمِ الشَّرِيعِيِّ وَالْمَشَارِقِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْمَوَاسِمِ »

عم قاعدة التمسك بهم بأثره عند الحاجة إليه في أوقات الأزمات .

ومسند نسخة أخرى من ذلك . أما من الملاحظ لدي في الفاطمية أن
حيدرة بأن يكون في عهد الخلافة . . . وليس فيها ما يبين التحديد أو غيره .

من عهد الله عز وجل عهد الطهر . من المؤمنين الخاضعين لدين الله أمير المؤمنين ،
إلى ولده وأخيه ، برؤيته الطاهر من سلبه ، وأجمع على ترفيعه والمسائل بمرضاة
الله في قوله : « . . . برؤيته من سلبه » الأمامي أمير المؤمنين حيدرة . ولما كان
أمير المؤمنين ، عليه السلام .

سلام عليك . من أمير المؤمنين وحده إليك الله الذي لا اله الا هو ، ورسوله

يفضي على بجمته خير خلقهم الذين سر بهم المرسلين ، صلى الله عليه وسلم وآل

الائمة المهديين ، وسلم تسلياً .

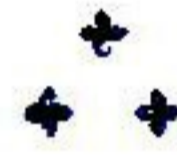
أما بعد ، فإن الله تعالى أيدني بحسنه وأجمع رغبته ، استودع خلفاءه من خلقه
وبرأه ، واستلقى أمانه من صوره وشأه ، ورتبهم سريرة النور من الأعداد

ونزلهم بمنزلة الضياع من الأزداد ؛ وجعلهم مستخدمين لأفكارهم في مصالح البرية التي غدت في أمانهم ، وحصلت في ضمانهم ؛ فظلت في ذمامهم ، وسعدت في عزهم مقامهم وظل أيامهم : لأنهم نصبوا للنظر فيما جل ودق ، وتعبوا لراحة الكافة تعباً صعباً وعظماً وشقاً ؛ وكان ذلك سراً من أسرار الحكمة ، وضرباً من أفضل تدبير الأئمة ؛ إذ لو ساوى بين الرئيس والمرئوس ، والسائس والمرئوس ؛ لاختلط الخصوص بالعموم ، ولم يبق فرق بين الإمام والمأموم .

وقد استخلص الله أمير المؤمنين من أشرف أسرة وأكرم عصابة ، وأيده في جميع آرائه بالحزامة والجزالة والأصالة والإصابة ؛ وقضى لأغراضه أن يكون السعد لها خادماً ، وحتم لمقاصده أن يصاحبها التوفيق ولا ينفك لها ملازماً ؛ وجمع له ما تفرق في الخليقة من المفانح والمناقب ، وألهمه النظر في حسن الخواتم وحيد العواقب .

ولما كان ولي عهد أمير المؤمنين أكبر أبناء أمير المؤمنين ، والمنتهى لأشرف المراتب من تقدم السنين ؛ وقد استولى على الفخر باكتسابه وانتسابه ، وتصدت له مخطوبات الرتب ليحوزها باستحقاقه واستيجابه ؛ وله من فضيلة ذاته ما يدل على النبأ العظيم ، وعايه من أنوار النبوة ما يهتدى به السارى في الليل البهيم ؛ وحين حوى تالد الفخر وطارقه ولم يستغن بالتقديم عن الحديث ولا بالحديث عن القديم ؛ والصفات إذا اختلفت أربابها لا تقع إلا دونه ، والثواب الجزيل مما أعده الله للذين يخلصون فيه ويتولونه ؛ ويفخر بأن خص من العناية الملكوتية بالخط الأجرل ، ولتسمح على البرايا ليكون ممدوحاً بالكتاب المنزل ؛ وليبدخ فإن وصفه لا تبلغ غايته وإن استخدمت فيه الفكر ، وليبجح فإن فضله لا يدرك حقيقة إلا إذا تليت السورة ، فامتعه الله بمواهبه لديه وأمتع أمير المؤمنين به ، وأجرى أموره عاجلاً وأجلاً بسببه .

(١) رأى أمير المؤمنين أن يختصه بولاية عهد أمير المؤمنين تميزاً له بهذا النعت الشريف، وسموا به إلى ما يجب لجدده الشاخص ومحلّه المنيف، واقتداءً بأسلافه الأئمة الأطهار فيما يشرفون به أبناءهم الأكرمين، وتخصيصاً له بما سبق نخره على متجدد الأزمان ومتناول السنين. وأمر أمير المؤمنين أن يتخير من رجال دولته، ووجوه أجناده وشيعته، طائفة يكون إليه آتماؤها، وإلى شرف هذا النعت آتسابها واعتراؤها، فتوسم بالطائفة العهديه، وتخطى إذا أخلصت في الولاية بالسعادة الدائمة الأبدية، وتظل موقوفة على خدمته، متصرفه على أوامره وأمثله، منتبهة في طاعته إلى أغراضه ومآربه، ملازمة للآزم المتعين من ملازمة الخدمة في مواكبه، والله تعالى يجعل ماراه أمير المؤمنين من ذلك كافلاً بالخيرات، ضامناً لشمول المنافع وعموم البركات، إن شاء الله تعالى: والسلام على ولي عهد أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.



وهذه نسخة بولاية العهد من خليفة لولده بالخلافة على هذه الطريقة، من إنشاء القاضي الفاضل، أتى فيها بالتحديد بعد التصدير ثلاث مرات، وهي:

من عبد الله ووليه فلان أبي فلان الإمام الفلاني إلى فلان الفلاني، والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم على نحو ما تقدم في العهد قبله.

(٢) أما بعد، فالحمد لله الذي آستحق الحمد بفضله، وأجرى القضاء [على ما أراد]، ووسع الجرائم بعفوه وعذله، وصرف المراحم بين قوله وفعله، وأعلى منار الحق

(١) لعل هذا جواب الشرط في أول الفقرة قبل ويكون العامل في حين بعده محذوفاً دل هذا عليه. تأمل.

(٢) بياض في الأصل والتصحيح من المقام.

وأرشد إلى أنله به واختار الإسلام ديناً وعصم المؤمنين بنبأه ، وأوضح سبيل النجاة
 من طريقه لدايكه من شبهه ، وتعالى علاه إلى الصفات ، ثم يوصف به مثل قوله :
 وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، وَتَقَرَّبْ مِنْ شَرِّكَ التَّشْبِيهَاتِ ، فِي كُلِّ جَلِيلٍ الْوَعْدِ مُسْتَقْبَلَهُ وَغَيْرِ
 بَقِيَّةٍ ، عَلَيْهِ مَا اشْتَلَّتْ عَلَيْهِ خَطَرَاتُ الْأَسْرَارِ ، وَأَشَارَتْ إِلَيْهِ نَفَرَاتُ الْأَبْصَارِ ،
 بِأَقْرَبَاتٍ عَنْهُ تَحَرَّاتُ الْأَخْطَارِ ، وَأَخْفَتْهُ سَرَاتُ الظُّلُمَاءِ ، وَبَاحَتْ بِهِ جَهْرَاتُ
 الْأَنْزَارِ ، بِرَبِّهِ وَأَمَّا مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ التَّوَلَّ وَتَوَلَّى بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَحْفٍ بِاللَّيْلِ
 وَرَبِّهِ وَالنَّهَارِ) .

والحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، فمن أتقى غيره ضلَّ المَنهج ، وأبعد
 عن ربه ، وتوكل على غيره ، وغايط المَخْرَج ، وألغى النور الأبَّج ، وركب الطريق
 المَعْرُوج ، وألغى عن التَّوَكُّلِ بِالْمَسَانِ الْمَجْتَبِج ، وَنَزَّ أَسْلَمَ وَجْهَهُ إِلَيْهِ فَازَ بِالسُّعْيِ
 الْمُنْجِبِ ، وَبَطَلَ كَيْدُ الشَّرِّجِ ، وَوَرَدَ الْمَوْرِدَ الْأَخْبَدِ ، وَتَمَّ الْقَصْدَ الْأَقْصَدِ ، وَوَبَدَّ
 بِالسُّدِّ الْأَمَّ ، وَبَدَّ الْمَنَهِجَ الْأَرشِدَ ، فِيهِ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى ، وَالطَّرِيقَةُ الْمُنْتَهَى ،
 وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، وَتَقَرَّبْ مِنْ شَرِّكَ التَّوَكُّلِ ، الْمَنْعُوتُ فِي سَيْرِ الْأَقْوَامِ ، الْمَبْعُوثُ بِالْحَقِّ ،
 وَالْمُجْرِمُ فِي الْأَمِينِ ، وَالْمَسَادِي إِلَى الْحَقِّ ، وَإِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ ،
 وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، وَتَقَرَّبْ مِنْ شَرِّكَ التَّوَكُّلِ ، مَا تَقَدَّمَ مِنْ قَبْلِهِ ، وَأَجِيرَ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ ،
 وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، وَتَقَرَّبْ مِنْ شَرِّكَ التَّوَكُّلِ ، بِقَطْعِ مَا مَنَعَ مِنَ الْخَلْقِ الْعَظِيمِ ، وَالْمَدْوُوحِ بِقَوْلِهِ :
 تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، وَتَقَرَّبْ مِنْ شَرِّكَ التَّوَكُّلِ ، مَا عَنَّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ
 وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، وَتَقَرَّبْ مِنْ شَرِّكَ التَّوَكُّلِ ، مَا عَنَّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ

والحمد لله الذي وصل النعمة بالإمامه ، وجعلها كلمة نافية في حثبه إلى يوم القيامة ،
 من غير أن يفتقر إلى الألفاظ التي لا يفهم إلا لسان الكرامة ، وأجارها بحثه من متائف

الطامة وبوادي الندامة ، وهدى بشرف مقامه إلى دار المقامه ، وأسترد بأنوار تدبيره
من ظلام الباطل الطلامه ، وأحسن بما أجراه من نظره النظر للخاصة والعامه ،
(إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ) .

يحمده أمير المؤمنين أن رفعه إلى ذلك المحل المنيف ، وأستعمر به المقام الشريف ،
وأظهر كلمة الدين الحنيف ، ونفى عنه تعالى التعمق وتجديف التحريف ،
وبين بموافقة توفيق هديه طريق التكليف ، وأمدّه بمواد إلهية تشتهر فتستغني عن
التعريف ، وتتصل فتقطع مواد التكليف .

ويسأله أن يصل على جده محمد الذي نسخ بشريعته الشرائع ، وهدب بهدايته
المشارع ، وأيده بالحجج القواطع ، والأنوار السواطع ، وجعل من ذريته جبال الله
القوارع ، ومن مشكاته نجوم الهدى الطوابع ، وعُدقت صنائعه بالله إذا أفتخرت
المنعمون بالصنائع ، وعلى أخيه وأبنا أمير المؤمنين على بن أبي طالب المخصوص
بأخوته ، وأبي الثقلين من عترته ، والسابق إلى الإسلام فهو بعده أبو عذرتيه ،
وإلى تفريخ الكرب عن وجهه في الحرب فهو ابن بجدته . وعلى الأئمة من ذريتهما
مصاييح الظلمات ، ومفاتيح الشكوك المبهمات ، والمنوحين من شرف السمات ،
ماجل عن المسامات ، والمدوحين بفضل الجاه في الأرضين والسموات .

وإن الله بحكمته البديعه ، ورحمته الوسيعة ، أقام الخلفاء لخالقه قواماً ونقطة
قواماً ، وجعل نار الحوادث بنورهم برداً وسلاماً ، وجعل لهم المداية بأمره لإزاما ،
وأستصرف بهم عن الخلق عذاب جهنم (إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا) ، فهم أرواح
والخلائق أجسام ، وصباح والمسالك أظلام ، وثمرات والوجود أحكام ، وحكام
والحقائق أحكام ، يسهرون في منافع الأنام وهم نيام ، وينفردون بوصب النصب

وَيُفَرِّدُونَهُمْ بِلذَاتِ الْجَمَامِ ، وَيَهْتَدُونَ بِهَدَايَاتِهِمْ إِلَى مَا تَدِقُّ عَنْهُ حَوَائِطُ الْأَنْهَامِ ،
 وَلَا يُدْرِكُ إِلَّا بوسائِلِ إلهام . وقد أصطفى الله الأمير من تلك الأسره ، ورقاه شرف
 تلك المنابر ومُلك تلك الأسره ، وأنار بمقامه نُجوم السعادة المستسره ؛ وأستخدم
 العالم لأغراضه ، وسدد كل سهم في رميه إلى أغراضه ، وأقرض الله قرضاً حسناً
 فهو واثق بحسن عواقب إقراضه ، وأقرض طاعته في خلقه فالسعيد من تلقى طاعة
 أمير المؤمنين بأقراضه ، وأمضى أوامره على الأيام فما يقابلها صرف من صرفها
 باعتراضه ، وأدار الحق معه حيث دار ، وكشف له ما استجنت تحت أستار الأقدار ،
 ووقف الخيرة والنصرة على آرائه وراياته فهو المستشار والمستخار ؛ وألهمه أن يحفظ
 للأمة غدها كما حفظ لها يومها ، وأن يجري لها موارد توفيق الارتياح ولا يطيل
 حومها ؛ وأن يجعل المؤمن على تلج من الصدور ، وفلج من الظهور ، ويودع عندها
 برد اليقين بالإشارة إلى مستودع النور ؛ ويجعلها على شريعة من الأمر فتبعها ،
 ويجعلها بمنزلة الخصب فتبعها ؛ ويعلم ندى خيره ليكون غايتها ومفرعها ، ويعرفها
 من تنتظره فتتخذها مالها ومرجعها ؛ ويقتدى في ذلك بسيد المرسلين في يوم القدير ،
 ويُشير إلى من يقوم به المشير مقام البشير .

ولما كنت حافظ عهد أمير المؤمنين والسيد الذي لا بُد أن يتوج به السير ،
 والنجم الذي لا بُد أن نستطيل إلى أنواره ونستطير ، والذخيرة التي ادخرها الله لنيل
 كل خطر ودفع كل خَطر ، والسحاب الذي فيه الشج المطير ، والنجم المنير ، والرجم
 المبير ، وقد تجلت لك أوجه الكرامات وتبدت ، وتبرجت لك مخطوبات المقامات
 وتصدت ، وطلبتك كفاً لنيل عقيلتها وسكنى معقلها فما تعدت ، وأدت إليك
 لطائف فهمك من أسرار الحقائق ما أدت ؛ وعرفت من سيمالك هدى النبوه ،
 واجتمع لك مزية الشرفين من الطرفين الأبوّة والنبوه ، وأخذت كتاب الحكمة

وَمَصُونِ الْعِصْمَةِ بِقُوَّةٍ ، وَأَجْرَتِ الْقُلُوبِ الَّتِي بَعَارِضِ الشُّكِّ مَمْنُونَةٍ ، وَأَثَرَتِ الْعَقَائِدَ
الَّتِي بِنَوَاقِضِ الْعُقَدِ مَمْلُوءَةٍ ، وَغَدَّتْ وَجُوهَ الْأَنْامِ بِأَيَّامِكَ مَجْلُوءَةٍ ، وَتَوَافَقَتِ الْأَلْسُنُ عَلَى
مَدْحِكَ وَلَا مِثْلَ مَا مُدِحَتْ مِنَ الْآيَاتِ الْمَتْلُوءَةِ ، وَكَنتَ بِمِثِّ تَنْهَبُ بِالْأَهْوَالِ
الْمَسْلُوءَةِ ، وَتُقْبِلُ بِالْآمَالِ الْمَرْجُوءَةِ ، وَلَوْ أَنَّ رَبَّنَا ضَلَّ لَهْدَاهُ نُورَكَ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ ،
لَوْ أَنَّ ذِكْرَكَ شَدَّ لِنَبْدَى فِي الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ، وَلَوْ أَنَّكَ طَلَعْتَ عَلَى الْأَوَّلِينَ
لَمَا تَسَاءَلُوا وَلَا اخْتَلَفُوا فِي النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ، وَلَوْ أَنَّ قَدِيمًا عَلَا فَوْقَ كُلِّ حَدِيثٍ لِقَامَ لَكَ
الْحَدِيثُ مَقَامَ الْقَدِيمِ ، وَلَوْ أَنَّ جَمِيعَ الْأَنْامِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ لَصَعِدَتْ فُونَهُمُ الْمَقَامَ
الْكَرِيمِ ، وَلَوْ أَنَّ يَدَكَ الْبَيْضَاءُ تَجَسَّمَتْ لِلنَّاطِرِينَ لِأَعَدَّتْ آيَةَ مُوسَى الْكَلِيمِ ، وَلَوْ أَنَّ
هِدَايَتِكَ الْغَرَاءَ تَنَسَّمَتْ لِلذَّاكِرِينَ لِأَحْيَيْتَ بِهَا الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ، وَلَوْ أَنَّ عُلُومَكَ
نَشَرْتَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ لَتَلَّوْا : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ وَلَوْ أَنَّ لَيْلَةَ وِلَادَتِكَ رَصَدَتْهَا
الْبَصَائِرُ ، رَأَتْ كَيْفَ يُفَرِّقُ فِيهَا كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ، وَالصِّفَاتُ إِذَا أَحْتَفَلَ أَرْبَابُهَا وَقَفَتْ
لَكَ عِيْدًا ، وَالْأَيَّامُ إِذَا كَانَتْ ظُرُوفًا لِفَضَائِلِكَ كَانَتْ كُلُّ يَوْمٍ مِنْهَا لِلْعِيْدِ عِيْدًا ،
وَالْأَنْسَابُ إِذَا عَدَدَتْهَا كَانَ الْجَدُّ سَعِيدًا ، فَلْتَفَخَّرْ قَبْلَ السِّرْبَانِ أَمَلَيْتَ عَلَيْهَا السُّورَ ،
وَأَبَشِرْ بَانَ الْمُتَنَظَّرِ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ لَكَ فَوْقَ مَا تَعَجَّلَهُ النَّظَرُ ، وَأَشْمَخْ بَانَ سَادَةِ الْقِبَائِلِ
مُضْرُ وَأَنْكَ بَعْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سَيِّدِ مُضَرَ ، وَأَبْدِخْ بَانَكَ عِيْوَضٌ مِنْ كُلِّ مَنْ غَابَ
وَمَاعَنَكَ عِيْوَضٌ فِي كُلِّ مَنْ حَضَرَ ، وَأَبْجَحْ بَانَكَ قَدْ أَهَلَّتْ لِأَمِيرِ أَبِي اللَّهِ لَهُ إِلَّا أَوْلِي
الْعِزِّمِ وَالْحَطَرِ ، وَأَشْكُرْ اللَّهَ عَلَى نِعْمَةِ خَلْقِكَ لَهَا بِقَدَرٍ ، وَمِزِيَّةٍ لِأَيُوفِي حَقِّهَا مِنْ أَضْمَرِ
فَاغْرَقَ أَوْ نَطَقَ فَشَكَرَ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ
هَدَانَا اللَّهُ ﴾ : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ
وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ ﴾ .

فإليك هذا الأمر يصير، وأنت له والله لك نعم المولى ونعم النصير، وتأهب له في درجته التي لا ينالها باع قصير، ولا يمتطيها إلا من آختره الله على علم من أهل النقلين ولو أن بعضهم لبعض ظهير، ولا نرى لها أهلا إلا من أراه الله من آياته أنه هو السميع البصير، وفاوض أمير المؤمنين في مشكلات الأمر ولا ينبتك مثل خبير، وأقتد منه بمن هو [في] أهل دهره وصي الوصي ونظير النذير، وأهد بنوره الذي هو بالنور البائن دون الخلق بشير، وسر إذا استعمك الله فيهم بما رأيت أمير المؤمنين به فيهم يسير. وأدع الله أن يسر على يدك ما أحجمهم إن ذلك على الله يسير، وأعرف ما آثرك الله به من أنه لم يجعل ليدك كفوًا إلا ذا الفقار ولا لقدمك كفوًا إلا المنبر والسرير، وتحدث بنعمة الله وإجرائها فأمر المؤمنين اليوم عليك أمير وأنت غدا على المؤمنين أمير: ﴿ هذا من فضل ربي ليبلوني الأشكر أم الكفور ومن شكر فإنا نسا يسكر لنفسه ﴾ .

وأما العدل بإفاضته، والجور وإغاضته، والصعب ورياضته، والجذب وترويضه، والخطب وتفويضه، والجهاد ورفع علمه، والذب عن دين الله وحفظ حرمه، والأمر بالمعروف ونشر دوائه، والنهي عن المنكر وطى أعتدائه، وإقامة الحد بالصفح والحد، والمساواة في الحق بين المولى والعبد، وبث دعوة الله في كل غور من البلاد وتجد، وأمر عباد الله إن عباد الله في زمنك الرغد، فذلك عهد الأئمة الراشدين، وهو إليك من أمير المؤمنين، عهد مؤكد العقد: وهو سنة فضل الخلفاء التي لا تجد لها تحويلا، ومعنى العهد الذي أمر الله بالوفاء به فقال: ﴿ إن العهد كان مسئولا ﴾ .

وهل يوصى البحر بتلاطم أمواجه؟ وتدافع أفواجه؟ وبتراخر عجاجه؟ وهل يحض البدر المنير على أن ينير سراجة، ويطلع ليتضح للسالك منهاجته؟ أو ينبه على هدايته

إذا تجرأته أبراجه ؟ و عليك من سرائر أنوار الله ما يعجزت أن توصي ، و لديك من
 طواهر لطائف الله ما تعجز به عن الخلق إذ أضحيت به شغور صبا ، و من شواهد اختيار
 الله ما تظاهرت عليك آياته نصوصا ، فيسلام الله بحبيبتك المؤمنين ، و بالأهل
 بمؤمنة و لآلِكَ في يوم الفزع الأكبر يأمنون ، و الله سبحانه و عده كما أنجز ابن
 جبريل آية لما صرّوا و كانوا بآياتنا يوقنون ، و الله سبحانه يدي إليك تحية من
 عنده مباركة طيبة ، و يئدي إلى مقام شرفك تتحابة رحمة الله عليه ، و يجعل
 ما رآه امر المؤمنين من و لايتك عهدته ، و كفالته الأمانة بطلبه ، و سريره نيله
 و لذاته حاجته ، و البركات جامعها ، و الباطل خافضها و الذي رزقها و راض أمير المؤمنين
 أن يعين على رجال من أولياء دولته ، و يبعثه شيعته ، و أنصاف كبريته ، و عده يكون
 إليك اعتزازها و بك اعتزازها ، و بابك الدال إقامتها و إلى بابك التمييزها ، و كنه
 مؤسومة بالعبودية ، و من مرضة بالولاء للمهابة الأبدية ، و تتشبه على ما أنت عليه
 المراسم ، و تتصرف على ما أنت صرفة عليه من العزائم ، و تكون أبا لما يحفظه الله من
 بحكم الهيئات و المنكحهم ، و تشوم من سائر الخدمة في سائر ذلك ما هو لئلا يفر
 فريض لازم ، و تسارع في مطالبك إلى ما أنت أرحم إليه أسبغ و أجود بأشعة الرضا
 ما أنت في الساجم ، و تقدر لنا من الواهبان ، و الزيادة من التواضع ثم المنكر من سائر
 و بالذمة الإعتقاد ، و تأسس فيما تستعمل [به] الخيرة و منة بالإيمان ، و تأسس
 من السان أرقم لآل أدناه ، و نفعها المراد بها تارة من طوائف هذه الأمة بأذن تارة
 من رتبة السان ، و تأسس ، و تفتخر بأن يكون أفعالها الله العلى
 إلى ما الله تعالى ،

Marfat.com

المذهب الثالث

(أن يَفْتَحَ العَهْدَ بعد البسمة بخطبة مفتحة بـ «الحمد لله» ثم يَأْتِي بالبعديَّة ،
ويأتى بما يُناسِبُ الحال على نحو ما تقدم ، وعليه عمل أهل زماننا
مع الأقتصار على تجميد واحدة ، والأختصار في القول)

وهذه نسخة أوردتها على بن خلف من إنشائه في كتابه " مواد البيان " لترتيب
الكتابة في زمن الفاطميين ، وهي :

الحمد لله مُعِزِّ دِينِهِ بِخُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ ، وَصَرِّبِ حَقَّهُ بِأَوْلِيَائِهِ الْهَادِينَ ، الَّذِي آخْتَارَ
دِينَ الْإِسْلَامَ لَصَفْوَتِهِ مِنْ بَرِيَّتِهِ ، وَخَصَّ بِهِ مَنْ اسْتَخْلَصَهُ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ ، وَجَعَلَ
حَبْلَهُ الْمَتِينَ ، وَدِينَهُ الَّذِي أَنْظَرَهُ عَلَى كُلِّ دِينٍ ، وَسَبِيلَهُ الْأَفْصَحَ ، وَطَرِيقَهُ الْأَوْضَحَ ،
وَأَبْتَعَتْ بِهِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فَصَدَّعَ بِأَمْرِهِ ، وَأَعْلَنَ بِذِكْرِهِ ، وَالنَّاسُ فِي فِتْرَةِ
الضَّلَالَةِ ، وَشَمَرَةَ الْجَهْلَالَةِ ، فَلَمَّا أَنْجَزَ فِي نُصْرَةِ حَقِّهِ ، وَتَأْيِيدِهِ لِسُعْدَاءِ خَلْقِهِ [قبضه]^(١)
إِلَيْهِ مَجْمُودَ الْأَثَرِ ، طَيَّبَ الْخَبَرَ [وقام] بِخِلَافَتِهِ ، مَنْ أَنْتَجَبَهُ مِنْ طَهْرَةِ عِثْرَتِهِ ، وَأَوْدَعَهُمْ
حِكْمَتَهُ ، وَكَفَّلَهُمْ شَرِيعَتَهُ ، فَأَتَمَّ فَرَا سَبِيلَهُ ، وَأَتَّبَعُوا دَلِيلَهُ ، كُلُّمَا قَبَضَ مِنْهُمْ سَلْفًا إِلَى
مَقَرِّ نَجْدِهِ ، أَصْطَفَى خَلْفًا لِلْإِمَامَةِ مِنْ بَعْدِهِ .

يَحْمَدُهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ أَفْضَى إِلَيْهِ بَرَاثَ الْإِمَامَةِ وَالرَّسَالَةِ ، وَهَدَى بِهِ كَمَا هَدَى
بِحَدِّهِ مِنَ الزَّيْبِ وَالضَّلَالَةِ ، وَأَخْتَصَّ بِمِيرَاثِ النُّبُوَّةِ وَالْخِلَافَةِ ، وَنَصَبَ رَحْمَةً لِلْكَافَّةِ ، وَأَتَمَّ
نِعْمَتَهُ [عليه] كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى آبَائِهِ ، وَأَجَزَ حِفْظَهُ مِنْ حُسْنِ بَلَاءِهِ ، وَأَعَانَهُ عَلَى مَا اسْتَرْعَاهُ ،
وَوَفَّقَهُ فِيمَا وَاوَّاهُ ، وَأَنْهَضَهُ بِإِعْزَازِ الْمَلَّةِ ، وَإِكْرَامِ الْأُمَّةِ ، وَإِمَانَةِ الْبِدْعِ ، وَإِبْطَالِ

(١) يَأْتِي بِالْأَصْلِ ، وَالنَّصْبِ مِمَّا يَحْتَضِرُ الْمَقَامَ .

المذهب المخترع ، وإحياء السنن ، والإستقامة على لاجب السنن ، ووجهه من بينه
وذريته ، موازين على ما حمه من أعباء خلافته ، ومُظَاهِرِينَ على ما كلفه من إمعان
النظر في بريته .

ويسأله الصلاة على محمد خاتم أنبيائه ، والخيرة من خلصائه ، الذي شرفه بختام
رُسله ، وإقرار نيابته في أهله ، صلى الله عليه وعلى أخيه وأبن عمه وباب حكيمته ،
على بن أبي طالب وصيه في أمته ، وعلى الأئمة الطاهرة من ذريته ، مناهج رحيمته ،
وسُرح هدايته ، وسلم تسليماً .

وإن الله تعالى جعل الخلافة للكافة عِصمه ، ولأهل الإيمان رحمه ، تجمع
كلماتهم ، وتحفظ ألفتهم ، وتُصلح عاصمتهم ، وتقيم فرائضه وسُننه فيهم ، وتمد رواق
العدل والأمانة عليهم ، وتحسم أسباب الكُفر والنفاق ، وتسمع أهل العناد
والشقاق ، ولذلك وصل الله حبلى الإمامه ، وجعلها كلمة باقية في عقب أوليائه
إلى يوم القيامة .

ولما نظر أمير المؤمنين بعين اليقين ، وأقتبس من الحقيقة قَبس [الحق] المبين ،
عرَف ما بُنيت عليه الدنيا من سُرعة الزوال ، ووشك التحوُّل والانتقال ، وأن
ما فوض الله إليه من خلافته لا بد أن يتنقل عنه إلى أبنائه الميامين ، كما انتقل إليه
عن آباءه الراشدين ، فلم يفتربموا عييدها المحال ، وأضرب عمًا تخدع به من الأمانى
والآمال ، وأشفق على من كلفه الله بسياسيته ، وحمه رعايته من أهل الإسلام
المعتصمين بحبل دعوته ، المشتملين بظل بيعته ، عند تقضى أمته ونزوعه إلى آخرته ،
في الوقت المعلوم ، بالأجل المحتوم : من أنتشار الكلمة ، وأنبات العِصمه ،
وأنشاق العصا ، وإراقة الدماء ، وأستيلاء الفتن ، وتعطيل الفروض والسنن ، فنظر

على ذكر منه وبال . فيتحاموا الثقيل عليهم والإضرار بهم . وأشهد لله بكل ما شرطت
 وحدده ، والعمل بما عهد إليه فيما تقلده . على أنه غني عن وصية النبي . وتبريه
 وتذكيره . إلا أن هذا سيد المرسلين . يقول لعلي صلى الله عليه وسلم " أنبئني عاقبتك
 (١)

الافوضه " .

وبأيعوا على بركة الله تعالى طائعين غير مكرهين . برئيس لا يرهقه ، وبإخلاص
 لا يمداهنه . ببيعة رضاء واختيار ، وأتقياد وإيثار . بصحة من نيأتكم ، وبسلامة
 من صدورك . وصفاء من عقائدكم . ووفاء واستقامة فيما تضمنون عليه أيمانكم .
 ليعرفكم الله [من] سبوغ النعمة ، وشمول الخبرة ، وحسن العاقبة ، وانتاف الكرامة .
 ما يقر نواظركم . ويبرد ضمائركم . ويذهب غل صدورك . ويعز جانبكم . ويبدل
 مجانبكم . فاعلموا هذا وأعملوا به إن شاء الله .

وقد يعني هذا الكتاب الذي ذكرناه معنى العهد ، فلا يحتاج إلى عهد .

وعلى ذلك كتب عن الإمام المستكفي بالله أبي الربيع سليمان ، ابن الحكيم بالله
 الله أحمد ، عهد وأده المستوثق بالله « بركة » بالخلافة بعده . وهذه نسخة :
 الحمد لله الذي أيد الخلافة العباسية بأجل والد وأبر وأد ، وجعلها كلمة يومية
 في عقبه والسنة كالسنة ، وآواهم من أمرهم إلى الكهف فالكهف . وكان تناهي
 العاد . وزان عطفها بسود سواد شعارهم المسجلة أنوارهم ولا شدة .
 في السواد ، وعقد بصولتهم النبوي معجزها كل مناد .
 (٢)

(١) كذا في الأصول مضبياً عليه وحرر .

(٢) لعله وقد . أي كفى . ثامن .

بمحمده على ما من به من تمام النعمة فيهم ، ونزول الرحمة بتوآفيهم ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة محضة الإخلاص ، كافلة محضها بالفكاك من أسر الشرك والإخلاص ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث بما أوضع سبل الرشاد ، وقمع أهل العناد ، والشفيع المشفع يوم التناد ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا أنقضاء لها ولا نفاذ ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد فإن أمير المؤمنين (ويذكر اسمه) يعتصم بالله في كل ما يأتي ويذر مما جعل الله [له] من التفويض ، ويشير إلى الصواب في كل تصریح منه وتعريض ، وإنه شد الله أزره ، وعظم قدره ، أستخار الله سبحانه وتعالى في الوصية بما جعله الله له من الخلافة المعظمة المفخمة الموروثة عن الآباء والجدود ، الملقاة إليه مقاليدها كما نص عليه ابن عمه صلى الله عليه وسلم في الوالد من قریش والمولود ، لولده السيد ، الأجل ، المعظم ، المكرم ، فلان ، سليل الخلافة وشبل غايبها ، ونحبة أحسابها وأنسابها ، أجله الله وشرفه ، وجمل به عطف الأمانة وفوقه : لما تلمحه فيه من النجابة اللائحة على شمائله ، وظهر من مستوثق إبداء سره فيه بدلائل برهانه وبرهان دلائله ، وأشهد على نفسه الكريمة - صانها الله تعالى - مولانا أو سيدنا أمير المؤمنين ، من حضر من حكام المسلمين : قضاة قضاتهم ، وعلمائهم ، وعدولهم ، يجلسه الشريف ، أنه رضى أن يكون الأمر في الخلافة المعظمة ، الذي جعله الله له الآن لولده السيد الأجل فلان بعد وفاته ، فسح الله في أجله ، وعهد بذلك إليه ، وعول في أمر الخلافة عليه ، وألقى إليه مقاليدها ، وجعل بيده زمام مبدئها ومعيدها ، وصى له بذلك جزئيه وكليته ، وغامضه وجليته ، وصية شرعية بشروطها اللازمة المعتبرة ، وقواعدها المحررة ، أشهد عليه بذلك في تاريخ كذا .

الوجه السابع

(فيما يكتب في مستند عهد ولى الخلافة عن الخليفة ، وما يكتبه الخليفة في بيت العلامة ، وما يكتب في ذيل العهد بعد اتمام نسخته من قبول المعهود إليه ، وشهادة الشهود على العهد)

أما ما يكتب في المستند ، فيذبح أن يكون كما يكتب في عهود الملوك عن الخلفاء ، على نحو ما تقدم في البيعات ، وهو أن يكتب : « بالإذن العالى ، المولى ، الإمامى ، النبوى ، الفلانى » (بلقب الخلافة) أعلاه الله تعالى « أو نحو ذلك من الدعاء .

وأما ما يكتبه الخليفة في بيت العلامة ، فيذبح أن يكتب : « عهدتُ إليه بذلك » : لأنه اللفظ الذى ينعقد به العهد . ولو كتب : « فوضتُ إليه ذلك » كما يكتب الخليفة في عهد السلطان الآن على ماسيات ، كفى ذلك . والأليق بالمقام الأول .

وأما ما يكتب في ذيل العهد بعد اتمام نسخته ، فالتقول فيه عن المتقدمين ما كتب به « على الرضى » تحت عهد المأمون إليه بالخلافة ، وهو :

الحمد لله الفعال لما يشاء ، لأمعق لحكمه ، ولا راد لقضائه ، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وصلواته على نبيه محمد خاتم النبيين ، وآله الطيبين الطاهرين . أقول وأنا على بن موسى بن جعفر : إن أمير المؤمنين غضده الله بالسداد ، ووقفه للرشاد ، عرف من حقنا ما جهله غيره : فوعى أرحاما قطعت ، وأمن أنفسا فزعت ، بل أحيها وقد تلفت ، وأغناها إذ افتقرت ، متبعا رضا رب العالمين ، لا يريد جزاء من غيره وسيجزى الله الشاكرين ، ولا يضيع أجر المحسنين ،

والله جميل إلى عبده، والإحيرة الكبرى إن بقيت بعده، فمن حل عقدة من عقده
 أنعم الله به، أو فطم عمره، أو شرب الله إيثاقاً، فقل أياح حريمه وأحل محرمة، إذ كان
 ملكاً زارياً على الإمام، حتى كان حرمه الإسلام، بذلك جرى السالف فصار من
 على العاقبة، ولم يفتخر بعدها على العزومات، ونحوه على سبيل الدين، وأحيط
 حبل المسلمين، ولأنه أمر الجاهلية، ورصد فرصة تنهيه، وبقية نذره، وقد جعلت
 له تعالى على نفس إن استراني على المسلمين، وتلك في بلافة، العبد لله
 وفي بنى النحاس بن عبد الملك خاصة بطاعة، وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وأن لا أسفك دماً حراماً، ولا أبيع فرجاً ولا مالاً، إلا ما سئلت مني، وأباحته
 فرائضه، وأمر الخبير الكفاة بجهنم وطاقتي، سعلت بذلك على نفسي عهداً، وكذا
 يسألني [الله] منه، وإنه من وجل يقول: (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً) .
 من أحدثت أو غيرت أو بطلت، كنت للغير مستحفاً، وبذلك حال معرضاً، وأعوذ بالله
 من الخطأ، . إيد أرغب في التوفيق لطاعته، والحول بيني وبين معصيته، (في عامة
 المسلمين، والطاعة والحضرة، لا على ضد ذلك) : (وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِي
 وَلَا بِكُمْ) : (إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَشِىءُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ) . لكنني آمنت
 أمر أمير المؤمنين وآثرت رضاه، والله يعضمني وإياه، واشهدت الله على نفسي
 بذلك وكفى بالله شهيداً . وكنت منطى بحضرة أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه -
 والفضل بن سهل، وسهل بن الفضل، ومحي بن أكثم، وإشرب بن المعتز، وحماد
 ابن النعمان، في شهر رمضان سنة إحدى ومائتين .

نم كتب فيه من حضر من هؤلاء، ومنه صورة كتابهم
 فكتب الفضل بن سهل وزير المأمون ماصورته :

(١) نعت هذه العبارة في الأصل، وسها علامة التوقف . ولم نعلم عليها في غير هذا الكتاب .

«رَحِمَ أمير المؤمنين أظالم الله به آه مرعه عفاً سون هذا المكتوب . شهيداً و طهراً
 محرم سيده رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن الرقعة في الخبر على رؤوس الأشهاد
 وقمر أدي . وممنوع من ومنه . في عالمهم وحامو القلوب . والرجاء . وهو يسأل الله أن
 يعرف أمير المؤمنين . وكأنه تسليماً بركة هذا الشهيد وليته . به أوجده
 أمير المؤمنين الصفة به على جميع المسلمين . وأظالم لشبهة التي كانت تعرضت لراء
 الجاهلين . (إما كان الله يذو المؤمنين صلوات الله عليه) . وكتب النصيب في الخبر
 في التاريخ المعين فيه .»

وكتب عبد الله بن عظمى ماصورة . أشهد . شهادة عيه بتاريخه عند الحسن
 طاهر بن الحسين .»

وكتب يحيى بن أكرم القاضي ماصورة . «شهد يحيى بن أكرم على نفسه يوم
 هذه المحنة طهرها ووطنها . وكتب بخطه بالتاريخ .»

وكتب حماد بن شعان ماصورة . «شهد حماد بن شعان بنفسه يوم
 ووطنه . وكتب بيده بتاريخه .»

وكتب بشر بن المعتز ماصورة . «شهد بشر بن المعتز بنفسه
 بخطه بالتاريخ .»

قلت : وعلى نحو ما تقدم من كتابة المعهود إليه بالتبويل والتمهيد . «شهد يحيى بن
 العهد ينبغي أن يكون العمل أيضاً في زماننا : فيجوز خط العهدة بتعويض على
 ما تقدم . وشهادة الشهود . ولو اقتصر المعهود عليه في الكتابة على قوله : «شهدت
 ذلك .» كان كافياً . وإن كان آمياً ^{بده} اكتفى بشهادة الشهود .»

الوجه الثامن

(في قول الورق الذي تُكْتَبُ فيه عهودُ الخلفاء، والقلم الذي يُكْتَبُ به،
وكيفية كتابتها وصورة وضعها)

أما قطع الورق فمقتضى قول المقر الشهابي بن فضل الله في "التعريف" أن للعهد قطع البغدادية الكامل، وأن عهود الخلفاء تُكْتَبُ في البغدادية كما هو مستعمل في عهود الملوك عن الخلفاء، على ما سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى. وهو مقتضى ما تقدم في الكلام على قطع الورق في مقدمة الكتاب نقلاً عن محمد بن عمر المدائني في كتاب "القلم والدواة" أن القطع الكامل للخلفاء.

قلت : وقد أخبرني من تُوثقُ به أنه وقف على عهد المعتضد بالله أبي الفتح أبي بكر، والد المتوكل على الله : أبي عبد الله محمد خليفة العصر، وهو مكتوب في قطع الشامية الكاملة : وأنه كُتِبَ عهد المتوكل على ظهره بخط الشهود دون كاتب إنشاء، وكُتِبَ له تفهيم الخليفة وضعف شأنها، وصار الأمر إلى الملوك المنغلبن على الخلفاء، تنازلوا في كتابة عهودهم من قطع كامل البغدادية إلى قطع الشامية. وهذا هو المناسب لزماننا.

وأما القلم الذي يُكْتَبُ به، فالحكم فيه ما تقدم في البيعات : وهو إن كُتِبَ العهد في قطع البغدادية، كُتِبَ بقلم مختصر الطومار. وإن كُتِبَ في قطع الشامية، كُتِبَ بقلم الثلثين الثقيل.

وأما كيفية الكتابة وصورة وضعها، فعلى ما تشده في كتابة البيعات، وهو أن يبدأ بكتابة الطرة في أول الدرج بالقلم الذي يُكْتَبُ به العهد سطورا متلاصقة ممتدة

في عرض الدرّج من أوله إلى آخره من غير هامش . ثم إذا كانت الكتابة في قطع
 البغدادي الكامل ، جرى فيه على القاعدة المتداولة في عهود الملوك عن الخلفاء ، فيترك
 بعد الوصل الذي فيه الطرة ستة أوصال بياضاً من غير كتابة ، ثم يكتبُ البسملة
 في أول الوصل الثامن بحيث يُلحِقُ أعالي ألفاته بالوصل الذي فوقه ، بهامش قدر
 أربعة أصابع أو خمسة ، ثم يكتب تحت البسملة سطرًا من أول العهد ملاحظًا لها ،
 ثم يخلى مكان بيت العلامة قدر شبر كما في عهود الملوك ، ثم يكتب السطر الثاني
 تحت بيت العلامة على سمت السطر الذي تحت البسملة . ويحرص أن تكون نهاية
 السجعة الأولى في السطر الأول أو الثاني ، ثم يسترسل في كتابة بقية العهد إلى آخره ،
 ويجعل بين كل سطرين قدر ربع ذراع بذراع القماش . فإذا انتهى إلى آخر العهد ،
 كتب « إن شاء الله تعالى » ثم المستند ، ثم الحمد ، والصلوة على النبي صلى الله
 عليه وسلم والحسبة ، على ما تقدم في الفوائح والخواتم . ثم يكتب المعهود إليه
 والشهود بعد ذلك . وإن كتب في قطع الثامن ، فعلى ما تقدم في البيئات : من
 أنه ينبغي أن يقتصر في أوصال البياض على خمسة أوصال ، ويكون الخامس قدر
 ثلاثة أصابع .

وهذه صورة وضعه في الورق ، ممثلاً فيما بالطرة التي أنشأها ، على ما تقدم ذكره
 في العهد الذي أنشأه على لسان الإمام المتوكل على الله خليفة العصر لولد العباس .
 وهو العهد الأخير من المذهب الأول من عهود الخلفاء عن الخلفاء

بياض بأعلى الدرّج نقد بر اصبع

وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَاءُ الَّذِينَ كَانُوا عَلَىٰ ذُرِّيَّتِهِمْ مِنَ الْعَهْدِ وَقَدْ جِئُوا بِالْحَقِّ لِيُنظَرُوا فِي أَعْيُنِ النَّاسِ وَيُنزَلُوا فِي حُكْمِهِمْ يَوْمَ ذَا الْقُرْآنِ أَلَمْ نَقُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكَ نَذِيرٌ مِنَ الْبَشَرِ فَأَلْزَمْ فَمًا فَمًا حَقَّ لِقَائِهِمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْهَا أَوْ يُرْسِلْ عَلَيْهِمْ السَّيْلَ مِنَ السَّمَاءِ فَتُلَاقَهُمْ بِرِحْمٍ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّقُوا بِالْحَقِّ لَقَدْ نَزَّلْنَا الْقُرْآنَ لِلْعَالَمِينَ لِيُنذَرُوا لِيَتَّقُوا وَلِيَرَوْا عَذَابَ الْعَذَابِ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُمْ فِي آيَاتِهِمْ لَدُنَّ رَبِّهِمْ أَلَمْ نَقُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكَ نَذِيرٌ مِنَ الْبَشَرِ فَأَلْزَمْ فَمًا فَمًا حَقَّ لِقَائِهِمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْهَا أَوْ يُرْسِلْ عَلَيْهِمْ السَّيْلَ مِنَ السَّمَاءِ فَتُلَاقَهُمْ بِرِحْمٍ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّقُوا بِالْحَقِّ لَقَدْ نَزَّلْنَا الْقُرْآنَ لِلْعَالَمِينَ لِيُنذَرُوا لِيَتَّقُوا وَلِيَرَوْا عَذَابَ الْعَذَابِ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُمْ فِي آيَاتِهِمْ لَدُنَّ رَبِّهِمْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فقد شره بكل ناسية عامسة وتطبع به عيادة الخلد من فؤادك ان قبل

هامش

في كل أفر نجا

ثم أتى على الدلالة إلى امر العبد على هذا المعنى لأن الله يشهد بك

قوله في رواية تعالى يئسك ملك أعمامك وحنق فيك ولما برزك لك أهلام

بسم الله تعالى

كتب في اليوم الأثر من الفجر

سنة إحدى وعشرون

بالإذن العيني من نور الإلهام في سنة إحدى وعشرون

أعده

الخد لا يئسك وحنق فيك ولما برزك لك أهلام

سنة إحدى وعشرون

بسم الله
الحمد لله
والصلاة على
سيدنا محمد
والسلام
على آله
وأصحابه
الطيبين
الطاهرين
الطاهرين
الطاهرين

قبلت
وكتب
عبد أمير المؤمنين

مودة خط المهور
بالتواضع

النسوع الثاني

(عهود الخلفاء للملوك ، ويتعلق النظر به من «بند أوجه»)

الوجه الأول

(في أصل مشروئتها)

والأصل فيها ما رواه ابن إسحاق وغيره : أنه لما رجع وفد بني الحارث بن كعب إلى قومهم باليمن بعد وفود [هم] على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بأربعة أشهر . حدث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن ولي وفدهم عمرو بن حزم ، يفتنهم في الدين ، ويمنعهم السنة ومعالم الإسلام ، ويأخذ منهم صدقاتهم . وكتب له كتاباً عهد فيه عهداً ، وأمره فيه أمر ، على ما سيأتي ذكره في أول نسخ العهد الواردة في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى . فقد فوض النبي صلى الله عليه وسلم أمراً اليمن في حياته إلى عمرو بن حزم رضي الله عنه . وذلك أصرح دليل وأقوم شاهد لما نحن فيه .

الوجه الثاني

(في بيان [معنى] الملك والسلطنة اللتين يقع العهد بهما)

قد تقدم في الألفاظ نقلاً عن «الفروق» في اللفظة للمسكوي أن الملك أخص السلطنة : لأن الملك لا يطلق إلا على الولاية العامة ، والسلطنة تُطلق على أنواع الولايات ، حتى إن الفقهاء يعمرون عن القاضي ووالي البلد في أبواب الفقه بالسُلطان .

ثم تفويض الخليفة الأمور في البلاد والأقاليم إلى من يدبرها ويقوم بأعبائها على ثلاثة أقسام :

القسم الأول - وهو أعلوا وزارة التفويض ، وهو أن يستوزر الخليفة من يفوض إليه تدبير الأمور برأيه وإمضاءها على آجتهاده ، وينظر فيها على العموم . وعلى ذلك كانت السلطنة في زمن الخلفاء الفاطميين بمصر على ما سيأتي ذكره . قال المسوردي في "الأحكام السلطانية" : ولا يمتنع جواز مثل ذلك : لأن كل ما وكل إلى الإمام من تدبير [الأمة] لا يقدر على مباشرة جميعه إلا بالاستئذان ، ونياحة الوزير المشارك له في التدبير أصح في تنفيذ الأمور ، [من تفرد بها] ليستظهر به على نفسه ولتفقد ليكون أبعد من الزلل ، وأمنع من الخلل . قال : وتعتبر في [تقليد] هذه الوزارة شروط الإمامة إلا النسب وحده . وقد تقدم بأن شروط الإمامة في الكلام على البيعات . ثم قال : ويكل ما سمح من الإمام صح من وزير التفويض إلا في ثلاثة أشياء :

- أحدها - ولاية العبيد . فإن الإمام أن يعهد إلى من يرى وليس ذلك للوزير .
- الثاني - أن الإمام أن يستغنى الأمة من الإمامة وليس ذلك للوزير .
- الثالث - أن للإمام أن يعزل من قلده الوزير وليس للوزير أن يعزل من قلده الإمام .

وتفارق هذه الوزارة الخلافة في عموم النظر فيما عدا ذلك من وجهين :

(١) الزيادة من الأحكام السلطانية ص ١٨ .

(٢) الزيادة من الأحكام السلطانية ص ١٨ .

وعلى هذا كانت الأمراء والعلماء في الأقاليم والأقطار من ابتداء الإسلام إلى أن تغلب المتغلبون على الأمر وأستضعف جانب الخلفاء .

قال الماوردي : ويعتبر في هذه الإمارة ما يُعتبر في وزارة التفويض من الشروط : إذ ليس بين عموم الولايات وخصوصها فرق في الشروط المعبرة فيها .

القسم الثالث - إمارة الاستيلاء .

وهي أن يقلده الخليفة الإمارة على بلاد ويفوض إليه تدبيرها ، فيستولى عليها بالقوة ، فيكون [الأمير] باستيلائه مستبداً بالسياسة والتدبير ، والخليفة بإذنه يفتي أحكام الدين : لتخرج عن الفساد إلى الصحة ، ومن الخطر إلى الإباحة ، فإنه التصرف في حقوق الملة وأحكام الأمة ، وهذا ما صار إليه الأمر بعد التئب على الخلفاء ، والاستبداد بالأمر بالغلبة والقوة .

قال الماوردي : وهذا وإن نرج عن عرف التقليد المطلق في شروطه وأحكامه ، ففيه [من] حفظ قوانين الشرع وحراسة الأحكام الدينية ، ما لا يجوز أن يترك مختلاً مدخولاً ، ولا فاسداً معلولاً ، بخلافه مع الاستيلاء والاضطرار . ما امتنع في تقليد الاستكفاء والإختيار : أو قمع الترقق بين شروط المكنة والسحر . قال : والذي يُحفظ بتقليد المستولي من قوانين الشريعة سبعة أشياء . يشترك في التزامها الخليفة المولى والأمير المستولى ، ووجوبها في جهة المستولى أفاضل .

(١) عبارة "الأحكام السلطانية" وإمارة الاستيلاء التي تعقد عن اضطراب هي أن يصرف في الترتيب بلاد يقلده الخليفة إمارتها ويفوض إليه الخ وهي أوضح وأصح .

(٢) في المصباح . وله مكنة أي قوة وشدة .

أحدها - حِفْظُ مَنْصِبِ الْإِمَامَةِ فِي خِلَافَةِ النَّبُوَّةِ، وَتَدْيِيرِ أُمُورِ الْأُمَّةِ : لِيَكُونَ مَا أَوْجِبَهُ الشَّرْعُ مِنْ إِقَامَتِهَا مُحْفُوظًا، وَمَا تَفَرَّعَ عَنْهَا مِنَ الْحَقُوقِ مَحْرُوسًا .

والثاني - ظُهُورُ الطَّاعَةِ الدِّينِيَّةِ الَّتِي يَزُولُ مَعَهَا حُكْمُ الْعِنَادِ فِي الدِّينِ ، وَيَنْتَفِي بِهَا مَا تُؤَيِّمُ الْمُبَايَنَةَ لَهُ .

والثالث - أَجْتِمَاعُ الْكَلِمَةِ عَلَى الْأُلْفَةِ وَالتَّنَاصُرِ : لِيَكُونَ الْمُسْلِمُونَ بِدَا عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ

والرابع - أَنْ تَكُونَ عُقُودُ الْوِلَايَاتِ الدِّينِيَّةِ جَائِزَةً ، وَالْأَحْكَامُ وَالْأَفْضِيَّةُ [فِيهَا] نَافِذَةً ، لَا تَبْطُلُ بِفَسَادِ عُقُودِهَا ، وَلَا تَسْقُطُ بِخَلَلِ عُهُودِهَا .

الخامس - أَنْ يَكُونَ اسْتِيفَاءُ الْأَمْوَالِ الشَّرْعِيَّةِ بِحَقِّ تَبْرَأَ بِهِ ذِمَّةُ مُؤَدِّيِّهَا ، وَيَسْتَيْبِحُ آخِذُهَا وَمُعْطِيهَا .

السادس - أَنْ تَكُونَ الْحُدُودُ مَسْتُوفَاةً بِحَقِّ ، وَقَائِمَةً عَلَى مَسْتَحِقِّهَا ، فَإِنَّ جَنْبَ الْمُؤْمِنِ حِمَى إِلَّا مِنْ حَقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى وَحُدُودِهِ .

السابع - أَنْ يَكُونَ لِلْأُمَّةِ فِي حِفْظِ الدِّينِ وَازِعٌ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ تَعَالَى ، يَأْمُرُ بِحَقِّهِ إِنْ أَطِيعَ ، وَيَدْعُو إِلَى طَاعَتِهِ إِنْ عُصِيَ . ثُمَّ قَالَ : فَإِنْ بُكِلَتْ فِيهِ شُرُوطُ الْأَخْتِيَارِ الْمُتَقَدِّمَةِ ، كَانَ تَقْلِيدُهُ حَتْمًا اسْتِدْعَاءً لَطَاعَتِهِ ، وَدَفْعًا لِمَشَاقِقِهِ وَمُخَالَفَتِهِ ، وَجَرَى عَلَى مَنْ اسْتَوَزَرَهُ أَوْ اسْتَنَابَهُ أَحْكَامٌ مِنْ اسْتَوَزَرَهُ الْخَلِيفَةُ أَوْ اسْتَنَابَهُ . وَإِنْ لَمْ تَكُنْ [فِيهِ] شُرُوطُ الْأَخْتِيَارِ ، جَازَاهُ إِظْهَارُ تَقْلِيدِهِ اسْتِدْعَاءً لَطَاعَتِهِ وَحَسْمًا لِمُخَالَفَتِهِ وَمَعَانَدَتِهِ ، وَكَانَ نَقُودُ تَصَرُّفَاتِهِ فِي الْحَقُوقِ وَالْأَحْكَامِ مَوْقُوفًا عَلَى أَنْ يَسْتَنْبِ الْخَلِيفَةُ

له من تكاملت فيه الشروط . قال : وجاز مثل هذا وإن شذَّ عن الأصول : لان
الضرورة تُسقط ما عُوِّزَ من شروط المِكنة .

قلت : ومملكة الديار المصرية من حين الفتح الإسلامي وهلمَّ جرأ إلى زماننا
دائرة بين هذه الأقسام الثلاثة ، لا تكادُ تخرج عنها : فكانت في بداية الأمر « إمارة
استكفاء » يولى عليها الخليفة في كلِّ زمن من يقوم بأعبائها ، ويتصرف في أمورها ،
قاصر الولاية عليها ، واقف عند حدِّ ما يرد عليه من الخليفة من الأوامر والنواهي ،
إلا ما كان في أيام بني طولون من الخروج عن طاعة الخلفاء في بعض الأحيان .
فلما استولى عليها الفاطميون واستوزروا أرباب السيف في أواخر دولتهم ،
وعظمت كبريتهم عندهم ، صارت سلطنتها « وزارة تفويض » . وكان الخليفة يُحتجِب
والوزير هو المتصرف في المملكة كالمُلك الآن أو قريب منهم . وكانوا يلقَّبون بالقباب
المُلك الآن : كالمُلك الأفضل رضوان وزير الحافظ ، وهو أوَّل من لُقِّب بالملك
منهم فيما ذكره المؤيد صاحب حماة في تاريخه . والملك الصالح طلائع بن رزيك
وزير الفائز ثم العاضد . والملك المنصور أسيد الدين شيركوه بن شادي وزير العاضد ،
وآبن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب وزير العاضد أيضا ، قبل أن يستقلَّ
بالمُلك ويخطب بالديار المصرية لبني العباس ببغداد . ولانكر في تسمية الوزير ملكا ،
فقد قيل في قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهِ
أَسْتَخَاصُهُ لِنَفْسِي ﴾ . إن المراد بالملك الوزير لا الملك نفسه . ولما اتزعت من
الفاطميين وصارت إلى بني أيوب ، وكانوا يلقونها عن خلفاء بني العباس ،
صارت « إمارة استيلاء » لاستيلائهم عليها بالقوة ، واستبدالهم بالأمر والتدبير
مع أصل إذن الخليفة وتقليده . وكان الرشيد قد لُقِّب « جعفر بن يحيى البرمكي »

الوجه الثالث

(فيما يجب على الكاتب مراعاته فيه)

وأعلم أنه يجب على الكاتب مراعاة أمور :

منها — براءة الاستهلال بما يتبها له من اسم السلطان أو لقبه الخاص : مثل فلان الدين ، أو لقبه بالسلطنة : مثل الناصر ، والظاهر ، ونحوهما ، أو غير ذلك مما يدل على ما بعده قبل الإتيان به كما تقدم في البيعات وعهود الخلفاء .

ومنها — التنبية على شرف السلطنة وعلورتبتها ، ووجوب القيام بأمر الرعية ، وتحمل ذلك عن الخليفة .

ومنها — الإشارة إلى اجتهاد الخليفة وإعمال فكره فيمن يقوم بأمر الأمة ، وأنه لم يجد بذلك أحق من المعهود إليه ولا أولى به منه ، فيصفه بالصفات الجميلة ، ويثني عليه بما يليق بمقام الملك .

ومنها — الإشارة إلى جريان لفظ تنعقد به الولاية من عهد أو تقليد أو تفويض ، وقبول ذلك ، ووقوع الإشهاد على الخليفة بالعهد .

ومنها — إيراد ما يليق بالمقام من الوصية ، بحسب ما يقتضيه الحال : من علورتبة الخلافة وانخفاضها ، مبينا لما يلزمه القيام به : من حفظ الدين على أصوله المستقرة ، وما أجمع عليه سلف الأمة ، وتنفيذ الأحكام ، وإنصاف المظلوم من الظالم ، وحماية البيضة ، والدب عن الحرم ، وإقامة الحدود ، وتحصين الثغور ، وجهاد أعداء الله وغزوهم ، وجباية الفىء والصدقات على ما أوجبه الشرع من غير حيف ولا عسف ،

وتقدير العطاء، وصرف ما يستحق في بيت المال من غير سرف ولا تقتير، في وقت الحاجة إليه، وأستكفاء الأمناء، وتقليد النصحاء للأعمال والأموال، ومباشرة الأمور بنفسه وتصفح الأحوال؛ إلى غير ذلك من الأمور المتعلقة بالإمامة: من إقامة موسم الحج، وتأمين الحرم الشريف وإكرام ضرائح الأنبياء وبيت المقدس، وتحرير مقادير المعاملات، وغير ذلك مما يقتضيه أمر المملكة.

الوجه الرابع

(فيما يكتب في الطرة، وهو نمطان)

النمط الأول - ما كان يكتب في وزارة التفويض في دولة الفاطميين .

وكان الخليفة هو الذي يكتب بيده . وهذا أمر وإن كان قد ترك فالمعرفة به خير من الجهل ، خصوصاً وقد أثبت المقر الشهابي بن فضل الله عهدى أسد الدين شيركوه وأبن أخيه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بالوزارة عن العاضد، في جملة عهود الملوك على ما سيأتى ذكره . وسنوردُهما في جملة عهود الملوك عن الخلفاء فيما بعد إن شاء الله تعالى .

فمن ذلك ما كتب به العاضد في طرة عهد أسد الدين شيركوه المتقدم ذكره، وهو :

«هذا عهد لا عهد لوزيرٍ بمثله ، وتقليد أمانة رآك الله تعالى وأمير المؤمنين أهلاً لحمله، والجهة عليك عند الله بما أوضحه لك من مرشد سبله، فخذ كتاب أمير المؤمنين

يُقُوهُ ، وَأَسْحَبُ ذَيْلَ الْفَخَّارِ بِأَنْ أَعْتَرْتُ خِدْمَتَكَ إِلَى بُنُوَةِ النَّبُوَّةِ ، وَأَتَّخِذُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
لِلْفَوْزِ سَبِيلًا ﴿ وَلَا تَتَّقُوا الْإِيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ .



ومن ذلك ما كتب به العاضدُ أيضا في طرّة العهد المكتتب عنه بالوزارة
للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب قبل استيلائه بالسلطنة ، وهو :

« هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك ، وَحُجَّتُهُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكَ ، فَأَوْفِ بِعَهْدِكَ
وَيَمِينِكَ ، وَخُذْ كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِيَمِينِكَ ، وَلَمَنْ مَضَى بِحَدِّنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنُ أَسْوَاهُ ، وَلَمَنْ بَقِيَ بِقُرْبِنَا أَعْظَمُ سَلَوَاهُ ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ تَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ
لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقِينَ ﴾ .

النمط الثاني -- ما يكتب في طرّة عهود الملوك الآن .

وهو قريب مما كان يكتب أولا مما تقدم ذكره ، إلا أنه يُبدل فيه لفظ الوزارة
بالمُلك والسلطنة ، ويكون الذي يكتبه هو الذي يكتب العهد دون الخليفة . ثم هو
بحسب ما يؤثره الكاتب مما يدل على صدر العهد على ما يقتضيه الحال .

وهذه نسخة طرّة عهد ، كتب بها القاضي محي الدين بن عبد الظاهر ،
في نسخة عهد أنشأه للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، في سنة سبع عشرة
وسبعمائة ، وهو :

« هذا عهدٌ شريفٌ تجددت مسرات الإسلام بتجديده ، وتأكدت أسباب
الإيمان بتأكيده ، ووجد النصر العزيز والفتح المبين بوجوده ، ووفد اليمن والإقبال

على الخليفة بوقوده، وورد الأنام مؤرد الأمان بؤروده . من عبد الله ووليه الإمام
المستكفي بالله أبي الربيع سليمان أمير المؤمنين ، ابن الحاكم بأمر الله أبي العباس
أحمد . عهد به إلى السلطان الملك الناصر أبي الفتح محمد ، خلد الله سلطانه ،
ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحى قدس الله روحه .

تم الجزء التاسع . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء العاشر

وأزله الوجه الخامس

(فيما يكتب فى ألقاب الملوك عن الخلفاء ، وهو نمطان)

والحمد لله رب العالمين . وصلاته على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين

وآله وصحبه والتابعين وسلامه

وحسبنا الله ونعم الوكيل

